يطبع لأول مرة محققاً

إتحاف السادة المتقين

للسيد الإمام

محمد بن محمد بن محمد المرتضى الحسيني الزبيدي

بشرح



لحجة الإسلام الإمام

محمد بن محمد بن محمد الطوسي الغزالي

تحقيق

أشرف محمد أحمد

راجعه ودققه

عثمان أيوب البوريني

محمد سميح الشيخ حسين

2024

المجلد الخامس والعشرون وفيه كتاب الزهد والفقر


بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب الزهد والفقر

- بيان حقيقة الفقر واختلاف أحوال الفقير وأساميه
- بيان فضيلة الفقر مطلقًا
- بيان فضل خصوص الفقراء من الراضين القانعين والصابرين
- بيان فضيلة الفقر علىٰ الغنىٰ
- بيان آداب الفقير في فقره
- بيان آداب الفقير في قبول العطاء إذا جاءه من غير سؤال
- بيان تحريم السؤال من غير ضرورة وآداب الفقير المضطر إليه
- بيان مقدار الغنىٰ المحرِّم للسؤال
- بيان أحوال السائلين
- بيان حقيقة الزهد
- بيان فضيلة الزهد
- بيان درجات الزهد وأقسامه بالإضافة إلىٰ نفسه وإلىٰ المرغوب عنه وإلىٰ المرغوب فيه
- بيان تفصيل الزهد فيما هو من ضروريات الحياة
- بيان علامات الزهد

٣٤ - كتاب الفقر والزهد [١]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

صلىٰ الله علىٰ سيدنا محمد وآله وسلم.

الله ناصر كل صابر.

الحمد لله الذي أظهر من آثار جلال كبريائه ما حيَّر مُقَل العيون من عجائب قدرته، وردعت عظمتُه العقولَ فلم تجد مساغًا إلىٰ بلوغ غاية ملكوته ومدىٰ سلطنته، هو الله الحق المبين، أحق وأبين ممَّا ترىٰ العيونُ، لم تبلغه العقولُ بتحديد فيكون مشبَّهًا، ولم تقع عليه الأوهام بتقدير فيكون ممثَّلاً. أحمده علىٰ ما وفَّق من الطاعة وذاد عنه من المعصية، وأسأله لمنَّته تمامًا، وبحبله اعتصامًا. وأشهد أن لا إله إلا هو، وأن محمدًا عبده الذي أرسله داعيًا إلىٰ الحق، شاهدًا علىٰ الخلق، فبلَّغ رسالات ربه غير وانٍ ولا مقصِّر، وجاهد في الله أعداءه غير واهن ولا معذِّر، إمام مَن اتَّقىٰ وبصرُ مَن اهتدىٰ، اختاره من كرماء الأنبياء ومِشكاة الضياء وذؤابة العلياء وسرَّة البطحاء، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه مصابيح الظلمة وينابيع الحكمة وسلم تسليمًا كثيرًا.

---

(١) انظر الكلام عن الزهد والفقر في: قوت القلوب ٢/ ٦٨٠ - ٨٥٠، ٣/ ١٤٩٣ - ١٥٢٢. الرسالة القشيرية ص ٢١٨ - ٢٢٣، ٤٥٢ - ٤٦٢، وشرحها إحكام الدلالة ١/ ٤٠٣ - ٤١٥، ٢/ ٧٦٣- ٧٨٦.

وبعد، فهذا شرح كتاب «الفقر والزهد»، وهو الرابع من الربع الرابع الموسوم بالمنجيات من كتب الإمام حجة الإسلام قطب الأئمَّة الأعلام أبي حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي، تغمَّده الله بغفرانه، وأسكنه بحبوحة جِنانه، سلكتُ فيه طريق الإيضاح لحلِّ ألفاظه الأنيقة الرائقة، وفكِّ معانيها البديعة الشائقة، بحيث تسفر مطالبُه، وتعذُب مشاربُه، وتورق أغصانُ آماله، وتطلع كواكب إقباله، وتظهر منه خبايا الأسرار، وتبدو خفايا حقائقه من وراء الأستار، شافي بيانه تلين به جلامد القلوب القاسية، وصادق برهانه تتصدَّع به أفئدة النفوس القاصية. وعلىٰ الله الكريم جلَّ شأنه مساعفة الآمال وحُسن التسديد في الأقوال والأفعال.

قال المصنف رحمه الله تعالىٰ: (**بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله الذي تسبِّح له الرمال**) جمع الرمل، معروف. والتسبيح[1]: تنزيه الله تعالىٰ، وأصله المَرُّ السريع في العبادة، وجُعل ذلك في فعل الخير، كما جُعل الإبعاد في الشر فقيل: أبعده اللهُ، وجُعل التسبيح عامًّا في العبادات قولاً كان أو فعلاً أو نية، وقوله تعالىٰ: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: ٤٤] كقوله: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُم بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ [الرعد: ١٥] وإليه أشار المصنف بقوله: (**وتسجد له الظلال**) جمع الظل، هو الفيء، وقيل: أعمُّ من الفيء، ويُجمَع أيضًا علىٰ: ظِلال وظُلَل وأَظِلَّة، والأخير جمع الجمع. وهذا يقتضي أن يكون تسبيحًا علىٰ الحقيقة وسجودًا له علىٰ وجه لا نفقهه، بدلالة قوله: ﴿وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ ودلالة قوله: ﴿وَمَن فِيهِنَّ﴾ بعد ذِكر السموات والأرض، ولا يصح أن يكون تقديره: يسبِّح له مَن في السموات ويسجد له مَن في الأرض؛ لأن هذا ممَّا نفقهه، ولأنه مُحال أن يكون ذلك تقديره ثم يُعطَف عليه بقوله: ﴿وَمَن فِيهِنَّ﴾ والأشياء [كلها] تسبِّح له وتسجد، بعضها بالتسخير، وبعضها بالاختيار، ولا خلاف في أن السموات والأرض والدوابَّ مسبِّحات بالتسخير من

---

(١) المفردات للراغب ص ٢٢١.

حيث إن أحوالها تدل على حكمة الله تعالى، وإنما الخلاف في [السموات] والأرض هل تسبّح باختيار، والآية تقتضي ذلك. وقوله[1] تعالى: ﴿يَتَفَيَّؤُا۟ ظِلَـٰلُهُۥ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَٰخِرُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [النحل: ٤٨] أي إنشاؤه يدل على وحدانيَّة الله وينبئ عن حكمته، وقال الحسن في قوله تعالى: ﴿وَظِلَـٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْـَٔاصَالِ﴾ [الرعد: ١٥]: أما ظلُّك فيسجد لله، وأما أنت فتكفر به[2] **(وتتدكدك من هيبته الجبالُ)** أي تندقُّ وتنهدم حتى تصير بمنزلة الأرض الليِّنة، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٧٤] **(خلق الإنسان)** أي آدم عليه السلام وبنيه **(من الطين اللازب)** أي اللاصق، تقول منه: لَزَبَ لزوبًا، وهو كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَـٰهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍۭ ﴿١١﴾﴾ [الصافات: ١١] **(والصَّلْصال)** وهو[3] الطين الحُر خُلط بالرمل فصار يتصلصل إذا جفَّ، فإذا طُبخ بالنار فهو الفخَّار. وقيل[4]: هو الطين المنتن، من قولهم: صَلَّ اللحمُ: إذا تغيَّرت رائحته، وإلى كلٍّ منهما الإشارة بقوله تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِن صَلْصَـٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ ﴿١٤﴾﴾ [الرحمن: ١٤] وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن صَلْصَـٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾﴾ [الحجر: ٢٦] وقيل: صلصال أصله صَلَّال، فقُلبت إحدى اللامين صادًا **(وزيَّن صورته)** وهي[5] ما تُنتقَش به الأعيان وتتميَّز به عن غيرها، وذلك ضربان، أحدهما: محسوس يدركه [الخاصة والعامة، بل يدركه الإنسان وكثير من الحيوان، كصورة الإنسان والفرس والحمار بالمعاينة. والثاني: معقول يدركه] الخاصة فقط، كالصورة التي اختصَّ بها الإنسان من العقل والفهم والرويَّة والمعاني التي خُصَّ

(١) السابق ص ٣١٤.

(٢) في الدر المنثور ٨/ ٤١٥، ٤١٦: «أخرج أبو الشيخ عن الحسن قال: يسجد من في السموات طوعا، ومن في الأرض طوعا وكرها. وسئل عن قوله: (وظلالهم) فقال: ألا ترى إلى الكافر؟ فإن ظلاله جسده كله أعضاؤه لله مطيعة غير قلبه».

(٣) الصحاح للجوهري ٥/ ١٧٤٥.

(٤) المفردات للراغب ص ٢٨٤. بصائر ذوي التمييز للفيروزآبادي ٣/ ٤٢٨.

(٥) المفردات ص ٢٨٩.

بها، وكانتصاب القامة الدالِّ علىٰ استيلائه علىٰ كل ما في العالَم **(بأحسن تقويم وأتم اعتدالٍ)** وإليه الإشارة بقوله تعالىٰ: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝٤﴾ [التين: ٤] وتقويم الشيء: تثقيفه. والاعتدال[١]: توسُّط حال بين حالين في كم أو كيف، وكل ما تناسَبَ فقد اعتدل **(وعصم قلبه بنور الهداية)** أي حفظه به **(عن ورطات الضلال)** أي من الوقوع فيها، كما قال تعالىٰ: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ [الزمر: ٢٢] والوَرَطات محرَّكة جمع الوَرْطة بسكون الراء: اسم[٢] لِما ضاق وشقَّ، وقد يعبَّر بها عن الهلاك، والأصل فيها الوحل يقع فيه الغنم فلا تقدر علىٰ التخلُّص، وقيل: أصلها أرض مطمئنة لا طريق فيها يرشد إلىٰ الخلاص. والضلال[٣]: العدول عن الطريق المستقيم عمدًا أو سهوًا، قليلاً أو كثيرًا **(وأذنَ له في قرع باب الخدمة بالغدوِّ والآصال)** وهو إيتاء الصلوات الخمس، فإنه طاعة المولىٰ عَزَّوَجَلَّ وخدمته، ومَن سهَّل له فيه فقد أذن له في قرع باب خدمته **(ثم كحَّل بصيرةَ المخلص في خدمته)** بأن لم يشرك فيها أحدًا سواه **(بنور العِبرة)** اسم من الاعتبار **(حتىٰ لاحظ بضيائه حضرةَ الجلال)** فالحق[٤] تعالىٰ بذاته نور لا يُدرَك ويُدرَك به، ومن حيث أسمائه نورٌ يُدرّك [ويُدرَك به] فإذا تجلَّىٰ للقلب من حيث كونه يُدرَك به شاهدت البصيرةُ المنوَّرة الأغيارَ بنوره، فإن الأنوار الأسمائية من حيث تعلُّقها بالكون مخالطة بسواده **(فلاحَ له من البهجة)** أي حُسن اللون وظهور السرور **(والبهاء)** أي الجمال وحُسن الهيئة **(والكمال)** أي الانتهاء إلىٰ غاية ليس وراءها مزيد **(ما استقبح دون مبادئ إشراقه)** أي فيما يشرق من أنواره في أوائله **(كل حُسن وجمال)** صار مشاهدًا له في الظاهر **(واستثقل كلَّ ما صرفه)** أي منعه وحجبه **(عن مشاهدته وملازمته غاية الاستثقال)** أي عدَّه ثقيلاً إلىٰ الغاية كما هو شأن كل

---

(١) المحكم لابن سيده ٢/ ١١.

(٢) المصباح المنير ص ٦٥٥.

(٣) المفردات ص ٢٩٧.

(٤) التعريفات للجرجاني ص ١٤٤.

صارف عن الشهود **(وتمثَّل له ظاهر الدنيا)** فيما يراه بعين البصر **(في صورة امرأة جميلة)** حسناء **(تميس)** في بُرْدها **(وتختال)** أي تعجب بنفسها مرحًا **(وانكشف له باطنها)** بعين البصيرة **(عن عجوز شوهاء)** قبيحة الخلقة، هتماء **(عُجنت من طينة الخزي)** أي الذل والانكسار والهوان **(وضُربت في قالب النَّكال)** أي طُبعت عليه، والقالَب بفتح اللام، ومنهم مَن يكسرها، والنَّكال: العقوبة الغليظة **(وهي متلفِّعة بجلبابها)** يقال: تلفَّعت المرأة بمِرطها، مثل تلحّفَت زِنةً ومعنىٰ، والتفعت كذلك **(لتخفي قبائحَ أسرارها بلطائف السحر)** أي الخداع والتخييلات التي لا حقيقة لها **(والاحتيال)** افتعال من الحيلة وهي[1] ما يُتوصَّل به إلىٰ حالةٍ ما في خُفْية، وأكثر استعمالها فيما في تعاطيه خبثٌ **(وقد نصبت حبائلها)** جمع حبيلة وهي الأحبولة التي ينصبها الصائدُ **(في مدارج الرجال)** أي في مسالكهم حيث يُدرِجون **(فهي تقتنصهم بضروب)** أي أنواع **(المكر)** أي الخداع **(والاغتيال)** افتعال من الغِيلة بالكسر، وهو الأخذ علىٰ غِرة **(ثم لا تجتزي)** أي لا تكتفي **(معهم بالخُلف في مواعيد الوصال)** أي تَعِدُهم بوصالها وتمنِّيهم ثم تُخلِف موعدَها معهم، ويا ليتها لو اكتفت علىٰ هذا القدْر، لا **(بل تقيِّدهم مع قطع)** حبال **(الوصال بالسلاسل والأغلال)** جمع الغُل بالضم، وهو طوق من حديد يُجعَل في العنق **(وتبليهم بأنواع البلايا والأنكال)** جمع[2] نِكْل بالكسر: القيد الشديد، أو جمع نُكْلة بالضم: ما نكَّلت به غيرَك كائنًا ما كان **(فلمَّا انكشف للعارفين منها قبائح الأسرار)** ممَّا تبطنه **(والأفعال)** ممَّا تظهره **(زهدوا فيها)** أي رغبوا عنها، يقال: زهدَ في الشيء زهدًا وزهادةً: إذا رغبَ عنه **(زهد المبغضِ لها)** العارف بقبائحها **(فتركوها)** ولم يلتفتوا إليها **(وتركوا التفاخُر والتكاثر بالأموال، وأقبلوا بكُنْه هِمَمهم)** أي خالصها **(علىٰ حضرة الجلال)** وهي حضرة الحق سبحانه باعتبار احتجابه عنا بعزَّته **(واثقين منها**

---

(١) المفردات ص ١٣٨.

(٢) المحكم لابن سيده ٧/ ٢٩ - ٣٠.

بوصال) دائم **(ليس دونه انفصال)** أي انقطاع **(ومشاهدة أبدية)** أي مطالَعة لصورة الجمال بصفة الدوام **(لا يعتريها فناءٌ ولا زوال)** أي نقصان عن حدِّها، وإلا فقد يقع التفات إلىٰ ما ارتقىٰ عنه من مقام فيكون رينًا علىٰ القلب **(والصلاة)** الكاملة **(علىٰ سيدنا)** ومولانا **(محمد)** أبي القاسم **(سيد الأنبياء، وعلىٰ آله)** وصحبه **(خير)** صحبٍ و**(آل)** وسلم تسليمًا كثيرًا كثيرًا.

(أما بعد، فإن الدنيا عدوَّة لله عَزَّوَجَلَّ) وعدوَّة لأوليائه، كما كتبه عمر بن عبد العزيز إلىٰ بعض ولاته، وقد تقدم في كتاب ذم الدنيا **(بغرورها ضلَّ مَن ضلَّ)** عن الصراط المستقيم **(وبمكرها)** أي خداعها **(زلَّ مَن زلَّ)** عن المنهج القويم **(فحبها رأس الخطايا والسيئات)** كما ورد في الخبر: «حب الدنيا رأس كل خطيئة»، ويُروَىٰ ذلك أيضًا من قول عيسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وقد تقدم **(و)** إنما كان كذلك لأنه كان أساسها، فينبغي في دليله أن يكون **(بغضها أم الطاعات وأُس القربات)** ولكن لا يسع ذلك العامةَ؛ لأنهم مرادون بالعمارة، وصلُح ذلك لنفر من الخاصة؛ لأن نقصان عددهم من الكافَّة لا يُنقِص عمارةَ الدنيا؛ إذ المراد عمارتها بأهلها من أهل الهوىٰ والشهوات **(وقد استقصينا ما يتعلق بوصفها وذم الحب لها في كتاب ذم الدنيا من ربع المهلكات)** فليراجَع هناك **(ونحن الآن نذكر فضل البغض لها والزهد فيها، فإنه رأس المنجيات)** وأساسها **(فلا مَطمع في النجاة إلا بالانقطاع عن الدنيا)** أي عن أعراضها **(والبعد منها، ولكن مقاطعتها)** لا يخلو **(إما أن تكون بانزوائها عن العبد ويسمَّىٰ ذلك فقرًا، وإما بانزواء العبد عنها ويسمَّىٰ ذلك زهدًا، ولكل واحد منهما درجة في نيل السعادات)** الأخروية **(وحظٌّ في الإعانة علىٰ الفوز والنجاة، ونحن الآن نذكر حقيقة الفقر والزهد ودرجاتهما وأقسامهما وشروطهما وأحكامهما، ونذكر الفقر في شطر من الكتاب، والزهد في شطر آخر منه، ونبدأ بذكر الفقر)** وإنما[1] بدأ بذكر الفقر بناءً علىٰ تقدُّم وجود أصله في كل مخلوق [ونسله]

---

(١) شرح عين العلم لملا علي القاري ٢/ ٢٧٤.

كما يشير إليه قوله تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ ٱلْغَنِيُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ﴾ [محمد:٣٨] والزهد عارض من جهة عدم ميله إلىٰ الغِنىٰ المضرِّ لوصول نيله.

(الشطر الأول من الكتاب: في الفقر

وفيه بيان حقيقة الفقر، وبيان فضيلة الفقر مطلقًا، وبيان خصوص فضيلة الفقراء، وبيان فضل الفقير علىٰ الغنيِّ، وبيان آداب الفقير في فقره، وبيان أدبه في قبول العطاء، وبيان تحريم السؤال بغير ضرورة، وبيان مقدار الغِنىٰ المحرِّم للسؤال، وبيان أحوال السائلين) تتضمَّنها فصول تسعة.

بيان حقيقة الفقر واختلاف أحوال الفقير وأساميه

(اعلمْ) أغناك الله تعالىٰ (**أن الفقر عبارة عن فقدِ ما هو محتاج إليه**) مالاً أو غيره (**أما فقدُ ما لا حاجة إليه فلا يسمَّىٰ فقرًا، وإن كان المحتاج إليه موجودًا مقدورًا عليه لم يكن المحتاج فقيرًا**) فالفقير هو الفاقد المحتاج، والفقر هو الفقد والاحتياج. قال أهل اللغة: هو[1] فعيل بمعنىٰ فاعل، وفسَّروه بقليل المال، قال ابن السَّرَّاج[2]: ولم يقولوا: فَقُرَ - أي بالضم - لأنهم استغنوا عنه بـ «افتقر». وقالوا في المؤنث: فقيرة، وجمعهما: فقراء، ومثله: سفيه وسفهاء، ولا ثالث لهما، ويتعدَّىٰ بالهمزة فيقال: أفقرته فافتقرَ. وقال بعضهم: الفقد هو عدم الشيء بعد وجوده، فهو أخص من العدم؛ لأن العدم يقال فيه وفيما لم يوجد بعدُ. ذكره الراغب[3] (**وإذا فهمتَ هذا لم تشكَّ في أن كل موجود سوىٰ الله تعالىٰ فهو فقير؛ لأنه محتاج إلىٰ دوام الوجود في ثاني الحال، ودوام الوجود مستفاد من فضل الله تعالىٰ، فإن كان في الوجود موجود ليس وجوده مستفادًا له من غيره فهو الغِنىٰ المطلق، ولا يُتصوَّر أن يكون مثل هذا الموجود إلا واحدًا، فليس في الوجود إلا غنيٌّ واحد، وكل مَن عداه فإنهم محتاجون إليه ليمدَّ وجودَهم بالدوام**) لِما تقدم أن[4] الفقر عبارة عن الفقد والاحتياج، ولكن الاحتياج علىٰ ضربين: احتياج مطلق، واحتياج مقيَّد. وقد أشار المصنِّف إلىٰ القسم الأول وهو افتقار العبد إلىٰ موجِد يوجده، واحتياجه إلىٰ بقاء بعد الإيجاد، واحتياجه إلىٰ هدايته إلىٰ موجده بعد الإبقاء، وهذا هو الفقر إلىٰ الله

---

(١) المصباح المنير ص ٤٧٨.

(٢) الأصول في النحو لابن السراج ٣/ ١٠٠ (ط - مؤسسة الرسالة). وهو منقول عن نص سيبويه في كتابه ٤/ ٣٣.

(٣) المفردات ص ٣٨٣.

(٤) روضة الطالبين ص ١٦٤ [ضمن مجموع رسائل الغزالي].

تعالىٰ؛ لأن إيجاده وإبقاءه وهدايته بالله تعالىٰ الذي هو واجب بذاته، غنيٌّ عن الاحتياج إلىٰ غيره، وهذا الفقر واجب؛ لأنه من عقود الإيمان بالله، والحال الذي ينشأ عن هذه المعرفة شهوده لفقره وحاجته علىٰ الدوام كشهوده لعبوديَّته **(وإلىٰ هذا الحصرِ الإشارةُ بقوله تعالىٰ:** ﴿وَٱللَّهُ ٱلْغَنِيُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ﴾ [محمد: ٣٨] **هذا معنىٰ الفقر مطلقًا)** قال المصنف في المقصد الأسنىٰ[١]: الغني هو الذي لا تعلُّق له بغيره، لا في ذاته ولا في صفات ذاته، بل يكون منزَّهًا عن العلاقة مع الأغيار، فمَن تتعلق ذاته أو صفات ذاته بأمر خارج عن ذاته يتوقَّف عليه وجوده وكماله فهو محتاج فقير إلىٰ الكسب، ولا يُتصوَّر أن يكون غنيًّا مطلقًا إلا الله تعالىٰ **(ولكنا لسنا نقصد بيان الفقر المطلق، بل الفقر من المال علىٰ الخصوص)** وهو الذي اقتصر عليه أئمَّة اللغة في تفسيره **(وإلا ففقر العبد بالإضافة إلىٰ أصناف حاجاته لا ينحصر؛ لأن حاجاته لا حصر لها، ومن جملة حاجاته ما يتوصَّل إليه بالمال، وهو الذي نريد الآن بيانه فقط)** وهذا هو الفقر المقيَّد الذي هو القسم الثاني من الاحتياج، وهو احتياجه إلىٰ الوسائل التي تقوم بها ذاتُه ويُستعان علىٰ تحصيلها بالمال، فالمال هو المفقود المحتاج إليه في هذه المواضع **(فنقول: كل فاقد للمال فإنَّا نسمِّيه فقيرًا بالإضافة إلىٰ المال الذي فقده إذا كان ذلك المفقود محتاجًا إليه في حقه، ثم يُتصوَّر أن يكون له خمسة أحوال عند الفقر، ونحن نميِّزها ونخصِّص كل حال باسم؛ لنتوصَّل بالتمييز إلىٰ ذِكر أحكامها:**

الحالة الأولىٰ، وهي العليا): المبغض للمال، الكاره له **(أن يكون بحيث لو أتاه المال لكرهه وتأذَّىٰ به)** وتركه **(وهرب من أخذه مبغضًا له)** ومستثقلاً ومستحقرًا **(ومحترزًا من شرِّه وشغله)** عمَّا هو الأهم وهو القُرب من الله تعالىٰ (و) هذا **(هو الزُّهد)** بالضم **(واسم صاحبه: الزاهد)** يقال[٢]: زَهِدَ فيه وعنه زُهدًا

---

(١) المقصد الأسنىٰ ص ١٥٥.

(٢) المصباح المنير ص ٢٥٧.

وزَهادةً، بمعنىٰ تركه وأعرض عنه، وجمع الزاهد: زُهَّاد، ويقال للمبالغة: زِهِّيد، بكسر الزاي وتشديد الهاء، وزَهَدَ يَزْهَد بفتحتين لغة فيه.

الحالة (**الثانية: أن يكون**) ذلك الفاقد (**بحيث لا يرغب فيه رغبة يفرح بحصوله**) ولا يبغضه (**ولا يكرهه كراهة يتأذَّىٰ بها ويزهد فيه**) أي يتركه (**لو أتاه، وصاحب هذه الحالة يسمَّىٰ راضيًا**).

الحالة (**الثالثة: أن يكون وجود المال أحب إليه من عدمه لرغبة له فيه، ولكن لم يبلغ من رغبته أن ينهض لطلبه**) أي يسرع ويتحرك (**بل إن أتاه صفوًا عفوًا**) أي من غير تعب (**أخذه وفرح به، وإن افتقر إلىٰ**) معالجة (**تعب في طلبه**) ومشقَّة (**لم يشتغل به**) ولم يلتفت إليه (**وصاحب هذه الحالة نسمِّيه قانعًا؛ إذ قنَّع نفسه بالموجود**) الحاضر (**حتىٰ ترك الطلب، مع ما فيه من الرغبة الضعيفة**).

الحالة (**الرابعة: أن يكون تركُه الطلب لعجزه**) عن تحصيله (**وإلا فهو راغب فيه رغبة لو وجد سبيلاً إلىٰ طلبه ولو بالتعب لطلبه، أو هو مشغول بالطلب**) في الحال (**وصاحب هذه الحالة يسمَّىٰ الحريص**) ورغبته هي الرغبة المذمومة، وهو من حَرَصَ القَصَّارُ الثوبَ: إذا قشره بالدق.

الحالة (**الخامسة: أن يكون ما فقده من المال مضطرًّا إليه، كالجائع الفاقد للخبز، والعاري الفاقد للثوب. ويسمَّىٰ صاحب هذه الحالة مضطرًّا كيفما كانت رغبته في الطلب إما ضعيفة وإما قوية، وقلَّما تنفكُّ هذه الحالة عن الرغبة**) إلا أنها ليست مذمومة.

(**فهذه خمسة أحوال، أعلاها الزهد**) وهي الحالة الأولىٰ (**والاضطرار إن انضمَّ إليه الزهد وتُصوِّر ذلك**) بأن يكون كارهًا للمال مع اضطراره (**فهو أقصىٰ درجات الزهد، كما سيأتي بيانه**) في الشطر الثاني، وإن انضمَّ إلىٰ حالة الاضطرار جزعٌ وشكوىٰ حرُمَ ذلك، وبين الدرجتين أوساط مختلفة المراتب، فأيُّ فقدٍ قارنه

رضا أو قناعةٌ كان له فضل الراضي والقانع، وإن قارنه حرصٌ كان لا له ولا عليه، إلا أن يجرَّه الحرصُ إلىٰ أخذ المال من شبهة أو حرام، فهذا هو الفقر الحرام الذي يُستعاذ منه، كما سيأتي. ثم إن الفقر له لواحق ثلاثة: التبتُّل والغَناء والتجريد، وقد أشار المصنف إلىٰ هذه اللواحق بطريق التلويح فقال: (**ووراء هذه الأحوال الخمسة حالةٌ هي أعلىٰ من الزهد، وهي أن يستوي عنده وجود المال وفقدُه**) وتقرير ذلك: أنه قد سبق أن الفقد مطلق ومقيَّد، فاعلمْ أن المطلق يُراد لذاته لتعلُّقه بالله تعالىٰ، والمقيَّد يُراد لغيره لتعلُّقه بالمال، والحكمة في ذلك أن المال لمَّا كان ملهيًا عن الله تعالىٰ وشاغلاً عن طاعته ومميلاً بصاحبه إلىٰ جانب الترفُّه ومحرِّضًا له علىٰ المعصية أثنىٰ الشرع علىٰ الفقر؛ ليتفرَّغ العِباد بالتبتُّل إلىٰ الله تعالىٰ والانقطاع إليه؛ لأن حقيقة التبتُّل الانقطاع إلىٰ الله تعالىٰ، فمَن قطع تعلُّق قلبه عن الأغيار شغلاً به وانقطاعًا إليه فهو المتبتِّل، فإن وجدنا هذه صفته واستولىٰ ذلك علىٰ قلبه حتىٰ صار همُّه همًّا واحدًا واستوىٰ عنده وجود المال وعدمُه (**فإن وجده لم يفرح به ولم يتأذَّ، وإن فقده فكذلك**) أي لا يفرحه وجودُه إن وُجد، ولا يحزنه فقدُه إن فُقد (**بل حاله**) حال الغنيِّ عن دخول المال في يده وعن بقائه [في يده] وعن خروجه من يده، فإنه ليس يتأذَّىٰ به فيحتاج إلىٰ الخروج، ولا يفرح به فيحتاج إلىٰ البقاء، وليس فاقدًا له فيحتاج إلىٰ الدخول، وهذا (**كما كان حال عائشة ﵂؛ إذ أتاها مائة ألف درهم من العطاء، فأخذتها وفرَّقتها من يومها، فقالت خادمتها: ما استطعتِ فيما فرَّقتِ اليوم أن تشتري لنا بدرهم لحمًا نفطر عليه؟ فقالت: لو ذكَّرتِني لفعلتُ**) رواه هشام بن عروة عن أبيه أن معاوية بعث إلىٰ عائشة مرةً بمائة ألف. قال: فوالله ما غابت الشمس من ذلك اليوم حتىٰ فرَّقتها، فقالت مولاة لها: لو اشتريتِ لنا من هذه الدراهم بدرهم لحمًا. فقالت: لو قلتِ لي قبل أن أفرِّقها لفعلتُ. ورواه محمد ابن المنكدر التيمي - وهو ابن خال عائشة - عن أم دُرَّة مولاة عائشة نحو هذه القصة، إلا أنها قالت: بعث إليها ابن الزبير بمال في غِرارتين، قالت: أراه ثمانين

ومائة ألف. وقد تقدم ذلك كله في كتاب ذم الدنيا[١] **(فمَن هذه حاله لو كانت الدنيا بحذافيرها)** أي بتمامها **(في يده وخزائنه لم يضرَّه؛ إذ هو يرىٰ الأموال في خزانة الله تعالىٰ لا في يد نفسه، فلا يفرِّق بين أن تكون في يده أو في يد غيره، وينبغي أن يسمَّىٰ صاحب هذه الحالة: المستغني)** لا الغني **(لأنه غني عن فقد المال ووجوده جميعًا، وليُفهَم من هذا الاسم معنًىٰ يفارق اسمَ الغني المطلَق علىٰ الله تعالىٰ وعلىٰ مَن كثُر ماله من العِباد، فإنَّ مَن كثُر مالُه من العباد وهو يفرح به فهو فقير إلىٰ بقاء المال في يده، وإنما هو غنيٌّ عن دخول المال في يده لا عن بقائه، فهو إذًا فقير من وجه، وأما هذا الشخص فهو غني عن دخول المال في يده وعن بقائه في يده وعن خروجه من يده أيضًا، فإنه ليس يتأذَّىٰ به فيحتاج إلىٰ إخراجه، وليس يفرح به فيحتاج إلىٰ بقائه، وليس فاقدًا له فيحتاج إلىٰ الدخول في يده، فغناه إلىٰ العموم أميَلُ، فهو إلىٰ الغنىٰ - الذي هو وصفُ الله تعالىٰ - أقرب، وإنما قُربُ العبد من الله تعالىٰ بقرب الصفات لا بقرب المكان)** والمراد بقرب الصفات: قرب المرتبة والدرجة، وذلك[٢] بالسعي في اكتساب الممكن من تلك الصفات والتخلُّق بها والتحلِّي بمحاسنها، وبه يصير العبد ربَّانيًّا [أي] قريبًا [من الرب تعالىٰ، وبه يصير رفيقًا] للملأ الأعلىٰ من الملائكة، فإنهم علىٰ بساط القرب، فمَن ضرب إلىٰ شَبَه من صفاتهم نال شيئًا من قربهم بقدر ما نال من أوصافهم المقرِّبة لهم إلىٰ الحق سبحانه وتعالىٰ، وطلبُ القرب من الله تعالىٰ بالصفة أمر غامض تكاد تشمئزُّ القلوب عن قبوله والتصديق به، وقد تقدم تلويحٌ إلىٰ ذلك فيما مضىٰ في مواضع من هذا الكتاب. وهذا الذي ذكرناه هو الحظ الثالث من حظوظ المقرَّبين في معاني أسماء الله تعالىٰ **(ولكنا لا نسمِّي صاحب هذه الحالة غنيًّا، بل مستغنيًا)** وهو اصطلاح من المصنف رحمه الله تعالىٰ انفرد به عمَّن تقدَّمه من الشيوخ، وذلك **(ليبقىٰ الغنيُّ اسمًا لمَن له الغِنىٰ المطلق عن كل شيء، وأما هذا العبد فإن)** كان **(استغنىٰ عن المال وجودًا أو عدمًا**

---

(١) بل في كتاب ذم البخل وذم حب المال.

(٢) المقصد الأسنىٰ ص ٤٤.

فلم يستغنِ عن أشياء أُخَر سواه، ولم يستغنِ عن مدد توفيق الله له ليبقىٰ استغناؤه الذي زيَّن الله به قلبَه؛ فإن القلب المقيَّد بحب المال رقيق) أي بمنزلته **(والمستغني عنه حرٌّ)** أي بمنزلته **(والله تعالىٰ هو الذي أعتقه عن هذا الرِّق، فهو محتاج إلىٰ دوام هذا العتق، والقلوب متقلِّبة بين الرق والحرية في أوقات متقاربة؛ لأنها بين أصبعين من أصابع الرحمن)** يقلِّبها كيف شاء، كما ورد ذلك في الخبر، وتقدَّم **(فلذلك لم يكن اسم الغني مطلقًا عليه مع هذا الكمال إلا مجازًا)** وقد أشار إلىٰ ذلك المصنفُ في المقصد الأسنىٰ[1] حيث قال: والله تعالىٰ هو الغني وهو المغني أيضًا، ولكن الذي أغناه لا يُتصوَّر أن يصير بإغنائه غنيًّا مطلقًا، فإن أقل أموره أنه يحتاج إلىٰ المغني، فلا يكون غنيًّا، بل يستغني عن غير الله تعالىٰ بأن يمدَّه الله تعالىٰ بما يحتاج إليه لا بأن يقطع عنه أصل الحاجة، والغني الحقيقي هو الذي لا حاجة له إلىٰ أحد أصلاً، والذي يحتاج ومعه ما يحتاج إليه فهو غني بالمجاز، وهو غاية ما يدخل في الإمكان في حق غير الله تعالىٰ، فأما فقدُ الحاجة فلا، ولكن إذا لم تبقَ حاجة إلا لله تعالىٰ سُمِّي غنيًّا، ولو لم يبقَ أصل الحاجة لَما صح قوله تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ﴾ [محمد: ٣٨] ولولا أنه يُتصوَّر أنه يستغني عن كل شيء سوىٰ الله تعالىٰ لَما صحَّ لله تعالىٰ وصفُ «المغني».

(واعلمْ أن الزهد درجة هي كمال الأبرار، وصاحب هذه الحالة من المقرَّبين، فلا جَرَمَ صار الزهد في حقه نقصانًا؛ إذ حسنات الأبرار سيئات المقرَّبين) وهو قول أبي سعيد الخَرَّاز، وقد تقدم، وحاصله أن هذه الحالة هي أعلىٰ الدرجات، وهي أعلىٰ من درجة الزهد، بل الزهد حال الأبرار، وهذه حال المقرَّبين **(وهذا لأن)** الزاهد **(الكاره للدنيا مشغول)** عن الله **(بالدنيا)** أي ببغضها **(كما أن الراغب فيها مشغول)** عن الله **(بها)** أي بحبها **(والشغل بما سوىٰ الله تعالىٰ حجاب عن الله تعالىٰ؛ إذ لا بُعد بينك وبين الله تعالىٰ حتىٰ يكون البعد حجابًا، فإنه تعالىٰ أقرب**

---

(١) السابق ص ١٥٦.

إليك من حبل الوريد) كما هو نص القرآن **(وليس هو في مكان حتىٰ تكون السموات والأرض حجابًا بينك وبينه)** تعالىٰ الله عن ذلك، فإنه أقرب إليك منك **(فلا حجاب بينك وبينه إلا شغلك بغيره، وشغلك بنفسك وبشهواتك شغلٌ بغيره، وأنت لا تزال مشغولاً بنفسك وبشهوات نفسك، فلذلك لا تزال محجوبًا عنه، فالمشغول بحب نفسه مشغول عن الله، والمشغول ببغض نفسه أيضًا مشغول عن الله تعالىٰ)** وأما صاحب هذه الحالة فهو المستغرق الذي لا يشغله شيءٌ عن الله تعالىٰ، ومَن قال: إن الغنىٰ أفضل من الفقر، فإن أراد هذا فهو الصواب، وإن أراد الغنىٰ بالأعراض الدنيوية كان زيفًا فليس ذلك من وصفِ الله تعالىٰ، بل الرب تعالىٰ إذا أراد أن يحجب العبد عن معرفته وطاعته خوَّله بذلك حتىٰ يشغله بأخسِّ جزء من الدنيا.
قال الإمام أبو العباس الإقليشي رحمه الله تعالىٰ: فمَن[١] افتقر إلىٰ الله تعالىٰ الافتقار الحقيقي وسأله الغنىٰ الباقي لا العَرَضي أغنىٰ نفسَه الفقيرة بعلومه المنيرة فاستفاد وأفاد وأنفق من مال لا يخاف عليه النفادَ، فهذا هو الغنيُّ في الدنيا والآخرة والباقي بغناه أبد الآباد، ومَن حُرِم هذا الغنىٰ ولو نال جميع مُلْك الدنيا فهو فقير، ولذلك قيل: مَن جهلَ اللهَ فهو فقير، ولقد أجاد القائل[٢] حيث يقول:

ومَـن ينفـق الأيـام في جمـع مالـه مخافـةَ فقـر فالـذي فعـل الفقـرُ

انتهىٰ. وهذا القدْر كافٍ في معرفة حقائق التبتُّل والغنىٰ الذي الفقر مطلوب لهما، وأما التجريد الذي هو أحد لواحق الفقر فسيأتي بيانه في آخر الفصل.

ثم زاد المصنف في بيان حال كلٍّ من المشغولين بالحب وبالبغض وأكَّده بمثال فقال: **(بل كل ما سوىٰ الله تعالىٰ مثاله مثال الرقيب)** وهو المراقب لحال العاشق، المنتظر لتتبُّع حركاته وسكناته، ويعبَّر عنه بالعاذل **(الحاضر في مجلس)**

---

(١) من هنا إلىٰ قوله (فهو فقير) ذكره القرطبي في كتاب الأسنىٰ في شرح أسماء الله الحسنىٰ ص ٢٠٨ (ط - المكتبة العصرية) دون عزو لأحد.

(٢) هو المتنبي، والبيت في ديوانه ص ١٨٩.

من مجالس السرور واللهو (**يجمع العاشق والمعشوق، فإن التفت قلب العاشق إلىٰ حب الرقيب وإلىٰ بغضه واستثقاله وكراهة حضوره**) في ذلك المجلس (**فهو في حالة اشتغال قلبه ببغضه مصروف عن التلذُّذ بمشاهدة معشوقه**) لشغله به (**ولو استغرقه العشق**) بأنْ ملكه ظاهرًا وباطنًا (**لغفل عن غير المعشوق ولم يلتفت إليه**) كما هو شأن الاستغراق (**فكما أن النظر إلىٰ غير المعشوق لحبِّه عند حضور المعشوق شركٌ في العشق ونقصٌ فيه فهكذا النظر إلىٰ غير المحبوب لبغضه شركٌ فيه ونقصٌ، ولكن أحدهما أخف من الآخر**) لأن المبغض مقبل، والراغب مدبر (**بل الكمال في أن لا يلتفت القلب إلىٰ غير المحبوب بغضًا وحبًّا، فإنه كما لا يجتمع في القلب حُبَّانِ في حالة واحدة فلا يجتمع أيضًا بغض وحب في حالة واحدة، فالمشغول ببغض الدنيا غافل عن الله تعالىٰ كالمشغول بحبها، إلا أن المشغول بحبها غافل، وهو في غفلته سالك في طريق البعد، والمشغول ببغضها غافل، وهو في غفلته سالك في طريق القرب؛ إذ يُرجَىٰ له أن ينتهي حاله إلىٰ أن تزول هذه الغفلة وتتبدَّل بالشهود**) وارتفاع الحجاب من البين (**فالكمال له مرتقَب**) أي منتظَر (**لأن بغض الدنيا مطيَّة توصل إلىٰ الله تعالىٰ**) كما أن حبها مطيَّة توصل إلىٰ البعد عن الحضرة الإلهية (**فالمحب والمبغض كرجلين في طريق الحج مشغولين بركوب الناقة وعلفها وتسييرها**) وخدمتها (**ولكن أحدهما مستقبل الكعبة**) بأنْ وجَّهَ وجهَه إليها (**والآخَر مستدبر لها، فهما سيَّان**) أي مستويان (**بالإضافة إلىٰ الحال في أن كل واحد منهما محجوب عن الكعبة ومشغول عنها، ولكن حال المستقبِل محمود بالإضافة إلىٰ المستدبر؛ إذ يُرجَىٰ له الوصول إليها، وليس محمودًا بالإضافة إلىٰ المعتكف في الكعبة الملازم لها**) ليلاً ونهارًا (**الذي لا يخرج منها حتىٰ يفتقر إلىٰ الاشتغال بالدابة**) بالعلف والتسيير (**في الوصول إليها، فلا ينبغي أن تظن**) في نفسك (**أن بغض الدنيا مقصود في عينه**) أو لذاته (**بل بغض الدنيا عائق عن الله**)[1] شاغل

---

(١) في الجميع: بل الدنيا عائق عن الله. وهو الصواب.

عن الوصول إليه (ولا وصول إليه إلا بدفع العائق، ولذلك قال أبو سليمان الداراني رحمه الله تعالىٰ: مَن زهد في الدنيا واقتصر عليه) أي صار مشغولاً به (فقد استعجل الراحة) لنفسه (بل ينبغي أن يشتغل بالآخرة) نقله صاحب القوت (فبيَّن) رحمه الله تعالىٰ (أن سلوك طريق الآخرة وراء الزهد، كما أن سلوك طريق الحج وراء دفع الغريم العائق عن الحج.

فإذًا قد ظهر أن الزهد في الدنيا إن أُريدَ به عدم الرغبة في وجودها وعدمها فهو غاية الكمال، وإن أُريدَ به الرغبة في عدمها فهو كمالٌ بالإضافة إلىٰ درجة الراضي والقانع والحريص، ونقصان بالإضافة إلىٰ درجة المستغني) بالمعنىٰ الذي سبق (بل الكمال في حق المال أن يستوي عندك المال والماء، وكثرة الماء في جوارك لا تؤذيك بأن تكون علىٰ شاطئ البحر، ولا قلَّته تؤذيك إلا في قدر الضرورة) الداعية (مع أن المال محتاج إليه كما أن الماء محتاج إليه، فلا يكون قلبك مشغولاً بالفرار عن جوار الماء الكثير ولا ببغض الماء الكثير، بل تقول: أشرب منه بقدْر الحاجة، وأسقي منه عباد الله بقدر الحاجة، ولا أبخل به علىٰ أحد. فهكذا ينبغي أن يكون المال؛ لأن الخبز والماء واحد في الحاجة) أي فإنَّ كلاًّ منهما يُحتاج إليه في دفع الجوع والعطش (وإنما الفرق بينهما في قلة أحدهما وكثرة الآخر، وإذا عرفتَ الله تعالىٰ ووثقتَ بتدبيره الذي دبَّر به العالَم علمتَ أن قدر حاجتك من الخبز يأتيك لا محالة ما دمتَ حيًّا كما يأتيك قدرُ حاجتك من الماء، علىٰ ما سيأتي بيانه في كتاب التوكُّل إن شاء الله تعالىٰ.

قال أحمد بن أبي الحواري) الدمشقي رحمه الله تعالىٰ: (قلت لأبي سليمان الداراني) رحمه الله تعالىٰ: (قال مالك بن دينار) البصري رحمه الله تعالىٰ (للمغيرة: اذهب إلىٰ البيت فخذ الركوة التي) كنت (أهديتَها لي، فإن العدوَّ يوسوس لي أن اللص قد أخذها) هكذا هو في القوت، ورواه عبد الله بن أحمد في زوائد الزهد، إلا أنه قال الذي أهدىٰ له الركوة هو الحارث بن نبهان الجَرْمي لا المغيرة، وهذا

لفظه، قال: حدثني علي بن مسلم، حدثنا سيَّار، حدثنا الحارث ابن نبهان الجَرْمي قال: قدمت من مكة، فأهديت إلىٰ مالك بن دينار ركوة. قال: فكانت عنده. قال: فجئت يومًا فجلست في مجلسه، فقال لي: يا حارث بن نبهان، تعالَ فخذ تلك الركوة، فقد شغلت علىٰ قلبي، إني إذا دخلت المسجد جاءني الشيطان فقال لي: يا مالك، إن الركوة قد سُرقت، فقد شغلت علىٰ قلبي. ورواه أبو نعيم في الحلية[1] من طريقه (**قال أبو سليمان**) رحمه الله تعالىٰ: (**هذا من ضعف قلوب الصوفية**) هو (**قد زهد في الدنيا ما عليه من أخذها**[2]).

فبيَّن أن كراهية كون الركوة في بيته التفات إليها سببه الضعف والنقصان) في المقام؛ إذ كماله أن لا يبالي من أخذِ متاع الدنيا. ولفظ القوت: فأراد أبو سليمان منه حقيقة الرضا [عن حال التوكل بالاستسلام] لجريان الأحكام، وأراد مالك من نفسه حقيقة الزهد [عنده] بأن يصرف عن قلبه الاهتمامَ. وسيأتي في كتاب التوكل له مزيد بيان.

(**فإن قلت: فما بال الأنبياء**) عليهم السلام (**والأولياء هربوا من المال**) كل الهرب (**ونفروا منه كل النفار**) وقد استوىٰ عندهم وجوده وعدمه؟ (**فأقول: كما هربوا من الماء، علىٰ معنىٰ أنهم ما شربوا**) منه (**أكثر من حاجتهم**) إليه في دفع العطش (**ففرُّوا عمَّا وراءه ولم يجمعوه في القِرَب والرَّوايا يديرونه مع أنفسهم**) أو علىٰ ظهورهم (**بل تركوه في الأنهار والآبار والبراري للمحتاجين إليه، لا**) علىٰ معنىٰ (**أنهم كانت قلوبهم مشغولة بحبه أو بغضه، فقد حُملت خزائن الأرض إلىٰ رسول الله ﷺ وإلىٰ أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، فأخذوها ووضعوها في مواضعها، وما**

---

(١) حلية الأولياء ٢/ ٣٦٤.

(٢) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء ٩/ ٢٧٦ بلفظ: «حدثت أبا سليمان أنه بلغني أن مالك بن دينار أهديت له ركوة، فلما كان في المسجد حدثته نفسه بها، أي مخافة أن تسرق الركوة، فجاء فأخرجها. فقال أبو سليمان: هذا من ضعف الصوفيين، هو قد زهد في الدنيا فما عليه لو ذهبت الركوة»؟

هربوا منها؛ إذ كان يستوي عندهم المال والماء والذهب والحجر) قال العراقي[١]: وهذا معروف، وقد تقدم في آداب المعيشة عند البخاري[٢] تعليقًا مجزومًا به من حديث أنس: أُتي النبي ﷺ بمال من البحرين، وكان أكثر مال أُتي به، فخرج رسول الله ﷺ إلىٰ الصلاة ولم يلتفت إليه، فلما قضىٰ الصلاة جاء فجلس إليه، فما كان يرىٰ أحدًا إلا أعطاه. ووصله عمر بن محمد البجيري[٣] في صحيحه من هذا الوجه. وفي الصحيحين[٤] من حديث عمرو بن عوف: قَدِمَ أبو عبيدة بمال من البحرين، فسمعت الأنصار بقدومه ... الحديث. ولهما[٥] من حديث جابر: «لو جاءنا مال البحرين أعطيتك هكذا» ثلاثًا، فلم يقدُم حتىٰ توفي النبي ﷺ، فأمر أبو بكر مناديًا فنادىٰ: مَن كان له علىٰ رسول الله ﷺ عِدَة أو دَين فليأتنا. فقلت: إن النبي ﷺ وعدني. فحثا لي ثلاثًا. انتهىٰ.

قلت: وأما سيرة عمر رضي الله عنه، فقد روىٰ سليمان بن المغيرة، حدثنا حميد بن هلال، حدثنا زهير بن حيان قال: قال ابن عباس: دعاني عمر فأتيته، فإذا بين يديه نِطْعٌ عليه الذهب منثور، فقال: هلمَّ فاقسمْ هذا بين قومك، والله أعلم حيث زوىٰ هذا عن نبيِّه وعن أبي بكر فأُعطيتُه لخير أم لشرٍّ. قال: فأكببت عليه أقسِّم وأزيل. قال: فسمعت بكاء، وإذا صوت عمر يبكي ويقول في بكائه: كلاَّ، والذي نفسي بيده

---

(١) المغني ٢/ ١٠٨١.

(٢) صحيح البخاري ١/ ١٥٢.

(٣) محدث ما وراء النهر، وصاحب الصحيح، والتفسير وغير ذلك، ولد سنة ٢٢٣هـ، وكان والده صاحب حديث ورحلة، يروي عن عارم وطبقته، فحرص علىٰ ولده أبي حفص وسفّره إلىٰ الأقاليم مرات، كان رحمه الله فاضلاً خيرًا ثبتا في الحديث، له العناية التامة في طلب الآثار والرحلة، له مستخرج علىٰ البخاري منه نسخة في الظاهرية برقم (١٠٦٧)، توفي رحمه الله سنة ٣١١ هـ. انظر: تذكرة الحفاظ للذهبي ٢/ ٢٠٦، ٢٠٧.

(٤) صحيح البخاري ٢/ ٤٠٦، ٣/ ٩٤، ٤/ ١٧٧. صحيح مسلم ٢/ ١٢٥٣.

(٥) صحيح البخاري ٢/ ١٤٢، ٢٣٦، ٢٦٢، ٣٩٩، ٤٠٩، ٣/ ١٧٠. صحيح مسلم ٢/ ١٠٩٤.

ما حبسه عن نبيِّه وعن أبي بكر إرادة الشر لهما وأعطاه عمر إرادة الخير له[١].

وقال سعيد بن عامر الضبعي: قال محمد بن عمرو، حدثنا أبو سلمة، عن أبي هريرة قال: قدمت من البحرين، فلقيت عمر، فسألني عن الناس، فأخبرته، ثم قال: بِم جئتَ؟ قلت: جئت بخمسمائة ألف. قال: ويحك! هل تدري ما تقول؟ قلت: نعم. قال: ارجع فنمْ فإنك ناعس. قال: فأصبحت فأتيته، فقال: ماذا جئتَ به؟ قلت: خمسمائة ألف. فصعد المنبر، فحمد الله وأثنىٰ عليه ثم قال: قد جاءنا مال كثير، فإن شئتم أن نكيل لكم كيلاً، وإن شئتم أن نعدَّ لكم عدًّا[٢].

(وما يُنقَل عنهم من امتناع فإما أن يُنقَل عمَّن يخاف أنْ لو أخذه أن يخدعه المال) ويزيله عن مقامه **(ويقيِّد قلبَه فيدعوه إلىٰ الشهوات)** النفسية **(وهذا حال الضعفاء، فلا جَرَمَ البغض للمال والهرب منه في حقِّهم كمالٌ، وهذا حكم جميع الخلق؛ لأنهم كلهم ضعفاء إلا الأنبياء)** عليهم السلام **(والأولياء)** من بعدهم **(وإما أن يُنقَل عن قويٍّ بلغ)** رتبة **(الكمال ولكن أظهرَ الفرارَ والنفار نزولاً)** منه **(إلىٰ درجة الضعفاء ليقتدوا به في الترك؛ إذ لو اقتدوا به في الأخذ لهلكوا)** وهذا **(كما يفرُّ الرجل المعزِّم بين يدي أولاده من الحية، لا لضعفه عن أخذها ولكن لعلمه أنه لو أخذها أخذها أولاده إذا رأوها فيهلكوا. والسير بسير الضعفاء ضرورة الأنبياء والأولياء والعلماء)** إذ هم القدوة **(فقد عرفتَ أن المراتب إذًا ست، وأن أعلاها رتبة المستغني)** بالمعنىٰ الذي ذكره المصنف اصطلاحًا منه **(ثم الزاهد، ثم الراضي، ثم القانع، ثم الحريص. وأما المضطر فيُتصوَّر في حقه أيضًا الزهد والرضا والقناعة، ودرجته تختلف بحسب اختلاف هذه الأحوال)** كما سبق

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في إصلاح المال ص ٢٤، والطبري في تهذيب الآثار - السفر الأول من مسند ابن عباس ص ٢٩٧، وابن سعد في الطبقات الكبرىٰ ٣/ ٢٨٢.

(٢) رواه ابن زنجويه في الأموال ٢/ ٥٠٤، وابن أبي شيبة في مصنفه ١١/ ٦٩، والبيهقي في السنن الكبرىٰ ٦/ ٥٦٩، وابن أبي الدنيا في مجابي الدعوة ص ٤٣، وابن سعد في الطبقات الكبرىٰ ٣/ ٢٧٩.

التلويح إليه (**واسم «الفقير» يطلق على هذه الخمسة**) المذكورة ما عدا الأول (**أما تسمية المستغني فقيرًا فلا وجه لها بهذا المعنى، بل إن سُمِّي فقيرًا فبمعنى آخر وهو معرفته بكونه محتاجًا إلى الله تعالى في جميع أموره عامةً، وفي بقاء استغنائه عن المال خاصةً**) وهذا[1] المعنى أجلُّ من أن يسمَّى فقرًا، بل هو حقيقة العبودية ولُبُّها وعزلُ النفس عن مزاحمة الربوبية، وإليه يشير كلام المشايخ، كما يأتي بيانه. فالفقر الحقيقي دوام الافتقار إلى الله تعالى في كل حال، وأن يشهد العبد في كل ذرَّة من ذرَّاته الظاهرة والباطنة فاقته إلى الله تعالى من كل وجه، فالفقر ذاتيٌّ للعبد، وإنما يتجدَّد له لشهوده [ووجوده] حالاً، وإلا فهو حقيقة، كما قال بعضهم[2]:

والفقر لي وصفُ ذاتٍ لازمٌ أبدًا ... كما الغِنى أبدًا وصفٌ له ذاتي

وإليه أشار المصنف بقوله: (**فيكون اسم «الفقير» له كاسم «العبد» لمَن عرف نفسه بالعبودية وأقربها فإنه أحق باسم العبد من الغافلين، وإن كان اسم «العبد» عامًّا للخلق، فكذلك اسم «الفقير»[3] عامٌّ، ومَن عرف نفسه بالفقر إلى الله تعالى**) في كل حالاته (**فهو أحق باسم «الفقير»**) من غيره (**فاسم «الفقير» مشترك بين هذين المعنيين، وإذا عرفتَ هذا الاشتراك فهمتَ أن قول رسول الله ﷺ**): اللهم إني (**أعوذ بك من الفقر**) وعذاب القبر وفتنة المحيا والممات. رواه الطبراني من حديث عثمان بن أبي العاص، وقد تقدم في الأذكار والدعوات. وعند النسائي من حديث أبي سعيد الخدري: «اللهم إني أعوذ بك من الكفر والفقر». فقال رجل: ويعتدلان؟ قال: «نعم». وقد صحَّحه ابن حبان. وروى أبو داود والنسائي وابن ماجه من حديث أبي هريرة: «اللهم إني أعوذ بك من الفقر والقلة والذلَّة». وروى الطبراني عن بلال بن سعد عن أبيه مرفوعًا: «اللهم إني أعيذهم بك من الكفر

---

(١) مدارج السالكين لابن القيم ٢/ ٤١٠ - ٤١١.

(٢) هو تقي الدين ابن تيمية، كما في المدارج.

(٣) في أ، وب، وط المنهاج ٨/ ٢٠: الفقر.

والضلالة والفقر الذي يصيب بني آدم»[١].

(**وقوله ﷺ: كاد الفقر أن يكون كفرًا**) رواه الكَشِّي وابن السكن وصاحب الحلية والبيهقي في الشعب وابن عدي في الكامل من حديث يزيد الرقاشي عن أنس مرفوعًا، وقد تقدم في ذم الغضب (**لا يناقض قولَه**) ﷺ: اللهم (**أحيني مسكينًا وأمِتني مسكينًا**) واحشرني في زمرة المساكين. رواه عبد بن حميد وابن ماجه من حديث أبي سعيد. والشيرازي في الألقاب من حديث ابن عباس. والبيهقي في الشعب وتمام والطبراني وابن عساكر والضياء من حديث عبادة بن الصامت. ورواه الترمذي وحسَّنه والبيهقي من حديث أنس بزيادة «يوم القيامة». ورواه ابن الجوزي في الموضوعات فأخطأ. ورواه الحاكم من حديث أبي سعيد بزيادة: «وإن أشقىٰ الأشقياء مَن اجتمع عليه فقرُ الدنيا وعذاب الآخرة». وعند ابن عدي والبيهقي بلفظ: «اللهم توفَّني فقيرًا ولا توفَّني غنيًّا، واحشرني في زمرة المساكين، فإن أشقىٰ الأشقياء ...» الخ[٢] (**إذ فقر المضطرِّ هو الذي استعاذ منه، والفقر الذي هو الاعتراف بالمسكنة والذلة والافتقار إلىٰ الله تعالىٰ هو الذي سأله في دعائه ﷺ وعلىٰ كل عبد مصطفىٰ من أهل الأرض والسماء**) وإلىٰ هذا المعنىٰ يشير كلام المشايخ، كما سيأتي ذلك مفرَّقًا في سياق المصنف. وهذا[٣] [الفقر] الذي يشيرون إليه لا تنافيه الجدةُ ولا الأملاك، فقد كان رسول الله ﷺ وأنبياؤه عليهم السلام في ذروة الفقر مع جدتهم وملكهم، كإبراهيم عليه السلام كان يكنىٰ أبا الضيفان، وكانت له

---

(١) حديث أبي سعيد وحديث أبي هريرة تقدما في كتاب الأذكار والدعوات. أما حديث عثمان بن أبي العاص فرواه الطبراني في المعجم الكبير ٩/ ٥٠. وحديث بلال بن سعد عن أبيه رواه الطبراني في المعجم الكبير ٦/ ٤٥.

(٢) تقدمت هذه الأحاديث في كتاب آداب الصحبة، وفي كتاب ذم البخل. ويزاد هنا أن: حديث أبي سعيد رواه عبد بن حميد في مسنده ٢/ ١٢٧، وابن عدي في الكامل ٣/ ٨٨٤. وحديث عبادة رواه البيهقي في السنن الكبرىٰ ٧/ ١٨، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٣٨/ ١٩٤.

(٣) من هنا إلىٰ قوله (فقراء في غناهم) عن مدارج السالكين ٢/ ٤١١ - ٤١٢.

الأموال والمواشي، وكذلك كان سليمان وداود عليهما السلام، وكذلك كان نبيُّنا ﷺ، قال تعالىٰ: ﴿وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ ۝٨﴾ [الضحىٰ: ٨] فكانوا أغنياء في فقرهم، فقراء في غناهم.

ثم اعلمْ أن الفقر الذي هو خلوُّ اليد من المال وسيلة التبتُّل والانقطاع، وهما الوسيلة إلىٰ الغنىٰ بالله تعالىٰ وهو تعلُّق القلب به، والغنىٰ بالله وسيلة إلىٰ تجريده عمَّا سوىٰ الحق من أعراض وأغراض، بل نفس وحال، فالتجريد علىٰ ثلاث درجات:

الأولىٰ: تجريد عين الكشف عن كسب اليقين، وذلك أن اليقين مكسوب في البداية، وموهوب في النهاية، فالتجريد ارتقاء العبد من المكسوب إلىٰ الموهوب.

الثانية: تجريد [عين] الجمع عن درك العلم؛ لأن العالِم بالسكْر ليس بسكران، فهذا حذِرٌ من أن يكون عنده علم الحال لا غيبه.

الثالثة: تجريد الخلاص عن شهود التجريد، ومقصوده بذلك تجريده عن رؤية تجريده وهذا التقسيم لصاحب «منازل السائرين»[1]، ولا يجب من ذلك [التجريد] إلا اعتقاد تجريد القديم عن الحادث، ويُستحب عِلمه، وما ذكرناه هو قربة ومعرفة ومستعان بالنظر إلىٰ صفات السلب مثل ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [الإخلاص: ١] و﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾ [الشورىٰ: ١١] ﴿وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا ۝٥١﴾ [الكهف: ٥١] وما أشبهَ هذا. والله أعلم.

---

(١) منازل السائرين للهروي ص ١٣٣.

بيـان فضيلـة الفقـر مطلقًا

من الآيات والأخبار والآثار (**أما من الآيات فيدلُّ عليه قوله تعالىٰ:** ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ﴾ **الآية** [الحشر: ٨] **وقوله:** ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾) أي حُبسوا ومُنعوا (﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [البقرة: ٢٧٣] **ساق الكلام في معرض المدح، ثم قدَّم وصفهم بالفقر علىٰ وصفهم بالهجرة والإحصار**) أي[١] الصدقات لهؤلاء، وكانوا فقراء المهاجرين نحو أربعمائة نفس، لم تكن لهم مساكن في المدينة ولا عشائر، وكانوا قد حبسوا أنفسهم علىٰ الجهاد، وكانوا وقفًا علىٰ كل سريَّة يبعثها رسول الله ﷺ، وهم أهل الصُّفَّة. هذا أحد الأقوال في إحصارهم في سبيل الله. وقيل: هو حبسُهم أنفسهم في طاعة الله. وقيل: حبسهم الفقر والعدم عن الجهاد. وقيل: لمَّا عادَوا أعداءَ الله وجاهدوهم [في الله تعالىٰ] أُحصِروا عن الضرب في الأرض لطلب المعاش، فلا يستطيعون ضربًا في الأرض[٢]. والصحيح أنه لفقرهم وعجزهم وضعفهم لا يستطيعون ضربًا في الأرض، ولكمال عفَّتهم وصيانتهم يحسبهم مَن لم يعرف حالهم أغنياء (**وفيه دلالة ظاهرة علىٰ مدح الفقر**) ومن المواضع التي ذكر الله فيها الفقر قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ﴾ الآية [التوبة: ٦٠] وقوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [فاطر: ١٥] وقوله تعالىٰ: ﴿رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾﴾ [القصص: ٢٤] والمراد في الآية الأولىٰ والثانية خواصُّ الفقراء، وفي قوله ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ﴾ الآية فقراء المسلمين خاصَّتهم وعامَّتهم،

---

(١) مدارج السالكين ٢/ ٤٠٩ - ٤١٠. بصائر ذوي التمييز ٤/ ٢٠٤ - ٢٠٥.

(٢) هذه الأقوال ذكرها البغوي في معالم التنزيل ١/ ٣٣٧ - ٣٣٨. وانظر: النكت والعيون للماوردي ١/ ٣٤٦.

وفي قوله ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ الآية الفقر العامُّ لأهل الأرض كلهم، غنيهم وفقيرهم، مؤمنهم وكافرهم. وفي الآية الأخيرة الفقر إلىٰ الله المشار إليه بقوله: اللهم أغنني بالافتقار إليك. وبهذا ألمَّ الشاعر[١] بقوله:

ويعجبني فقري إليك ولم يكن ليعجبني لولا محبَّتك الفقرُ

والفقراء الموصوفون في الآية الثانية يقابلهم أصحابُ الجدة ومَن ليس محصَرًا في سبيل الله ومَن لا يكتم فقره ضعفًا، فمقابلهم أكثر من مقابل الصنف الثاني، والصنف الثاني يقابل أصحاب الجدة، ويدخل فيهم المتعفِّف وغيره، والمحصر وغيره، والصنف الثالث لا مقابل لهم، بل الله وحده الغني، وكل ما سواه فقير إليه، ومراد المشايخ بالفقر شيء أخص من هذا كله وهو الافتقار إلىٰ الله في كل حالة، وهذا المعنىٰ أجلُّ من أن يسمَّىٰ فقرًا، بل هو حقيقة العبودية ولُبُّها وعزلُ النفس عن مزاحمة الربوبية، كما تقدمت الإشارة إليه.

(**وأما الأخبار في مدح الفقر فأكثر من أن تُحصَىٰ**) منها ما (**روىٰ عبد الله بن عمر**) بن الخطاب (رضي الله عنهما **قال: قال رسول الله ﷺ لأصحابه: أيُّ الناس خير؟ قالوا: رجل موسِر**) أي صاحب مال (**يعطي حق الله في نفسه**) أي بأداء ما افترض الله عليه من الطاعات (**وماله**) أي بإخراج ما افترض عليه من الزكاة (**قال**) ﷺ: (**نِعم الرجل هذا وليس به**) أي ليس بالذي أريده (**قالوا: فمَن خير الناس يا رسول الله؟ قال: فقير يعطي جهده**) أي طاقته. قال صاحب القوت: رويناه عن إسماعيل ابن عيَّاش عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر. وقال العراقي[٢]: رواه الديلمي في مسند الفردوس[٣]

---

(١) هو البحتري، والبيت في ديوانه ٢/ ٨٤٧.

(٢) المغني ٢/ ١٠٨٢.

(٣) الفردوس بمأثور الخطاب ٢/ ١٧٨. وقد رواه تاما: أبو داود الطيالسي في مسنده ٣/ ٣٨٢، وابن عدي في الكامل ٤/ ١٥٥٢، وأبو نعيم في تاريخ أصفهان ١/ ٢١٧، من طريق آخر، وفيه أبو عتبة إسماعيل بن عياش، قال أبو زرعة كما في الجرح ٢/ ١٩٢: «صدوق إلا أنه يغلط في أحاديث=

بسند ضعيف مقتصرًا علىٰ المرفوع منه دون سؤاله لأصحابه وسؤالهم له. انتهىٰ.

قلت: هكذا رواه أبو نعيم في الحلية ومن طريقه الديلمي، ولفظهما: «مؤمن فقير يعطي جهده».

(وقال ﷺ لبلال) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: **(الْقَ الله فقيرًا ولا تلقَه غنيًّا)** قال العراقي[1]: رواه الحاكم في كتاب «علامات أهل التحقيق»[2] من حديث بلال، ورواه الطبراني[3] من حديث أبي سعيد بلفظ: «متْ فقيرًا ولا تمُت غنيًّا» [وكلاهما ضعيف].

قلت: ظاهره أنه عند الطبراني من حديث أبي سعيد الخدري، وليس كذلك، بل هو من رواية أبي سعيد الخدري عن بلال، هكذا رواه الطبراني والحاكم جميعًا، وعندهما زيادة: قال: وكيف لي يا رسول الله بذلك؟ قال: «إذا رُزقت فلا تخبأ لغدٍ، وإذا سُئلت فلا تمنع». قال: وكيف لي بذلك؟ قال: «هو ذاك وإلا فالنار». وصحَّحه الحاكم وتُعُقِّب.

وروىٰ الخطيب[4] من حديث عائشة: «يا بلال، رددتَ السائل وهذا التمر عندك؟ إن أردتَ أن تلقىٰ الله عَزَّوَجَلَّ وهو عنك راضٍ فلا تخبِّئ شيئًا رُزقته، ولا تمنع شيئًا سُئلته».

= الحجازيين والعراقيين». قلت: وقد رواه عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر، فهذه الرواية مما غلط فيه، فالحديث ضعيف أيضًا، وقال الغماري في المداوي ٢/ ١٠٦: أبو عتبة شيخ الطيالسي لم أعرفه. قلتُ: قد عرفناه لك، والله أعلم.

(١) المغني ٢/ ١٠٨٢.

(٢) ورواه أيضا في المستدرك علىٰ الصحيحين ٤/ ٤٥٩. وقال: صحيح الإسناد. وتعقبه الذهبي في التلخيص بقوله: بل واهٍ.

(٣) المعجم الكبير ١/ ٣٤١.

(٤) تاريخ بغداد ١١/ ٥٥٣، ولفظه: «دخل رسول الله ﷺ علىٰ بلال يوما من الأيام، فوقف بالباب سائل، فرده بلال بغير شيء، فقال له رسول الله ﷺ: يا بلال، رددت السائل وهذا التمر عندك؟ قال: بلىٰ يا رسول الله، كنت صائما فأردت أن أفطر عليه. فقال النبي ﷺ: إن أردت أن تلقىٰ الله وهو عنك راضٍ، فلا تخبئ شيئا رزقته، ولا تمنع شيئا سئلته».

(**وقال ﷺ: إن الله يحب الفقير المتعفف أبا العيال**) رواه ابن ماجه من حديث عمران بن حصين، وقد تقدم[١].

(**وفي الخبر المشهور: يدخل فقراء أمَّتي الجنة قبل أغنيائهم بخمسمائة عام**) رواه الترمذي من حديث أبي هريرة، وقد تقدم[٢] (**وفي حديث آخر: بأربعين خريفًا. أي أربعين سنة**) رواه[٣] مسلم من حديث عبد الله بن عمرو، إلا أنه قال: «فقراء المهاجرين»، ورواه الترمذي من حديث جابر وأنس، وقد تقدم في ذم الدنيا[٤] (**فيكون المراد به**) أي بأربعين خريفًا (**تقدير تقدُّم الفقير الحريص علىٰ الغني الحريص، و**) يكون (**التقدير بخمسمائة عام تقدير تقدُّم الفقير الزاهد علىٰ الغني الراغب، وما ذكرناه**) آنفًا (**من اختلاف درجات الفقر يعرِّفك بالضرورة تفاوتًا بين الفقراء في درجاتهم، وكان الفقير الحريص علىٰ درجتين من خمس وعشرين درجة من الفقير الزاهد؛ إذ هذه نسبة الأربعين إلىٰ خمسمائة، ولا تظنن أن تقدير رسول الله ﷺ يجري علىٰ لسانه جزافًا**) أي مجَّانًا (**وبالاتفاق**) من غير قصد نكتة أو فائدة (**بل لا يستنطق ﷺ إلا بحقيقة الحق، فإنه**) ﷺ (**لا ينطق عن الهوىٰ، إنْ هو إلا وحي يوحىٰ، وهذا**) بعينه (**كقوله ﷺ: الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءًا من النبوَّة**) قال العراقي[٥]: رواه البخاري من حديث أبي سعيد، ورواه هو ومسلم من حديث أبي هريرة وعبادة بن الصامت وأنس بلفظ: «رؤيا المؤمن جزء ...» الحديث[٦]، وقد تقدم.

---

(١) في كتاب النكاح.

(٢) في كتاب ذم البخل وذم حب المال.

(٣) المغني للعراقي ٢/ ١٠٨٢.

(٤) بل في كتاب ذم البخل.

(٥) المغني ٢/ ١٠٨٣.

(٦) رواه البخاري في صحيحه ٤/ ٢٩٦، ٢٩٧، ٢٩٩، ٣٠٣ ومسلم في صحيحه ٢/ ١٠٧٥ - ١٠٧٦ من حديث أبي هريرة، وعبادة بن الصامت، وأنس بن مالك، وابن عمر، وأبي سعيد الخدري.

قلت: قوله[1] «جزء من ستة وأربعين جزءًا» هي الرواية المشهورة، كما قاله النووي، وفي رواية لمسلم من حديث أبي هريرة أيضًا: «من خمسة وأربعين»، ورواه ابن ماجه[2] بلفظ «سبعين»، وفي حديث ابن عمر: «جزء من سبعين جزءًا»، وهو في صحيح مسلم وغيره. وقال ابن عبد البر: لا يُختلَف في صحَّته. قال: ورُوي عن ابن عباس مرفوعًا مثله. وذكر ابن عبد البر أيضًا من حديث ابن عمرو: «من تسعة وأربعين جزءًا»، وروىٰ من حديث عُبادة: «من أربعة وأربعين». وروىٰ ابن عباس عن العباس بن عبد المطلب مرفوعًا: «من خمسين جزءًا». وروىٰ ابن عبد البر من حديث أنس: «من ستة وعشرين»، ومن حديث أبي رزين العقيلي: «من أربعين جزءًا»، فهذه ثمان روايات، أقلُّها ستة وعشرون، وأكثرها سبعون، وأصحُّها وأشهرها ستة وأربعون، وهذه الروايات كلها مشهورة، فلا سبيل إلىٰ أخذ أحدها وطرحِ الباقي.

(فإنه تقدير تحقيق لا محالة ولكن ليس في قوة غيره أن يعرف علَّة تلك النسبة إلا بتخمين) وظنٍّ **(فأما بالتحقيق فلا)** إذ ليس في وسعه ذلك **(إذ يُعلَم أن النبوة عبارة عمَّا يختصُّ به النبيُّ ويفارق به غيرَه)** فلا يشاركه فيه **(وهو يختصُّ بأنواع من الخواصِّ، أحدها: أنه يعرف حقائق الأمور المتعلقة بالله تعالىٰ وصفاته)** وأفعاله **(والملائكة والدار الآخرة، لا كما يعلمه غيره، بل مخالفًا له بكثرة المعلومات وبزيادة اليقين والتحقيق والكشف)**.

(والثاني: أنَّ له في نفسه صفةً بها تتم له الأفعالُ الخارقة للعادات، كما أن لنا صفة بها تتم الحركات المقرونةُ بإرادتنا واختيارنا وهي القدرة، وإن كانت القدرة والمقدور جميعًا من فعل الله تعالىٰ)[3].

---

(١) طرح التثريب للعراقي ٨/ ٢٠٨ - ٢٠٩. التمهيد لابن عبد البر ١/ ٢٧٩ - ٢٨٧. شرح صحيح مسلم للنووي ١٥/ ٣٠ - ٣١.

(٢) سنن ابن ماجه ٥/ ٤٠٤.

(٣) انظر لزامًا: العواصم لابن العربي ص٨٢- ٨٦.

(والثالث: أن له صفة بها يبصر الملائكةَ ويشاهدهم) عيانًا في صورهم **(كما أن للبصير صفة بها يفارق الأعمىٰ، حيث يدرك بها المبصَرات)**.

(والرابع: أنَّ له صفة بها يدرك ما يكون في الغيب إما في اليقظة أو في المنام) أو فيما بينهما **(إذ بها يطالع اللوحَ المحفوظ فيرىٰ ما فيه من الغيب. فهذه كمالات وصفات يُعلَم ثبوتها للأنبياء، ويُعلَم انقسام كل واحد منها إلىٰ أقسام)** كثيرة **(وربما يمكننا أن نقسِّمها إلىٰ أربعين وإلىٰ خمسين وإلىٰ ستين، ويمكننا أيضًا أن نتكلَّف تقسيمها إلىٰ ستة وأربعين بحيث تقع الرؤيا الصحيحة)** وفي نسخة: الصادقة **(جزءًا واحدًا من جملتها)** بل وأكثر من الستة والأربعين، وذلك[1] لأن المراد من هذا الحديث أن المنام الصادق خصلة من خصال النبوَّة، كما في الحديث الآخَر: «التؤدة والاقتصاد وحُسن السَّمْت جزء من ستة وعشرين جزءًا من النبوة». أي النبوة مجموع خصال مبلغ أجزائها ستة وعشرون، هذه الثلاثة الأشياء جزء واحد منها، وعلىٰ مقتضَىٰ هذه التجزئة كلُّ جزء من الستة والعشرين ثلاثة أجزاء في نفسه، فإذا ضربنا ثلاثة في ستة وعشرين صحَّ لنا أن عدد خصال النبوة من حيث آحادها ثمانية وسبعون، ويصح أن يسمَّىٰ كل اثنين من الثمانية والسبعين جزءًا وخصلة، فيكون جميعها بهذا الاعتبار تسعة وثلاثين جزءًا، ويصح أن يسمَّىٰ كل أربعة منها جزءًا، فيكون مجموع أجزائها بهذا الاعتبار تسعة عشر جزءًا ونصف جزء، فتختلف أسماء العدد المجزَّأ بحسب اختلاف اعتبار الأجزاء، وعلىٰ هذا فلا يكون اختلاف أعداد أجزاء النبوة في أحاديث الرؤيا المذكورة اضطرابًا، وإنما هو اختلاف [اعتبار] مقادير تلك الأجزاء المذكورة **(ولكن تعيين طريق واحد من طرق التقسيمات الممكنة لا يكون إلا بظن وتخمين، ولا ندري تحقيقًا أنه الذي أراده رسول الله ﷺ أم لا)**[2].

---

(١) المفهم للقرطبي ٦/ ١٥.

(٢) قال الحافظ في الفتح بعد نقله لكلام الغزالي: وأظنه أشار إلىٰ كلام الحليمي، فإنه مع تكلفه =

(وإنما المعلوم) في الجملة (مَجامِع الصفات التي بها تتم النبوةُ وأصل انقسامها، وذلك لا يرشدنا إلىٰ معرفة علَّة التقدير، فكذلك نعلم أن الفقراء لهم درجات، كما سبق) قريبًا (فأما لِمَ كان هذا الفقير الحريص مثلاً علىٰ نصف سدس درجة الفقير الزاهد حتىٰ لم يُقتَضَ له التقدُّم بأكثر من أربعين سنة إلىٰ الجنة، واقتضىٰ ذلك التقدُّمَ بخمسمائة عام، فليس في قوة أحد غير الأنبياء) عليهم السلام (الوقوف علىٰ ذلك) بحقيقته (إلا بنوع من التخمين، ولا وثوق به، والغرض) كله من سياق هذا الكلام (التنبيه علىٰ منهاج التقدير في أمثال هذه الأمور) الواردة في صحاح الأخبار (فإن الضعيف الإيمان قد يظن أن ذلك يجري من رسول الله ﷺ علىٰ سبيل الاتفاق، وحاشا منصب النبوة من ذلك) بل كلامه كله حِكَم وفوائد وتلويحات، عرفها مَن عرف، وجهلها مَن جهل.

(ولنرجع إلىٰ نقل الأخبار، فقد قال ﷺ أيضًا: خير هذه الأمَّة فقراؤها، وأسرعها تضجُّعًا) أي اضطجاعًا (في الجنة ضعفاؤها) كذا في القوت. قال العراقي[1]: لم أجد له أصلاً.

(وقال ﷺ: إن لي حرفتين اثنتين، فمَن أحبهما فقد أحبني، ومَن أبغضهما فقد أبغضني: الفقر والجهاد)[2] قال العراقي[3]: لم أجد له أصلاً.

(ورُوي أن جبريل عليه السلام نزل علىٰ رسول الله ﷺ، فقال: يا محمد، إن الله يقرأ

= ليس علىٰ يقين أن الذي ذكره هو المراد. انظر: المنهاج في شعب الإيمان للحليمي ١/ ٢٣١- ٢٥٨، وفتح الباري ١٢/ ٣٨٤.

(١) المغني ٢/ ١٠٨٣. والحديث رواه الدولابي في الكنىٰ والأسماء ص ١٠٩١ عن زياد أبي النضر الجعفي عن أبيه أو جده أو عمه. وهو في الفردوس بمأثور الخطاب للديلمي ٢/ ١٨٣ عن جد زياد أبي النضر.

(٢) أورده الخركوشي في تهذيب الأسرار ص١٦٠.

(٣) المغني ٢/ ١٠٨٣. والحديث رواه ابن النجار في ذيل تاريخ بغداد ٢/ ٢٠٦ عن أنس بن مالك.

عليك السلام ويقول: أتحب أن أجعل هذه الجبال ذهبًا وتكون معك أينما كنتَ؟ فأطرق رسول الله ﷺ ساعة، ثم قال: يا جبريل، إن الدنيا دار مَن لا دار له، ومال مَن لا مال له، ولها يجمع مَن لا عقل له. فقال له جبريل: يا محمد، ثبَّتك الله بالقول الثابت) قال العراقي[(١)]: هذا ملفَّق من حديثين، فروىٰ الترمذي[(٢)] من حديث أبي أمامة: «عرض عليَّ ربي ليجعل لي بطحاء مكة ذهبًا، قلت: لا يا رب، ولكن أشبع يومًا وأجوع يومًا ...» الحديث، وقال: حسن. ولأحمد[(٣)] من حديث عائشة: «الدنيا دار مَن لا دار له ...» الحديث، وقد تقدم في ذم الدنيا.

قلت: وتمام حديث أبي أمامة عند الترمذي: «فإذا جعتُ تضرَّعت إليك وذكرتك، وإذا شبعتُ حمدتك وشكرتك». وقد رواه كذلك أحمد[(٤)] وابن سعد[(٥)] والطبراني[(٦)] والبيهقي[(٧)]. وحديث عائشة «الدنيا دار مَن لا دار له» رواه كذلك الشيرازي في الألقاب والبيهقي[(٨)]. ورواه البيهقي[(٩)] أيضًا عن ابن مسعود موقوفًا عليه.

(ورُوي أن المسيح عليه السلام **مر في)** أثناء **(سياحته)** في الأرض **(برجل نائم ملتفٍّ في عَباءة)** له، وهي كساء من صوف **(فأيقظه وقال)** له: **(يا نائم، قمْ فاذكر الله تعالىٰ.**

---

(١) المغني ٢/ ١٠٨٣ - ١٠٨٤.

(٢) سنن الترمذي ٤/ ١٦٨ - ١٦٩.

(٣) مسند أحمد ٤٠/ ٤٨٠.

(٤) السابق ٣٦/ ٥٢٨.

(٥) الطبقات الكبرىٰ ١/ ٣٢٨.

(٦) المعجم الكبير ٨/ ٢٤٥.

(٧) شعب الإيمان ٣/ ٦١، ١٣/ ٤٣.

(٨) السابق ١٣/ ١٨٥.

(٩) السابق ١٣/ ١٨٤.

فقال: ما تريد مني؟ إني قد تركت الدنيا لأهلها. فقال له: فنمْ إذًا يا حبيبي)[1] نقله صاحب القوت.

(**ومر موسىٰ** عليه السلام **برجل نائم علىٰ التراب، وتحت رأسه لبنة، ووجهه ولحيته في التراب، وهو مؤتزر بعباءة**) له (**فقال**) موسىٰ: (**يا رب، عبدك هذا في الدنيا ضائع**) نظرًا إلىٰ ظاهر حاله (**فأوحىٰ الله إليه: يا موسىٰ، أما علمتَ أني إذا نظرت إلىٰ عبدٍ بوجهي كله زويت عنه الدنيا كلها**)[2] أي صرفتُها عنه وضيَّقتها عليه. نقله صاحب القوت.

(**وعن أبي رافع**) مولىٰ رسول الله ﷺ (**أنه قال: ورد علىٰ رسول الله ﷺ ضيف، فلم يجد عنده ما يصلحه**) أي من قِراه (**فأرسلني إلىٰ رجل من يهود خيبر**) وهو أبو السحماء (**وقال: قلْ له: يقول لك محمد**) ﷺ (**أسلفني، أو**) قال: (**بِعني دقيقًا إلىٰ هلال رجب. قال**) أبو رافع: (**فأتيته**) وقلت له ذلك (**فقال**) اليهودي: (**لا واللهِ**) لا أسلفه (**إلا برهن**) وثيق. فرجعت (**فأخبرت رسول الله ﷺ بذلك، فقال: أما واللهِ إني لأمين في أهل السماء، أمين في أهل الأرض، ولو باعني أو أسلفني لأدَّيت إليه، اذهب بدرعي هذا إليه فارهنْه**) عنده (**فلمَّا خرجت**) من عنده (**نزلت هذه الآية: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ﴾ الآية** [طه: ١٣١] **وهذه الآية تعزية لرسول الله ﷺ عن الدنيا**) قال العراقي[3]: رواه الطبراني[4] بسند

---

(١) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء ١٠/ ٤٠٦ عن موسىٰ بن طريف الأسدي قال: جاء عيسىٰ ابن مريم إلىٰ رجل نائم، فقال له عيسىٰ: قم. فقال له الرجل: قد تركت الدنيا لأهلها. فقال له عيسىٰ: نم مكانك إذًا. وأورده القرطبي في تفسيره ١١/ ٧٦ بلفظ: «ذكر أن عيسىٰ عليه السلام مر برجل نائم، فقال: يا نائم، قم فتعبد. فقال: يا روح الله، قد تعبدت. فقال: وبم تعبدت؟ قال: قد تركت الدنيا لأهلها. قال: نم، فقد فقت العابدين».

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في الزهد ص ١٧٨ عن يحيىٰ بن يمان العجلي.

(٣) المغني ٢/ ١٠٨٤.

(٤) المعجم الكبير ١/ ٣٣١.

ضعيف.

قلت: ورواه[١] كذلك ابن أبي شيبة وابن راهويه والبزار[٢] وأبو يعلىٰ وابن جرير[٣] وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والخرائطي في مكارم الأخلاق وأبو نعيم في المعرفة[٤]، وفيه: «اذهب بدرعي الحديد»، فلم أخرج من عنده حتىٰ نزلت هذه الآية، كأنَّه يعزِّيه عن الدنيا. وأخرج ابن أبي حاتم[٥] عن سفيان في قوله: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾ الآية، قال: تعزية لرسول الله ﷺ.

(**وقال ﷺ: الفقر أزين بالمؤمن من العذار الحَسن علىٰ خد الفرس**) قال العراقي[٦]: رواه الطبراني[٧] من حديث شداد بن أوس بسند ضعيف، والمعروف أنه من كلام عبد الرحمن بن زياد بن أنعم، رواه ابن عدي في الكامل[٨] هكذا.

قلت: ورواه ابن المبارك في الزهد[٩] من حديث سعد بن مسعود بلفظ: «للفقرُ أزين للمؤمن من العذار الجيد علىٰ خد الفرس».

(**وقال ﷺ: مَن أصبح منكم معافًىٰ في جسمه، آمنًا في سربه، عنده قوت يومه، فكأنَّما حيزت له الدنيا بحذافيرها**) رواه البخاري في الأدب والترمذي وحسَّنه وابن

---

(١) الدر المنثور ١٠/ ٢٦٤.

(٢) مسند البزار ٩/ ٣١٥.

(٣) جامع البيان ١٦/ ٢١٤.

(٤) معرفة الصحابة ١/ ٢٥٢.

(٥) وكذلك أبو نعيم في حلية الأولياء ٧/ ٧٨.

(٦) المغني ٢/ ١٠٨٤.

(٧) المعجم الكبير ٧/ ٣٥٣.

(٨) الكامل في الضعفاء ١/ ٣٣٨.

(٩) الزهد والرقائق ص ١٩١. وفيه: «أحسن أو أزين بالمؤمن»، وفيه عبد الرحمن بن أنعم الأفريقي، كان يروي الموضوعات عن الثقات، وقال الحافظ: حديث منكر. وانظر: المجروحين ٢/ ٥٠، ولسان الميزان ١/ ٣٤٩.

ماجه والطبراني من حديث سلمة بن عبيد الله بن محصن الخطمي عن أبيه رفعه بلفظ: «مَن أصبح منكم آمنًا في سِربه، معافًى في بدنه، عنده قوت يومه، فكأنَّما حيزت له الدنيا». وقد تقدم[1].

(وقال كعب الأحبار) رحمه الله تعالىٰ: **(قال الله تعالىٰ لموسىٰ** عليه السلام**: يا موسىٰ، إذا رأيتَ الفقر مقبلاً فقل: مرحبًا بشعار الصالحين)** وإذا رأيت الغِنىٰ مقبلاً فقل: ذنب عُجِّلت عقوبته. رواه أبو نعيم في الحلية[2] من قول كعب غير مرفوع بإسناد ضعيف، وقد تقدم.

(وقال عطاء الخُراساني) وهو[3] أبو عثمان عطاء بن أبي مسلم، واسم أبيه: ميسرة، وقيل: عبد الله، صدوق، مات سنة خمس وثلاثين [ومائة] روىٰ له مسلم والأربعة، ولم يصحَّ أن البخاري أخرج له **(مر نبيٌّ من الأنبياء بساحل)** أي ساحل البحر **(فإذا هو برجل يصطاد حيتانًا، فقال: بسم الله، وألقىٰ الشبكة)** في الماء **(فلم يخرج فيها حوت واحد، ثم مر بآخر، فقال: باسم الشيطان، وألقىٰ الشبكة)** في الماء **(فخرج فيها من الحيتان ما يكاد لا يتقايس[4] من كثرتها)** كذا في النسخ، ولفظ القوت: حتىٰ جعل الرجل يتقاعس من كثرتها **(فقال)** ذلك **(النبي** عليه السلام**: يا رب، ما هذا؟ وقد علمتُ أن كل هذا بيدك. فقال الله تعالىٰ للملائكة: اكشفوا العبديَّ عن منزلتيهما)** عندي. فكشفوا له عنهما **(فلما رأىٰ ما أعدَّ الله تعالىٰ لهذا من الكرامة ولذاك من الهوان قال: رضيتُ يا رب)**[5] نقله صاحب القوت.

(وقال نبيُّنا ﷺ**: اطَّلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء، واطَّلعت في النار**

---

(١) في كتاب ذم الغضب والحقد والحسد، وفي كتاب الصبر والشكر.

(٢) حلية الأولياء ٦/ ٥، ٣٧.

(٣) تقريب التهذيب ص ٦٧٩.

(٤) في الجميع: يتقاعس.

(٥) رواه ابن المبارك في الزهد والرقائق ص ٢٠٥.

فرأيت أكثر أهلها الأغنياء. وفي لفظ آخر: فقلت: أين الأغنياء؟ فقيل: حبسهم الجدُّ) قال العراقي: رواه أحمد[١] من حديث عبد الله بن عمرو بإسناد جيد. وللشيخين[٢] من حديث أسامة بن زيد: «قمت علىٰ باب الجنة فإذا عامَّة مَن دخلها المساكين، وإذا أصحاب الجد محبوسون».

قلت: وتمام حديث أسامة: «إلا أصحاب النار فقد أُمِر بهم إلىٰ النار، وقمت علىٰ باب النار فإذا عامة مَن يدخلها النساء». وهكذا رواه أيضًا أحمد[٣] والنسائي[٤] والحارث[٥] وأبو عوانة وابن حبان[٦] وأبو نعيم في المعرفة[٧] **(وفي حديث آخر: فرأيت أكثر أهل النار النساء)** رُوي ذلك من حديث أسامة وابن عباس وعمران بن الحصين والأضبط السلمي وابن عمرو. أما حديث أسامة فرواه الشيخان، وقد ذُكر قبل هذا. وحديث ابن عباس رواه الطيالسي[٨] وأحمد[٩] وهنَّاد[١٠] ومسلم[١١] والترمذي[١٢]، ولفظهم: «اطَّلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء، واطَّلعت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء». ورواه الطبراني[١٣] وزاد: «والمساكين». وحديث

---

(١) مسند أحمد ١١/ ١٨٢.

(٢) صحيح البخاري ٣/ ٣٨٨، ٤/ ٢٠٠. صحيح مسلم ٢/ ١٢٥٥.

(٣) مسند أحمد ٣٦/ ١١٦، ١٤٨.

(٤) السنن الكبرىٰ ٨/ ٣٠١، ١٠/ ٣٩٩.

(٥) عوالي الحارث ص ٥٢.

(٦) صحيح ابن حبان ٢/ ٤٥٠، ٤٦٧، ١٦/ ٤٩٤.

(٧) معرفة الصحابة ١/ ٢٢٥.

(٨) مسند الطيالسي ٤/ ٤٧٥.

(٩) مسند أحمد ٣/ ٥٠٦، ٥/ ٣٧٦.

(١٠) الزهد ١/ ١٧١، ٣٣٠.

(١١) صحيح مسلم ٢/ ١٢٥٥.

(١٢) سنن الترمذي ٤/ ٣٤٨.

(١٣) المعجم الكبير ١٢/ ١٦٢.

عمران رواه أحمد[١] والبخاري[٢] والترمذي[٣] باللفظ المذكور، ورواه الطبراني[٤] وزاد: «والضعفاء». وحديث الأضبط رواه ابن منده[٥] وأبو نعيم في المعرفة[٦] عن عبد الرحمن بن حارثة بن الأضبط عن جدِّه باللفظ المذكور. وحديث ابن عمرو رواه عبد الله بن أحمد في زوائد المسند بلفظ: «اطَّلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء، واطَّلعت في النار فرأيت أكثر أهلها الأغنياء والنساء» **(فقلت: ما شأنهن؟ فقال: شغلهنَّ الأحمران: الذهب والزعفران)** والحديث بهذه الزيادة قد تقدم في كتاب آداب النكاح.

(وقال ﷺ: تحفة المؤمن في الدنيا الفقر) قال العراقي[٧]: رواه محمد بن خفيف الشيرازي في «شرف الفقراء» والديلمي في مسند الفردوس[٨] من حديث معاذ بن جبل بسند لا بأس به. ورواه الديلمي[٩] أيضًا من حديث ابن عمر بسند ضعيف [جدًّا].

(وفي الخبر: آخر الأنبياء دخولاً الجنة سليمان بن داود عليهما السلام لمكان مُلكه، وآخر أصحابي دخولاً الجنة عبد الرحمن بن عوف لأجل غِناه) تقدم[١٠]،

---

(١) مسند أحمد ٣٣/ ٨٤، ١٥٣، ١٩١.

(٢) صحيح البخاري ٢/ ٤٣١، ٣/ ٣٨٨، ٤/ ١٨٢، ٢٠٠.

(٣) سنن الترمذي ٤/ ٣٤٨.

(٤) المعجم الكبير ١٨/ ١١١.

(٥) معرفة الصحابة ١/ ٢١٥ بالشطر الثاني فقط.

(٦) معرفة الصحابة ١/ ٣٥٩ بالشطر الثاني فقط.

(٧) المغني ٢/ ١٠٨٥.

(٨) الفردوس بمأثور الخطاب ٢/ ٧٠.

(٩) السابق ٢/ ٧١ بلفظ: «تحفة المؤمن ثلاث: الفقر والمرض والموت، فمن أحب الله أحبه الله وكافأه الجنة».

(١٠) في كتاب الصبر والشكر، وليس في سياق الطبراني في الأوسط ٤/ ٢٥١ ذكر عبد الرحمن بن عوف، ولفظه: «الأنبياء كلهم يدخلون الجنة قبل داود وسليمان بألفي عام، وإن فقراء =

وقال العراقي[١]: هو في الأوسط للطبراني بإسنادٍ فرد، وفيه نكارة.

(**وفي حديث آخر: رأيته**) يعني عبد الرحمن بن عوف (**دخل الجنة زحفًا**) رواه أحمد والطبراني من حديث عائشة بلفظ: حبوًا، بدل: زحفًا، ورواه أبو نعيم عن الطبراني، وقد تقدم[٢]. ورواه الفِرْيابي من طريق عطاء بن أبي رباح عن إبراهيم ابن عبد الرحمن بن عوف عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال له: «يا ابن عوف، إنك من الأغنياء، ولن تدخل الجنة إلا زحفًا ...» الحديث، وقد تقدم، ورواه أحمد من طريقه.

(**وقال المسيح** عليه السلام) وقد قال له رجل: احملْني معك في سياحتك. فقال: أخرِجْ مالك والحقْني. قال: لا أستطيع. فقال عليه السلام: (**بشدة يدخل الغني الجنة**)[٣] أو قال: بعُجْب. كذا في القوت.

(**وفي خبر آخر عن آل البيت عليهم السلام أنه ﷺ قال: إذا أحب الله عبدًا ابتلاه، فإذا أحبه الحب البالغ اقتناه. قيل: وما اقتناه؟ قال: لم يترك له أهلاً ولا مالاً**) قال العراقي[٤]: رواه الطبراني[٥] من حديث أبي عنبة الخولاني.

قلت: لفظ الطبراني في الكبير وفي الأوسط: «لا يترك له مالاً ولا ولدًا». ورواه

= المسلمين يدخلون الجنة قبل أغنيائهم بأربعين عاما». قال الطبراني: «لم يروِ هذا الحديث عن الزهري إلا شعيب، ولا رواه عن شعيب إلا عمرو، ولا رواه عن عمرو إلا هارون، ولا يروىٰ عن رسول الله ﷺ إلا بهذا الإسناد».

(١) المغني ٢/ ١٠٨٥.

(٢) في كتاب ذم البخل.

(٣) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه ١٢/ ٩ وأبو نعيم في حلية الأولياء ٤/ ١١٩ عن خيثمة بن عبد الرحمن قال: قال عيسىٰ عليه السلام لرجل من أصحابه، وكان غنيا: تصدق بمالك. فكره ذلك، فقال عيسىٰ عليه السلام: ما يدخل الغني الجنة.

(٤) المغني ٢/ ١٠٨٥.

(٥) وكذلك الدولابي في الكنىٰ والأسماء ص ١٣٦، وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني ٤/ ٤٤٥.

أبو نعيم في الحلية[١] والديلمي من طريقه من حديث ابن مسعود: «إذا أحب الله عبدًا اقتناه لنفسه ولم يشغله بزوجة ولا ولد». وسياق المصنف مُشعِر بأنه من رواية جعفر بن محمد بن علي عن أبيه عن جده عن أبيه عن النبي ﷺ، وهكذا هو في «نهج البلاغة» للشريف الموسوي.

(وفي الخبر: إذا رأيت الفقر مقبلاً فقلْ: مرحبًا بشعار الصالحين، وإذا رأيتَ الغِنىٰ مقبلاً فقلْ: ذنب عُجِّلت عقوبته) قال العراقي[٢]: رواه الديلمي في مسند الفردوس[٣] من رواية مكحول عن أبي الدرداء - ولم يسمع منه - قال: قال رسول الله ﷺ: «أوحىٰ الله إلىٰ موسىٰ عليه السلام: يا موسىٰ ...» فذكره بزيادة في أوله. ورواه أبو نعيم في الحلية من قول كعب الأحبار غير مرفوع بإسناد ضعيف.

قلت: قول كعب قد تقدم للمصنف قريبًا. وأما المرفوع من حديث أبي الدرداء فقد رواه الديلمي بلفظ: «أوحىٰ الله إلىٰ موسىٰ بن عمران: يا موسىٰ، ارْضَ بكِسرة خبز [من شعير] تسدُّ بها جوعتك، وخرقة تواري بها عورتك، واصبر علىٰ المصيبات، وإذا رأيتَ الدنيا مقبلةً فقلْ: إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون [عقوبة عُجِّلت في الدنيا] وإذا رأيت الدنيا مدبرة والفقر مقبلاً فقلْ: مرحبًا بشعار الصالحين»[٤]. ورواه كذلك أبو عثمان الصابوني في المائتين، وقد تقدم أيضًا.

(وقال موسىٰ عليه السلام: يا رب، مَن أحِبَّاؤك من خلقك حتىٰ أحبهم لأجلك؟ قال: كل فقير فقير) نقله صاحب القوت **(فيمكن أن يكون الثاني للتوكيد، ويمكن أن يُراد به الشديد الضر)** فإن الفقير في اللغة: مَن يشكو فقارَ ظهره. وروىٰ الدارقطني

---

(١) حلية الأولياء ١/ ٢٥ موقوفا.

(٢) المغني ٢/ ١٠٨٦.

(٣) الحديث في الفردوس بمأثور الخطاب ٣/ ١٧٥ عن أبي سعيد الخدري.

(٤) كنز العمال ٦/ ٤٨٤.

في الأفراد وابن عساكر[١] من حديث عمر: «قال موسىٰ: يا رب، وددت أني أعلم مَن تحب من عبادك فأحبه. قال: إذا رأيتَ عبدي يُكثِر ذِكري فأنا أذنتُ له في ذلك [فأحبه] وإذا رأيت عبدي لا يذكرني فأنا حجبته عن ذلك وأنا أبغضه».

(**وقال المسيح** عليه السلام: **إني لأحب المسكنة وأبغض النعماء**) ولفظ القوت: الغنىٰ، وإن في المال داء كثيرًا[٢]. قيل: (**وكان أحب الأسامي إليه أن يقال له: يا مسكين**) نقله صاحب القوت.

(**ولمَّا قالت سادات العرب وأغنياؤهم للنبي** ﷺ: **اجعلْ لنا يومًا ولهم يومًا يجيئون إليك ولا نجيء ونجيء إليك ولا يجيئون. يعنون بذلك الفقراء**) من الصحابة (**مثل بلال وسلمان وصهيب وأبي ذر وخبَّاب بن الأرتِّ وعمار بن ياسر وأبي هريرة وأصحاب الصُّفَّة من الفقراء** رضي الله عنهم **أجمعين، فأجابهم النبي** ﷺ **إلىٰ ذلك، وذلك لأنهم شكوا إليه التأذِّي برائحتهم، وكان لباس القوم الصوف في شدة الحر، فإذا عرقوا فاحت الروائح من ثيابهم، فاشتد ذلك علىٰ الأغنياء، منهم الأقرع بن حابس التميمي وعُيَينة بن حصن**) بن بدر (**الفزاري وعباس بن مِرْداس السلمي وغيرهم، فأجابهم رسول الله** ﷺ **أن لا يجمعهم وإيَّاهم مجلسٌ واحد، فنزل عليه قوله تعالىٰ:** ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾ **يعني الفقراء** ﴿تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ **يعني الأغنياء** ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا﴾ **يعني الأغنياء** ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ﴾) مع الفقراء (﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ **الآية**) [الكهف: ٢٨ - ٢٩] قال العراقي[٣]: تقدم من حديث خبَّاب، وليس فيه أنه كان لباسهم الصوف وتفوح ريحهم إذا عرقوا، وهذه الزيادة من حديث سلمان.

---

(١) تاريخ دمشق ٦١/ ١٤٧.

(٢) تمام الخبر في القوت: «قيل: يا روح الله، وإن كان يكتسبه من حلال؟ قال: يشغله كسبه عن ذكر الله تعالىٰ». وقد تقدم في كتاب ذم الجاه والرياء.

(٣) المغني ٢/ ١٠٨٦.

قلت: أما حديث سلمان فرواه الحسن بن سفيان في مسنده ومن طريقه أبو نعيم في الحلية[(١)] من طريق مَسلمة بن عبد الله عن عمه عن سلمان قال: جاءت المؤلَّفة قلوبهم إلىٰ رسول الله ﷺ عيينة بن حصن والأقرع بن حابس وذووهم فقالوا: يا رسول الله، إنك لو جلست في صدر المجلس ونحَّيت عنا هؤلاء وأرواح جِبابهم - يعنون أبا ذر وسلمان وفقراء المسلمين، وكان عليهم جِباب الصوف، لم يكن عليهم غيرها - جلسنا إليك وحادثناك وأخذنا عنك. فأنزل الله: ﴿وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ﴾ إلىٰ قوله: ﴿أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾ [الكهف: ٢٧ - ٢٩] يتهدَّدهم بالنار، فقام نبي الله ﷺ يلتمسهم حتىٰ أصابهم في مؤخر المسجد يذكرون الله، فقال: الحمد لله الذي لم يمتني حتىٰ أمرني أن أصبر نفسي مع قوم من أمَّتي، معكم المحيا ومعكم الممات».

وأما حديث خبَّاب فرواه أبو بكر ابن أبي شيبة[(٢)] ومن طريقه أبو نعيم في الحلية[(٣)] من طريق أبي الكنود عن خبَّاب قال: جاء الأقرع بن حابس التميمي وعيينة بن حصن الفزاري، فوجدا النبيَّ ﷺ قاعدًا مع بلال وعمار وصهيب وخباب في أناس من الضعفاء من المؤمنين، فلما رأوهم حقَّروهم، فخلوا به فقالوا: إنَّا نحب أن تجعل لنا منك مجلسًا تعرف لنا به العرب فضلنا، فإنَّ وفود العرب تأتيك، فنستحي أن ترانا العرب قعودًا مع هؤلاء الأعبُد، فإذا نحن جئناك فأقِمْهم عنا، فإذا نحن فرغنا فأقعدْهم إن شئتَ. قال: «نعم». قالوا: فاكتب لنا عليك كتابًا. فدعا بالصحيفة ليكتب لهم، ودعا عليًّا ليكتب، فلما أراد ذلك - ونحن قعود في ناحية - إذ نزل جبريل عليه السلام فقال: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ﴾ إلىٰ قوله: ﴿مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٢﴾﴾ [الأنعام: ٥٢] ثم ذكر الأقرع وصاحبه فقال: ﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم

(١) حلية الأولياء ١/ ٣٤٥.

(٢) مسند ابن أبي شيبة ١/ ٣١٨ (ط - دار الوطن).

(٣) حلية الأولياء ١/ ٣٤٤.

بِبَعْضٍ﴾ إلىٰ ﴿ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾﴾ [الأنعام: ٥٣] ثم قال: ﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ﴾ الآية [الأنعام: ٥٤] فرمىٰ رسول الله ﷺ بالصحيفة ودعانا، فأتيناه وهو يقول: «سلام عليكم»، فدنونا منه حتىٰ وضعنا رُكَبنا علىٰ ركبته ... الحديث. وقد رواه كذلك ابن ماجه[١] وأبو يعلىٰ وابن جرير[٢] وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني[٣] وأبو الشيخ وابن مردويه والبيهقي في الدلائل[٤].

(واستأذن) عبد الله **(ابن أم مكتوم)** الأعمىٰ رضي الله عنه **(علىٰ النبي ﷺ)** يومًا **(وعنده رجل من أشراف قريش، فشقَّ ذلك علىٰ النبي ﷺ، فأنزل الله تعالىٰ:** ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١﴾ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ﴿٣﴾ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ ﴿٤﴾﴾ **يعني ابن أم مكتوم** ﴿أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ ﴿٥﴾ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ﴿٦﴾﴾ [عبس: ١ - ٦] **يعني هذا الشريف)**

قال العراقي[٥]: رواه الترمذي[٦] من حديث عائشة وقال: غريب. قلت: ورجاله رجال الصحيح.

قلت: ورواه كذلك ابن المنذر وابن حبَّان[٧] والحاكم[٨] وصحَّحه وابن مردويه، ولفظهم: قالت عائشة: أُنزِلت «عبس وتولىٰ» في ابن أم مكتوم الأعمىٰ، أتىٰ رسولَ الله ﷺ فجعل يقول: يا رسول الله، أرشِدْني. وعند رسول الله ﷺ رجل من عظماء المشركين، فجعل رسول الله ﷺ يُعرِض عنه ويُقبِل علىٰ الآخر ويقول: «أترىٰ بما أقول بأسًا»؟ فيقول: لا. ففي هذا أُنزِلت.

---

(١) سنن ابن ماجه ٥/ ٥٦٧ - ٥٦٨.

(٢) جامع البيان ٩/ ٢٥٩ - ٢٦١.

(٣) المعجم الكبير ٤/ ٧٦.

(٤) دلائل النبوة ١/ ٣٥٢ - ٣٥٣ مختصرا.

(٥) المغني ٢/ ١٠٨٦.

(٦) سنن الترمذي ٥/ ٣٥٧.

(٧) صحيح ابن حبان ٢/ ٢٩٤.

(٨) المستدرك علىٰ الصحيحين ٢/ ٦٠٤.

والمراد بذلك الشريفِ أميَّةُ بن خلف، كما وقع التصريح به عند سعيد بن منصور[١] عن أبي مالك.

(وعن النبي ﷺ أنه قال: يؤتَىٰ بالعبد يوم القيامة، فيعتذر الله إليه كما يعتذر الرجل للرجل في الدنيا، فيقول: وعزَّتي وجلالي، ما زويتُ الدنيا عنك لهوانك عليَّ ولكن لِما أعددتُ لك من الكرامة والفضيلة، اخرجْ يا عبدي إلىٰ هذه الصفوف، فمَن أطعمك فيَّ أو كساك فيَّ يريد بذلك وجهي فخذ بيده فهو لك. والناس يومئذٍ قد ألجمهم العَرقُ، فيتخلَّل الصفوفَ وينظر مَن فعل ذلك به فيأخذ بيده ويدخله الجنةَ) قال العراقي[٢]: رواه أبو الشيخ في كتاب «الثواب» من حديث أنس بسند ضعيف: «يقول الله عَزَّوَجَلَّ يوم القيامة: ادْنُوا مني أحبَّائي. فتقول الملائكة: ومَن أحِبَّاؤك؟ فيقول: فقراء المسلمين. فيدنون منه، فيقول: أما إني لم أزوِ الدنيا عنكم لهوانٍ كان بكم عليَّ، ولكن أردت بذلك أن أضعِّف لكم كرامتي اليوم، فتمنَّوا عليَّ ما شئتم اليوم ...» الحديث دون آخر الحديث[٣]، وأما أول الحديث فرواه أبو نعيم في الحلية، وسيأتي في الحديث الذي بعده.

قلت: وتمام حديث أنس عند أبي الشيخ: «فيؤمَر بهم إلىٰ الجنة قبل الأغنياء بأربعين خريفًا».

(وقال ﷺ: أكثِروا معرفة الفقراء، واتخِذوا عندهم الأيادي، فإنَّ لهم دولة. قالوا: يا رسول الله، وما دولتهم؟ قال: إذا كان يوم القيامة قيل لهم: انظروا مَن أطعمكم كِسرة أو سقاكم شربة أو كساكم ثوبًا فخذوا بيده ثم امضوا به إلىٰ الجنة)

---

(١) تفسير سعيد بن منصور ٨/ ٢٥٩.

(٢) المغني ٢/ ١٠٨٧.

(٣) أورده الديلمي في الفردوس بمأثور الخطاب ٥/ ٢٣٧ حتىٰ قوله (فيدنون منه) ولم يذكر ما بعده. أما السياق الذي ذكره الغزالي فقد أورده السمرقندي في تنبيه الغافلين ص ١٨٠ عن الحسن البصري مرسلا.

قال العراقي[1]: رواه أبو نعيم من حديث الحسين بن علي بسند ضعيف: «اتخِذوا عند الفقراء أيادي، فإنَّ لهم دولة يوم القيامة، فإذا كان يوم القيامة نادىٰ منادٍ: سيروا إلىٰ الفقراء، فيعتذر إليهم كما يعتذر أحدكم إلىٰ أخيه في الدنيا».

وفي المقاصد[2] للحافظ السخاوي: رواه أبو نعيم في ترجمة وهب بن منبه من الحلية، كما عزاه الديلمي ثم العراقي في تخريج الإحياء عن الحسين بن علي، ولم أرَه في النسخة التي عندي، وقال شيخنا[3]: إنه لا أصل له. نعم، في الحلية[4] من حديث إبراهيم بن فارس عن وهب من قوله: اتخِذوا اليدَ عند المساكين، فإنَّ لهم يوم القيامة دولة. وفي «قضاء الحوائج»[5] لأُبَيٍّ النَّرْسي بسند فيه مجاهيل عن أبي عبد الرحمن السُّلمي التابعي رفعه مرسلاً: «اتخِذوا عند الفقراء أيادي، فإنَّ لهم دولة». قيل: يا رسول الله، وما دولتهم؟ قال: «ينادي منادٍ يوم القيامة: يا معشر الفقراء، قوموا. فلا يبقىٰ فقير إلا قام، حتىٰ إذا اجتمعوا قيل: ادخلوا في صفوف أهل القيامة، فمَن صنع إليكم معروفًا فأورِدوه الجنةَ. قال: فجعل يجتمع علىٰ الرجل كذا وكذا من الناس، فيقول له الرجل [منهم]: ألم أكسك؟ فيصدِّقه، فيقول له الآخَر: يا فلان، ألم أكلِّم لك؟ قال: ولا يزالون يخبرونه بما صنعوا إليه، وهو يصدِّقهم بما صنعوا إليه، حتىٰ يذهب بهم جميعًا فيدخلهم الجنة، فيقول قوم لم يكونوا يصنعون المعروف: يا ليتنا كنا نصنع المعروف حتىٰ ندخل الجنة». وبسند واهٍ عن ميمون بن مهران عن ابن عباس رفعه: «إن للمساكين دولة». قيل: يا رسول الله، وما دولتهم؟ قال: «إذا كان يوم القيامة قيل لهم: انظروا مَن أطعمكم في الله تعالىٰ لقمة أو كساكم ثوبًا أو سقاكم شربة [ماء] فأدخِلوه الجنة»[6].

---

(١) المغني ٢/ ١٠٨٧.

(٢) المقاصد الحسنة ص ١٦.

(٣) في لسان الميزان لابن حجر ٨/ ٢١٧ عن حديث ابن عباس الآتي: «موضوع».

(٤) حلية الأولياء ٤/ ٧١.

(٥) ثواب قضاء حوائج الإخوان ص ٧٧ (ط - دار البشائر الإسلامية).

(٦) بعده في المقاصد: «وكل هذا باطل، كما بينته في بعض الأجوبة، وسبق الذهبي وابن تيمية وغيرهما إلىٰ الحكم بذلك».

قلت: حديث ابن عباس هذا رواه ابن عدي في الكامل[١] - وقال: منكر - وابن عساكر في التاريخ[٢] من طريق ميمون بن مهران.

وروىٰ ابن أبي الدنيا في قضاء الحوائج[٣] والخطيب[٤] من حديث أنس: «إذا كان يوم القيامة جمع الله أهل الجنة [صفوفًا] وأهل النار صفوفًا، فينظر الرجل من صفوف أهل النار إلىٰ الرجل من صفوف أهل الجنة فيقول: يا فلان، أما تذكر يوم اصطنعت إليك في الدنيا معروفًا؟ فيأخذ بيده فيقول: اللهم إن هذا اصطنع إليَّ في الدنيا معروفًا. فيقال له: خذ بيده فأدخِلْه الجنة برحمة الله».

(وقال ﷺ: دخلت الجنة، فسمعت حركة أمامي، فنظرت فإذا بلال، ونظرت في أعلاها فإذا فقراء أمَّتي وأولادهم، ونظرت في أسفلها فإذا فيهم من الأغنياء والنساء قليل، قلت: يا رب، ما شأنهم؟ قال: أما النساء فأضرَّهم الأحمران: الذهب والحرير) وفي لفظ: الزعفران، بدل: الحرير **(وأما الأغنياء فاشتغلوا بطول الحساب. وتفقَّدت أصحابي فلم أرَ عبد الرحمن بن عوف، ثم جاءني بعد ذلك وهو يبكي، فقلت: ما خلَّفك عني؟ قال: يا رسول الله)** أما **(واللهِ ما وصلتُ إليك حتىٰ لقيتُ المشيِّبات)** أي الأمور التي تشيِّب من شدتها **(وظننت أني لا أراك. فقلت: ولِمَ؟ قال: كنت أحاسب بمالي)** قال العراقي[٥]: رواه الطبراني[٦] من حديث أبي أُمامة بسند ضعيف نحوه، وقصة بلال في الصحيح[٧] من طريق آخر.

---

(١) الكامل في الضعفاء ٦/ ٢٣٤٦.

(٢) تاريخ دمشق ١٤/ ٩٩.

(٣) قضاء الحوائج ص ٢٨.

(٤) تاريخ بغداد ٥/ ٥٤٥.

(٥) المغني ٢/ ١٠٨٧.

(٦) المعجم الكبير ٨/ ٢٨١.

(٧) صحيح البخاري ١/ ٣٥٧، صحيح مسلم ٢/ ١١٤٩ من حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال لبلال عند صلاة الغداة: «يا بلال، حدثني بأرجىٰ عمل عملته عندك في الإسلام منفعة، فإني =

قلت: لفظ الطبراني[١]: «دخلت الجنة، فسمعت خَشَفة بين يدي، قلت: ما هذه الخشفة؟ فقيل: هذا بلال يمشي أمامك». ورواه كذلك ابن عدي[٢] وابن عساكر[٣]. وفي رواية لابن عساكر[٤]: «دخلت الجنة، فرأيت خشخشة أمامي، فقلت: مَن هذا؟ قال: أنا بلال: قلت: بِمَ سبقتني إلىٰ الجنة؟ قال: ما أحدثتُ إلا توضأت، وما توضأت إلا رأيت أن لله عليَّ ركعتين». وقد رواه الروياني[٥] كذلك.

وقد رُوي ذلك من حديث جابر وابن عباس وسهل بن سعد. أما حديث جابر فلفظه: «دخلت الجنة، فسمعت خشفة بين يدي، قلت: ما هذه الخشفة؟ فقيل: هذا بلال». فقلت: طوبىٰ لبلال، طوبىٰ لبلال». رواه الطيالسي[٦] وأبو نعيم في الحلية[٧] وابن عساكر[٨].

وأما حديث ابن عباس فلفظه: «دخلت الجنة ليلة أُسري بي، فسمعت في جانبها وَجْسًا، فقلت: يا جبريل، ما هذا؟ قال: هذا بلال المؤذِّن». رواه أحمد[٩] وأبو يعلىٰ وابن عساكر[١٠].

= سمعت الليلة خشف نعليك بين يدي في الجنة». قال بلال: ما عملت عملا في الإسلام أرجىٰ عندي منفعة من أني لا أتطهر طهورا تاما في ساعة من ليل ولا نهار إلا صليت بذلك الطهور ما كتب الله لي أن أصلي.

(١) المعجم الكبير ٨/ ٢٣٥. المعجم الأوسط ٦/ ١٨٨.

(٢) الكامل في الضعفاء ٧/ ٢٦٧٠.

(٣) تاريخ دمشق ٣٥/ ٢٦٥ مطولا بلفظ قريب من اللفظ الذي أورده الغزالي.

(٤) السابق ١٠/ ٤٥٤ - ٤٥٧ من حديث بريدة بن الحصيب.

(٥) مسند الروياني ٢/ ٢٧٧ من حديث أبي أمامة.

(٦) مسند الطيالسي ٣/ ٢٨٦ - ٢٨٧.

(٧) حلية الأولياء ١/ ١٥٠.

(٨) تاريخ دمشق ٤٤/ ١٥١. والحديث رواه البخاري في صحيحه ٣/ ١٤، ومسلم في صحيحه ٢/ ١١٤٨. ولم أقف علىٰ قوله (طوبىٰ لبلال) في مصادر الحديث.

(٩) مسند أحمد ٤/ ١٦٦.

(١٠) تاريخ دمشق ١٠/ ٤٥٧.

وأما حديث سهل بن سعد فلفظه: «دخلت الجنة، فإذا حسٌّ، فنظرت فإذا هو بلال». رواه أحمد والطبراني[١] وابن عساكر.

وروىٰ صاحب الحلية[٢] من طريق إسماعيل بن أبي خالد عن عبد الله بن أبي أوفىٰ أن رسول الله ﷺ قال لعبد الرحمن بن عوف: «ما أبطأ بك عني»؟ فقال: ما زلت بعدك أحاسَب، وإنما ذلك لكثرة مالي، فقال: هذه مائة راحلة جاءتني من مصر، وهي صدقة علىٰ أرامل أهل المدينة.

(فانظر إلىٰ هذا، وعبد الرحمن) بن عوف رضي الله عنه **(صاحب السابقة العظيمة)** فإنه هاجر الهجرتين وشهد بدرًا وأُحُدًا والمشاهد كلَّها **(مع رسول الله ﷺ، وهو من العشرة المخصوصين بأنهم من أهل الجنة)** رواه أصحاب السنن الأربعة[٣] من حديث سعيد بن زيد، قال الترمذي: حسن صحيح. ولفظهم: «أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعلي في الجنة، وطلحة في الجنة، والزبير في الجنة، وعبد الرحمن بن عوف في الجنة، وسعد بن أبي وقاص في الجنة، وسعيد بن زيد في الجنة، وأبو عبيدة بن الجرَّاح في الجنة». وقد رواه كذلك ابن أبي شيبة[٤] وأحمد[٥] وابن منيع وابن أبي عاصم[٦] وأبو نعيم في الحلية[٧] والضياء[٨].

---

(١) المعجم الكبير ٦/ ١٣١.

(٢) حلية الأولياء ١/ ٩٩.

(٣) سنن أبي داود ٥/ ٢٠٥. سنن الترمذي ٦/ ١٠١، ١٠٦. سنن ابن ماجه ١/ ١٤٤ - ١٤٦. السنن الكبرىٰ للنسائي ٧/ ٣١٣، ٣٢٧، ٣٢٨، ٣٣١، ٣٣٢، ٣٣٣، ٣٣٤، ٣٣٦.

(٤) مصنف ابن أبي شيبة ١٠/ ٤٥١، ٤٥٣.

(٥) مسند أحمد ٣/ ١٧٤، ١٧٧، ١٨١.

(٦) السنة ٢/ ٦١٩ - ٦٢٠.

(٧) حلية الأولياء ١/ ٩٥، ٥/ ٢٥.

(٨) الأحاديث المختارة ٣/ ٢٨٢ - ٢٨٥، ٢٨٩ - ٢٩٠.

ورواه أيضًا أحمد[١] والترمذي[٢] وأبو نعيم في المعرفة[٣] وابن عساكر[٤] من طريق عبد الرحمن بن حميد بن عبد الرحمن بن عوف عن أبيه عن جده.

(وهو من الأغنياء الذين قال فيهم رسول الله ﷺ: إلا مَن قال بالمال هكذا وهكذا) متفق عليه من حديث أبي ذر في أثناء حديثٍ تقدم[٥].

(ومع هذا فقد استضرَّ بالغِنىٰ إلىٰ هذا الحد.

ودخل رسول الله ﷺ علىٰ رجل فقير فلم يرَ له شيئًا، فقال: لو قُسم نور هذا علىٰ أهل الأرض لوسعَهم) قال العراقي[٦]: لم أجده.

(وقال ﷺ: ألا أخبركم بملوك أهل الجنة؟ قالوا: بلىٰ يا رسول الله. قال: كل ضعيف مستضعَف أغبر أشعث ذي طمرين لا يؤبَه له لو أقسم علىٰ الله لأبرَّه) قال العراقي[٧]: متفق عليه[٨] من حديث حارثة بن وهب مختصرًا، ولم يقولا: ملوك. وقد تقدم. ولابن ماجه[٩] بسند جيد من حديث معاذ: «ألا أخبركم عن ملوك الجنة ...» الحديث، دون قوله «أغبر أشعث».

(وقال عمران بن الحصين) رضي الله عنه: **(كانت لي من رسول الله ﷺ منزلة وجاه، فقال: يا عمران، إنَّ لك عندنا منزلة وجاهًا، فهل لك في عيادة فاطمة بنت رسول الله**

---

(١) مسند أحمد ٣/ ٢٠٩.

(٢) سنن الترمذي ٦/ ١٠٠.

(٣) معرفة الصحابة ١/ ٢٠.

(٤) تاريخ دمشق ٢١/ ٧٨، ٢٥/ ٤٦٦.

(٥) في أول كتاب ذم البخل.

(٦) المغني ٢/ ١٠٨٨.

(٧) السابق ٢/ ١٠٨٨.

(٨) صحيح البخاري ٣/ ٣١٥، ٤/ ١٠٤، ٢٢٠. صحيح مسلم ٢/ ١٣٠٧.

(٩) سنن ابن ماجه ٥/ ٥٦٠.

ﷺ؟ قلت: نعم بأبي أنت وأمي. فقام وقمت معه حتىٰ وقف بباب فاطمة، فقرع الباب وقال: السلام عليكم، أأدخل؟ قالت: ادخلْ) بأبي أنت وأمي (يا رسول الله. قال: أنا ومَن معي؟ قالت: ومَن معك يا رسول الله؟ قال: عمران. قالت فاطمة: والذي بعثك بالحق نبيًّا، ما عليَّ إلا عباءة. قال: اصنعي بها هكذا وهكذا. وأشار بيده، قالت: هذا جسدي قد واريتُه فكيف برأسي؟ فألقىٰ إليها ملاءة كانت عليه خلقة فقال: شُدِّي بها علىٰ رأسكِ. ثم أذنتْ له، فدخل فقال: السلام عليكم يا ابنتاه، كيف أصبحتِ؟ قالت: أصبحتُ واللهِ وجعة، وزادني وجعًا علىٰ ما بي أني لست أقدر علىٰ طعام آكله، فقد أضرَّ بي الجوعُ. فبكىٰ رسول الله ﷺ وقال: لا تجزعي يا ابنتاه، فواللهِ ما ذقتُ طعامًا منذ ثلاث، وإني لأكرمُ علىٰ الله منكِ، ولو سألت ربي لأطعمني، ولكني آثرت الآخرة علىٰ الدنيا. ثم ضرب بيده علىٰ منكبها وقال لها: أبشري، فواللهِ إنكِ لَسيدةُ نساء أهل الجنة. قالت: فأين آسية امرأة فرعون ومريم ابنة عمران؟ قال: آسية سيدة نساء عالَمها، ومريم سيدة نساء عالَمها) وخديجة سيدة نساء عالَمها (وأنت سيدة نساء عالَمكِ، إنكنَّ في بيوت من قصب، لا أذىٰ فيها ولا صخب ولا نَصَب. ثم قال لها: اقنعي بابن عمِّك، فواللهِ لقد زوَّجتُكِ سيدًا في الدنيا، سيدًا في الآخرة) تقدم هذا بعينه في آخر كتاب ذم البخل وحب المال، وذكر العراقي هناك أنه رواه أحمد من حديث معقل بن يسار، ولم يُروَ من حديث عمران بن حصين[1].

(ورُوي عن علي كرَّم الله وجهه أن رسول الله ﷺ قال: إذا أبغض الناس فقراءهم وأظهروا عمارة الدنيا وتكالبوا علىٰ جمع الدراهم رماهم الله بأربع خصال: بالقحط من الزمان، والجور من السلطان، والخيانة من ولاة الأحكام، والشوكة من الأعداء) قال العراقي[2]: رواه الديلمي بإسناد فيه جهالة، وهو منكر.

---

(١) بل رواه بتمامه عن عمران بن حصين؛ الآجري في الشريعة ٥/ ٢١١٧، والآجري من مصادر الغزالي التي عليها يعتمد.

(٢) المغني ٢/ ١٠٨٨.

قلت: ورواه أيضًا الحاكم[١] - وصحَّحه، وتُعُقِّب - بلفظ: «إذا أبغض المسلمون علماءهم وأظهروا عمارة أسواقهم وتناكحوا علىٰ جمع الدراهم ...» الحديث، وفيه: «والصولة من العدوِّ».

(**وأما الآثار، فقد قال أبو الدرداء** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) كذا في النسخ، والصواب: أبو ذر (**ذو الدرهمين أشد حبسًا - أو قال: أشد حسابًا - من ذي الدرهم**) الواحد. رواه أحمد في الزهد[٢] عن يحيىٰ بن سعيد [عن سفيان] حدثني سليمان، عن إبراهيم التيمي، عن أبيه، عن أبي ذر قال: ذو الدرهمين أشد حسابًا من ذي الدرهم.

(**وأرسل عمر** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **إلىٰ سعيد بن عامر**) بن جِذْيَم الجُمَحي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (**بألف دينار**) وفي رواية: بأربعمائة دينار (**فجاء حزينًا كئيبًا، فقالت امرأته**): ما شأنك؟ مات أمير المؤمنين؟ قال: أعظم من ذلك. قالت: (**أحدث**) في الإسلام (**أمرٌ؟ قال: أشد من ذلك**) قالت: فما هو؟ قال: أتتني الدنيا، قد كنت مع رسول الله ﷺ فلم تُفتَح الدنيا عليَّ، وخُلِّفت في أيام أبي بكر فلم تُفتَح عليَّ، وخُلِّفت في أيام عمر، ألا وأشد أيامي أيام عمر (**ثم**) حدَّثها، فقالت: نفسي فداؤك، فاصنع بها ما بدا لك. قال: أتساعديني علىٰ ما أريد؟ قالت: نعم (**قال: أريني درعكِ الخَلِق. فشقَّه وجعله صُرَرًا وفرَّقه**) علىٰ جيش من المسلمين خرجوا يريدون الغزو، ولم يترك لأهله منها دينارًا، فقالت له امرأته: لو حبستَ منها ما تستعين به. فقال لها: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لو أن امرأة من أهل الجنة أشرفت إلىٰ الأرض ...» الحديث، وفيه: واللهِ ما كنت لأختاركِ عليهن. فسكتت. رواه مالك بن دينار عن شهر بن حوشب، قال فيه: (**ثم قام يصلي ويبكي إلىٰ الغداة، ثم قال: سمعت رسول الله** ﷺ

---

(١) المستدرك علىٰ الصحيحين ٤/ ٤٧٠، وقال: «هذا حديث صحيح إن كان عبد الله بن أبي مليكة سمع من أمير المؤمنين علي عَلَيْهِ السَّلَامُ». وتعقبه الذهبي في التلخيص بقوله: «بل منكر منقطع، ومحمد بن عبد ربه لا يعرف».

(٢) الزهد ص ١٢١.

يقول: يدخل فقراء المسلمين الجنة قبل الأغنياء بخمسمائة عام، حتىٰ إن الرجل من الأغنياء يدخل في غمارهم فيؤخَذ بيده ويُخرَج) قال العراقي[١]: روىٰ أحمد[٢] القصة الموقوفة دون المرفوع فرواه الطبراني[٣] دون القصة إلا أنه قال: بسبعين عامًا. وفي إسناده يزيد بن أبي زياد، تُكُلِّم فيه. وفي رواية له: بأربعين سنة. وأما دخولهم قبلهم بخمسمائة عام فهو عند الترمذي من حديث أبي هريرة، وصحَّحه، وتقدم قريبًا.

قلت لفظ الطبراني: حدثنا علي بن عبد العزيز، حدثنا أبو غسَّان مالك بن إسماعيل، حدثنا مسعود بن سعد، حدثنا يزيد بن أبي زياد، عن عبد الرحمن ابن سابط الجُمَحي قال: دعا عمر بن الخطاب رجلاً من بني جُمَح يقال له سعيد بن عامر بن حذيم فقال له: إني مستعملك علىٰ أرض كذا وكذا ... فساق الحديث، وفيه: وما أنا بمتخلِّف عن العنق الأول بعد أن سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يجمع الله الناس للحساب، فيجيء فقراء المؤمنين يزفون كما يزف الحمام، فيقال لهم: قِفوا عند الحساب. فيقولون: ما عندنا حساب، ولا آتيتمونا شيئًا. فيقول ربُّهم: صدق عبادي. فيُفتَح لهم باب الجنة، فيدخلونها قبل الناس بسبعين عامًا». ورواه أبو نعيم في الحلية[٤] من طريق جرير، حدثنا يزيد بن أبي زياد، ورواه من طريق أبي معاوية عن موسىٰ الصغير عن عبد الرحمن بن سابط، وفيه: فبلغ عمر أنه يمر به كذا وكذا لا يدخن في بيته، فأرسل إليه عمر بمال، فأخذه فصرَّه صُرَرًا فتصدَّق به يمينًا وشمالاً ... الحديث. ورواه أبو نعيم أيضًا من طريق خالد بن معدان قال: استعمل علينا عمر بن الخطاب بحِمْص سعيد ابن عامر بن حذيم الجُمَحي ... فساق الحديث، وفيه: فبعث إليه عمر بألف دينار وقال: استعِنْ بها علىٰ أمرك.

---

(١) المغني ٢/ ١٠٨٩.

(٢) الزهد ص ١٥٢.

(٣) المعجم الكبير ٦/ ٥٨ - ٥٩.

(٤) حلية الأولياء ١/ ٢٤٥ - ٢٤٧.

فقالت امرأته: الحمد لله الذي أغنانا عن خدمتك. فقال لها: فهل لكِ في خير من ذلك؟ ندفعها إلىٰ مَن يأتينا بها أحوج ما نكون إليها. قالت: نعم. فدعا رجلاً من أهله يثق به، فصرَّرها صُرَرًا ثم قال: انطلِقْ بهذه إلىٰ أرملة آل فلان، وإلىٰ يتيم آل فلان، وإلىٰ مسكين آل فلان، وإلىٰ مبتلَىٰ آل فلان. فبقيت منها ذهبيةٌ، فقال: أنفقي هذه. ثم عاد إلىٰ عمله.

ورویٰ المرفوع من حديث سعيد بن عامرٍ الحكيمُ الترمذي في النوادر[1]: «يدخل فقراء المسلمين الجنة قبل الأغنياء بخمسمائة سنة، حتىٰ إن الرجل من الأغنياء لَيدخلُ في غمارهم فيؤخَذ بيده فيُستخرَج».

(وقال أبو هريرة) رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: **(ثلاثة يدخلون الجنة بغير حساب: رجل يريد أن يغسل ثوبه فلم يكن له خلفٌ يلبسه، ورجل لم ينصب علىٰ مستوقد قِدْرينِ، ورجل دعا بشرابه فلا يقال له: أيُّها تريد)** وهذا قد رواه أبو الشيخ في كتاب «الثواب» من حديث أبي سعيد، وفيه: «رجل غسل ثيابه فلم يجد له خلفًا، ورجل لم يُنصَب علىٰ مستوقده قِدْران، ورجل دعا بشراب فلم يُقَلْ له: أيُّها تريد»[2].

(وقيل: جاء فقير إلىٰ مجلس) سفيان **(الثوري رحمه الله تعالىٰ، فقال له)** الثوري: **(تَخَطَّ، لو كنتَ غنيًّا لَما قرَّبتُك)** رواه أبو نعيم في الحلية.

(وكان الأغنياء من أصحابه يودُّون أنهم فقراء لكثرة تقريبه للفقراء وإعراضه عن الأغنياء)[3] رواه أبو نعيم في الحلية.

(وقال المؤمَّل) بن إسماعيل البصري أبو عبد الرحمن، نزيل مكة **(ما رأيت**

---

(١) نوادر الأصول ص ٣٥٢.

(٢) كنز العمال ٣/ ١٨٥. ورواه ابن السني في كتاب القناعة ص ٣١ - ٣٢ (ط - دار الخلفاء بالكويت) من حديث أبي هريرة مرفوعا.

(٣) تقدم هذا الأثر والذي بعده في كتاب ذم الجاه والرياء.

الغنيَّ أذل منه في مجلس الثوري، ولا رأيت الفقير أعز منه في مجلس الثوري) رواه أبو نعيم في الحلية.

(وقال بعض الحكماء: مسكين ابن آدم، لو خاف من النار كما يخاف من الفقر لنجا منهما جميعًا، ولو رغب في الجنة كما يرغب في الغِنىٰ لفاز بهما جميعًا، ولو خاف اللهَ في الباطن كما يخاف خلقه في الظاهر لسعدَ في الدارين جميعًا) نقله صاحب القوت، وقد تقدَّم نحوه في كتاب الخوف[١].

(وقال ابن عباس) رضي الله عنهما: **(ملعون مَن أكرم بالغِنىٰ وأهان بالفقر**[٢]**.**

وقال لقمان عليه السلام **لابنه)** وهو يعظه: يا بني **(لا تحقرنَّ أحدًا لخلقان ثيابه، فإن ربك وربه واحد.**

وقال يحيىٰ بن معاذ) الرازي رحمه الله تعالىٰ: **(حبُّك للفقراء من أخلاق المرسَلين، وإيثارك مجالستهم من علامة الصالحين، وفرارك من صحبتهم من علامة المنافقين)** نقله صاحب القوت.

(وفي الأخبار عن الكتب السالفة أن الله تعالىٰ أوحىٰ إلىٰ بعض أنبيائه: احذرْ أن أمقتك فتسقط من عيني فأصبُّ عليك الدنيا صبًّا) نقله صاحب القوت.

(ولقد كانت عائشة رضي الله عنها **تفرِّق مائة ألف درهم في يوم واحد يوجِّهها إليها معاوية)** بن أبي سفيان **(وابن عامر)** عبد الله **(وغيرهما وإن درعها لَمرقوعٌ، وتقول لها الجارية: لو اشتريت لك بدرهم لحمًا تفطرين عليه. وكانت صائمة، فقالت: لو ذكَّرتيني لفعلتُ)** تقدم، وأن الذي أرسل إليها مائة ألف درهم هو عبد الله بن الزبير، وأن الجارية هي مولاتها أم درَّة[٣].

---

(١) من كلام يحيىٰ بن معاذ الرازي مقتصرا علىٰ أوله فقط.

(٢) رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٦٠/ ٣٥٦.

(٣) وقد تقدم أيضًا أن الصواب: أم ذرة، لا أم درة كما ذكر الزبيدي رحمه الله، وانظر: تبصير المنتبه للحافظ ٢/ ٥٦٠.

(وكان قد أوصاها رسول الله ﷺ وقال: إن أردتِ اللحوق بي فعليكِ بعيش الفقراء، وإيَّاكِ ومجالسة الأغنياء، ولا تنزعي درعكِ حتىٰ ترقِّعيه) قال العراقي[١]: رواه الترمذي[٢] - وقال: غريب - والحاكم[٣] وصحَّحه نحوه من حديثها.

قلت: لفظ الحاكم: «إن أردتِ اللحوق بي فليكفِكِ من الدنيا كزاد الراكب، وإيَّاكِ ومجالسة الأغنياء، ولا تستخلقي ثوبًا حتىٰ ترقعيه». وقد رواه البيهقي[٤] كذلك.

(وجاء رجل إلىٰ إبراهيم بن أدهم) رحمه الله تعالىٰ **(بعشرة آلاف درهم، فأبىٰ عليه أن يقبلها، فألحَّ عليه الرجل، فقال له إبراهيم: أتريد أن أمحو اسمي من ديوان الفقراء بعشرة آلاف درهم؟ لا أفعل ذلك أبدًا)** رواه القشيري في الرسالة بلفظ: أن رجلاً أتىٰ إبراهيمَ بن أدهم بعشرة آلاف درهم، فأبىٰ أن يقبلها وقال: تريد أن تمحو اسمي من ديوان الفقراء بعشرة آلاف درهم؟ لا أفعل. والله الموفِّق.

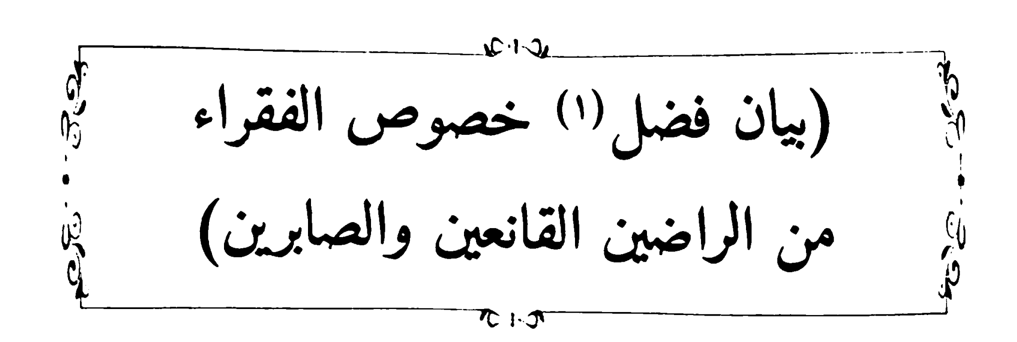
---

(١) المغني ٢/ ١٠٨٩.

(٢) سنن الترمذي ٣/ ٣٧٧.

(٣) المستدرك علىٰ الصحيحين ٤/ ٤٥٤ وقال: صحيح الإسناد. وتعقبه الذهبي بقوله: «سعيد بن محمد الوراق عدم».

(٤) شعب الإيمان ٨/ ٢٥٠.



(بيان فضل[1] خصوص الفقراء من الراضين القانعين والصابرين)

وفي نسخة: والصادقين.

(قال رسول الله ﷺ: طوبىٰ لمَن هُدي للإسلام وكان عيشه كفافًا وقنع به) رواه ابن المبارك في الزهد والترمذي - وقال: صحيح - والطبراني والحاكم والبيهقي من حديث فضالة بن عبيد، وقد تقدم. وروىٰ البيهقي من حديث أبي الحويرث والديلمي من حديث عبد الله بن حنطب بن الحارث: «طوبَىٰ لمَن رزقه اللهُ الكفافَ ثم صبر عليه»[2].

(وقال ﷺ: يا معشر الفقراء، أعطوا الله الرضا من قلوبكم تظفروا بثواب فقركم، وإلا فلا) قال العراقي[3]: رواه الديلمي في مسند الفردوس[4] من حديث أبي هريرة، وهو ضعيف جدًّا، و[فيه] أحمد بن الحسن بن أبان المصري، متَّهَم بالكذب ووضعِ الحديث.

قلت: وهو بضم الميم وفتح الضاد المعجمة[5]، ويُعرَف بالأَيْلي، وقد روىٰ عن أبي عاصم، قال الدارقطني[6]: كذاب[7].

---

(١) في الجميع: فضيلة.

(٢) تقدمت هذه الأحاديث في كتاب ذم البخل.

(٣) المغني ٢/ ١٠٨٩ - ١٠٩٠.

(٤) الفردوس بمأثور الخطاب ٥/ ٢٩١.

(٥) يعني: المُضَري. وهو خطأ، والصواب: المصري، بالصاد المهملة.

(٦) الضعفاء والمتروكون ص ٦٦.

(٧) ذكره الذهبي في ميزان الاعتدال ١/ ٨٩ - ٩٠.

(فالأول القانع، وهذا) وفي نسخة: والثاني **(الراضي، ويكاد يُشعِر هذا بمفهومه بأن الحريص)** الذي هو أحد أقسام الفقير **(لا ثواب له علىٰ فقره، ولكن العمومات الواردة في فضل الفقر تدل علىٰ أن له ثوابًا، كما سيأتي تحقيقه)** قريبًا **(فلعل المراد بعدم الرضا هو الكراهة لفعل الله تعالىٰ في حبس الدنيا عنه، ورُب راغب في المال لا يخطر بقلبه إنكارٌ علىٰ الله تعالىٰ ولا كراهة في فعله، فتلك الكراهة هي التي تحبط ثوابَ الفقر.**

ورُوي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: إن لكل شيء مفتاحًا، ومفتاح الجنة حب المساكين، والفقراء الصُّبر هم جلساء الله تعالىٰ يوم القيامة) قال العراقي[١]: رواه الدارقطني في غرائب مالك وأبو بكر ابن لال في مكارم الأخلاق وابن عدي في الكامل[٢] وابن حبان في الضعفاء[٣] من حديث ابن عمر.

قلت: وأورده القشيري في الرسالة فقال: أخبرنا أبو عبد الرحمن السلمي، أخبرنا إبراهيم بن أحمد بن محمد بن رجاء البَزَّاز، حدثنا عبد الله بن [محمد ابن] جعفر بن أحمد البغدادي، حدثنا عثمان بن معبد، حدثنا عمر بن راشد، عن مالك، عن نافع، عن ابن عمر، عن عمر بن الخطاب قال: قال رسول الله ﷺ: «لكل شيء مفتاح، ومفتاح الجنة حب المساكين ...» الحديث.

(ورُوي عن علي رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: أحب العِباد إلىٰ الله تعالىٰ الفقير القانع برزقه، الراضي عن الله تعالىٰ) قال العراقي[٤]: لم أجده بهذا اللفظ، وتقدم من رواية عند ابن ماجه[٥]: «إن الله يحب الفقير المتعفِّف».

---

(١) المغني ٢/ ١٠٩٠.

(٢) الكامل في الضعفاء ٦/ ٢٣٧٥.

(٣) المجروحون من المحدثين ١/ ١٦١.

(٤) المغني ٢/ ١٠٩٠.

(٥) سنن ابن ماجه ٥/ ٥٧١ من حديث عمران بن حصين بلفظ: «إن الله يحب عبده المؤمن الفقير المتعفف أبا العيال».

قلت: وروىٰ الديلمي[1] من حديث ابن عمر: «يقول الله عَزَّوَجَلَّ: الشاب المؤمن بقدري، الراضي بكتابي، القانع برزقي، التارك لشهوته من أجلي، هو عندي كبعض ملائكتي».

(وقال ﷺ: **اللهم اجعل قوت آل محمد كفافًا**) وفي بعض النسخ: رزق، بدل: قوت. قال العراقي[2]: رواه مسلم من حديث أبي هريرة، وهو متفق عليه بلفظ: قوتًا.

قلت: لفظ مسلم: «اللهم ارزق آل محمد كفافًا». ولفظ المتفق عليه: «اللهم ارزق آل محمد قوتًا». وعند أحمد والترمذي وابن ماجه وأبي يعلىٰ والبيهقي: «اللهم اجعلْ رزق آل محمد في الدنيا قوتًا»[3].

(وقال) ﷺ: **(ما من أحد غني ولا فقير إلا ودَّ يوم القيامة أنه كان أوتي قوتًا في الدنيا)** رواه ابن ماجه[4] من حديث أنس، وقد تقدم.

(وأوحىٰ الله إلىٰ إسماعيل عَلَيْهِ السَّلَامُ**: اطلبني عند المنكسرة قلوبهم. قال: ومَن هم؟ قال: الفقراء الصادقون)** وتقدم للمصنف في حقوق المسلم: قال موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إلهي، أين أبغيك؟ قال: عند المنكسرة قلوبهم من أجلي.

(وقال ﷺ: لا أحد أفضل من الفقير إذا كان راضيًا) قال العراقي[5]: لم أجده بهذا اللفظ.

---

(١) الفردوس بمأثور الخطاب ٥/ ٢٤٤ عن أنس بن مالك.

(٢) المغني ٢/ ١٠٩٠.

(٣) تقدم هذا الحديث في كتاب ذم البخل. ويزاد هنا عزوه إلىٰ أبي يعلىٰ في مسنده ١٠/ ٤٨٩ والبيهقي في السنن الكبرىٰ ٢/ ٢١٤، ٧/ ٧٤.

(٤) سنن ابن ماجه ٥/ ٥٧٧.

(٥) المغني ٢/ ١٠٩٠ - ١٠٩١.

(وقال ﷺ: يقول الله تعالىٰ يوم القيامة: أين صفوتي من خلقي؟ فتقول الملائكة: ومَن هم يا ربنا؟ فيقول: فقراء المسلمين، القانعون بعطائي، الراضون بقَدَري، أدخِلوهم الجنة. فيدخلونها ويأكلون ويشربون، والناس في الحساب يتردَّدون) قال العراقي[١]: رواه الديلمي في مسند الفردوس من حديث أنس.

(فهذا) ما ورد **(في القانع والراضي، وأما الزاهد فسنذكر فضله في الشطر الثاني من الكتاب إن شاء الله تعالىٰ.**

وأما الآثار في الرضا والقناعة فكثيرة، ولا يخفَىٰ أن القناعة يضادُّها الطمعُ) فإن[٢] القناعة هي: الاجتزاء باليسير من الأعراض المحتاج إليها، والطمع: نزوع النفس إلىٰ الشيء شهوةً له **(وقد قال عمر** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: إن الطمع فقر، واليأس غِنىٰ، وإنه مَن يئس عمَّا في أيدي الناس وقنع استغنىٰ عنهم)** رواه أحمد في الزهد[٣] قال: حدثنا أبو معاوية ووكيع، عن هشام بن عروة، عن أبيه قال: قال عمر في خطبته: تعلمون أن الطمع فقر، وأن اليأس غنىٰ، وأن الرجل إذا يئس من شيء استغنىٰ عنه. ورواه أبو نعيم في الحلية[٤] من طريقه، ورواه أيضًا عن أبيه، حدثنا إبراهيم ابن محمد، حدثنا أحمد بن سعيد، حدثنا ابن وهب، عن الثوري، عن هشام، عن أبيه، عن زبيد بن الصلت، عن عمر مثله.

(وقال) عبد الله **(ابن مسعود** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: ما من يوم إلا وملَك ينادي من تحت العرش: يا ابن آدم، قليل يكفيك خير من كثير يطغيك)**[٥] روىٰ أبو داود الطيالسي[٦]

---

(١) السابق ٢/ ١٠٩١.

(٢) المفردات للراغب ص ٣٠٧، ٤١٣.

(٣) الزهد ص ٩٧.

(٤) حلية الأولياء ١/ ٥٠.

(٥) تقدم هذا الأثر في كتاب ذم البخل.

(٦) مسند الطيالسي ٢/ ٣٢٣. وليس فيه (يا أيها الناس هلموا إلىٰ ربكم). ولكن قد رواه أبو نعيم في حلية الأولياء ١/ ٢٢٦ من طريق الطيالسي بهذه الزيادة، وهو عند أحمد في المسند بتمامه=

من حديث أبي الدرداء: «ما طلعت شمس [قط] إلا وبجَنْبتيها ملَكان يناديان يُسمِعان الخلائقَ غير الثقلين: يا أيها الناس، هلمُّوا إلىٰ ربّكم، ما قلَّ وكفىٰ خيرٌ ممَّا كثُر وألهَىٰ». تفرَّد به قتادة عن خليد العصري عن أبي الدرداء.

(وقال أبو الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: ما من أحد إلا وفي عقله نقصٌ، وذلك أنه إذا أتته الدنيا بالزيادة ظل فرِحًا مسرورًا، والليل والنهار دائبان في هدم عمره ثم لا يحزنه ذلك، ويح ابن آدم! ما ينفع مال يزيد وعمر ينقص**[1]**؟**

وقيل لبعض الحكماء: ما الغِنىٰ؟ قال: قلة تمنِّيك، ورضاك بما يكفيك)[2] أي عدم تعلُّق النفس بالآمال، والرضا بما يُسِّر له في الحال. وهذا أحسن ما عُرِّف به الغِنىٰ.

(وقيل: كان إبراهيم بن أدهم) رحمه الله تعالىٰ **(من أهل النعم بخُراسان)** إذ كان والده من أمراء بَلْخ **(فبينما هو يشرف من قصره ذات يوم إذ نظر إلىٰ رجل في فَناء القصر وفي يده رغيف يأكله، فلمَّا أكل نام، فقال)** إبراهيم **(لبعض غلمانه: إذا قام)** هذا الرجل من نومه **(فجئني به)** فانتظره **(فلما قام جاء به إليه، فقال له إبراهيم: أيها الرجل، أكلتَ الرغيف وأنت جائع؟ قال: نعم. قال: فشبعتَ؟ قال: نعم. قال: ثم نمتَ طيبًا؟ قال: نعم. فقال إبراهيم في نفسه: فما أصنع أنا بالدنيا والنفسُ تَقنع بهذا القدْر)**[3] وهذا أحد أسباب توبته وخروجه من مُلك أبيه.

(ومر رجل بعامر بن عبد قيس) وكان من الصدِّيقين **(وهو يأكل ملحًا وبقلاً،**

= (٢٢٠٦٤)، وابن حبان ٨/ ١٢١، والحاكم في المستدرك ٢/ ٤٤٤، وقال: صحيح ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي.

(١) رواه ابن أبي الدنيا في الزهد ص ١٨٧. وفيه بعد قوله «وفي عقله نقص»: عن حلمه وعلمه. وبعد قوله «لا يحزنه ذلك»: ضل ضلالة.

(٢) تقدم هذا الأثر في كتاب ذم البخل.

(٣) رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٦/ ٢٨٧.

فقال له: يا عبد الله) وفي نسخة: يا أبا عبد الله **(أرضيتَ من الدنيا بهذا؟ فقال: ألا أدلُّك على مَن رضي بشرٍّ من هذا؟ قال: بلىٰ. قال: مَن رضي بالدنيا عوضًا عن الآخرة)** ولفظ القوت: وكان عامر بن عبد قيس إذا عوتِب في تقلُّله من الدنيا يقول: بل أنتم واللهِ رضيتم بالقليل[1]. وكان غيره يقول إذا قيل له: أزهد الناس، فقال: أنتم أزهد مني؛ لأني زهدت في قليل يفنىٰ، وأنتم زهدتم في كثير يبقىٰ.

(وكان محمد بن واسع) البصري **(رحمه الله تعالىٰ يُخرِج خبزًا يابسًا فيبلُّه بالماء ويأكله بالملح ويقول: مَن رضي من الدنيا بهذا لم يحتَجْ إلىٰ أحد)**[2] قال أحمد[3] في الزهد: حدثنا وكيع عن رجل قال: قال لمحمد بن واسع ابنُه: ليس كل ساعة تبقىٰ لنا. قال: فدعا بخبز وملح، ثم جعل يأكل، فقال: تراني أقنع بهذا وأرضىٰ به أعينهم وأدخل معهم أو أوالي لهم.

وقال عبد الله بن أحمد[4] في زوائد الزهد: حدثني سفيان بن وكيع قال: سمعت أبي يقول: بلغني أن محمد بن واسع أريدَ على القضاء فأبىٰ، فعاتبته امرأته فقالت: لك عيال، وأنت محتاج. قال: ما دمتِ تريني أصبر علىٰ الخل والبقل فلا تطمعي في هذا مني.

(وقال الحسن) البصري **(رحمه الله تعالىٰ: لعن الله أقوامًا أقسم لهم اللهُ ثم لم يصدِّقوه. ثم قرأ)** هذه الآية: **(﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ۝٢٢ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ**

---

(١) رواه أحمد في الزهد ص ١٨٥ من طريق مخلد بن حسين ذكر عن هشام أن جارية بن قدامة جاء إلىٰ عامر وهو يصلي، فاستأذن علىٰ باب البيت، فسبح عامر، ودخل جارية فجلس، فلم ير في البيت إلا قلة ماء، وعامر عليه برنس وهو قائم يصلي، فقضىٰ عامر الصلاة، فقال له جارية: يا عامر، أرضيت من الدنيا بما أرىٰ؟ لقد رضيت فيها بالقليل. فقال: أنت والله وأصحابك الذين رضيتم منها بالقليل. ثم نهض إلىٰ صلاته.

(٢) تقدم هذا الأثر في كتاب ذم البخل.

(٣) ومن طريقه رواه أبو نعيم في حلية الأولياء ٢/ ٣٥٣.

(٤) ومن طريقه رواه أبو نعيم في حلية الأولياء ٢/ ٣٥٣، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٥٦/ ١٥٣.

وَٱلۡأَرۡضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ ﴾ **الآية** [الذاريات: ٢٢ - ٢٣][١].

وكان أبو الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ)[٢] وفي بعض النسخ: أبو ذر[٣] **(يومًا جالسًا في الناس، فأتته امرأته فقالت له: أتجلس بين هؤلاء؟! واللهِ ما في البيت هفَّة ولا سفَّة)** أي ما يُهَفُّ ويُسَفُّ **(فقال: يا هذه، إن بين أيدينا عقبة كؤدًا لا ينجو منها إلا كل مخفٍّ. فرجعت وهي راضية)** رواه أبو نعيم في الحلية[٤] من طريق أبي معاوية، عن موسىٰ الصغير، عن هلال بن يساف، عن أم الدرداء قالت: قلت لأبي الدرداء: ما لك لا تطلب لأضيافك كما يطلب غيرك لأضيافهم؟ فقال: لأني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن أمامكم عقبة كؤدًا لا يجوزها المثقلون»، فأنا أحب أن أتخفَّف لتلك العقبة. تفرَّد به موسىٰ الصغير عن هلال.

وروىٰ الحارث بن أبي أسامة في مسنده[٥] من طريق أبي أسماء الرحبي أنه دخل علىٰ أبي ذر وهو بالرَّبَذة، وعنده امرأة سوداء شعثة ليس عليها أثر المجاسد والخلوق. قال: فقال: ألا تنظرون إلىٰ ما تأمرني به هذه السوداء؟ تأمرني أن آتي العراق، فإذا أتيتُ العراق مالوا عليَّ بدنياهم، وإنَّ خليلي عَهِدَ إليَّ أنَّ دون جسر جهنم طريقًا ذا دَحْض ومزلَّة، وإنَّا إن نأتي عليه وفي أحمالنا اقتدار أحرىٰ أن ننجو من أن نأتي عليه ونحن مواقير.

---

(١) رواه الطبري في جامع البيان ٢١/ ٥٢٣ عن الحسن مرفوعا مرسلا بلفظ: بلغني أن رسول الله ﷺ قال: «قاتل الله أقواما أقسم لهم ربهم بنفسه فلم يصدقوه».

(٢) في الجميع: أبو ذر. ولم يذكر محقق المنهاج ٨/ ٤٣ خلافًا.

(٣) وهكذا رواه أحمد في الزهد ص ١٢٢ عن عوف الأعرابي قال: بلغني أن أم ذر عاتبت أبا ذر في معيشتهما، فقال لها: يا أم ذر، إن بين أيدينا عقبة كئودا، وإن المخف فيها أهون من المثقل. وروىٰ في موضع آخر ص ١١٤ من طريق الأعمش عمن أخبره عن أم الدرداء أنها اشتكت إلىٰ أبي الدرداء فناء الدقيق، فقال: إن أمامنا عقبة كؤدا، المخف فيها خير من المثقل.

(٤) حلية الأولياء ١/ ٢٢٦.

(٥) بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث ص ٩٧٩.

(وقال ذو النون) المصري (رحمه الله تعالىٰ: أقرب الناس إلىٰ الكفر ذو فاقة لا صبر له)[١] وهو معنىٰ حديث «كاد الفقر أن يكون كفرًا».

(وقيل لبعض الحكماء: ما مالك؟ قال: التجمُّل في الظاهر، والقصد في الباطن، واليأس ممَّا في أيدي الناس[٢].

ويُروَىٰ أن الله عَزَّوَجَلَّ قال في بعض الكتب السالفة المنزَّلة: يا ابن آدم، لو كانت الدنيا كلها لك لم يكن لك منها إلا القوت، فإذا أنا أعطيتك منها القوت وجعلت حسابها علىٰ غيرك فأنا محسن إليك.

وقد قيل في القناعة:

اضرَعْ إلىٰ الله لا تضرعْ إلىٰ الناس ... واقنعْ بيأس فإن العز في الياس

واستغنِ عن كل ذي قربىٰ وذي رحم ... إن الغنيَّ مَن استغنىٰ عن الناس[٣]

وقد قيل في هذا المعنىٰ أيضًا:

يا جامعًا مانعًا والدهر يرمقه ... مقدِّرًا أيَّ بابٍ منه يغْلِقه

مفكِّرًا كيف تأتيه منيَّتُه ... أغاديًا أم بها يسري فتطرقه)

(جمعتَ مالًا فقلْ لي هل جمعتَ له ... يا جامع المال أياما تفرِّقه

المال عندك مخزون لوارثه ... ما المال مالَكَ إلا يوم تنفقه

ارْفَه ببال فتىٰ يغدو علىٰ ثقة ... أنَّ الذي قسَّم الأرزاق يرزقه

فالعِرض منه مصون ما يدنِّسه ... والوجه منه جديد ليس يخلقه

---

(١) عزاه الزمخشري في ربيع الأبرار ٣/ ٩٦ وابن حمدون في تذكرته ٤/ ٣١٧ إلىٰ علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) تقدم هذا الأثر والذي بعده في كتاب ذم البخل.

(٣) البيتان لمحمد بن حازم الباهلي، كما في العقد الفريد ٣/ ١٥٨.

إن القناعة مَن يحلل بساحتها لم يلقَ في ظلِّها همًّا يؤرِّقه)[1]

أي يحزنه ويقلقه.

---

(١) لم أقف على هذه الأبيات بهذا السياق إلا في مصدرين، الأول: كتاب القناعة لابن أبي الدنيا ص ٦٢ دون عزو. والثاني: كتاب الممتع في صنعة الشعر لعبد الكريم النهشلي القيرواني ص ٣٥٤ - ٣٥٥ (ط - منشأة المعارف) معزوة لأبي علي البصير واسمه الفضل بن جعفر الكاتب [عدا البيت الثاني] ولم أقف عليها في ديوانه المطبوع.

بيان فضيلة(١) الفقر على الغنى

(اعلمْ) هداك الله تعالىٰ **(أن الناس قد اختلفوا في هذا، فذهب)** أبو القاسم **(الجنيد و)** إبراهيم بن أحمد **(الخوَّاص)** مات قبل العشرين وثلاثمائة(٢) **(والأكثرون)** من المشايخ **(إلىٰ تفضيل الفقر)**(٣) علىٰ الغنىٰ، وهو الحق الذي لا محيد عنه **(وقال)** أبو العباس أحمد بن محمد **(ابن عطاء)** الآدمي المتوفىٰ سنة ٣٠٩ **(الغني الشاكر القائم بحقِّه أفضل من الفقير الصابر. ويقال إن الجنيد)** رحمه الله تعالىٰ **(دعا علىٰ ابن عطاء)** وباهلَه في هذه المسألة **(لمخالفته إيَّاه في هذا)** وإنكاره له أشد الإنكار **(فأصابته محنة)** واستُجيبَ فيه دعاء الجنيد، وكان الجنيد يقول: الفقير الصابر أفضل من الغني الشاكر وإن تساويا في القيام بحكم حالهما؛ لأن الغني التقيَّ يمتِّع نفسه وينعِّم صفتَه، والفقير الصابر قد أدخل علىٰ صفته الآلامَ والمكاره، فقد زاد عليه بذلك، وهذا كما قال، وكذلك كان أحمد بن حنبل يقول: ما أعدل بالفقر شيئًا(٤). وكان يفضِّل حال الفقر ويعظِّم شأنَ الفقير الصابر. وقال المروزي: وذكر بعض الفقراء، فجعل يمدحه ويُكثِر السؤال عنه، فقلت له: يحتاج إلىٰ علم؟ فقال: ويحك! اسكت، صبره علىٰ الفقر ومقاساته للضُّر خير من كثير من العلم. ثم قال: هؤلاء خير منا **(وقد ذكرنا ذلك في كتاب الصبر ووجه التفاوت بين الصبر والشكر، ومهَّدنا سبيلَ طلب الفضيلة في الأعمال والأحوال، وأن ذلك لا يمكن إلا بتفصيل، وأما الفقر والغنىٰ إذا أُخذا مطلقًا لم يسترِبْ)** أي لم

---

(١) في أ، وب، وط المنهاج ٨/ ٤٥: فضل.

(٢) مات الخواص سنة ٢٩١.

(٣) انظر: اللمع للطوسي ص٧٤، ٧٥.

(٤) الورع لأبي بكر المروزي ص ١٠، ٤٩، ١٠٥.

يشكَّ (مَن قرأ) وفي نسخة: رأىٰ (**الأخبار و**) طالَعَ (**الآثار في تفضيل الفقر**) مطلقًا، ومنها ما يخصُّ الراضين بالفقر والقانعين من الفقراء، والبصيرة تعضِّد ذلك؛ لِما فيه من عدم المُشغِلات، والعجز عن قضاء الأوطار المذمومة، وتخفة الحساب في القيامة، وهذا يصحُّ أن يكون مسلكًا في تفضيله علىٰ الغِنىٰ (و) لكن (**لا بد فيه من تفصيل**) يرفع عنه نقاب الخفاء (**فنقول: إنما يُتصوَّر الشك في مقامين، أحدهما**): في (**فقير صابر وليس بحريص علىٰ الطلب بل هو قانع أو راضٍ بالإضافة إلىٰ غني منفق ماله في الخيرات ليس حريصًا علىٰ إمساك المال. والثاني**): في (**فقير حريص**) علىٰ الطلب (**مع غني حريص**) علىٰ إمساك المال (**إذ لا يخفَىٰ أن الفقير القانع أفضل من الغني الحريص الممسك**) علىٰ المال (**وأن الغني المنفق ماله في الخيرات أفضل من الفقير الحريص**) فهذه أربع مقامات، وإنما الشك في المقامين الأوَّلين (**أما الأول فربما يُظَن أن الغني أفضل من الفقير لأنهما تساويا في ضعف الحرص علىٰ المال، والغني**) زائد عليه، فإنه (**متقرِّب بالصدقات والخيرات، والفقير عاجز عنه**) لفقد المال (**وهذا هو الذي ظنه**) أبو العباس (**ابن عطاء**) فيما ذهب إليه (**فيما نحسبه، فأما الغني المتمتِّع بالمال وإن كان في مباح**) شرعيٍّ (**فلا يُتصوَّر أن يفضُل علىٰ الفقير القانع. وقد يشهد له**) أي لابن عطاء (**ما رُوي في الخبر: أن الفقراء شكوا إلىٰ رسول الله ﷺ سبق الأغنياء بالخيرات والصدقات والحج والجهاد، فعلَّمهم كلمات في التسبيح، وذكر لهم أنهم ينالون بها فوق ما ناله الأغنياء، فتعلَّم الأغنياء ذلك فكانوا يقولونه، فعاد الفقراء إلىٰ رسول الله ﷺ فأخبروه، فقال: ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء**) قال العراقي[1]: متفق عليه[2] من حديث أبي هريرة نحوه.

قلت: لفظهما: «ألا أحدِّثكم بحديث إن أخذتم به أدركتم [مَن سبقكم] ولم يدرككم أحدٌ بعدكم، وكنتم خير مَن أنتم بين ظهرانيه إلا مَن عمل مثله؟ تسبِّحون

---

(١) المغني ٢/ ١٠٩١.

(٢) صحيح البخاري ١/ ٢٧١، ٤/ ١٥٩. صحيح مسلم ١/ ٢٦٨ - ٢٦٩.

وتحمدون وتكبِّرون خلف كل صلاة ثلاثًا وثلاثين». وفي لفظ للبخاري: قال الفقراء: ذهب أهل الدُّثور بالدرجات والنعيم المقيم، صلَّوا كما صلينا، وجاهدوا كما جاهدنا، وأنفقوا من فضول أموالهم، وليست لنا أموال. فقال: «ألا أخبركم بأمر تدركون مَن كان قبلكم وتسبقون مَن جاء بعدكم، ولم يأتِ أحدٌ بمثل ما جئتم به إلا مَن جاء بمثله؟ تسبِّحون في دُبر كل صلاة عشرًا، وتحمدون عشرًا، وتكبِّرون عشرًا». ورواه مسلم نحوه. وهو بهذا اللفظ عند الطيالسي[١] من حديث أبي الدرداء. وروى ابن ماجه[٢] من حديث أبي ذر: «ألا أخبركم بأمر إذا فعلتموه أدركتم مَن قبلكم وفُتُّم مَن بعدكم؟ تحمدون الله في دُبر كل صلاة وتسبِّحونه وتكبِّرونه ثلاثًا وثلاثين، وثلاثًا وثلاثين، وأربعًا وثلاثين». وروى ابن حبان[٣] نحوه من حديث أبي هريرة.

(**وقد استشهد ابن عطاء أيضًا لمَّا سُئل عن ذلك**) سأله بعض الشيوخ عن الوصفين أيُّهما أفضل؟ (**فقال: الغني أفضل؛ لأنه وصفُ الحق. أما دليله الأول**) وهو التمسُّك بحديث أبي هريرة (**ففيه نظرٌ؛ لأن الخبر**) المذكور (**قد رُوي مفصَّلاً تفصيلاً يدل على خلاف ذلك، وهو أن ثواب الفقير في التسبيح يزيد على ثواب الغني، وأن فوزهم بذلك الثواب فضل الله يؤتيه مَن يشاء**) وبيانه: أن هذا عند أولي الألباب في تدبُّر الخطاب يعني به الفقراء؛ لأنه قيل لهم في أول الكلام: «إن فعلتم ذلك لم يسبقكم أحد قبلكم، ولم يدرككم أحد بعدكم»، فثبت هذا القول من الرسول وصح، فما جاء بعده يكون محمولاً عليه ومفسِّرًا له، ولم يجُزْ أن ينقلب الخطاب؛ لأنه إخبار عن شيء، فكيف يرجع عنه أو ينسخ الخبرَ عن أمر بقولٍ آخر؟ فلمَّا فعل الأغنياء ما أُمِر به الفقراء من الذِّكر وقف الفقراء في قول رسول الله

(١) مسند الطيالسي ٢/ ٣٢٥.

(٢) سنن ابن ماجه ٢/ ١٨٥.

(٣) صحيح ابن حبان ٥/ ٣٥٧، - ٣٥٨.

ﷺ لنظرهم إلىٰ مزيد الأغنياء عليهم بفضل القول، فرجعوا إليه يستفتون منه الخبر ويستثبتون عنه ما به أخبر، فقال: لا تعجبوا، فإن الذي قلتُ كما قلتُ هو فضل الله يؤتيه مَن يشاء، فأنتم ممَّن يشاء أن يؤتيه فضله. فثبَّتهم [بالحق] في القول الأول، ولم يرجع هو عن قوله إلىٰ نقيضه، فصحَّ هذا التأويلُ عن مآله الذي يؤول إليه باستنباط باطن العلم عنه، وبطلَ حملُ ابن عطاء ومَن وافقه الخبرَ علىٰ ظاهره ولمَّا يأتِهم تأويلُه، بل كذَّبوا بما لم يحيطوا بعلمه؛ إذ لم يُعطَوا حقيقة خبره وهو حيطته؛ إذ تأويل الحق الذي هو مآله وحقيقته عند الله تعليم من الله، ليس علىٰ ظاهر الخطاب يستنبطه أولو الألباب، وقد قال: «فقِّهْه في الدين وعلِّمه التأويلَ»، شهدَ لبطلان تأويلهم قولُ الرسول في أول الكلام: «لا يسبقكم مَن قبلكم، ولا يلحقكم مَن بعدكم»، فكان قوله الثاني مواطئًا لقوله الأول؛ إذ لم يناقض الأول بالآخِر، فهذا من سحر البيان في قوله: «إن من البيان لسحرًا» (فقد) جاء دليل ما قلناه مفسَّرًا مكشوفًا في الخبر الذي (روىٰ زيد بن أسلم) العَدوي التابعي مولىٰ عمر، مات سنة ست وثلاثين (**عن أنس بن مالك** رضي الله عنه **قال: بعث الفقراء رسولاً إلىٰ رسول الله** ﷺ**، فقال: إني رسول الفقراء إليك، فقال: مرحبًا بك وبمَن جئتَ من عندهم**) جئتَ من عند (**قوم أحبُّهم. فقال: قالوا يا رسول الله: إن الأغنياء ذهبوا بالجنة**) أي بالدرجات فيها (**يحجُّون ولا نقدر عليه، ويعتمرون ولا نقدر عليه، وإذا مرضوا بعثوا بفضل أموالهم ذخيرة لهم. فقال رسول الله** ﷺ**: بلِّغْ عني الفقراء أنَّ لمَن صبر واحتسب منكم ثلاث خِصال ليست للأغنياء، أما خصلة واحدة: فإن في الجنة غرفًا ينظر إليها أهل الجنة كما ينظر أهل الأرض إلىٰ نجوم السماء، لا يدخلها إلا نبي فقير أو شهيد فقير أو مؤمن فقير. والثانية: يدخل الفقراء الجنة قبل الأغنياء بنصف يوم وهو خمسمائة عام. والثالثة: إذا قال الغني: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، وقال الفقير مثل ذلك، لم يلحق الغنيُّ بالفقير ولو أنفق فيها عشرة آلاف درهم، وكذلك أعمال البِر كلها. فرجع إليهم بهذا الجواب،**

فقالوا: رضينا رضينا) هكذا نقله صاحب القوت. وقال العراقي[١]: لم أجده هكذا بهذا السياق[٢]، والمعروف في هذا المعنىٰ ما رواه ابن ماجه[٣] من حديث ابن عمر: اشتكىٰ فقراء المهاجرين إلىٰ رسول الله ﷺ ما فضَّل الله به عليهم أغنياءهم، فقال: «يا معشر الفقراء، ألا أبشِّركم؟ إن فقراء المؤمنين يدخلون الجنة قبل أغنيائهم بنصف يوم خمسمائة عام». وإسناده ضعيف.

(فهذا يدل علىٰ أن قوله) في الخبر الأول (**«ذلك فضل الله يؤتيه مَن يشاء»** أي **مزيد ثواب الفقراء علىٰ ذِكرهم.**

وأما قوله «إن الغني وصفُ الحق» فقد أجابه بعض الشيوخ) وهو الذي سأله عن الوصفين أيُّهما أفضل؟ (**فقال: أترىٰ أن الله تعالىٰ غني بالأسباب والأعراض؟ فانقطع)** ابن عطاء (**ولم ينطق)** بحرف؛ إذ كان ذلك تسجيلاً عليه، وهذا كما قاله الشيخ؛ لأن الحق سبحانه غني بوصفه، فالفقير أحقُّ بهذا المعنىٰ؛ لأنه غني بوصفه بالإيمان لا بالأسباب لانفراده عنها، فهو الأفضل، وإلىٰ الحق أقرب، فأما الغني فإنه مشتَّت مجتمع بالأسباب، فهو مفضول بلا ارتياب، وقد خالفه الخوَّاص إبراهيم فوُفِّق للصواب، وكان فوقه في المعرفة، فقال في كتابه «شرف الفقر»: والفقر صفة للحق [أي صفة مَن] يصف به الفقراء. فوافق في التأويل، يعني أنه تعالىٰ متخَلٍّ عن الأسباب، منفرد عنها (**وأجاب آخَرون فقالوا)**: هذا غلط فاحش من جهة المعنىٰ المذكور دخل علىٰ ابن عطاء؛ لأنه إن كان فضَّل الغنىٰ علىٰ الفقر لأنه صفة الحق (**فإن التكبُّر من صفات الحق، فينبغي أن يكون أفضل من التواضع)** الذي هو من

---

(١) المغني ٢/ ١٠٩١.

(٢) قد رواه هكذا السمرقندي في تنبيه الغافلين ص ١٧٧ بسنده إلىٰ أنس بن مالك، مع زيادات في بعض ألفاظه، وفيه خارجة بن مصعب، لا يكتب حديثه، ولا يحل الاحتجاج بخبره، وانظر: الجرح والتعديل ٣/ ٣٧٦، والمجروحين ١/ ٢٨٨.

(٣) سنن ابن ماجه ٥/ ٥٦٥ - ٥٦٦.

صفات العبد، وكذلك الحمد والعز؛ لأن ذلك كله صفة الحق، فلمَّا أجمعوا علىٰ ذمِّ مَن كان هذا وصفُه كان مَن وُصف بالغنىٰ في معناه **(ثم قالوا: بل هذا يدل علىٰ أن الفقراء أفضل؛ لأن صفات العبودية أفضل للعبد كالخوف والرجاء)** والغنىٰ صفة الحق مقترن بالعز والكبر **(وصفات الربوبية لا ينبغي أن ينازَع فيها)** ولا يشارَك، بل ينبغي أن تسلَّم صفات الحق للحق، فبطلَ قولُ ابن عطاء **(ولذلك قال تعالىٰ فيما روىٰ عنه نبيُّنا ﷺ: الكبرياء رِدائي، والعظمة إزاري، فمَن نازعني واحدًا منهما قصمتُه)** تقدم في ذم الكبر، وفي العلم.

(وقال) أبو محمد **(سهل)** بن عبد الله التستري رحمه الله تعالىٰ مخالفًا له وموافقًا لِما ذهب إليه الجنيد: **(حب العز والبقاء شركٌ في الربوبية ومنازعة فيها؛ لأنهما من صفات الرب تعالىٰ)** ولفظه عند صاحب القوت: قال سهل: مَن أحب الغنىٰ والبقاء والعز فقد نازع اللهَ تعالىٰ صفاتَه، وهذه صفات الربوبية يُخشَىٰ عليه الهلكة. فإذا ثبت ذلك كان الفقر أفضل؛ لأنه وصفُ العبودية، فمَن جعله وصفه فقد تحقَّق بالعبودية، وأخلاق العبودية هي أخلاق الإيمان، وهي التي أحبها اللهُ تعالىٰ من المؤمنين مثل الخوف والذل والتواضع، والفقر مضاف إليها، وأوصاف الربوبية ابتلىٰ بها قلوبَ أعدائه الجبَّارين والمتكبِّرين مثل العز والكبر والبقاء، والغنىٰ مضموم إليها. وكان الحسن يقول: ما رأيت الله تعالىٰ جعل البقاء إلا لأبغض خلقه إليه وهو إبليس[1]. وكذلك كان العلماء يقولون: لا ترغبوا في البقاء

---

(١) رُوي نحو ذلك من قول الحجاج الثقفي، فروىٰ الدينوري في المجالسة وجواهر العلم ٦/ ١٠١ - ١٠٢ وابن عساكر في تاريخ دمشق ١٢/ ١٩٣ عن الأصمعي قال: أرجف الناس بموت الحجاج، فخطب فقال: إن طائفة من أهل العراق وأهل الشقاق والنفاق نزع الشيطان بينهم فقالوا: مات الحجاج ومات الحجاج، فمه؟ وهل يرجو الحجاج الخير إلا بعد الموت؟! والله ما يسرني أن لا أموت وأن لي الدنيا وما فيها، وما رأيت الله رضي التخليد إلا لأهون خلقه عليه إبليس، حيث قال: ﴿إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ۝﴾ فأنظره إلىٰ يوم الدين، ولقد دعا الله العبدُ الصالح فقال: ﴿وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِيٓ﴾ فأعطاه ذلك إلا البقاء. ورواه ابن عساكر بنحوه عن الصلت بن =

في هذه الدار، فإنَّ شِرار الخلق أطولهم بقاءً وهم الشياطين، والغنىٰ إنما يُراد للبقاء **(فمن هذا الجنس تكلموا في تفضيل الغنىٰ والفقر، وحاصل ذلك تعلَّق بعمومات تقبل التأويلَ وبكلمات قاصرة لا تبعُد مناقضتُها؛ إذ كما يناقَض قول مَن فضَّل الغنىٰ علىٰ الفقر بأنه صفة الحق بالتكبُّر)** والعز والبقاء **(فكذلك يناقَض قول مَن ذمَّ الغنىٰ)** وفضَّل الفقرَ **(لأنه وصف للعبد بالعلم والمعرفة)** والقدرة **(فإنه وصفُ الرب تعالىٰ، والجهل والغفلة)** والعجز **(وصفُ العبد، وليس لأحد أن يفضِّل الغفلة)** والعجز **(علىٰ العلم)** والقدرة **(فكشفُ الغطاء عن هذا هو ما ذكرناه في كتاب الصبر وهو أن ما لا يُراد لعينه بل يُراد لغيره فينبغي أن يضاف إلىٰ مقصوده؛ إذ به يظهر فضلُه)** وإيضاح ذلك: أنه تقدم أن الفقر مطلق ومقيَّد، والمطلق يُراد لذاته، والمقيَّد يُراد لغيره، والغنىٰ كذلك، فالغنىٰ المراد لذاته والفقر المراد لذاته سيَّان في أصل المقام؛ لأن مَن افتقر إلىٰ الله استغنىٰ به، ومَن استغنىٰ بالله افتقر إلىٰ الله، فالتفاوت في كمال المقام لا في أصله، فلم يبقَ إلا المقيد من كل واحد، وقد قلنا إن المقيَّد ما له تعلُّق إلا بوجود المال وفقدِه، فلنذكر آفات المال وفوائده، فمَن تخلَّىٰ من آفاته وتحلَّىٰ بفوائده فهو الأفضل، وإلا فالعكس. وللمال فوائد ثلاث:

الأولىٰ: أن ينفقه علىٰ نفسه إما في عبادة أو في الاستعانة علىٰ عبادة، والقلب إذا انصرف إلىٰ ذلك لم يتفرَّغ للدين، والفقير محروم من فضل ذلك.

الثانية: ما يقي به العِرض ويتحصَّل به المروءة وحُسن الخُلق وما يتَّقي به إضاعة الأوقات كالخادم، فإن الأوقات التي يصرفها في خدمة نفسه إذا تولاَّها غيرُه استفاد عمرًا جديدًا ليصرفه في الفكر والعلم، ويستفيد من الفكر والعلم محبة الله والأنس به.

الثالثة: وهو ما يتعدَّىٰ نفعُه كبناء المساجد والرباطات وحفر الآبار في الطرق

= دينار قال: مرض الحجاج فرجف به أهل الكوفة، فلما تماثل من علته صعد المنبر ... فذكره. وذكره ابن عبد ربه في العقد الفريد ٥/ ٣٠٥ ببعض اختصار.

وغير ذلك ممَّا هو مستجلِب لأدعية الصالحين.

وللمال أيضًا آفات ثلاث:

الأولىٰ: أنه يجرُّ إلىٰ المعصية، ومن العصمة أن لا يجد، والصبر مع القدرة شديد.

الثانية: أنه يجرُّ إلىٰ التنعُّم بالمباح، ومتىٰ تعوَّدت النفس ذلك تولَّد منها آفات عظيمة، والفقير بمعزل عن ذلك.

الثالثة، وهي التي لا ينفكُّ عنها أحد: وهي أنه يلهيه إصلاحُ ماله عن ذِكر الله عَزَّوَجَلَّ، وكل ما شغل عن الله تعالىٰ فهو خسران.

فالأفضل مَن قامت به هذه الفوائد وسَلِمَ من هذه الآفات، ومَن لم يكن كذلك وإلا ففي الفقر السلامة الكبرىٰ، وهذا حاصل ما يذكره المصنف، فلنشرع فيه، قال: (**والدنيا ليست محذورة لعينها**) أي لذاتها (**ولكن لكونها عائقة عن الوصول إلىٰ الله تعالىٰ، ولا الفقر مطلوبًا لعينه، ولكن لأن فيه فَقْد العائقِ عن الله تعالىٰ وعدم الشاغل عنه، وكم من غنيٍّ لم يشغله الغنىٰ عن الله تعالىٰ مثل سليمان** عَلَيْهِ السَّلَامُ) وكذا داود وإبراهيم عليهما السلام، فإنهم كانوا أصحاب جِدة (**و**) مثل (**عثمان**) بن عفان (**وعبد الرحمن بن عوف** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا) فإنهما من أغنياء الصحابة، فهؤلاء كلهم لم يشغلهم الغنىٰ عن الله تعالىٰ (**وكم من فقير شغله الفقر وصرفه عن المقصد**) كغالب أبناء الدنيا (**وغاية المقصد في الدنيا هو حب الله تعالىٰ والأنس به، ولا يكون ذلك إلا بعد معرفته، وسلوك سبيل المعرفة مع**) وجود (**الشواغل**) الصارفة (**غير ممكن، والفقر قد يكون من الشواغل، كما أن الغنىٰ قد يكون من الشواغل، وإنما الشاغل علىٰ التحقيق حب الدنيا**) وهو أساس كل خطيئة (**إذ لا يجتمع معه حبُّ الله في القلب، والمحب للشيء مشغول به، سواء كان في فراقه أو في وصاله، وربما يكون شغلُه في الفراق أكثر، وربما يكون شغله في الوصال أكثر**)

باختلاف الأشخاص والأحوال (**والدنيا معشوقة الغافلين**) والمغترِّين (**المحروم منها مشغول بطلبها**) بأيِّ وجه اتفق (**والقادر عليها مشغول بحفظها**) ورعايتها وتنميتها (**وبالتمتُّع بها، فإذًا إن فرضتَ فارغينِ عن حب المال بحيث صار المال في حقِّهما كالماء استوىٰ الفاقد والواجد؛ إذ كل واحد غير متمتِّع إلا بقدر الحاجة**) الضرورية (**ووجود قدر الحاجة أفضل من فقده؛ إذ الجائع يسلك سبيلَ الموت لا سبيل المعرفة، وإن أخذتَ الأمر باعتبار الأكثر فالفقير عن الخطر أبعد**) والداعية لا تتحرك إلا باستشعار القدرة، فإن صبر فالصبر مع القدرة شديد (**إذ فتنة السَّرَّاء أشد من فتنة الضَّرَّاء، ومن العصمة أن لا يقدر**) وهو من قول علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، كما تقدم (**ولذلك قال الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ: بُلينا بفتنة الضَّرَّاء فصبرنا، وبُلينا بفتنة السَّرَّاء فلم نصبر**) رُوي ذلك من قول عبد الرحمن ابن عوف، كما في الحلية، وقد تقدم (**وهذه خلقة الآدميين كلهم إلا الشاذ الفذ الذي لا يوجد في الأعصار الكثيرة إلا نادرًا**) والنادر كالمعدوم (**ولمَّا كان خطاب الشرع مع الكل لا مع ذلك النادر، والضراء أصلح للكل دون ذلك النادر، زجر الشرعُ عن الغنىٰ وذمَّه، وفضَّل الفقرَ ومدحه، حتىٰ قال المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ: لا تنظروا إلىٰ أموال أهل الدنيا، فإن بريق أموالهم يذهب بنور إيمانكم**) نقله صاحب القوت.

(**وقال بعض العلماء: تقليب الأموال يمص حلاوة الإيمان**) نقله صاحب القوت.

(**وفي الخبر: إن لكل أمَّة عجلاً، وعِجل هذه الأمَّة الدينار والدرهم**) قال صاحب القوت: رويناه من طرق. وقال العراقي[1]: رواه الديلمي في مسند الفردوس[2] من طريق أبي عبد الرحمن السُّلمي من حديث حذيفة بإسناد فيه جهالة.

---

(١) المغني ٢/ ١٠٩٢.

(٢) الفردوس بمأثور الخطاب ٣/ ٣٣٨.

قلت: لفظ الديلمي: «لكل أمَّة عِجل يعبدونه، وعِجل أمَّتي الدراهم والدنانير».

وروىٰ[١] أيضًا من حديث أبي هريرة: «لكل شيء آفة تفسده، وأعظم الآفات آفة تصيب أمتي حبهم الدنيا وجمعهم الدينار والدرهم».

وفي القوت: وفي الأثر: «لكل أمَّة فتنة، وإن فتنة أمَّتي هذا المال»[٢].

(وكان أصل عجل قوم موسىٰ) عليه السلام **(من حلية الذهب والفضة أيضًا)** كما هو بنص القرآن **(فاستواء المال والماء والذهب والحجر إنما يُتصوَّر للأنبياء والأولياء)** روىٰ ابن أبي الدنيا[٣] وابن عساكر[٤] عن فضيل بن عياض قال: ضرب عيسىٰ عليه السلام بيده إلىٰ الأرض، فقبض بها ثم بسطها، فإذا في إحدىٰ يديه ذهب وفي الأخرىٰ مَدَر، فقال لأصحابه: أيُّهما أحلىٰ في قلوبكم؟ قالوا: الذهب. قال: فإنهما عندي سواء **(ثم يتم لهم ذلك بعد فضل الله تعالىٰ)** عليهم **(بطول المجاهدة؛ إذ كان النبي** صلى الله عليه وسلم **يقول للدنيا: إليكِ عني)** إليكِ عني **(إذ كانت تتمثَّل له بزينتها)** رواه الحاكم مع اختلاف، وقد تقدَّم في ذم الدنيا.

(وكان علي رضي الله عنه **يقول: يا صفراء غُرِّي غيري، ويا بيضاء غُرِّي غيري)** رواه أحمد في الزهد[٥]: حدثنا وهب بن إسماعيل، حدثنا محمد بن قيس، عن علي ابن ربيعة الوالبي، عن علي بن أبي طالب قال: جاءه ابن النباج فقال: يا أمير المؤمنين،

---

(١) السابق ١/ ١٧١، وأوله: «إن الله جعل لكل شيء آفة ...» الخ، وزاد في آخره: «لا خير في كثير من جمعهما إلا من سلطه الله علىٰ هلكتهما في الحق».

(٢) رواه الترمذي في سننه ٤/ ١٦١ من حديث كعب بن عياض، وقال: حسن صحيح غريب. ورواه أيضا: أحمد في مسنده ٢٩/ ١٥، وابن حبان في صحيحه ٨/ ١٧.

(٣) اليقين ص ٣٦ - ٣٧.

(٤) تاريخ دمشق ٤٧/ ٤٠٩.

(٥) ورواه أيضا في فضائل الصحابة ١/ ٥٣٢.

امتلأ بيت [مال] المسلمين من صفراء وبيضاء. فقال: الله أكبر. فقام متوكِّئًا على ابن النباج حتى قام على بيت مال المسلمين فقال: هذا جنائي وخياره فيه؛ إذ كل جانٍ يده إلى فيه، يا ابن النباج عليَّ بأشياخ الكوفة. قال: فنودي في الناس، فأعطى جميع ما في بيت المال وهو يقول: يا صفراء ويا بيضاء غُرِّي غيري. ها وها حتى ما بقي فيه دينار ولا درهم، ثم أمر بنضحه وصلى فيه ركعتين.

(**وذلك لاستشعاره في نفسه ظهور مبادئ الاغترار بها لولا أنْ رأى برهان ربِّه، وذلك هو الغنى المطلق؛ إذ قال ﷺ: ليس الغنى عن كثرة العَرَض، إنما الغنى غنى النفس**) متفق عليه من حديث أبي هريرة، وقد تقدم[1].

(**وإذا كان ذلك بعيدًا فإذًا الأصلح لكافَّة الخلق فقدُ المال وإن تصدَّقوا به وصرفوه إلى الخيرات**) ووجوه البِر (**لأنهم لا ينفكُّون في القدرة على المال عن أنس بالدنيا وتمتُّع بالقدرة عليها واستشعار راحة في بذلها**) وصرفِها (**وكل ذلك يورث الأنسَ بهذا العالَم، وبقدر ما يأنس العبد بالدنيا يستوحش من الآخرة، وبقدر ما يأنس بصفة من صفاته سوى صفة المعرفة بالله يستوحش من الله ومن حبِّه، ومهما انقطعت أسباب الأنس بالدنيا تجافَى القلبُ عن الدنيا وزهرتها**) أي تباعَدَ (**والقلب إذا تجافى عمَّا سوى الله تعالى وكان مؤمنًا بالله انصرف لا محالة إلى الله؛ إذ لا يُتصوَّر قلب فارغ**) عن شغل (**وليس في الوجود إلا الله تعالى وغيره، فمَن أقبل على غيره فقد تجافَى عنه، ومَن أقبل عليه تجافَى عن غيره، ويكون إقباله على أحدهما بقدر تجافيه عن الآخَر، وقربه من أحدهما بقدر بُعده عن الآخَر، ومثلهما مثل المشرق والمغرب، فإنهما جهتان متقابلتان، فالمتردِّد بينهما بقدر ما يقرُب من أحدهما يبعُد عن الآخَر، بل عين القرب من أحدهما هو عين البعد من الآخر، فعين حب الدنيا هو عين بغض الله، فينبغي أن يكون مَطمح نظرِ العارف قلبه في عزوفه عن الدنيا وأنسه بها، فإذا فَضْلُ الفقير والغني بحسب تعلُّق قلبَيْهما بالمال فقط،**

---

(١) في كتاب ذم البخل.

فإذا تساويا فيه تساوت درجتَيْهما، إلا أن هذا مزلَّة قدم وموضع غرور، فإن الغني ربما يظن) في نفسه **(أنه منقطع القلب عن المال، ويكون حبه دفينًا في باطنه)** كامنًا **(وهو لا يشعر به، وإنما يشعر به إذا فقده، فليجرِّب نفسه بتفريقه أو إذا سُرق منه، فإن وجد لقلبه إليه التفاتًا)** ولنفسه ميلاً **(فليعلم أنه كان مغرورًا، فكم من رجل باع سُرِّية له)** أي جارية **(لظنِّه أنه منقطع القلب عنها)** وقد سلا حبَّها **(فبعد لزوم البيع وتسليم الجارية اشتعلت من قلبه النارُ التي كانت مستكنة فيه فتحقَّق أنه إذًا كان مغرورًا، وأن العشق كان مستكنًّا في الفؤاد استكنان النار تحت الرماد)** أو استكنانها في قلب الزناد **(وهذا حال كل الأغنياء إلا الأنبياء والأولياء)** فقد عصمهم الله تعالىٰ عن الغرور **(وإذا كان ذلك محالاً أو بعيدًا فلنطلق القولَ بأن الفقر أصلح لكافَّة الخَلق وأفضل؛ لأن علاقة الفقير وأنسه بالدنيا أضعف، وبقدر ضعف علاقته)** بها **(يتضاعف ثوابُ تسبيحاته وعباداته، فإن حركات اللسان)** بالأذكار **(ليست مرادة لأعيانها بل ليتأكَّد بها الأنسُ بالمذكور، فلا يكون تأثيرها في إثارة الأنس في قلب فارغ عن غير المذكور كتأثيرها في قلبٍ مشغول)** وهذا هو المراد من الخبر: «أن تموت ولسانك رَطْب بذكر الله» **(ولذلك قال بعض السلف: مثل مَن تعبَّد وهو في طلب الدنيا مثل مَن يطفئ النار بالحلفاء)**.

وكان يحيىٰ بن معاذ يقول: إذا كان التعبُّد والاجتهاد علىٰ غير زهدٍ لم يكن للعمل ميراث. يعني من حكمة ولا معرفة.

(و) قال آخر: مثل مَن زهد في الدنيا مع التنعُّم فيها **(مثل من يغسل يده من الغمر بالسمك)** كذا في القوت.

(وقال أبو سليمان الداراني: تنفُّس فقير دون شهوة لا يقدر عليها أفضل من عبادة غني ألف عام.

وعن الضحَّاك) بن[1] مزاحم الهلالي، المفسِّر المشهور، صدوق، كثير

---

(١) تقريب التهذيب ص ٤٥٩.

الإرسال، روىٰ له أصحاب السنن الأربعة، مات بعد المائة (**قال: مَن دخل السوق فرأىٰ شيئًا يشتهيه فصبر واحتسب كان خيرًا له من ألف دينار ينفقها كلَّها في سبيل الله تعالىٰ**)(١).

وقال رجل لبشر بن الحارث) الحافي رحمه الله تعالىٰ: (**ادْعُ الله لي، فقد أضرَّ بي العيال. فقال**) بشر: (**إذا قال لك عيالك: ليس عندنا دقيق ولا خبز، فادْعُ الله لي في ذلك الوقت، فإن دعاءك أفضل من دعائي**) كذا في القوت.

(**وكان**) بشر (**يقول: مثل الغني المتعبِّد مثل روضة علىٰ مزبلة، ومثل الفقير المتعبِّد مثل عقد الجوهر في جِيد الحسناء**)(٢) كذا في القوت.

(**وقد كانوا يكرهون سماع علم المعرفة من الأغنياء**) لأنهم ليسوا أهلاً لأنْ يؤخَذ عنهم ذلك (**وقد قال أبو بكر الصدِّيق** رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: **اللهم إني أسالك الذل عند النَّصَف من نفسي**) النَّصَف محرَّكة اسم من الانتصاف (**والزهد فيما جاوز الكفاف**)(٣) نقله صاحب القوت.

(**وإذا كان مثل الصدِّيق** رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ **في كمال حاله**) ومع شدته وقوته (**يحذَر من الدنيا ووجودها فكيف يُشَك في أن فقد المال أصلح من وجوده**) أو يُتردَّد فيه (**هذا مع أن أحسن أحوال الغني أن يأخذ حلالاً وينفق طيبًا، ومع ذلك فيطول حسابه في عرصات القيامة ويطول انتظاره، ومَن نوقِش الحساب فقد عُذِّب**) كما ورد في الخبر، وتقدَّم (**ولهذا تأخر عبد الرحمن بن عوف**) رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ (**عن الجنة إذ كان مشغولاً بالحساب، كما رآه رسول الله** ﷺ) فيما رواه الطبراني من حديث أبي أمامة، وقد تقدم قريبًا (**ولهذا قال أبو الدرداء** رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: **ما أحب أن لي حانوتًا علىٰ باب المسجد ولا تخطئني فيه صلاةٌ وذِكر وأربح كل يوم خمسين دينارًا وأتصدَّق بها في سبيل الله.**

---

(١) ذكره السمرقندي في تنبيه الغافلين ص ١٧٧. وفيه: مائة ألف دينار.

(٢) تقدم هذا الأثر في كتاب كسر الشهوتين.

(٣) رواه أبو الشيخ في طبقات المحدثين بأصفهان ٢/ ٢٧.

قيل: وما تكره؟ قال: سوء الحساب) رواه أبو نعيم في الحلية[١] فقال: حدثنا أبو عمرو بن حمدان، حدثنا أحمد بن إبراهيم بن عبد الله، حدثنا عمرو بن زرارة، حدثنا المحاربي، عن العلاء بن المسيب، عن عمرو بن مرة قال: قال أبو الدرداء: والذي نفس أبي الدرداء بيده ما أحب أن لي اليوم حانوتًا علىٰ باب المسجد لا تخطئني فيه صلاةٌ أربح فيه كل يوم أربعين دينارًا وأتصدَّق بها كلها في سبيل الله. قيل له: يا أبا الدرداء، وما تكره من ذلك؟ قال: شدة الحساب. ورواه محمد بن جنيد التَّمَّار عن المحاربي فقال: عن عمرو بن مرَّة عن أبيه.

(ولذلك قال شقيق) بن إبراهيم البلخي (**رحمه الله تعالىٰ: اختار الفقراء ثلاثة أشياء، واختار الأغنياء ثلاثة أشياء، اختار الفقراء راحة النفس وفراغ القلب وخفَّة الحساب، واختار الأغنياء تعب النفس وشغل القلب وشدة الحساب)**[٢] فإن الفقراء فقدوا المال، فارتاحت نفوسهم، وتفرَّغت قلوبهم لله تعالىٰ، وسيخفَّف حسابهم غدًا. بخلاف الأغنياء الواجدي المال، فإنهم أتعبوا أنفسهم في حفظه وتنميته، وشغلوا قلوبهم بحبِّه، وسيشتد حسابهم غدًا.

(وما ذكره ابن عطاء) رحمه الله تعالىٰ في جواب السائل لمَّا سأله: أيُّ الوصفين أفضل؟ (**من أن الغنىٰ وصفُ الحق تعالىٰ فهو بذلك أفضل**) لأن أوصاف الحق كلها مفضَّلة (**فهو صحيح، ولكن إذا كان العبد غنيًّا عن وجود المال وعدمه جميعًا بأن يستوي عنده كلاهما**) فيكون كالماء (**فأما إذا كان غنيًّا بوجوده ومفتقرًا إلىٰ بقائه فلا يضاهي غناه غنىٰ الله تعالىٰ؛ لأن الله تعالىٰ غني بذاته لا بما يُتصوَّر زواله، والمال يُتصوَّر أن يُسرَق**) أو يفرَّق، أو يصيبه غيرُ ذلك من حوادث الدهر (**وما ذُكر من الرد عليه**) أي علىٰ ابن عطاء (**بأن الله ليس غنيًّا بالأسباب والأعراض**) هو أيضًا (**صحيح**) لكن (**في ذم غني يريد بقاء المال، و**) أما (**ما ذُكر من أن صفات**

---

(١) حلية الأولياء ١/ ٢٠٩.

(٢) ذكره السمرقندي في تنبيه الغافلين ص ١٧٨.

الحق تعالىٰ لا تليق بالعبد) فهذا **(غير صحيح، بل العلم من صفاته، وهو أفضل شيء للعبد، بل منتهىٰ)** كمال **(العبد)** وسعادته **(أن يتخلَّق بأخلاق الله تعالىٰ)** وأن[1] يتحلَّىٰ بمعاني صفاته وأسمائه بقدر ما يُتصوَّر في حقه، ومَن لم يكن له منها حظٌّ إلا بأن يسمع لفظًا ويفهم في اللغة تفسيره ووصفه ويعتقد بالقلب وجودَ معناه لله تعالىٰ فهو مبخوس الحظ، نازل الدرجة، ليس يحسُن به أن يتبجَّح بما ناله، فقد روىٰ الطيالسي[2] والحكيم[3] وأبو يعلىٰ[4] من حديث عثمان بإسناد ضعيف: «إن لله مائة خُلُق وسبعة عشر خلقًا، فمَن أتىٰ اللهَ بخُلق واحد منها دخل الجنة». وحظوظ المقرَّبين من معاني أسماء الله تعالىٰ ثلاثة:

الأول: أن ينكشف لهم اتِّصاف الله تعالىٰ بها انكشافًا يجري مجرىٰ اليقين الحاصل للإنسان بصفاته الباطنة التي يدركها بمشاهدة باطنة.

الثاني: استعظامهم ما ينكشف لهم من صفات الجلال علىٰ وجه ينبعث منه شوقُهم إلىٰ الاتِّصاف بما يمكنهم من تلك الصفات؛ ليقرُبوا بها من الحق قربًا بالصفة لا بالمكان.

الثالث: السعي في اكتساب الممكن من تلك الصفات، والتخلُّق بها، والتحلِّي بمحاسنها، وبه يصير العبد ربَّانيًّا، رفيقًا للملأ الأعلىٰ من الملائكة.

(وقد سمعت بعض المشايخ يقول: إن سالك الطريق إلىٰ الله تعالىٰ قبل أن يقطع الطريق تصير الأسماء التسعة والتسعون أوصافًا له، أي يكون له من كل واحد نصيب) ولفظ المصنف في خاتمة المقصد الأسنىٰ[5]: ولقد سمعت الشيخ أبا علي

---

(١) المقصد الأسنىٰ ص ٤٢ - ٤٤.

(٢) مسند الطيالسي ١/ ٨٢.

(٣) نوادر الأصول ص ٢٨٨ - ٢٨٩، ١١٠٤.

(٤) المقصد العلي في زوائد أبي يعلىٰ الموصلي ١/ ٤٠ (ط - دار الكتب العلمية).

(٥) المقصد الأسنىٰ ص ١٦٢ - ١٦٦.

الفارمذي يحكي عن شيخه أبي القاسم الكركاني قدَّس الله روحهما أنه قال: إن الأسماء التسعة والتسعين تصير أوصافًا للعبد السالك وهو بعدُ في السلوك غير واصل. ثم قال: وهذا الذي ذكره إن أراد به شيئًا يناسب ما أوردناه في التنبيهات - يعني في أول المقصد الأسنىٰ - فهو صحيح، ولا يُظَن به إلا ذلك، ويكون في اللفظ نوع من التوسُّع والاستعارة، وإلا فإن معاني الأسماء هي صفات الله تعالىٰ، وصفاته لا تصير صفة لغيره، ولكن معناه أن يحصِّل ما يناسب تلك الأوصافَ، وإن أراد غير ذلك فهو باطل؛ لأن قول القائل «إن [معاني] أسماء الله تعالىٰ صارت أوصافًا له» لا يخلو إما إن عنىٰ به عينَ تلك الصفات أو مثلها، فإن عنىٰ به مثلها فإما إن عنىٰ به مثلها مطلقًا من كل وجه وإما إن عنىٰ به مثلها من حيث الاسم والمشاركة في عموم الصفات دون خواصِّ المعاني، فهذان قسمان، وإن عنىٰ به عينها فإما أن يكون بطريق الانتقال لصفات الرب إلىٰ العبد أو لا بالانتقال، فإن لم يكن بالانتقال فإما أن يكون باتحاد ذات العبد بذات الرب حتىٰ يكون هو هو فتكون صفاتُه صفاتَه، وإما أن يكون بطريق الحلول، وهذه أقسام ثلاثة وهي الانتقال والاتحاد والحلول، وقسمان متقدمان، فهذه خمسة أقسام، الصحيح منها قسم واحد وهو أن يثبُت للعبد من هذه الصفات أمورٌ تناسبها علىٰ الجملة وتشاركها في الاسم، ولكن لا تماثلها مماثلة تامة، وبقية الأقسام كلها مُحال وباطل. وحيث يطلَق الاتحاد ويقال: هو هو، لا يكون إلا بطريق التوسُّع اللائق بعادة الصوفية، وعليه ينبغي أن يُحمَل قول الشيخ أبي يزيد، حيث قال: انسلخت نفسي عن نفسي كما تنسلخ الحيَّة عن جلدها، فنظرت فإذا أنا هو. فيكون معناه أن من ينسلخ من شهوات نفسه وهواها وهمِّها، فلا يبقىٰ فيه متسَع لغير الله، ولا يكون همُّه سوىٰ الله، وإذا لم يجد في القلبَ إلا جلال الله وجماله حتىٰ صار مستغرقًا به يصير كأنَّه هو، لا أنه هو تحقيقًا، وفرقٌ بين قولنا: هو هو، وبين قولنا: كأنَّه هو، وهذه مزلَّة قدمٍ، فإنَّ مَن ليس له قدم راسخ في المعقولات ربما لم يتميَّز له أحدهما عن الآخر.

هذا حاصل ما ذكره المصنف في خاتمة المقصد الأسنىٰ.

(**وأما التكبُّر فلا يليق بالعبد، فإن التكبُّر علىٰ مَن لا يستحق التكبر عليه ليس من صفات الله تعالىٰ**) بل[1] اللائق منه في صفات الله تعالىٰ رؤية الكل حقيرًا بالإضافة إلىٰ ذاته، ولا يُتصوَّر ذلك علىٰ الإطلاق إلا لله تعالىٰ (**وأما التكبُّر علىٰ مَن يستحقُّه كتكبر المؤمن علىٰ الكافر وتكبر العالِم علىٰ الجاهل والمطيع علىٰ العاصي فيليق به. نعم، قد يُراد بالتكبر الزهو والصَّلَف**) والتيه (**والإيذاء، وليس ذلك من وصفِ الله تعالىٰ، وإنما وصفُ الله تعالىٰ أنه أكبر من كل شيء، وأنه يعلم أنه كذلك**) ولا يرىٰ العظمة والكبرياء إلا لنفسه، فينظر إلىٰ غيره نظر الملوك إلىٰ العبيد (**والعبد مأمور بأن يطلب أعلىٰ المراتب إن قدر عليه ولكن بالاستحقاق كما هو حقه، لا بالباطل والتلبيس، فعلىٰ العبد أن يعلم أن المؤمن أكبر من الكافر، والمطيع أكبر من العاصي، والعالِم أكبر من الجاهل، والإنسان أكبر من البهيمة والجماد والنبات وأقرب إلىٰ الله تعالىٰ منها، فلو رأىٰ نفسه بهذه الصفة رؤية محقَّقة لا شك فيها لكانت صفة التكبر حاصلة له ولائقة به وفضيلة في حقه، إلا أنه لا سبيل له إلىٰ معرفته، فإنَّ ذلك موقوف علىٰ الخاتمة، وليس يدري الخاتمة كيف تكون وكيف تتفق، فلجهله بذلك وجب أن لا يعتقد لنفسه رتبة فوق رتبة الكافر**) ولا يفضِّل نفسه عليه (**إذ ربما يُختَم للكافر بالإيمان**) فينجو (**وقد يُختَم له بالكفر**) فيهلك (**فلم يكن ذلك لائقًا به؛ لقصور علمه عن معرفة العاقبة**) وقال المصنف في المقصد الأسنىٰ: حظ العبد من اسمه تعالىٰ «المتكبِّر» أن يتنزَّه عمَّا يشغل سرَّه عن الحق ويتكبر علىٰ كل شيء سوىٰ الحق تعالىٰ، فيكون مستحقرًا للدنيا والآخرة، مترفِّعًا عن كل ما يشغله عن الحق تعالىٰ (**ولمَّا تصوَّر أن يعلم الشيء علىٰ ما هو به كان العلم كمالاً في حقه؛ لأنه من صفات الله تعالىٰ، ولمَّا كانت معرفة بعض الأشياء قد تضرُّه صار ذلك العلم نقصًا في حقه؛ إذ ليس من أوصاف الله تعالىٰ علمٌ يضرُّه،**

---

(١) السابق ص ٧٩.

فمعرفة الأمور التي لا ضرر فيها هي التي تُتصوَّر في العبد من صفات الله تعالىٰ، فلا جَرَمَ هو منتهَىٰ الفضيلة) وغاية الكمال (وبه فُضِّلَ الأنبياء والأولياء والعلماء، فإذًا لو استوىٰ عنده وجود المال وعدمه فهو نوع من الغنىٰ يضاهي بوجه من الوجوه الغنىٰ الذي يوصَف به الله سبحانه، فهو فضيلة) وكمال (أما الغنىٰ بوجود المال فلا فضيلة فيه أصلاً.

فهذا بيان نسبة حال الفقير القانع إلىٰ حال الغني الشاكر) وبه تم بيان المقام الأول.

(المقام الثاني: في) بيان (نسبة حال الفقير الحريص إلىٰ حال الغني الحريص، ولنفرض ذلك في شخص واحد هو طالب للمال وساعٍ فيه وفاقد له ثم وجده فله حالة الفقد وحالة الوجود، فأيُّ حالَيْه أفضل؟ فنقول: ننظر، فإن كان مطلوبه ما لا بد منه في المعيشة وكان قصدُه أن يسلك سبيل الدين) كحج وجهاد وصلة وقربات (ويستعين به عليه) كمطعم وملبس ومسكن ونحو ذلك (فحال الوجود أفضل) في حقه (لأن الفقد[1] يشغله بالطلب) والقلب إذا انصرف إلىٰ ذلك لم يتفرَّغ للدين (وطالب القوت لا يقدر علىٰ الفكر والذكر إلا قدرة مدخولة بشغل، والمكفيُّ هو القادر) وليس هذا من حظوظ الدنيا، فإنَّ أخذ الكفاية من الدنيا علىٰ نية التقوِّي علىٰ سلوك سبيل الدين كان ذلك كفاية، وهذه إحدىٰ فوائد المال المشار إليها علىٰ الإجمال (ولذلك قال ﷺ: اللهم اجعلْ قوت آل محمد كفافًا) تقدم قريبًا (وقال) ﷺ: (كاد الفقر أن يكون كفرًا) تقدَّم مرارًا (أي الفقر مع الاضطرار ممَّا لا بد منه) فهذا هو الذي يكاد أن يكون كفرًا (وإن كان المطلوب فوق الحاجة) الضرورية (أو كان المطلوب قدر الحاجة ولكن لم يكن المقصود الاستعانة به علىٰ سلوك سبيل الدين فحالة الفقد أفضل وأصلح) في حقه (لأنهما استويا في الحرص وحب المال، واستويا في أن كل واحد منهما ليس يقصد به الاستعانة علىٰ طريق الدين، واستويا في أن كل واحد منهما ليس يتعرَّض لمعصية بسبب

(١) المثبت من أ، وب. وفي غيرهما: الفقر.

الفقر والغنىٰ، ولكن افترقا في أن الواجد يأنس بما وجده فيتأكَّد حبُّه في قلبه ويطمئن إلىٰ الدنيا، والفاقد المضطر يتجافَىٰ قلبُه عن الدنيا، وتكون الدنيا عنده كالسجن الذي يبغي الخلاصَ منه، ومهما استوت الأمور كلها وخرج من الدنيا رجلان أحدهما أشد ركونًا إلىٰ الدنيا) أي ميلاً إليها (فحاله أشد لا محالة؛ إذ يلتفت قلبه إلىٰ الدنيا، ويستوحش من الآخرة بقدر تأكُّدِ أنسه بالدنيا، وقد قال ﷺ: إن روح القُدس) أي جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ (نفث في رُوعي) أي ألقىٰ فيه: (أحبِبْ مَن أحببتَ فإنك مفارقه) وعِشْ ما شئتَ فإنك ميت، واعمل ما شئت فإنك مجزيٌّ به. رواه الشيرازي في الألقاب من حديث سهل بن سعد نحوه، ورواه الطبراني في الأصغر والأوسط من حديث علي، وقد تقدم في آخر الباب السابع من كتاب العلم (وهذا تنبيه علىٰ أن فراق المحبوب شديد، فينبغي أن تحب مَن لا يفارقك) أبدًا (وهو الله تعالىٰ، ولا تحب ما يفارقك) ولو بعد حين (وهو الدنيا، فإنك إذا أحببت الدنيا كرهتَ لقاء الله تعالىٰ، فيكون قدومك بالموت علىٰ ما تكرهه وفراقك لِما تحبه، وكل مَن فارق محبوبًا فيكون أذاه في فراقه بقدر حبه) له (وقدر أنسه به) وألفته معه (وأنسُ الواجد للدنيا بالدنيا القادر عليها أكثر من أنس الفاقد لها وإن كان حريصًا عليها) وملتفتًا لتحصيلها (فإذًا قد انكشف بهذا التحقيق أن الفقر هو الأشرف والأفضل والأصلح لكافَّة الخلق إلا في موضعين، أحدهما: غنىٰ مثل غنىٰ عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا يستوي عنده الوجود والعدم، فيكون الوجود) مع هذا الحال (مزيدًا له) في حاله (إذ يستفيد به) حينئذٍ (أدعيةَ الفقراء والمساكين وجمع هِمَمهم) وتوجُّهات بواطنهم، وفيه فضيلة ظاهرة (والثاني: الفقر عن مقدار الضرورة) الماسَّة (فإنَّ ذلك يكاد أن يكون كفرًا) كما ورد به الخبر (فلا خير فيه) أي في الكفر، أو في هذا الفقر (بوجه من الوجوه إلا إذا كان وجوده يبقىٰ حياته ثم يستعين بقوته وحياته علىٰ الكفر) أو ما يفضي إليه (و) علىٰ (المعاصي) أو ما يفضي إليها (ولو مات جوعًا لكانت معاصيه أقل، فالأصلح له أن يموت جوعًا ولا يجد ما يضطر إليه أيضًا. فهذا تفصيل القول في الغنىٰ والفقر، ويبقىٰ النظر في فقير حريص متكالب علىٰ طلب المال ليس له همٌّ سواه، وفي غني) هو (دونه في الحرص علىٰ حفظ

المال ولم يكن تفجُّعه بفقد المال لو فقده) بسرقة أو تفريق أو غير ذلك **(كتفجُّع الفقير بفقده، فهذا في محل النظر)** والتأمُّل **(والأظهر)** من القولين **(أنَّ بُعدهما عن الله تعالىٰ بقدر قوة تفجُّعهما بفقد المال، وقربهما)** من الله تعالىٰ **(بقدر ضعف تفجُّعهما بفقده، والعلم عند الله تعالىٰ فيه)** والله الموفِّق.

بيان آداب الفقير في فقره

(اعلمْ) وفَّقك الله تعالىٰ (أن للفقير آدابًا في باطنه وظاهره ومخالطته) مع الناس (وأفعاله ينبغي أن يراعيها) ويحافظ عليها (فأما أدب باطنه فأن لا تكون فيه كراهية لِما ابتلاه الله تعالىٰ به من الفقر) لأنه تعالىٰ قسم لمصلحته (أعني أن لا يكون كارهًا فِعل الله تعالىٰ من حيث إنه فعله، وإن كان كارهًا للفقر) فإن قلتَ: الطباع تنفر من المؤلم، فأقول: الشرع لا يؤاخذ العبادَ علىٰ النفرة الطبيعية، وهذا (كالمحجوم يكون كارهًا للحجامة لتألُّمه بها، ولا يكون كارهًا لِفعل الحَجَّام، ولا كارهًا للحَجَّام) فالنفرة من حديدة الحَجَّام طبيعية لا خلاص منها إلا بالاستغراق، وذلك مقام الصدِّيقين (بل ربما يتقلَّد منه منَّةً) ويعطيه أجره (فهذا أقل درجاته) وهذه أفعال اختيارية، فهكذا ينبغي أن تُفهَم هذه المسألة (وهو واجب، ونقيضه حرام ومحبط لثواب الفقر، وهو معنىٰ قوله ﷺ: يا معشر الفقراء، أعطوا الله الرضا من قلوبكم تظفروا بثواب فقركم، وإلا فلا) رواه الديلمي من حديث أبي هريرة، وقد تقدم قريبًا (وأرفع من هذا أن لا يكون كارهًا للفقر، بل يكون راضيًا به، وأرفع منه أن يكون طالبًا له وفرِحًا به) ومحبًّا له (لعلمه بغوائل الغنىٰ) وتهاويله (ويكون متوكِّلاً في باطنه علىٰ الله، واثقًا به في قدر ضرورته أنه يأتيه لا محالة) علىٰ كل حال (ويكون كارهًا للزيادة علىٰ الكفاف، وقد قال علي رضي الله عنه: إن لله تعالىٰ عقوبات بالفقر ومثوبات بالفقر، فمن علامات الفقر إذا كان مثوبة أن يحسُن عليه خُلقُه، ويطيع فيه ربَّه، ولا يشكو حاله، ويشكر الله تعالىٰ علىٰ فقره. ومن علامته إذا كان عقوبة أن يسوء عليه خُلقُه، ويعصي ربَّه، ويترك طاعته، ويُكثِر الشكايةَ، ويتسخَّط القضاءَ) نقله صاحب القوت.

(وهذا يدل على أن كل فقر ليس محمودًا) بل بعض الفقر مذموم، وهذا منه **(بل الذي لا يتسخَّط ويرضى)** بما قضاه له مولاه **(أو يفرح بالفقر ويرضى لعلمه بثمرته)** فهذا هو المحمود **(إذ قيل: ما أُعطيَ عبدٌ شيئًا من الدنيا إلا قيل له: خذْه على ثلاثة أثلاث)**: ثلث **(شغلٌ)** به **(و)** ثلث **(همٌّ)** ملازم، وهذان في الدنيا **(و)** ثلث **(طول حساب)**[1] وهذا في الآخرة.

وروى الطبراني[2] من حديث ابن مسعود: «مَن أُشرِب قلبه حب الدنيا التاطَ منها بثلاث: شقاء لا ينفد عناه، وحرص لا يبلغ غناه، وأمل لا يبلغ منتهاه».

(وأما أدب ظاهره) وفي نسخة: وأما أدبه في ظاهره **(فأن يُظهِر التعفُّفَ والتجمُّلَ، ولا يُظهِر الشكوى والفقر)** لأحد **(بل يستر فقره، و)** أعلى من ذلك أن **(يستر أنه يستره، ففي الحديث: إن الله تعالى يحب)** عبده المؤمن **(الفقير المتعفِّف أبا العيال)** رواه ابن ماجه[3] والطبراني[4] وابن عدي والبيهقي[5] من حديث عمران ابن حصين، وقد تقدم.

(وقال تعالى: ﴿يَحۡسَبُهُمُ ٱلۡجَاهِلُ أَغۡنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ﴾ [البقرة: ٢٧٣].

وقال سفيان) الثوري رحمه الله تعالى: **(أفضل الأعمال التجمُّل عند المحنة)** رواه أبو نعيم في الحلية.

(وقال بعضهم: سترُ الفقر من كنوز البر).

---

(١) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء ٧/ ٢٠ عن سفيان الثوري بلفظ: ما أعطي رجل من الدنيا شيئا إلا قيل له: خذه ومثله حزنا. ورواه الدينوري في المجالسة وجواهر العلم ٨/ ٢١ عن الحسن البصري بلفظ: ما أعطي رجل شيئا من الدنيا إلا قيل له: خذه ومثله من الحرص.

(٢) المعجم الكبير ١٠/ ٢٠١.

(٣) سنن ابن ماجه ٥/ ٥٦٤.

(٤) المعجم الكبير ١٨/ ٢٤٢.

(٥) شعب الإيمان ١٣/ ١٠٨.

وروى أبو نعيم في الحلية(١) من حديث ابن عمر: «من كنوز البرِّ كتمانُ المصائب والأمراض والصدقة».

وروى الطبراني وابن عساكر(٢) من حديث أنس: «ثلاثة من كنوز البر: إخفاء الصدقة، وكتمان الشكوى، وكتمان المصيبة».

(وأما في أعماله فأدبه) وفي بعض النسخ: وأما أدبه في أعماله **(أن لا يتواضع لغنيٍّ لأجل غناه)** فقد روى الديلمي(٣) من حديث أبي ذر: «لعن الله فقيرًا تواضع لغني من أجل ماله، مَن فعل ذلك منهم فقد ذهب ثلثا دينه».

وروى البيهقي في الشعب(٤) من حديث ابن مسعود: «مَن دخل على غني فتضعضع له ذهب ثلثا دينه».

وللطبراني في الصغير(٥) من حديث أنس: «مَن تضعضع لغني لينال ممَّا في يديه أسخط الله عَزَّ وَجَلَّ [عليه]».

(بل يتكبَّر عليه) لله تعالى إن كان ذلك الغني ممَّن يفتخر بغناه، فإن التكبر عليه حينئذٍ ربما يكون بمنزلة الصدقة إذا كان الفقير واثقًا بالله عَزَّ وَجَلَّ، والمعنى فيه - والله أعلم - أن ينظر إلى زيِّهم وهيئاتهم بنظر الحقارة والإعراض؛ ليصغُر في عيونهم بذلك ما عظُمَ في نفوسهم من أمر الدنيا، فليس المراد بالتكبر هنا معناه الظاهر الذي هو التطاول والتفاخر والتظاهر، فهو من أكثف حُجُب القلب وأقوى صفات النفس **(قال علي كرَّم الله وجهه: ما أحسن تواضع الغني للفقير رغبةً في ثواب الله، وأحسن**

---

(١) حلية الأولياء ٨/ ١٩٧.

(٢) تاريخ دمشق ٥٢/ ٣١٦.

(٣) الفردوس بمأثور الخطاب ٣/ ٤٦٧.

(٤) شعب الإيمان ١٢/ ٣٧٥.

(٥) المعجم الصغير ٢/ ٣١.

منه تِيه الفقير علىٰ الغني ثقةً بالله تعالىٰ) وقد رأىٰ بعض الصوفية[١] عليًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في المنام وطلب أن يسمع منه شيئًا، فقال له ذلك. وقد تقدم.

(فهذه رتبة، وأقل منها أن لا يخالط الأغنياءَ ولا يرغب في مجالستهم؛ لأن ذلك من مبادئ الطمع) والطباع تسرق العادات بالمجالسة فيورث ذلك بغضَ الفقر ومحبةَ الدنيا **(قال)** سفيان **(الثوري)** رحمه الله تعالىٰ: **(إذا خالط الفقيرُ الأغنياءَ فاعلمْ أنه مُراءٍ، وإذا خالط السلطانَ فاعلمْ أنه لص)** رواه أبو نعيم في الحلية[٢]. وروىٰ الديلمي[٣] من حديث أبي هريرة: «إذا رأيتَ العالِم يخالط السلطان مخالطة كثيرة فاعلمْ أنه لص». وقد تقدم في الأمر بالمعروف.

(وقال بعض العارفين: إذا مال الفقير إلىٰ الأغنياء انحلّت عروته) أي عروة فقره؛ إذ بميله إليهم يبغض الفقر ويحب الدنيا **(فإذا طمع فيهم انقطعت عصمتُه)** أي عصمة فقره، بل تنكسر زجاجة زهده **(فإذا سكن إليهم ضلَّ)** عن طريق الوصول إلىٰ الله تعالىٰ، وصار ذلك السكون من أكثف الحُجُب. وكان سهل التستري رحمه الله تعالىٰ يقول: يلقي الله في قلب الفقير الرغبةَ في أبناء الدنيا والطمعَ فيهم حتىٰ يخرج إليهم، ويلقي في قلوبهم المنعَ له والجفاءَ عليهم، يؤدِّبه بذلك لئلاَّ يستحليه ويعتاده، فيردُّه بذلك إليه بعد أن منعه منهم، ثم يفتح له من عنده رزقًا من

---

(١) هو الفتح بن شخرف الكشي، فقد روىٰ السلفي في الطيوريات ٤/ ١٣٦٧ - ١٣٦٨ والخطيب في تاريخ بغداد ١٤/ ٣٦٥ وابن عساكر في تاريخ دمشق ٤٨/ ٢٣٤ عن أبي عبد الله محمد بن عبد الله صاحب بشر بن الحارث قال: قال لي الفتح بن شخرف: رأيت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب في النوم، فقلت: يا أمير المؤمنين، علمني شيئا حسنا. فبسط كفه إليَّ فإذا فيها مكتوب سطران، فقرأتهما فإذا هما: ما رأيت أحسن من تواضع الغني للفقير طلب ثواب الله، وأحسن من ذلك تيه الفقير علىٰ الغني ثقة بالله.

(٢) حلية الأولياء ٦/ ٣٨٧ بلفظ: إذا رأيت القارئ يلوذ بباب السلطان فاعلم أنه لص، وإذا رأيته يلوذ بالأغنياء فاعلم أنه مراء.

(٣) الفردوس بمأثور الخطاب ١/ ٢٧٦.

حيث لا يحتسب الغنيُّ.

(**ولا ينبغي أن يسكت عند ذِكر الحق مداهنةً للأغنياء وطمعًا في العطاء**) وهذا واجب، روىٰ البيهقي في الشعب[1] من قول ابن مسعود: مَن خضع لغني ووضع له نفسَه إعظامًا له وطمعًا فيما قِبَله ذهب ثلثا مروءته وشطرُ دينه.

(**وأما أدبه في أفعاله فأن لا يفتر بسبب الفقر عن عبادة**) الله عَزَّوَجَلَّ، أي لا يمنعه عنها؛ لأن الفقر أفرغ للشواغل، فهو أزيد للعبادة (و) أن (**لا يمنع بذل قليل ما يفضُل عنه، فإنَّ ذلك جهد المقلِّ**) وهو أفضل الصدقات، كما في الخبر (**وفضلُه أكثر من أموال كثيرة تُبذَل عن ظهر غنىٰ، روىٰ زيد بن أسلم**) العَدَوي مولاهم التابعي المدني مرسلاً (**قال: قال رسول الله ﷺ: درهم من الصدقة أفضل عند الله من مائة ألف درهم. قيل: وكيف ذلك يا رسول الله؟ قال: أخرج رجل من عرض ماله مائة ألف درهم فتصدَّق بها، وأخرج رجل درهمًا من درهمين لا يملك غيرهما طيبةً بها نفسه، فصار صاحب الدرهم أفضل من صاحب المائة ألف**)[2] قال العراقي[3]: رواه النسائي من حديث أبي هريرة متصلاً، وتقدم في الزكاة، ولا أصل له من رواية زيد بن أسلم مرسلاً.

قلت: وكذلك رواه ابن حبان والحاكم، ورواه النسائي أيضًا من حديث أبي ذر، ولفظهم جميعًا: «سبق درهمٌ مائة ألف، رجل له درهمان أخذ أحدَهما فتصدَّق به، ورجل له مال كثير فأخذ من عرضه مائة ألف فتصدَّق بها».

(**وينبغي أن لا يدَّخر مالاً، بل يأخذ**) منه (**قدر الحاجة ويُخرِج الباقي**) في سبيل الله تعالىٰ (**وفي الادِّخار ثلاث درجات، إحداها: أن لا يدَّخر إلا ليومه وليلته، وهي درجة الصدِّيقين. والثانية: أن يدخر لأربعين يومًا**) ولا يزيد (**فإنَّ ما زاد عليه**

---

(١) شعب الإيمان ١٠/ ٥٠٣.

(٢) ذكره هكذا السمرقندي في تنبيه الغافلين ص ١٧٧.

(٣) المغني ٢/ ١٠٩٢ - ١٠٩٣.

داخل في طول الأمل) وهو مذموم **(وقد فهم العلماءُ ذلك)** الحدَّ **(من ميعاد الله تعالىٰ لموسىٰ** عَلَيْهِ السَّلَامُ) إذ كان ميقاته أربعين ليلة **(ففُهمت منه الرخصة في أمل الحياة أربعين يومًا)** ويأتي للمصنف في كتاب التوكل ما يردُّه **(وهذه درجة المتقين. والثالثة: أن يدخر لسنته، وهي أقصىٰ المراتب)** والدرجات في الرخصة **(وهي رتبة الصالحين)** من خواصِّ المؤمنين **(ومَن زاد في الادِّخار علىٰ هذا)** القدْر **(فهو واقع في غمار العموم)** من المؤمنين **(خارج عن حيِّز الخصوص بالكلِّية، فغِنىٰ الصالح الضعيف في طمأنينة قلبه)** وفقدِ يقينه **(في قوت سنته، وغنىٰ الخصوص في أربعين يومًا، وغنىٰ خصوص الخصوص في يوم وليلة، وقد قسم النبيُّ** ﷺ **لنسائه علىٰ مثل هذه الأقسام، فبعضهن كان يعطيها قوت سنة عند حصول ما يحصل، وبعضهن قوت أربعين يومًا، وبعضهن يومًا وليلة منهن عائشة وحفصة)** والله الموفِّق.

بيان آداب الفقير في قبول العطاء إذا جاءه من غير سؤال

اعلمْ أنه (**ينبغي أن يلاحظ الفقير فيما جاءه**) من غير سؤال (**ثلاثة أمور: نفس المال، وغرض المعطي، وغرضه في الأخذ. أما نفس المال فينبغي أن يكون حلالاً**) طيبًا (**خاليًا عن الشبهات كلِّها، فإن كان فيه شُبهة فليحترز من أخذِه**) وليتجنَّبه، إلا أنهم أجازوا أخذه للحاجة القريبة من الضرورة، ولطِيب قلب المعطي إن كان والدًا أو قريبًا أو صديقًا. وإن كان حرامًا فلا يأخذه لحاجته ولا لطِيب قلب المعطي (**وقد ذكرنا في كتاب الحلال والحرام درجات الشبهة وما يجب اجتنابه وما يُستحَب**) فليُنظَر هناك.

(**وأما غرض المعطي فلا يخلو إما أن يكون غرضه تطييب قلبه وطلب محبته وهو الهدية، أو**) كان غرضه (**الثواب**) المجرَّد (**وهو الصدقة والزكاة، أو**) كان غرضه (**الذكر والرياء والسمعة إما على التجرُّد وإما ممزوجًا ببقية الأغراض. أما الأول وهو الهدية فلا بأس بقبولها، فإنَّ قبولها سنَّة رسول الله ﷺ**) فقد روى أحمد والبخاري وأبو داود والترمذي من حديث عائشة: كان ﷺ يقبل الهدية ويثيب عليها. وقد تقدم[١] (**ولكن ينبغي أن لا تكون فيها منَّة، فإن كانت فيها منَّة فالأولى**) للمخلصين من الصادقين (**تركها، فإن علم أن بعضها ممَّا تعظُم فيه المنَّة فليردَّ البعض دون البعض**) وذلك ممَّن يرى المنَّة للآخِذ (**فقد أُهدِي إلى رسول الله ﷺ**) من رجل أو امرأة (**سمن وأقط وكبش، فقبل السمن والأقط، وردَّ الكبشَ**) قال العراقي[٢]: رواه أحمد[٣] في أثناء حديث ليعلى بن مُرَّة: وأهدت إليه كبشين وشيئًا

---

(١) في كتاب أخلاق النبوة.

(٢) المغني ٢/ ١٠٩٣.

(٣) مسند أحمد ٢٩/ ٩٢، ١٠٥. وأوله: جاءت امرأة إلى النبي ﷺ ومعها صبي لها به لمم، فقال =

من سمن وأقط، فقال النبي ﷺ: «خذ السمن والأقط وأحد الكبشين، ورُدَّ عليها الآخَر». وإسناده جيد، وقال وكيع مرةً: عن يعلىٰ بن مرة عن أبيه. انتهىٰ.

قلت: هو[١] يعلىٰ بن مُرَّة بن وهب بن جابر الثقفي، له ولأبيه صحبة، وهو الذي أمره النبي ﷺ بقطع أعناب ثقيف. ووالده ذكره البغوي[٢] وغيره في الصحابة، له في ابن ماجه حديث اختُلف في إسناده علىٰ الأعمش[٣].

(وكان ﷺ يقبل من بعض الناس ويردُّ علىٰ بعض) قال العراقي[٤]: روىٰ أبو داود[٥] والترمذي[٦] من حديث أبي هريرة: «وايم الله، لا أقبل بعد يومي هذا من أحد هديةً إلا أن يكون مهاجرًا ...» الحديث، وفيه محمد بن إسحاق، ورواه بالعنعنة.

(وقال) ﷺ: **(لقد هممت أن لا أتَّهب)** أي لا أقبل الهبة **(إلا من قرشي أو ثقفي أو أنصاري أو دوسي)** قال العراقي[٧]: رواه الترمذي من حديث أبي هريرة، وقال: رُوي من غير وجه عن أبي هريرة. قلت: ورجاله ثقات. انتهىٰ.

قلت: ورواه كذلك عبد الرزاق[٨] وابن أبي شيبة[٩].

= النبي ﷺ: «اخرج عدو الله، أنا رسول الله». فبرأ، فأهدت إليه ... الخ.

(١) الإصابة في تمييز الصحابة ٩/ ١٧١ - ١٧٢، ١٠/ ٣٧٣.

(٢) معجم الصحابة ٥/ ٣٤٨.

(٣) هو حديث: كنت مع النبي ﷺ في سفر فأراد أن يقضي حاجته ... الخ. رواه ابن ماجه ١/ ٢٩٦ - ٢٩٧ في باب الارتياد للغائط والبول من كتاب الطهارة. والاختلاف الذي فيه أنه عن يعلىٰ أو عن أبيه.

(٤) المغني ٢/ ١٠٩٣.

(٥) سنن أبي داود ٤/ ١٩٤.

(٦) سنن الترمذي ٦/ ٢١٨ - ٢١٩. وسبب الحديث أن رجلا أهدىٰ إلىٰ النبي ﷺ هدية فعوضه منها بعض العوض فتسخطها.

(٧) المغني ٢/ ١٠٩٣.

(٨) مصنف عبد الرزاق ٩/ ١٠٥ - ١٠٦.

(٩) مصنف ابن أبي شيبة ١٠/ ٥٧٤.

والنسائي[١] والبيهقي[٢]، ولفظهم: «لقد هممت أن لا أقبل هدية». وأما لفظ المصنف فرواه أحمد[٣] والطبراني[٤] والبزار[٥] من حديث ابن عباس: «لقد هممت أن لا أتَّهِب هبةً إلا من أنصاري أو قرشي أو ثقفي». ورجال أحمد رجال الصحيح.

(وفعل هذا جماعة من التابعين) فقبلوا من البعض وردُّوا على البعض **(و)** يُحكَىٰ أنه **(جاءت إلىٰ فتح)** بن شخرف **(الموصلي)** رحمه الله تعالىٰ من أحد أصدقائه **(صرَّة فيها خمسون درهمًا، فقال: حدثنا عطاء)** إن كان هو ابن أبي رباح فإن فتحًا لم يدركه **(عن النبي ﷺ)** مرسلاً **(أنه قال: مَن أتاه رزقٌ من غير مسألة فردَّه فإنما يردُّه علىٰ الله عَزَّوَجَلَّ)** قال العراقي[٦]: لم أجده مرسلاً هكذا. ا.هـ. وسيأتي بعد هذا بحديث ما يصحِّح معناه **(ثم فتح الصَّرَّة وأخذ منها درهمًا وردَّ سائرَها)** أي باقيها. يحتمل أنه أخذ درهمًا قدر حاجته وردَّ ما لم يحتَجْ إليه، ويحتمل أنه أخذ الدرهم لتطييب قلب صديقه.

(وكان الحسن) البصري رحمه الله تعالىٰ **(يروي هذا الحديث أيضًا)** عن جماعة من الصحابة **(ولكن)** رُوي أنه **(حمل إليه رجل كيسًا)** فيه دراهم **(ورزمة من رقيق ثياب خراسان، فردَّ ذلك)** كلَّه **(وقال)**: يا هذا **(مَن جلس مجلسي هذا)** أي في التعليم والتذكير **(وقَبِلَ من الناس مثل هذا)** الذي أُهديَ إليه **(لقي اللهَ عَزَّوَجَلَّ يوم القيامة وليس له خَلاق)**[٧] أي حظ ونصيب من الثواب.

(وهذا) بظاهره **(يدل علىٰ أن أمر العالِم)** الذي انتصب لإفادة الناس

---

(١) سنن النسائي ص ٥٨١.

(٢) السنن الكبرىٰ ٦/ ٢٩٩.

(٣) مسند أحمد ٤/ ٤٢٤.

(٤) المعجم الكبير ١١/ ١٨.

(٥) مسند البزار ١١/ ٣٢.

(٦) المغني ٢/ ١٠٩٤.

(٧) تقدم هذا الأثر في الباب السادس من كتاب العلم بسياق أطول.

(والواعظ) الذي انتصب للتذكير **(أشد في قبول العطاء)** من غيرهما **(وقد كان الحسن)** رحمه الله تعالىٰ مع ذلك **(يقبل من أصحابه)** تطييبًا لقلوبهم **(وكان إبراهيم)** ابن يزيد **(التيمي)** مع ورعه **(يسأل أصحابه الدرهم والدرهمين ونحوه)** ويأخذ منهم، وكانوا يعرفون له المنَّة والفضل في قبوله منهم **(ويعرض عليه غيرُهم المئين)** من الدراهم من غير سؤال **(فلا يأخذها)** منهم **(وكان بعضهم إذا أعطاه صديقه شيئًا يقول)** له: **(اتركه عندك وانظر إن كنت بعد قبوله في قلبك أفضل مني قبل القبول فأخبِرْني حتىٰ آخذه وإلا فلا)** آخُذ، اختبارًا لصداقته.

(وأمارة هذا أن يشقَّ عليه الردُّ لو ردَّه) عليه **(ويفرح بالقبول، ويرىٰ المنَّة علىٰ نفسه)** والفضل **(في قبول صديقه هديته، فإن علم أنه تمازجه منَّةٌ فأخذُه مباح)** في ظاهر الشرع **(ولكنه مكروه عند الفقراء الصادقين)** فإنَّ صِدقهم في فقرهم يحملهم علىٰ ردِّ ما فيه منَّة.

(وقال بشر) بن الحارث رحمه الله تعالىٰ: **(ما سألت أحدًا قط شيئًا إلا سريًّا السقطي)** رحمه الله تعالىٰ **(لأنه قد صح عندي زهدُه في الدنيا)** وتسلية نفسه عنها **(فهو يفرح بخروج الشيء من يده)** ويرىٰ للآخذ منَّةً **(ويتبرَّم)** أي يتضجَّر **(ببقائه عنده، فأكون عونًا له علىٰ ما يحب)** نقله صاحب القوت.

(وجاء) رجل **(خراساني إلىٰ الجنيد رحمه الله تعالىٰ بمال)** هدية **(وسأله أن يأكله)** أي يصرفه علىٰ ما يأكله **(فقال)**: أقبله و**(أفرِّقه علىٰ الفقراء. فقال: ما أريد هذا)** إنما أريد أن تصرفه علىٰ أكلك **(قال)** الجنيد: هذا مال كثير **(ومتىٰ أعيش حتىٰ آكُل)** وفي نسخة: إلىٰ أن آكل **(هذا؟ قال)** الرجل: **(ما أريد أن تنفقه في الخل والبقل)** وما أشبهَ ذلك **(بل)** تنفقه **(في الحلاوات والطيِّبات)** من لذائذ الأطعمة **(فقبِلَ ذلك منه)** تطييبًا لخاطره، وعرف منه صِدق إرادته **(فقال الخراساني: ما أحد في بغداد أَمَنُّ عليَّ منك)** أي أكثر منَّةً منك عليَّ حيث قبلتَه مني **(فقال الجنيد: ولا ينبغي أن يُقبَل إلا من مثلك)** وهذا يدل علىٰ أنه يجوز قبول العطاء ممَّن يرىٰ للآخذ

منَّة ولو كان زائدًا علىٰ قدر حاجته.

(الثاني: أن يكون للثواب المجرَّد، وذلك صدقة أو زكاة) فإن كان زكاة (فعليه أن ينظر في صفات نفسه) أنه (هل هو مستحق للزكاة) أم لا، فإن كان مستحقًّا أخذ، وإلا فلا، وهذا واجب (فإن اشتبهَ عليه) ذلك (فهو محل شبهة) أي شُبهة صفة الاستحقاق، وهي آفة، وأيضًا فيه تضييق علىٰ الفقراء، فهي آفة ثانية، فلا يترجَّح أخذُها علىٰ الصدقة، ولكن في قبولها فوائد: الإعانة علىٰ الواجب، وعدم المنَّة، وعدم الأخذ بالدين، والأخذ للحاجة، وأبعد عن التكبر، وفي الصدقة عكس ذلك (وقد ذكرنا تفصيل ذلك في كتاب أسرار الزكاة) فليُطلَب من هناك (وإن كانت صدقة وكان يعطيه لدينه) أي يظن فيه الصلاح (فلينظر إلىٰ باطنه، فإن كان مقارفًا لمعصية في السر) ولم يتُبْ منها أو كان مصرًّا علىٰ معصية وهو (يعلم أن المعطي لو علم ذلك لنفر طبعُه ولَما تقرَّب إلىٰ الله تعالىٰ بالتصدُّق عليه فهذا حرامٌ أخذُه) أي لا يحل له القبولُ (كما لو أعطاه لظنِّه أنه عالِم أو عَلَوي) أي شريف هاشمي (ولم يكن) كذلك (فإنَّ أخذه حرام محض لا شبهة فيه) وفي قبول الصدقة للمتَّصف بالوصف الذي يعطَىٰ بسببه فائدة عظيمة إذا كان المتصدِّق لا يسمح بتلك الصدقة إلا لزيد بعينه، فقبولها إعانة له علىٰ البر وتوسيع علىٰ الفقراء، ومَن أخذ لله انتفَىٰ عنه الكبرُ والمنَّة، وهذه علامات باطنة بين العبد وربِّه، والقيام بها يبلِّغ درجةَ الصدِّيقين، وإهمالها يبلِّغ درجة الغافلين.

(الثالث: أن يكون غرضه السمعة والرياء والشهرة، فينبغي أن يردَّ عليه قصده الفاسد) ولا يُعان فيه (ولا يقبله) منه (إذ يكون) في قبوله منه (معينًا له علىٰ غرضه الفاسد) وهو حرام (وكان سفيان الثوري) رحمه الله تعالىٰ (يردُّ ما يُعطَىٰ ويقول: لو علمتُ أنهم لا يذكرون ذلك افتخارًا به) بين الناس (لأخذتُ.

وعوتِب بعضهم في ردِّ ما كان يأتيه من صلة) من أصدقائه (فقال: إنما أردُّ

صلتهم إشفاقًا عليهم ونصحًا لهم؛ لأنهم يذكرون ذلك) بين الناس **(ويحبون أن يُعلَم بهم)** ليُذكَروا به **(فتذهب أموالهم وتحبط أجورُهم)** لفساد نيَّاتهم.

(وأما غرضه) أي الفقير **(في الأخذ فينبغي أن ينظر أهو محتاج إليه فيما لا بد له منه أو هو مستغنٍ عنه، فإن كان محتاجًا إليه وقد سَلِمَ من الشبهة والآفات التي ذكرناها في المعطي)** ومن استشراف النفس **(فالأفضل له الأخذ)** فإن ردَّ ذلك عوقِب باستشراف نفس أو طمع أو أخذ شبهة **(قال النبي ﷺ: ما المعطي من سعة بأعظم أجرًا من الآخذ إذا كان محتاجًا إليه)** رواه الطبراني من حديث ابن عمر، وقد تقدم في كتاب الزكاة، وفي لفظ: «ما الذي يعطي من سعة بأعظم أجرًا من الذي يقبل من حاجة». رواه صاحب الحلية من حديث أنس.

(وقال ﷺ: مَن أتاه شيءٌ من هذا المال من غير مسألة ولا استشراف فإنما هو رزق ساقه الله إليه. وفي لفظ آخر: فلا يردُّه) قال العراقي[١]: روىٰ أحمد[٢] وأبو يعلىٰ[٣] والطبراني[٤] بإسناد جيد من حديث خالد بن عدي الجُهَني: «مَن بلغه معروفٌ من أخيه من غير مسألة ولا إشراف نفس فليقبله ولا يرده، فإنما هو رزق ساقه الله عَزَّوَجَلَّ إليه». ولأحمد[٥] وأبي داود الطيالسي[٦] من حديث أبي هريرة: «مَن آتاه الله من هذا المال شيئًا من غير أن يسأله فليقبله ...». الحديث. وفي الصحيحين[٧] من حديث عمر: «ما أتاك من هذا المال وأنت غير مشرف ولا سائل فخذْه ...» الحديث. انتهىٰ.

---

(١) المغني ٢/ ١٠٩٤.

(٢) مسند أحمد ٢٩/ ٤٥٦.

(٣) مسند أبي يعلىٰ ٢/ ٢٢٦.

(٤) المعجم الكبير ٤/ ١٩٦.

(٥) مسند أحمد ١٣/ ٢٩٩.

(٦) مسند الطيالسي ٤/ ٢٢٣.

(٧) صحيح البخاري ١/ ٤٥٦ - ٤٥٧، ٤/ ٣٣٤. صحيح مسلم ١/ ٤٦١ - ٤٦٢.

قلت: حديث خالد بن عدي الجُهَني رواه كذلك ابن أبي شيبة وابن سعد[١] وابن حبان[٢] والبغوي[٣] والباوَرْدي والحكيم وأبو نعيم[٤] والبيهقي[٥] والضياء بلفظ: «مَن جاءه من أخيه معروفٌ ...» والباقي سواء. قال البغوي: لا أعلم له غيره. ويُروَىٰ من حديث زيد بن خالد الجهني نحوه، رواه كذلك ابن حبان والحاكم[٦]. وحديث أبي هريرة تمامه بعد قوله «فليقبله»: «فإنما هو رزق ساقه الله [إليه]». وتمام حديث عمر: «فخذْه وتموَّله، وما لا فلا تُتْبِعْه نفسَك». وقد رواه كذلك النسائي[٧]. ورواه أحمد[٨] والطبراني من حديث أبي الدرداء نحوه.

ثم أشار المصنف إلىٰ آفات الرد وعقوباته فقال: (**وقال بعض العلماء: مَن أُعطيَ ولم يأخذ سأل ولم يُعْطَ.**

وقد كان سري السقطي) رحمه الله تعالىٰ (**يوصل إلىٰ**) الإمام (**أحمد بن حنبل**) رحمه الله تعالىٰ (**شيئًا**) من باب الهدية (**فردَّه مرةً**) ولم يأخذه (**فقال له السري: يا أحمد، احذرْ آفة الرد، فإنها أشد من آفة الأخذ. فقال له أحمد: أعِدْ عليَّ ما قلتَ. فأعاده**) ما قال (**فقال أحمد: ما رددتُ عليك إلا أنه عندي قوت شهر، فاحبسْه لي عندك، فإذا كان بعد شهر فانفذْه إليَّ**) فأنا أقبله. نقله صاحب القوت. وهذا يدل علىٰ جواز الرد إذا كان لغير حاجة.

---

(١) الطبقات الكبرىٰ ٥/ ٢٦٧.

(٢) صحيح ابن حبان ٨/ ١٩٦، ١١/ ٥٠٩.

(٣) معجم الصحابة ٢/ ٢٣٥ - ٢٣٦.

(٤) معرفة الصحابة ٢/ ٩٥٠.

(٥) شعب الإيمان ٥/ ١٨٢.

(٦) لم أقف عليه عند ابن حبان ولا عند الحاكم من حديث زيد بن خالد، ولكن رواه الطبراني عنه في المعجم الكبير ٥/ ٢٤٨.

(٧) سنن النسائي ص ٤٠٧.

(٨) مسند أحمد ٣٦/ ٣٠، ٤٥/ ٥٣٨. ولفظه: «سئل رسول الله ﷺ عن أموال السلطان، فقال: ما أتاك الله منها من غير مسألة ولا إشراف فكله وتموله».

(وقد قال بعض العلماء: يُخاف في الرد مع الحاجة) إليه (عقوبة من ابتلاء بطمع أو دخول في شبهة أو غيره) من العقوبات (فأما إذا كان ما أتاه زائدًا علىٰ) قدر (حاجته فلا يخلو إما أن يكون حاله الاشتغال بنفسه أو التكفُّل بأمور الفقراء) والقيام بمهمَّاتهم (والإنفاق عليهم لِما) جُبِلَ (في طبعه من الرفق والسخاء. فإن كان مشغولاً بنفسه فلا وجه لأخذه وإمساكه) عنده (إن كان طالبًا طريق الآخرة، فإنَّ ذلك محض اتِّباع الهوىٰ) وإنما هو اختبار وابتلاء من الله تعالىٰ (وكل عمل ليس لله فهو في سبيل الشيطان أو داعٍ إليه، ومَن حامَ حول الحِمَىٰ يوشك أن يقع في الحِمَىٰ) وهو لا يشعر، وقد ورد ذلك في الخبر، وتقدم. هذا وجه الأولويَّة في عدم أخذِه (ثم إن جوَّزنا (له) الأخذَ فله في الإخفاء والإظهار والأخذ والرد (مقامات)[1] وأحوال:

(أحدها: أن يأخذ في العلانية ويردَّ في السر) بحيث لا يطَّلع عليه أحد (أو يأخذ في العلانية ويفرِّق في السر، وهذا مقام الصدِّيقين) من الزاهدين، ويسمُّونه: الزهد في الزهد؛ لأنه ينشأ عن الزهد في المال والجاه. وفي إظهار الأخذ آفة عظيمة، فليأخذ حذره منها، وهي إحثاث المعطي وغيره علىٰ العطاء (وهو شاقٌّ علىٰ النفس، لا يطيقه إلا مَن اطمأنَّت نفسه بالرياضة) والتهذيب. وهذا الذي ذكره المصنف مقامًا للصدِّيقين أشبهَ أن يكون حالاً لهم، ولكن قد يكون الحال مقامًا وبالعكس، كما تقدم.

(والثاني: أن يترك) رأسًا (ولا يأخذ؛ ليصرفه صاحبه إلىٰ مَن هو أحوج منه، أو يأخذ ويوصل إلىٰ مَن هو أحوج منه، فيفعل كليهما في السر أو كِليهما في العلانية) تركُه علانيةً وعدم تولِّي صرفه بنفسه، وتركُه سرًّا كذلك، وأخذُه علانيةً وتولِّي صرفه بنفسه، وأخذُه سرًّا وتولِّي صرفه بنفسه. فهي أربع مقامات، فإذا أضيفت إلىٰ المقامين الأوَّلين صارت ستة، والأخذ في العلانية والإخراج فيها أيضًا هو مقام المقرَّبين؛ لأنهم لا يشهدون مع الله غيرَ الله؛ لأن كل ما سوىٰ الله من الله وبالله ولله وإلىٰ الله، فلا غير حينئذٍ؛ لأن الغير

(١) كذا، وفي الجميع: مقامان. وهو الصواب، ولم يذكر الغزالي غيرهما.

هو المضاهي الظاهر و﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: ٢٢] ومَن شاهد الوجود علىٰ ما وصفنا انتفت عنه الآفات الداخلة علىٰ غيره من العمَّال، وهذا لا يخفَىٰ في الأخذ والعطاء تخوُّفًا علىٰ نفسه لا لأجل المعطي والآخِذ؛ لأن من المتصدِّقين من يقصد إظهار الصدقة ونشرها فلا يُعان علىٰ قصده، ومن المتصدَّق عليهم مَن يشتهي ستر حاله فيُعان عليه؛ لأن ستر حال المؤمن واجب. وأما الأخذ في السر فهو مقام الصالحين من الزاهدين إذا سَلِمَ من آفاته، ومن آفاته خوفُ الجاه وإسقاط المنزلة من القلوب والنظر إليه بعين الرغبة والحسد في أن يرىٰ المعطي بعين الإحسان. وأما الأخذ في السر والإخراج في العلانية فإن سَلِمَ من الآفات التي ذُكرت في الإخفاء ومن آفة الرياء في الإخراج فهو علىٰ خير، والسلامة في مثل هذه الحالة بعيدة. وأما مَن يأخذ سرًّا ولا يُخرِج سرًّا ولا علانيةً فهذا الذي يأكل الدنيا بالدين، نسأل الله أن يعيذنا من شرِّه، فإنه إذا مات فضح أهل الطريق **(وقد ذكرنا هل الأفضل إظهار الأخذ أو إخفاؤه في كتاب أسرار الزكاة مع جملة من أحكام الفقر، فليُطلَب من موضعه.**

وأما امتناع أحمد بن حنبل عن قبول عطاء سري السقطي رحمهما الله تعالىٰ فإنما كان لاستغنائه عنه؛ إذ كان عنده قوت شهر، ولم يرضَ لنفسه أن يشتغل بأخذه وصرفِه إلىٰ غيره، فإنَّ في ذلك آفات وأخطارًا) أعظمها الاشتغال بغير الله تعالىٰ **(والورع)** من شأنه **(يكون حذرًا من مَظانِّ الأخطار)** وفي نسخة: الآفات. فليتجنَّب عنها **(إذا لم يأمن مكيدة الشيطان علىٰ نفسه)** ومَن يكون في الورع مثل أحمد رحمه الله تعالىٰ.

(وقال بعض المجاورين بمكة: كانت عندي دراهم أعددتها للإنفاق في سبيل الله، فسمعت) مرةً **(فقيرًا قد فرغ من طوافه)** وصلاته وتعلَّق بأستار الكعبة **(وهو يقول بصوت خفيٍّ)**: يا رب **(إني جائع كما ترىٰ)** يا رب **(إني عريان كما ترىٰ، فما ترىٰ فيما ترىٰ يا مَن يَرىٰ ولا يُرَىٰ)** قيل: إنه كان من فقراء العجم ودعا بالعجمية

وهذه ترجمته (**فنظرت فإذا عليه خلقان**) أي ثياب رثَّة (**لا تكاد تواريه**) لِقِصَرها وتقطُّعها (**فقلت في نفسي: لا أجد لدراهمي موضعًا أحسن من هذا، فحملتها إليه، فنظر إليها، ثم أخذ منها خمسة دراهم وقال: أربعة ثمن مِئزرين، ودرهم أنفقه ثلاثًا، ولا حاجة لي إلىٰ الباقي. فردَّه**) إليَّ (**قال: فرأيته الليلة الثانية**) يطوف (**وعليه مِئزران جديدان، فهجس في نفسي منه شيءٌ**) أي ساءَ ظني فيه (**فالتفت إليَّ فأخذ بيدي فأطافني معه أسبوعًا، كل شوط منها علىٰ جوهر من معادن الأرض يتخشخش**) أي يتحرك مع صوت (**تحت أقدامنا إلىٰ الكعبين، منها ذهب وفضة وياقوت ولؤلؤ وجوهر، ولم يظهر ذلك للناس، فقال**) لي: (**هذا كله قد أعطانيه**) ربي (**فزهدت فيه وآخُذ من أيدي الخلق؛ لأن هذه أثقال وفتنة**) وامتحان (**وذلك**) أي الأخذ من أيدي الخلق (**للعباد فيه رحمة ونعمة**) أورده صاحب القوت[1] في كتاب التوكل، وفيه: ثم قال له: نحن مكاشَفون بسر المُلك، وظاهرٌ لنا كنوز الأرض، ولكن لا نأخذ منه شيئًا زهدًا فيه، ولأن له أثقالاً، فتركُه أفضل، ونأخذ أرزاقنا من أيدي الناس وبالأسباب؛ لأنه أحب إلىٰ الله لمنافع العباد، ولأن الحكمة والأحكام في هذا أكثر.

(**والمقصود من**) ذِكر (**هذا أن الزيادة علىٰ قدر الحاجة إنما تأتيك ابتلاءً**) واختبارًا (**وفتنة لينظر الله إليك ماذا تعمل فيه، وقدر الحاجة يأتيك**) من حيث كان (**رفقًا بك**) وشفقةً عليك (**فلا تغفل عن الفرق بين الرفق والابتلاء، قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ﴾**) أي نختبرهم (**﴿أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾﴾**) [الكهف: ٧] **أيُّهم** أزهد في الدنيا.

(**وقال ﷺ: لا حقَّ لابن آدم إلا في ثلاث: طعام يقيم صلبه، وثوب يواري عورته، وبيت يكنُّه**) من الحر والبرد (**فما زاد فهو حساب**) قال العراقي[2]: رواه

(١) قوت القلوب ٢/ ٩٦٤ - ٩٦٥.

(٢) المغني ٢/ ١٠٩٤.

الترمذي[١] من حديث عثمان بن عفان، إلا أنه قال: وجلف الخبز والماء، بدل قوله: طعام يقيم صلبه، وقال: صحيح. انتهىٰ.

قلت: لفظه في جامعه: «ليس لابن آدم حق فيما سوىٰ هذه الخصال: بيت يسكنه، وثوب يواري عورته، وجِلْف الخبز والماء». وقال: حسن صحيح. وهكذا رواه عنه عبد بن حميد[٢] والحاكم[٣] والضياء[٤].

وروىٰ ابن النجار[٥] من حديث ثوبان: «يكفيك من الدنيا ما سدَّ جوعتك ووارَىٰ عورتك، فإن كان لك شيء يظلُّك فذاك، وإن كانت لك دابَّة تركبها فبَخٍ».

(فإذًا أنت في أخذ قدر الحاجة من هذه الثلاث مثاب) لأن لك فيها حقًّا، وقد أذن لك اللهُ في أخذها **(وفيما زاد عليه إن لم تعصِ الله متعرِّض للحساب)** فيمَ أخذته؟ وفيمَ صرفتَه؟ **(وإن عصيت الله فأنت متعرِّض للعقاب)** فهذا معنىٰ قوله: حلالها حساب، وحرامها عقاب **(ومن الاختبار أيضًا أن تعزم علىٰ ترك لذة من اللذات)** الدنيوية **(تقرُّبًا إلىٰ الله تعالىٰ، وكسرًا لصفة النفس)** أي لثورتها **(فتأتيك)** تلك اللذة **(عفوًا صفوًا)** من غير تبعة ولا كدورة **(لتُمتحَن بها قوة عقلك)** هل تلابسها أو تتركها **(فالأَولىٰ الامتناع عنها، فإن النفس إذا رُخِّص لها في نقض العزم ألفتْ نقض العهد وعادت لعادتها)** القديمة **(ولا يمكن قهرها)** بعد إلفتها **(فردُّ ذلك مهمٌّ)** من آكَدِ المهمَّات **(وهو الزهد، فإن أخذتَه)** في العلانية **(وصرفتَه إلىٰ محتاج)** سرًّا **(فهو غاية الزهد)** ويسمَّىٰ: زهد الزهد **(ولا يقدر عليه إلا الصدِّيقون)** من الزاهدين، وقد

---

(١) سنن الترمذي ٤/ ١٦٤.

(٢) المنتخب من مسند عبد بن حميد ١/ ١٠٠.

(٣) المستدرك علىٰ الصحيحين ٤/ ٤٥٣.

(٤) الأحاديث المختارة ١/ ٤٤٥ - ٤٥٧.

(٥) وكذلك البيهقي في شعب الإيمان ١٣/ ٥ - ٦، وابن عدي في الكامل ٢/ ٧٠٧، ٧/ ٢٥٦٣، والطبراني في المعجم الأوسط ٩/ ١٣٦.

أشرنا إلىٰ ذلك في أول الفصل (**وأما إذا كان حالك السخاء والبذل والتكفُّل بحقوق الفقراء وتعهُّد جماعة من الصلحاء**) بالخدمة وقضاء الحوائج (**فخذْ ما زاد علىٰ حاجتك، فإنه غير زائد علىٰ حاجة الفقراء**) إذ حاجاتهم كثيرة (**وبادِرْ به إلىٰ الصرف إليهم، ولا تدَّخره لغد، فإن إمساكه ولو ليلة واحدة فيه فتنة واختبار**) من الله تعالىٰ (**فربما يحلو في قلبك فتمسكه ويكون فتنة عليك**) إلا لأمر ضروري لا بد منه (**وقد تصدَّىٰ لخدمة الفقراء**) في الرُّبط والزوايا (**جماعةٌ اتَّخذوها وسيلة إلىٰ التوسُّع في المال والتنعُّم في المطعم والمشرب**) والملبس (**وذلك هو**) عين (**الهلاك**) ويليه أن يتخذها وسيلة إلىٰ تحصيل الجاه (**ومَن كان غرضه الرفق**) بالفقراء (**وطلب الثواب به**) من الله تعالىٰ (**فله أن يستقرض علىٰ حُسن الظن بالله لا علىٰ اعتماد السلاطين الظَّلَمة**) أن يأتي منهم شيء فيؤدِّيه منه (**فإن رزقه الله من حلال قضاه، وإن مات قبل القضاء قضاه الله تعالىٰ عنه وأرضىٰ**) عنه (**غُرَماءه، وذلك بشرط أن يكون مكشوف الحال عند مَن يقرضه، فلا يغرُّ المُقرِضَ، ولا يخدعه بالمواعيد، بل يكشف حالَه عنده**) أي يظهره له بأنه لا يملك شيئًا من متاع الدنيا، والذي يستقرضه إنما هو لأجل الصرف علىٰ مواضع الثواب، وأن سداده إنما هو من الفيض المطلَق لا عن جهة معلومة معيَّنة (**ليُقدِم**) المقرِضُ (**علىٰ إقراضه**) وهو (**علىٰ بصيرة**) ويقين من أمره (**ودَينُ مثل هذا الرجل**) إذا عجز أو مات (**واجب أن يُقضَىٰ من بيت المال ومن الزكوات**) بعد أن يُرفَع أمره إلىٰ وليِّ الأمر (**فقد قال تعالىٰ: ﴿وَمَن قُدِرَ عَلَيۡهِ رِزۡقُهُۥ﴾**) أي ضُيِّق وحُبس (﴿فَلۡيُنفِقۡ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُۚ﴾ [الطلاق: ٧] **قيل: معناه: ليبعْ أحدَ ثوبيه**) ويكتفي بالثوب الواحد (**وقيل: معناه: فليستقرضْ بجاهه فذلك ممَّا قد آتاه الله.**

وقال بعضهم: لله تعالىٰ عبادٌ ينفقون علىٰ قدر بضائعهم) الموجودة عندهم (**ولله عباد ينفقون علىٰ قدْر حُسن الظن بالله تعالىٰ**)[1] وهؤلاء أعلىٰ مقامًا.

---

(١) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء ١٠/١٤٦ عن رجل يكنىٰ أبا هاشم.

(**ومات بعضهم فأوصىٰ بماله**) أي ثلثه (**لثلاث طوائف: الأقوياء والأسخياء والأغنياء، فقيل**) له: (**مَن هؤلاء؟ فقال: أما الأقوياء فهم أهل التوكل علىٰ الله تعالىٰ، وأما الأسخياء فهم أهل حُسن الظن بالله تعالىٰ، وأما الأغنياء فهم أهل الانقطاع إلىٰ الله تعالىٰ**) انقطعوا إلىٰ الله تعالىٰ فأغناهم عن غيره.

(**فإذًا مهما وُجدت هذه الشروط فيه وفي المال وفي المعطي فليأخذ**) وهو الأفضل (**وينبغي أن يرىٰ ما يأخذه من الله تعالىٰ لا من المعطي، إنما المعطي**) في الظاهر (**واسطة قد سُخِّر للعطاء، وهو مضطرٌّ إليه بما سُلِّط عليه من الدواعي**) والبواعث (**والإرادات والاعتقادات**) والمعطي الحق في الحقيقة هو الله تعالىٰ، هذا هو التوحيد الكامل، وقد تقدم تحقيق ذلك في أسرار الزكاة (**وقد حُكي أن بعض الناس**) من المعتقدين (**دعا شقيقًا**) ابن إبراهيم البلخي رحمه الله تعالىٰ (**في خمسين من أصحابه**) فأتىٰ بهم إلىٰ منزله (**فوضع الرجل مائدة حسنة، فلما قعد**) شقيق (**قال لأصحابه: إن هذا الرجل**) يعني صاحب المائدة (**يقول: مَن لم يرني صنعتُ هذا الطعام وقدَّمته فطعامي عليه حرام. فقاموا كلهم**) ولم يأكلوا (**وخرجوا**) من المنزل، وكانوا ممَّن ينظرون إلىٰ الحقائق (**إلا شابًّا منهم كان دونهم في الدرجة، فقال صاحب المنزل لشقيق: ماذا قصدتَ بهذا؟ قال: أردتُ أن أختبر توحيد أصحابي كلهم**) هل كمُل توحيدُهم أم لا، فإن كمال التوحيد أن لا يرىٰ في الوجود فاعلاً إلا الله، ولا ينكر الوسائطَ فإنهم مسخَّرون بإذن الله تعالىٰ، ولمَّا كان الشاب لم يكمُل في معرفته بعدُ أكلَ من الطعام ولم يقُمْ، فإنَّ مقامه يعطي أن الذي صنع الطعام وقدَّمه إليه هو صاحب المنزل، ولا يعدو علمُه ذلك.

(**وقال موسىٰ عليه السلام: يا رب، جعلتَ رزقي هكذا علىٰ أيدي بني إسرائيل، يغدِّيني هذا يومًا، ويعشِّيني هذا ليلةً. فأوحىٰ الله تعالىٰ إليه: هكذا أصنع بأوليائي، أُجري أرزاقَهم علىٰ أيدي البَطَّالين**) وفي لفظ: العاصين (**من عبادي ليؤجَروا فيهم**)

نقله صاحب القوت[1] وقال: فعلمُ هذا للمتوكلين ومعرفةُ هذه الحكمة لمَن أوصل إليهم قسمهم من الموصِّلين مقام للجميع في المعرفة واليقين، فهو حال للمعطي الموصِّل وطريق للآخذ المتوكل.

(فلا ينبغي أن يرىٰ المعطي إلا من حيث إنه مسخَّر مأجور من الله تعالىٰ) لا أنه المعطي حقيقةً. والله الموفِّق.

---

(١) قوت القلوب ٢/ ٩٦٥.

بيان تحريم السؤال من غير ضرورة وآداب الفقير المضطر إليه

(اعلمْ) أغناك الله تعالىٰ (أنه قد وردت مَناهٍ كثيرةٌ في السؤال وتشديدات) عظيمة تدل علىٰ تحريمه، والمراد بالسؤال هنا سؤال الناس عامةً، ويكون ذلك لنفسه، وخرج بذلك ما إذا كان يسأل لغيره فهذا غير داخل في تلك التشديدات، بل هو معونة، وخرج من ذلك أيضًا ما إذا كان لنفسه لكنه سأل الأقارب والأصدقاء، فهو طريق القوم وعليه العمل؛ لأن الأصدقاء يفرحون بذلك ويرون الفضل والمنَّة للصديق القاصد، وإليه يشير قوله: (وورد فيه أيضًا ما يدل علىٰ الرخصة؛ إذ قال ﷺ: للسائل حقٌّ ولو جاء علىٰ فرس) قال العراقي[١]: رواه أبو داود[٢] من حديث الحسين بن علي ومن حديث علي، وفي الأول يعلىٰ بن أبي يحيىٰ، جهَّله أبو حاتم[٣]، ووثَّقه ابن حبان[٤]. وفي الثاني شيخ لم يُسمَّ، وسكت عليهما أبو داود. انتهىٰ.

قلت: ورواه كذلك أحمد[٥] وابن خزيمة[٦] والطبراني[٧] والباوَرْدي وابن قانع[٨] وأبو نعيم في الحلية[٩] والبيهقي[١٠] والضياء، كلهم عن فاطمة بنت الحسين

---

(١) المغني ٢/ ١٠٩٥.

(٢) سنن أبي داود ٢/ ٣٧٤.

(٣) الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٩/ ٣٠٣.

(٤) الثقات ٧/ ٦٥٢.

(٥) مسند أحمد ٣/ ٢٥٤.

(٦) صحيح ابن خزيمة ٤/ ١٠٩.

(٧) المعجم الكبير ٣/ ١٤١.

(٨) لم يروه ابن قانع من حديث فاطمة عن أبيها، وإنما رواه ٣/ ٢١١ من حديث الهرماس بن زياد.

(٩) حلية الأولياء ٨/ ٣٧٩.

(١٠) السنن الكبرىٰ ٧/ ٣٧. شعب الإيمان ٥/ ٨٠.

عن أبيها، والرواية الثانية رواها أيضًا البيهقي. وقال السخاوي في المقاصد[١]: هو من رواية فاطمة بنت الحسين بن علي، واختُلِف عليها، فقيل: عنها عن أبيها عن علي، وقيل بدون علي، وقيل: عنها عن جدَّتها فاطمة الكبرىٰ، وهذه الرواية عند إسحاق بن راهويه. وعلىٰ كل حال، ففي الباب عن الهرماس عند الطبراني[٢]، وفيه عثمان بن فائد، وهو ضعيف. وعن ابن عباس[٣]. وعن زيد بن أسلم رفعه مرسلاً بلفظ: «أعطوا السائل ولو جاء علىٰ فرس». أخرجه مالك في الموطأ[٤] هكذا، ووصله ابن عدي[٥] من طريق عبد الله بن زيد بن أسلم عن أبيه عن أبي صالح عن أبي هريرة، ولكن عبد الله ضعيف، بل رواه ابن عدي[٦] أيضًا من طريق عمر بن يزيد المدائني عن عطاء عن أبي هريرة، وعمر ضعيف أيضًا. وللدارقطني في الأفراد[٧] من طريق الحسن بن علي الهاشمي عن الأعرج عن أبي هريرة مرفوعًا: «لا يمنعنَّ أحدُكم السائلَ أن يعطيه وإن كان في يده قلبَين من ذهب»، وقال: تفرَّد به الحسن عن الأعرج. وهو في مسند الضياء[٨].

ثم قال العراقي: وأمَّا ما ذكره ابن الصلاح في علوم الحديث[٩] أنه بلغه عن أحمد بن حنبل أنه قال: أربعة أحاديث تدور في الأسواق ليس لها أصل،

---

(١) المقاصد الحسنة ص ٣٣٧ - ٣٣٨.

(٢) المعجم الكبير ٢٢/ ٢٠٤.

(٣) حديث ابن عباس رواه ابن عدي في الكامل ١/ ٢٥٨.

(٤) الموطأ ٢/ ٩٩٦.

(٥) الكامل في الضعفاء ٤/ ١٥٠٤.

(٦) السابق ٥/ ١٦٨٧.

(٧) وكذلك البزار في مسنده ١٥/ ٣١٣، وابن عدي في الكامل ٢/ ٧٣٣، والعقيلي في الضعفاء الكبير ١/ ٢٥٤.

(٨) في المقاصد: «وهو في مسند الفردوس».
والحديث في الفردوس بمأثور الخطاب ٥/ ١٢٨.

(٩) مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث ص ٢٦٥.

منها: «للسائل حق ...» الحديث، فإنه لا يصح عن أحمد[١]، فقد أخرج حديث الحسين بن علي في مسنده. انتهىٰ.

قلت: ووجدت بخط الحافظ نقلاً عن خط ابن رجب الحنبلي ما نصه: وردُّ ذلك عن أحمد بمجرَّد روايته له في مسنده فيه نظرٌ، فكم من حديث قال فيه أحمد «لا يصح» وقد أخرجه في مسنده، ومَن [طالَعَ] كتب العلل لعبد الله بن أحمد والأثرم والخَلاَّل علم صحةَ هذا. انتهىٰ.

وبخط الحافظ أيضًا: الصحيح عن أحمد أنه أنكر حديث «لو صدق السائلُ ما أفلح مَن ردَّه»، كذا نقل عنه مهنًّا، وكذا قال ابن المديني: ثلاثة أشياء لا تصح عن النبي ﷺ، منها: «لو صدق السائل»[٢].

(وفي الحديث: رُدُّوا السائلَ ولو بظِلْف محرَّق) قال العراقي[٣]: رواه أبو داود[٤]، والترمذي[٥] وقال: حسن صحيح، والنسائي[٦] واللفظ له من حديث أم

---

(١) قد رواه عنه ابن الجوزي في الموضوعات ٢/ ٢٣٦.

(٢) في كتاب التذكرة في الأحاديث المشتهرة للزركشي ص ٣١ ما نصه: «ذكر الحاكم أبو عبد الله الحافظ النيسابوري في كتاب الجامع لذكر أئمة الأمصار المزكين لرواة الأخبار قال: قرأت علىٰ قاضي القضاة أبي الحسن محمد بن صالح الهاشمي، ثنا عبد الله بن الحسين بن موسىٰ، ثنا عبد الله بن علي المديني قال: سمعت أبي يقول: خمسة أحاديث يروونها ولا أصل لها عن رسول الله ﷺ: حديث: لو صدق السائل ما أفلح من رده. وحديث: لا وجع إلا وجع العين، ولا غم إلا غم الدين. وحديث: أن الشمس ردت علىٰ علي بن أبي طالب. وحديث: أنه ﷺ قال: أنا أكرم علىٰ الله من أن يدعني تحت الأرض مائتي عام. وحديث: أفطر الحاجم والمحجوم وأنهما كانا يغتابان». وكذلك نقله ابن القيم في بدائع الفوائد ص ١١٥١ (ط - دار عالم الفوائد) وابن كثير في البداية والنهاية ٨/ ٥٨٤.

(٣) المغني ٢/ ١٠٩٥.

(٤) سنن أبي داود ٢/ ٣٧٥.

(٥) سنن الترمذي ٢/ ٤٤.

(٦) سنن النسائي ص ٤٠٠، ٤٠١.

بُجَيد، وقال ابن عبد البر[١]: مضطرب. انتهىٰ.

قلت: رواه بهذا اللفظ أيضًا مالك[٢] وأحمد[٣] والبخاري في التاريخ[٤] وابن ماجه وابن حبان[٥] والبيهقي[٦]، كلهم من طريق ابن بجيد الأنصاري عن جدته. ورواه ابن سعد[٧] والطبراني[٨] من رواية عمرو بن معاذ الأنصاري عن جدته حواء. هكذا هو في الجامع الكبير[٩] للسيوطي.

وقال الحافظ في الإصابة[١٠]: حواء أم بُجَيد بموحدة وجيم مصغَّرا، صحابية، روىٰ حديثَها مالكٌ عن زيد بن أسلم عن ابن بجيد الأنصاري عن جدَّته عن النبي ﷺ أنها سمعته يقول: «رُدُّوا السائل ولو بظِلْف محرَّق». هكذا أخرجه أحمد في مسنده عن روح بن عبادة عن مالك، وترجم لها: حواء جدة عمرو بن معاذ. ورواه أصحاب الموطأ[١١] فيه عن مالك عن زيد بلفظ: «يا نساء المؤمنات، لا تحقرنَّ إحداكن لجارتها ولو كراعًا محرَّقًا». ورواه مالك أيضًا عن زيد بن أسلم عن عمرو بن معاذ عن جدته حواء عن النبي ﷺ قال: «لا تحقرنَّ جارة لجارتها

---

(١) الاستيعاب ٢/ ٥٧٥. التمهيد ٤/ ٢٩٨ - ٣٠١.

(٢) الموطأ ٢/ ٩٢٣.

(٣) مسند أحمد ٢٧/ ٢٠٨، ٣٨/ ٢٧٠، ٤٥/ ١٢٧ - ١٣٠، ٤٤٠.

(٤) التاريخ الكبير ٥/ ٢٦٢.

(٥) صحيح ابن حبان ٨/ ١٦٧ - ١٦٨.

(٦) السنن الكبرىٰ ٤/ ٢٩٦ - ٢٩٧.

(٧) الطبقات الكبرىٰ ١٠/ ٤٢٦ - ٤٢٧.

(٨) المعجم الكبير ٢٤/ ٢٢٠ - ٢٢١.

(٩) الجامع الكبير ٥/ ١٥٦ - ١٥٧ (ط - الأزهر).

(١٠) الإصابة في تمييز الصحابة ١٢/ ٢٠٥ - ٢٠٧.

(١١) منهم أبو مصعب الزهري ٢/ ١٠٨ (ط الرسالة)، والقعنبي كما عند الجوهري في مسند الموطأ ص٣٢٨، ٣٢٩، وغيرهم.

ولو فِرْسِن شاة»[١]. وأخرجه من طريق سعيد المقبري عن عبد الرحمن بن بجيد الأنصاري عن جدته مثله. وقال الليث: حدثني سعيد المقبري عن عبد الرحمن بن بجيد عن جدته - وكانت ممَّن بايع رسولَ الله ﷺ - أنها قالت لرسول الله ﷺ: إن المسكين لَيقومُ علىٰ بابي فلا أجد له شيئًا أعطيه [إياه] فقال لها: «إن لم تجدي له شيئًا تعطيه إياه إلا ظِلْفًا محرَّقًا فادفعيه إليه في يده». هكذا أخرجه ابن سعد عن أبي الوليد عن الليث.

وقال في القسم الثالث[٢]: فرَّق ابن سعد بين حواء جدة عمرو بن معاذ الأنصارية وبين حواء أم بجيد، وهما واحدة.

(**ولو كان السؤال حرامًا مطلقًا لَما جازت إعانة المعتدي علىٰ عدوانه، والإعطاء إعانة، فالكاشف للغطاء فيه**) عن وجه الصواب (**أن السؤال حرام في الأصل، وإنما يباح لضرورة**) داعية له (**أو حاجة مهمة قريبة من الضرورة، فإن كان عنها**) أي عن تلك الحاجة. وفي نسخة: عنه. أي عن السؤال (**بدٌّ فهو حرام**) والحاجة الخفيفة فيها تردُّدٌ (**وإنما قلنا إن الأصل فيه التحريم لأنه لا ينفكُّ عن ثلاثة أمور محرَّمة**) هي في الحقيقة آفات مهلكة:

أما (**الأول: إظهار الشكوىٰ من الله سبحانه وتعالىٰ**) لقصور النعمة (**إذ السؤال إظهار للفقر وذِكرٌ لقصور نعمة الله تعالىٰ عنه، وهو عين الشكوىٰ، وكما أن العبد المملوك**) لرجل (**لو سأل**) الناسَ (**لكان سؤاله تشنيعًا علىٰ سيده، فكذا سؤال العباد تشنيع علىٰ الله تعالىٰ، وهذا ينبغي أن يحرَّم**) لِما في ضمنه من الشكاية من الله تعالىٰ (**ولا يحل إلا لضرورة**) ماسَّة (**كما تحل الميتةُ**) عند الضرورة.

---

(١) قال ابن عبد البر في التمهيد ٣/ ٣٨٨ (ط مؤسسة الفرقان): لفظ حديث مالك ليس فيه ذكر «فرسن»، وإنما فيه: «لو كراع محترق».

(٢) بل في القسم الرابع ١٢/ ٢١٠.

(**والثاني: أن فيه إذلال السائل نفسه لغير الله تعالىٰ**) وقد قيل: ثلاث من الذل: الدَّين ولو درهمًا، والبنت ولو مريم، والسؤال ولو أين الطريق؟ (**وليس للمؤمن أن يذلَّ نفسه لغير الله**) كما ورد في الخبر، أي إلا في عبادة كتعليم علم أو غيره، وقد تقدم في كتاب العلم (**بل عليه أن يذلَّ نفسه لمولاه فإنَّ فيه عزه**) بل هو عين العبودية (**فأما سائر الخلق فإنهم عِباد أمثاله، فلا ينبغي أن يذلَّ لهم إلا لضرورة**) دعتْه لذلك (**وفي السؤال ذلٌّ للسائل بالإضافة إلىٰ المسؤول**) منه. ومن دعاء الإمام أحمد: اللهم كما صنتَ وجهي عن السجود لغيرك فصُنْ وجهي عن مسألة غيرك[1].

(**الثالث: أنه لا ينفكُّ عن إيذاء المسؤول غالبًا**) لتردُّده بين العطاء والمنع (**لأنه ربما لا تسمح نفسه بالبذل عن طِيب قلب منه**) وإنما يستحي أو يرائي (**فإن بذل حياءً من السائل أو رياءً فهو حرام علىٰ الآخذِ**) بلا خلاف بين الأئمَّة، وعلىٰ هذا قولهم: ما أُخِذَ بسيف المحاياة فهو حرام (**وإن منع ربما استحيا وتأذَّىٰ في نفسه بالمنع؛ إذ يرىٰ نفسه**) حينئذٍ (**في صورة البخلاء، ففي البذل**) علىٰ الوجه المذكور (**نقصان ماله، وفي المنع نقصان جاهه، وكلاهما مؤذيان**) أحدهما في الظاهر، والثاني في الباطن (**والسائل هو السبب في الإيذاء**) المذكور (**والإيذاء حرام إلا لضرورة**) فلأجل هذه المفاسد كان السؤال حرامًا في الأصل، فلا يباح إلا لضرورة أو حاجة مهمة كما ذكر، وكل ذلك يحرُم مع الغِنىٰ، كما سيأتي ذلك (**ومهما فهمتَ هذه المحذورات الثلاث فقد فهمتَ قولَه ﷺ**) حيث قال: (**مسألة الناس من الفواحش، ما أُحِلَّ**) أي ما أُبيحَ (**من الفواحش غيرها**) قال العراقي[2]: لم أجد له أصلا[3].

(**فانظر كيف سمَّاها فاحشة**) وهي ما تفاحَشَ جُرمُها فتوجب الحدَّ في الدنيا،

---

(١) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء ٩/ ٢٣٣، ومن طريقه ابن الجوزي في مناقب الإمام أحمد ص ٣٩٢.

(٢) المغني ٢/ ١٠٩٥.

(٣) الحديث رواه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥/ ١٤١٥ عن أبي حازم الرهاوي عن مولاه دون قوله: (ما أحل من الفواحش غيرها).

والعذاب في العقبىٰ **(ولا يخفَىٰ أن الفاحشة إنما تباح لضرورة كما يباح شرب الخمر لمَن غصَّ بلقمة وهو لا يجد غيرها)** أي غير الخمر.

(وقال ﷺ: مَن سأل عن غنىٰ فإنما يستكثر من جمر جهنم، ومَن سأل وله ما يغنيه جاء يوم القيامة ووجهه عظمٌ يتقعقع ليس عليه لحم) قال العراقي[١]: رواه أبو داود وابن حبان من حديث سهل ابن الحنظلية مقتصرًا علىٰ ما ذكر منه، وتقدم في الزكاة. ولمسلم[٢] من حديث أبي هريرة: «مَن سأل الناسَ أموالَهم تكثُّرًا فإنما يسأل جمرًا ...» الحديث. وللبزار[٣] والطبراني[٤] من حديث مسعود ابن عمرو: «لا يزال العبد يسأل وهو غني حتىٰ يخلق وجهُه». وفي إسناده لينٌ. وللشيخين[٥] من حديث ابن عمر: «ما يزال الرجل يسأل الناس حتىٰ يأتي يوم القيامة ليس في وجهه مُزْعة لحم». انتهىٰ.

قلت: لفظ حديث سهل ابن الحنظلية عند أبي داود وابن حبان: «مَن سأل وعنده ما يغنيه فإنما يستكثر من جمر جهنم». ورواه كذلك أحمد وابن خزيمة وابن جرير والطبراني والحاكم والبيهقي.

وروىٰ عبد الله بن أحمد في زوائد المسند[٦] من حديث علي: «مَن سأل مسألة عن ظهر غنًىٰ استكثر بها من رَضْف جهنم».

وروىٰ ابن حبان[٧] وابن شاهين وتمام[٨] والضياء[٩] من حديث عمر: «مَن

---

(١) المغني ٢/ ١٠٩٥ - ١٠٩٦.

(٢) صحيح مسلم ١/ ٤٦٠.

(٣) كشف الأستار عن زوائد البزار ١/ ٤٣٤.

(٤) المعجم الكبير ٢٠/ ٣٣٣. وتمام الحديث: «فما يكون له عند الله وجه».

(٥) صحيح البخاري ١/ ٤٥٧. صحيح مسلم ١/ ٤٥٩.

(٦) مسند أحمد ٢/ ٤٠٨. وتمامه: «قالوا: ما ظهر غنىٰ؟ قال: عشاء ليلة».

(٧) صحيح ابن حبان ٨/ ١٨٦.

(٨) فوائد تمام ٢/ ١٤٤.

(٩) الأحاديث المختارة ١/ ٣٩٩ - ٤٠١.

سأل [الناس] ليُثْرِي ماله فإنما هو رَضْف من النار يلتقمه، فمَن شاء فليُقِلَّ، ومَن شاء فليُكثِر».

ولفظ حديث أبي هريرة عند مسلم: «مَن سأل الناس أموالهم تكثُّرًا فإنما يسأل جمر جهنم، فليستقل منه أو ليستكثِر». وقد رواه كذلك أحمد[١] وابن ماجه[٢].

وروىٰ أحمد[٣] وابن جرير في التهذيب[٤] وابن قانع[٥] والطبراني[٦] وأبو نعيم[٧] والضياء من حديث حُبْشي بن جُنادة: «مَن سأل من غير فقر فإنما يأكل الجمر». وفي رواية لابن جرير والطبراني: «مَن سأل الناس ليُثْري به ماله كان خُموشًا في وجهه ورَضْفًا من جهنم يأكله يوم القيامة، فمَن شاء فليُقِلَّ، ومَن شاء فليُكثِر». وفي رواية أخرىٰ للطبراني: «مَن سأل الناس في غير مصيبة جاحته فكأنَّما يُلقَم الرَّضْفة».

وقول المصنف «ومَن سأل وله ما يغنيه ...» الحديث، يقرُب منه ما رواه الديلمي من حديث أنس: «مَن سأل الناس وعنده ما يكفيه جاء يوم القيامة وليس علىٰ وجهه مُزْعة لحم»[٨].

(وفي لفظ آخر): مَن سأل وله ما يغنيه **(كانت مسألته خُدوشًا وكُدوحًا في وجهه)** قال العراقي[٩]: رواه أصحاب السنن من حديث ابن مسعود، وتقدم في

---

(١) مسند أحمد ١٢/ ٨٠ - ٨١.

(٢) سنن ابن ماجه ٣/ ٢٩٢.

(٣) مسند أحمد ٢٩/ ٥١ - ٥٢.

(٤) تهذيب الآثار - السفر الأول من مسند عمر ص ٢٣.

(٥) معجم الصحابة ١/ ١٩٨.

(٦) المعجم الكبير ٤/ ١٥.

(٧) معرفة الصحابة ٢/ ٨٩٧.

(٨) كنز العمال ٦/ ٥٠٤، وهو عند العقيلي في الضعفاء ١/ ٢١٤، وهو من مناكير الحارث بن النعمان.

(٩) المغني ٢/ ١٠٩٦.

الزكاة. انتهىٰ.

قلت: رواه أحمد بلفظ: «مَن سأل مسألة وهو عنها غني جاءت يوم القيامة كُدوحًا في وجهه». وفي رواية له: «مَن سأل الناس وله ما يغنيه جاء يوم القيامة ومسألته في وجهه خموشًا أو خدوشًا أو كدوح». ورواه كذلك أبو داود والترمذي - وقال: حسن - والنسائي وابن ماجه وابن جرير والحاكم والبيهقي.

وحديث ابن عمر عند الشيخين: «ما يزال الرجل يسأل ...» الحديث رواه أيضًا النسائي[1]، كلهم من طريق حمزة بن عبد الله بن عمر عن أبيه.

(وهذه الألفاظ صريحة في التحريم والتشديد.

وبايع رسولُ الله ﷺ قومًا علىٰ الإسلام، فاشترط عليهم السمع والطاعة، ثم قال لهم كلمة خفيفة) كذا في النسخ، والصواب: خفيَّة **(ولا تسألوا الناس شيئًا)** رواه مسلم من حديث عوف بن مالك الأشجعي، وقد تقدم في كتاب ذم البخل وحب المال.

وروىٰ أبو داود[2] والنسائي[3] من حديث ثوبان: «مَن يتكفَّل لي أن لا يسأل الناس [شيئًا] فأتكفَّل له بالجنة»؟ فكان [ثوبان] تسقط علاقة سوطه فلا يأمر أحدًا يناوله إياه وينزل هو فيأخذه.

(وكان ﷺ يأمر كثيرًا بالتعفُّف عن السؤال ويقول: مَن سألنا أعطيناه، ومَن استغنىٰ أغناه الله تعالىٰ، ومَن لم يسألنا فهو أحب إلينا) قال العراقي[4]: رواه ابن

---

(١) سنن النسائي ص ٤٠٣.

(٢) سنن أبي داود ٢/ ٣٦٥.

(٣) سنن النسائي ص ٤٠٤.

واللفظ المذكور ليس لفظهما، وإنما هو لفظ البغوي في معجم الصحابة ١/ ٤١٢.

(٤) المغني ٢/ ١٠٩٦.

أبي الدنيا في القناعة[١] والحارث بن أبي أسامة في مسنده من حديث أبي سعيد الخدري، وفيه حصن بن هلال، لم أرَ مَن تكلم فيه، وباقيهم ثقات[٢]. انتهىٰ.

قلت: ورواه ابن جرير في تهذيبه[٣] بلفظ: «مَن استعفَّ أعفَّه الله، ومَن استغنىٰ أغناه الله، ومَن سألنا شيئًا فوجدناه أعطيناه». ورواه أحمد[٤] والنسائي[٥] والبيهقي[٦] والضياء بلفظ: «مَن استغنىٰ أغناه الله، ومَن استعفَّ أعفَّه الله، ومَن استكفىٰ كفاه الله، ومَن سأل وله قيمة أوقيَّة فقد ألحفَ».

(وقال ﷺ: استغنوا عن الناس، وما قلَّ من السؤال فهو خير. قالوا: ومنك يا رسول الله؟ قال: ومني) قال العراقي[٧]: رواه البزار[٨] والطبراني[٩] من حديث ابن عباس: «استغنوا عن الناس ولو بشَوْص السواك». وإسناده صحيح. وله[١٠] من حديث لعديٍّ الجُذامي: «فتعفَّفوا ولو بحُزَم الحطب». وفيه مَن لم يُسَمَّ، وليس فيه: وما قلَّ من السؤال ... الخ. انتهىٰ.

---

(١) القناعة والتعفف ص ٤٤.

(٢) حديث أبي سعيد عند البخاري ١/ ٤٥٥، ٤/ ١٨٦ ومسلم ١/ ٤٦٥ بلفظ: «سأل ناس من الأنصار رسول الله ﷺ فأعطاهم، ثم سألوه فأعطاهم، ثم سألوه فأعطاهم، حتىٰ نفد ما عنده، فقال: ما يكون عندي من خير فلن أدخره عنكم، ومن يستعفف يعفه الله، ومن يستغن يغنه الله، ومن يتصبر يصبره الله، وما أعطي أحد عطاء خيرا وأوسع من الصبر».

(٣) تهذيب الآثار - السفر الأول من مسند عمر ص ١١.

(٤) مسند أحمد ١٧/ ١١٤.

(٥) سنن النسائي ص ٤٠٥.

(٦) السنن الكبرىٰ ٧/ ٣٨.

(٧) المغني ٢/ ١٠٩٧.

(٨) مسند البزار ١١/ ١٠٧، ٢٨٦.

(٩) المعجم الكبير ١١/ ٤٤٤.

(١٠) السابق ١٧/ ١١٠. وفيه: «إنما الأيدي ثلاثة: فيد الله العليا، ويد المعطي الوسطىٰ، ويد المعطَىٰ السفلىٰ، فتعففوا ولو بحزم الحطب».

قلت: حديث ابن عباس رواه أيضًا ابن جرير في تهذيبه[١] والعسكري في الأمثال والبيهقي[٢].

ولابن عدي[٣] من حديث أبي هريرة: «استغنوا بغنىٰ الله».

(وسمع عمر) بن الخطاب (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **سائلاً يسأل)** الناس **(بعد المغرب، فقال لواحد من قومه: عَشِّ الرجلَ)** فأخذه **(فعشَّاه، ثم سمعه ثانيةً يسأل، فقال: ألم أَقُلْ لك عَشِّ الرجلَ؟ قال: قد عشَّيته. فنظر)** إليه **(عمر فإذا تحت يده مِخلاة مملوءة خبزًا، فقال: لستَ سائلاً ولكنك تاجر. ثم أخذ المخلاة ونثرها بين يدي إبل الصدقة وضربه بالدِّرَّة وقال: لا تعُدْ)**[٤] إلىٰ صنيعك هذا.

(ولولا أن سؤاله كان حرامًا لَما ضربه ولا أخذ مخلاته) ولَما أنكر عليه فِعله ونهاه عنه **(ولعل الفقيه الضعيف المُنَّة)** بضم الميم، أي القوة **(الضيق الحوصلَّة)** بتشديد اللام **(يستبعد هذا من فعل عمر)** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **(ويقول: أما ضربُه فهو تأديب، وقد ورد الشرع بالتعزير)** فهو لا بأس به **(فأما أخذُ ماله)** وهو كِسَر الخبز التي كانت في المِخلاة **(فهو مصادرة، والشرع لم يَرِدْ بالعقوبة بأخذ المال، فكيف استجازَه؟! وهذا استبعاد مصدره القصور في الفقه، فأين يظهر فقه الفقهاء كلهم في حوصلَّة عمر بن الخطاب** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **واطِّلاعه علىٰ أسرار دين الله ومصالح عباده؟ أفترىٰ أنه لم يعلم أن المصادرة بالمال غير جائزة؟ أو)** أنه **(علمَ ذلك ولكن أقدم عليه غضبًا في معصية الله؟ وحاشاه)** من ذلك **(أو)** أنه **(أراد الزجر بالمصلحة بغير طريقِ شرعها**

---

(١) تهذيب الآثار - السفر الأول من مسند عمر ص ٢١.

(٢) شعب الإيمان ٥/ ١٦٩.

(٣) الكامل في الضعفاء ٣/ ١٠٩٨. وتمامه: «قيل: يا رسول الله، فما غنىٰ الله؟ قال: عشاء يوم أو غداء يوم».

(٤) رواه ابن حبان في الثقات ٥/ ٤٣٧ عن المسيب بن دارم البصري. وفيه: «إنما أنت تاجر تجمع لأهلك». وليس فيه أنه ضربه بالدرة.

نبيُّ الله ﷺ؟ وهيهات! فإنَّ ذلك أيضًا معصية، بل الفقه الذي لاح له فيه أنه رآه مستغنيًا عن السؤال، وعلمَ أن مَن أعطاه شيئًا فإنما أعطاه علىٰ اعتقاد أنه محتاج، وقد كان كاذبًا، فلم يدخل في ملكه بأخذه مع التلبيس) والتخليط (وعسُرَ تمييز ذلك وردُّه إلىٰ أصحابه؛ إذ لا يُعرَف أصحابه بأعيانهم، فبقي مالاً لا مالك له، فوجب صرفُه إلىٰ المصالح، وإبل الصدقة وعلفها من المصالح. ويتنزَّل أخذُ السائل مع إظهار الحاجة كاذبًا كأخذ العَلَوي) الشيءَ (بقوله: إني علوي، وهو كاذب) في دعواه (فإنه لا يملك ما يأخذه. وكأخذ الصوفي الصالح الذي يُعطَىٰ لصلاحه) وتصوُّفه (وهو في الباطن مقارف لمعصية لو عرفها المعطي لَما أعطاه، وقد ذكرنا في مواضع أن ما أخذوه علىٰ هذا الوجه لا يملكونه، وهو حرام عليهم، ويجب عليهم الردُّ إلىٰ مالكه) لعدم تحقُّق الاستحقاق (فاستدِلَّ بفعل عمر رضي الله عنه علىٰ صحة هذا المعنىٰ الذي يغفل عنه كثير من الفقهاء، وقد قرَّرناه في مواضع، ولا تستدلَّ بغفلتك عن هذا الفقه علىٰ بطلان فِعل عمر) رضي الله عنه.

(فإذا عرفتَ أن السؤال يباح لضرورة، فاعلمْ أن الشيء إما أن يكون مضطرًّا إليه، أو محتاجًا إليه حاجة مهمَّة، أو حاجة خفيفة، أو مستغنًىٰ عنه. فهذه أربعة أحوال) وهي في الحقيقة ثلاثة: الاضطرار أو الاحتياج أو الاستغناء، والاحتياج علىٰ قسمين: إما مهمٌّ أو خفيف (أما المضطر إليه فهو سؤال الجائع عند خوفه علىٰ نفسه موتًا أو مرضًا) يؤدي إلىٰ الموت (وسؤال العاري وبدنه مكشوف ليس معه ما يواريه، وهو) أي هذا السؤال (مباح مهما وُجدت بقية الشروط في المسؤول) أي الطعام أو الثوب (بكونه مباحًا، و) في (المسؤول منه بكونه راضيًا في الباطن) غير مستحٍ في إعطائه ولا مُراءٍ (وفي السائل بكونه عاجزًا عن الكسب، فإن القادر علىٰ الكسب وهو بَطَّال ليس له السؤال إلا إذا استغرق في طلب العلم أوقاته) بحيث لم يتفرَّغ للكسب (وكل مَن له خط) يُقرأ (فهو قادر علىٰ الكسب بالوراقة) أي النساخة (وأما المستغني - وهو الذي يطلب شيئًا وعنده مثله أو أمثاله فسؤاله حرام

قطعًا، وهذان طرفان واضحان) وهما الاضطرار والاستغناء، فالاضطرار مبيح، والاستغناء محرِّم (وأما المحتاج حاجة مهمة فكالمريض الذي يحتاج إلىٰ دواء ليس يظهر خوفه لو لم يستعمله، ولكن لا يخلو عن خوف. وكمَن له جُبَّة لا قميص تحتها في الشتاء وهو يتأذَّىٰ بالبرد تأذِّيًا لا ينتهي إلىٰ حدِّ الضرورة، وكذلك مَن يسأل لأجل الكِراء وهو قادر علىٰ المشي بمشقَّة، فهذا أيضًا ينبغي أن تسترسل عليه الإباحة؛ لأنها أيضًا حاجة محقَّقة، ولكن الصبر عنه أَولىٰ، وهو بالسؤال تارك للأَولىٰ، ولا يسمَّىٰ سؤاله مكروهًا مهما صدق في السؤال وقال: ليس تحت جُبَّتي قميص، والبرد يؤذيني أذًىٰ أطيقه، ولكن يشق عليَّ. فإذا صدق فصدقُه يكون كفَّارة لسؤاله إن شاء الله تعالىٰ. وأما الحاجة الخفيفة فمثل سؤاله قميصًا ليلبسه فوق ثيابه عند خروجه) من منزله لحاجته (ليستر) به (الخروق من ثيابه عن أعين الناس) كيلا يزدروا به (وكمَن يسأل لأجل الأُدْم وهو واجد للخبز، وكمَن يسأل لكِراء الفرس في الطريق وهو واجد كراء الحمار، أو يسأل كراء الجمل وهو قادر علىٰ الراحلة. فهذا ونحوه إن كان فيه تلبيس حال بإظهار حاجة غير هذه فهو حرام، وإن لم يكن وكان فيه شيء من المحذورات الثلاثة) المذكورة (من الشكوىٰ أو الذل أو إيذاء المسؤول فهو حرام) لاشتماله علىٰ الأمور المحرَّمة (لأن مثل هذه الحاجة لا تصلُح لأن تباح بها المحذورات، فإن لم يكن فيها شيء من ذلك فهو مباح مع الكراهة) ولذلك قلنا إن الحاجة الخفيفة فيها تردُّدٌ.

(فإن قلت: فكيف يمكن إخلاء السؤال عن هذه المحذورات) الثلاث؟ (فاعلمْ أن الشكوىٰ تندفع بأن يُظهِر الشكرَ لله تعالىٰ) بلسانه (والاستغناء عن الخلق) بأن لا يلتفت لِما في أيديهم (ولا يسأل سؤال محتاج، ولكن يقول: أنا) بحمد الله تعالىٰ (مستغنٍ بما أملكه، ولكن تطالبني رعونة النفس بثوب فوق ثيابي، وهو فضلة عن الحاجة وفضول من النفس. فيخرج به عن حد الشكوىٰ. وأما الذل فأن يسأل أباه أو قريبه) في النسب (أو صديقه الذي يعلم أنه لا ينقصه ذلك في عينه ولا

يزدريه بسبب سؤاله) ولا يحتقره، وهو سبيل العارفين (أو) يسأل (الرجل السخيَّ الذي قد أعدَّ ماله لمثل هذه المكارم فيفرح بوجود مثله ويتقلَّد منه منَّة بقبوله) منه ذلك (فيُسقِط عنه الذلَّ بذلك، فإن الذل لازم للمنَّة لا محالة. وأما الإيذاء فسبيل الخلاص منه أن لا يعين شخصًا بالسؤال بعينه، بل يلقي الكلامَ عرضًا بحيث لا يُقدِم علىٰ البذل إلا متبرِّع بصدق الرغبة، وإن كان في القوم شخص مرموق) أي منظور إليه (لو لم يبذل لكان يُلام فهذا إيذاء، فإنه ربما يبذل كرهًا) لا عن رضا قلبه (خوفًا من الملامة، ويكون الأحب إليه في الباطن الخلاص لو قدر عليه من غير ملامة، وأما إذا كان يسأل شخصًا معيَّنًا فينبغي أن لا يصرِّح) باسمه (بل يعرِّض له تعريضًا يُبقِي له سبيلاً إلىٰ التغافُل إن أراد) ذلك (فإذا لم يتغافل مع القدرة عليه فذلك لرغبته وأنه غير متأذٍّ به، وينبغي أن يسأل مَن لا يستحي منه لو ردَّه أو تغافل عنه، فإن الحياء من السائل يؤذي، كما أن الرياء مع غير السائل يؤذي.

فإن قلتَ: فإذا أخذ مع العلم بأن باعث المعطي هو الحياء منه أو من الحاضرين) في المجلس (ولولاه لَما أعطاه) وفي نسخة: لَما ابتدأه به (فهل هو حلال أو شبهة؟ فأقول: ذلك حرام محض لا خلاف فيه بين الأمَّة، وحكمه حكم أخذِ مال الغير بالضرب والمصادَرة؛ إذ لا فرق بين أن يضرب ظاهر جلده بسياط الخشب أو يضرب باطن قلبه بسوط الحياء وخوف الملام، وضربُ الباطن أشد نكايةً في قلوب العقلاء) من ضرب الجلد الظاهر، وفي ذلك قيل:

العبـد يُقـرَع بالعصـا والحُـر تكفيـه الملامـة[1]

(ولا يجوز أن يقال: هو في الظاهر قد رضي به، وقد قال ﷺ: إنما أنا أحكم بالظاهر، والله يتولَّىٰ السرائر) قال العراقي[2]: لم أجد له أصلاً، وكذا قال المزي

---

(١) البيت ليزيد بن مفرغ الحميري، وهو في ديوانه ص ٢١٥ (ط - مؤسسة الرسالة).

(٢) المغني ٢/ ١٠٩٧. قال ابن كثير في كتاب تحفة الطالب بمعرفة أحاديث مختصر ابن الحاجب ص ١٤٥ (ط - دار ابن حزم): «هذا الحديث كثيرا ما يلهج به أهل الأصول، ولم أقف له علىٰ =

لمَّا سُئل عنه (**فإن هذه ضرورة القضاة في فصل الخصومات؛ إذ لا يمكن ردُّهم إلىٰ البواطن وقرائن الأحوال، فاضطروا إلىٰ الحكم بظاهر القول باللسان مع أنه ترجمان كثير الكذب، ولكن الضرورة دعت إليه، وهذا سؤال عمَّا بين العبد وبين الله، والحاكم فيه أحكمُ الحاكمين، والقلوب عنده كالألسنة عند سائر الحكام، فلا تنظر في مثل هذا إلا إلىٰ قلبك**) ولا تستفتِ إلا منه (**وإن أفتوك وأفتوك**) كما ورد ذلك في خبر وابصة بن معبد وغيره (**فإنَّ المفتي معلِّم للقاضي والسلطان**) ومَن في معناهما من الحكام (**ليحكموا**) بفتواه (**في عالَم الشهادة، ومفتي القلوب هم علماء الآخرة، وبفتواهم النجاة من سطوة سلطان الآخرة، كما أن بفتوىٰ الفقيه النجاة من سطوة سلطان الدنيا، فإذًا ما يأخذه مع الكراهة لا يملكه بينه وبين الله تعالىٰ، ويجب عليه ردُّه إلىٰ صاحبه**) إن أمكنه (**فإن كان يستحي من أن يستردَّه فلم يستردَّه فعليه أن يثيبه علىٰ ذلك**) أي يجازيه (**بما يساوي قيمته**) في الوقت (**في معرض الهدية والمقابلة ليتفصَّىٰ**) أي يتخلَّص (**من عهدته، فإن لم يقبل هديته فعليه أن يردَّ ذلك**

= سند، وسألت عنه الحافظ أبا الحجاج المزي فلم يعرفه». وقال ابن حجر في التلخيص الحبير ٤/ ٣٥٢: «هذا الحديث استنكره المزي فيما حكاه ابن كثير عنه في أدلة التنبيه، وقال النسائي في سننه: باب الحكم بالظاهر. ثم أورد حديث أم سلمة الذي قبله، وقد ثبت في تخريج أحاديث المنهاج للبيضاوي سبب وقوع الوهم من الفقهاء في جعلهم هذا حديثا مرفوعا، وأن الشافعي قال في كلام له: وقد أمر الله نبيه أن يحكم بالظاهر، والله متولي السرائر. وكذا قال ابن عبد البر في التمهيد: أجمعوا علىٰ أن أحكام الدنيا علىٰ الظاهر، وأن أمر السرائر إلىٰ الله. وأغرب إسماعيل بن علي بن إبراهيم الجنزوي في كتابه إدارة الأحكام فقال: إن هذا الحديث ورد في قصة الكندي والحضرمي اللذين اختصما في الأرض، فقال المقضي عليه: قضيت عليَّ والحق لي؟! فقال ﷺ: إنما أقضي بالظاهر، والله يتولىٰ السرائر». ونقل السخاوي في المقاصد الحسنة ص ٩٢ عن ابن حجر قوله: «لم أقف علىٰ هذا الكتاب، ولا أدري أساق له إسماعيل المذكور إسنادا أم لا». وأما ما ذكر عن الشافعي فعبارته في الأم ٥/ ٦١١: «لو كان حكم النبي ﷺ في حاطب بالعلم بصدقه كان حكمه علىٰ المنافقين القتل بالعلم بكذبهم، ولكنه إنما حكم في كلٍّ بالظاهر، وتولىٰ الله عزوجل منهم السرائر». وأورد في موضع آخر ٧/ ٤١٦ حديثا لفظه: «إن الله عزوجل تولىٰ منكم السرائر، ودرأ عنكم بالبينات».

إلىٰ ورثته) بعد موته، ولا يجوز له أن يملكه بحال من الأحوال (فإن تلف في يده) قبل الاسترداد (فهو مضمون عليه بينه وبين الله تعالىٰ، وهو عاصٍ بالتصرف فيه) تصرُّف المُلاَّك ثانيًا (وبالسؤال الذي حصل به الأذىٰ) أولاً.

(فإن قلتَ: فهذا أمر باطن يعسُر الاطِّلاع عليه، فكيف السبيل فيه؟ فربما يظن السائل أنه راضٍ ولا يكون هو في الباطن راضيًا. فأقول: لهذا) السر (ترك المتَّقون السؤال رأسًا، فما كانوا يأخذون من أحد شيئًا أصلاً، فكان بشر) الحافي رحمه الله تعالىٰ (لا يأخذ من أحد أصلاً إلا من السري) السقطي رحمه الله تعالىٰ (وقال) لمَّا سُئل عن ذلك: (لأني علمت أنه يفرح بخروج المال من يده، فأنا أعينه علىٰ ما يحب) وقد تقدم قريبًا، وأين مثل السري حتىٰ يؤخَذ منه؟ (وإنما عظُمَ النكيرُ في السؤال واشتد الأمر بالتعفُّف لهذا؛ لأن الأذىٰ إنما يحلُّ) أي يصير مباحًا (بضرورة وهي أن يكون السائل مشرفًا علىٰ الهلاك، ولم يبقَ له سبيلٌ إلىٰ الخلاص، ولم يجد مَن يعطيه من غير كراهة وأذىٰ، فيباح له ذلك، كما يباح له أكل لحم الخنزير وأكل لحم الميتة، فكان الامتناع) عن السؤال (طريق الورعين، ومن أرباب القلوب مَن كان واثقًا ببصيرته في الاطِّلاع علىٰ قرائن الأحوال، فكانوا يأخذون من بعض الناس دون البعض، ومنهم مَن كان لا يأخذ إلا من أصدقائه، ومنهم مَن كان يأخذ مما يعطَىٰ بعضًا ويردُّ بعضًا، كما فعل رسول الله ﷺ في الكبش) حيث ردَّه (والأقط والسمن) حيث أخذهما (وكان هذا فيما يأتيهم من غير سؤال، فإنَّ ذلك لا يكون إلا عن رغبة ولكن قد تكون رغبته طمعًا في جاه أو طلبًا للرياء والسُّمعة، فكانوا يحترزون من ذلك. وأما السؤال فقد امتنعوا عنه رأسًا إلا في موضعين، أحدهما: الضرورة، فقد سأل ثلاثة من الأنبياء في موضع الضرورة: سليمان وموسىٰ والخضر عليهم السلام) أما سؤال سليمان فقد تقدَّم بيانه في كتاب الصبر، وأما قصة موسىٰ والخضر فمذكورة في القرآن (ولا شكَّ في أنهم ما سألوا إلا مَن علموا أنه يرغب فيهم. والثاني: السؤال من الأصدقاء والإخوان، فقد كانوا يأخذون مالهم بغير سؤال

واستئذان) كما تقدم في آداب الصحبة والأخوَّة **(لأن أرباب القلوب)** قد **(علموا أن المطلوب رضا القلب لا نطق اللسان، وكانوا قد وثقوا بإخوانهم أنهم كانوا يفرحون بمباسطتهم، فإذا كانوا يسألون الإخوان عند شكِّهم في اقتدار إخوانهم علىٰ ما يريدونه وإلا فكانوا يستغنون عن السؤال. وحدُّ إباحة السؤال أن تعلم أن المسؤول بصفة لو علمَ ما بك من الحاجة لابتدأك)** بالعطاء **(دون السؤال، فلا يكون لسؤالك تأثيرٌ إلا في تعريف حاجتك، فأما في تحريكه بالحياء وإثارة داعيته بالحِيَل)** والخداع **(فلا، وتتصدَّىٰ للسائل حالةٌ لا يشك فيها في الرضا الباطن، وحالةٌ لا يشك)** فيها **(في الكراهة، ويعلم ذلك بقرينة الأحوال، فالأخذ في الحالة الأولىٰ حلال طلق، وفي الثانية حرام سُحت، وتتردَّد بين الحالتين أحوال يشك فيها، فليستفتِ قلبَه فيها، وليترك حزَّاز القلب)** وهي الشبهات التي تحز في القلب وتحك، كما في حديث ابن مسعود، وقد تقدم في العلم **(فإنه الإثم)** كما في الخبر: «والإثم ما حاك في الصدر» **(وليَدَعْ ما يريبه إلىٰ ما لا يريبه)** كما في حديث الحسن، وقد تقدم كلُّ ذلك في العلم **(وإدراك ذلك بقرائن الأحوال سهل علىٰ مَن قويت فطنتُه وضعُفَ حرصُه وشهوته، فإن قويَ الحرصُ وضعفت الفطنةُ تراءىٰ له ما يوافق غرضَه فلا يتفطَّن للقرائن الدالَّة علىٰ الكراهة، وبهذه الدقائق يُطَّلَع علىٰ سر قوله ﷺ)** حيث قال: **(إن أطيب ما أكل الرجل من كسبه)** رواه أحمد[١] وعبد الرزاق[٢] وأبو داود[٣] والترمذي[٤] والنسائي[٥] وابن ماجه[٦] وابن حبان[٧] من حديث عائشة، وتمامه: «وإن ولده من

---

(١) مسند أحمد ٤٠/ ٣٤، ١٧٩، ٤١/ ٤٢٩، ٤٢/ ٣٩١، ٤٣/ ٣٨.

(٢) مصنف عبد الرزاق ٩/ ١٣٣.

(٣) سنن أبي داود ٤/ ١٩١.

(٤) سنن الترمذي ٣/ ٣٢.

(٥) سنن النسائي ص ٦٨٣.

(٦) سنن ابن ماجه ٣/ ٥٠٩، ٦٠٧.

(٧) صحيح ابن حبان ١٠/ ٧٢ - ٧٤.

كسبه، فكلوا من أموالهم». ورواه ابن أبي شيبة[١] والبخاري في التاريخ[٢] بلفظ: «إن أطيب ما أكلتم من كسبكم، وإن أولادكم من كسبكم». وقد تقدم في آداب الطعام[٣].

(وقد أوتي) ﷺ (جوامع الكلم) واختُصِر له الكلام اختصارًا. رواه أبو يعلىٰ والبيهقي من حديث عمر، ورواه الدارقطني من حديث ابن عباس، وقد تقدم[٤] (لأن مَن لا كسب له ولا مال) ممَّا (ورثه من كسب أبيه أو أحد قرابته فيأكل من أيدي الناس، وإن أُعطِيَ بغير سؤال فإنما يعطَىٰ بدينه، ومتىٰ يكون باطنه بحيث لو انكشف لا يعطَىٰ بدينه فيكون ما يأخذه حرامًا، وإن أُعطيَ بسؤال فأين مَن يطيب قلبُه بالعطاء إذا سُئل؟ وأين مَن يقتصر في السؤال علىٰ حدِّ الضرورة، فإذا فتَّشتَ أحوال مَن يأكل من أيدي الناس علمتَ أن جميع ما يأكله أو أكثره سحتٌ، وأن الطيب) الصافي. وفي نسخة: وأن أطيب ما تأكل (هو الكسب الذي اكتسبتَه بحلالك أنت أو مورِّثك، فإذًا بعيد أن يجتمع الورع مع الأكل من أيدي الناس) لِما فيه ما يضادُّه (فنسأل الله تعالىٰ أن يقطع طمعنا عن غيره، وأن يغنينا بحلاله عن حرامه، وبفضله عمَّن سواه) يشير إلىٰ الدعاء المأثور: «اللهم أغنِنا بحلالك عن حرامك، وبفضلك عمَّن سواك» (بمَنِّه) وكرمه (وسعة جوده) زاد في بعض النسخ: إنه علىٰ ما يشاء قدير.

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة ٧/ ٥٤٨، ١٢/ ٣٨٧.

(٢) التاريخ الكبير ١/ ٤٠٧ باللفظ الذي عند أحمد وأصحاب السنن.

(٣) هذا سهو، فالحديث تقدم بلفظ آخر في كتاب آداب الكسب من غير حديث عائشة.

(٤) في كتاب أخلاق النبوة.

بيان مقدار الغنى المحرِّم للسؤال

(اعلمْ) أغناك الله تعالىٰ (أن قوله ﷺ: **مَن سأل عن ظهر غنىٰ فإنَّما يسأل جمرًا، فليستقلَّ منه أو ليستكثر**) رواه أبو داود وابن حبان من حديث سهل ابن الحنظلية، وقد ذُكر قريبًا وفي كتاب الزكاة، ولفظهما: «مَن سأل شيئًا وعنده ما يغنيه فإنَّما يستكثر من جمر جهنم». وأما قوله «فليستقلَّ منه أو ليستكثر» ففي حديث أبي هريرة عند أحمد ومسلم وابن ماجه، وفي حديث حُبْشي بن جُنادة عند ابن جرير والطبراني، وفي حديث عمر عند ابن حبان، كما ذُكر كل ذلك قريبًا (**صريح في التحريم**) أي تحريم السؤال (**ولكن حد الغنىٰ مشكل، وتقديره عسير، وليس إلينا وضع المقادير، بل يُدرَك ذلك بالتوقيف**) من الشرع (**وقد ورد في الحديث**) الآخَر: (**استغنوا بغنىٰ الله تعالىٰ عن غيره**) رواه ابن عدي من حديث أبي هريرة، وليس فيه «عن غيره»، وقد تقدم قريبًا (**قالوا: وما هو**)؟ أي غنىٰ الله تعالىٰ (**قال: غداء يوم وعشاء ليلة**) هو من بقية حديث أبي هريرة عند ابن عدي، كما يرشد إليه كلام العراقي، وتبعه المناوي[1]، والموجود منه في الجامع الكبير[2] والصغير للسيوطي هو ما ذكرتُ، وادَّعىٰ المناوي أن السيوطي ترك تلك الزيادة سهوًا، وليس كما ظن، بل هذا التقدير وقع في حديث سهل ابن الحنظلية: قالوا: وما يغنيه يا رسول الله؟ قال: «قدْر ما يغدِّيه ويعشِّيه». رواه أحمد وأبو داود وابن خزيمة وابن حبان وابن جرير والطبراني والحاكم. وفي حديث علي: قالوا: وما ظهر غنىٰ؟ قال: «عشاء ليلة». رواه عبد الله بن أحمد، وإسناده حسن. وهذا هو المختار من مذهب أبي

---

(١) فيض القدير ١/ ٤٩٥.

(٢) الجامع الكبير ١/ ٦١٨.

حنيفة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ[١].

(وفي حديث آخر: مَن سأل وله خمسون درهمًا أو عدلها من الذهب فقد سأل إلحافًا) رواه أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه وابن جرير في تهذيبه والحاكم والبيهقي من حديث ابن مسعود: «مَن سأل الناس وله ما يغنيه جاء يوم القيامة ومسألته في وجهه خموش أو خدوش أو كدوح». قيل: يا رسول الله، وما الغنىٰ؟ قال: خمسون درهمًا أو قيمتها من الذهب». وفي رواية لأحمد: «ولا تحل الصدقة لمَن له خمسون درهمًا أو عوضها من الذهب». ورواه أحمد والبيهقي من حديث رجل من بني أسد: «مَن سأل وله أوقيَّة أو عدلها فقد سأل إلحافًا»، وقد تقدم هذا للمصنف في كتاب الزكاة فقال: وروىٰ عطاء بن يسار منقطعًا: «مَن سأل وله أوقيَّة فقد ألحفَ في السؤال». قال العراقي هناك: رواه أبو داود والنسائي من رواية عطاء عن رجل من بني أسد متصلاً، وليس بمنقطع كما ذكره المصنف؛ لأن الرجل صحابي، فلا يضرُّ عدمُ تسميته. وتقدم الكلام عليه هناك. وروىٰ أبو داود وابن خزيمة وابن حبان والدارقطني من حديث أبي سعيد: «مَن سأل وله قيمة أوقيَّة فقد ألحف» **(وورد في لفظ آخر: أربعون درهمًا)** رواه النسائي والبيهقي عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده: «مَن سأل وله أربعون درهمًا فهو المُلحِف».

(ومهما اختلفت التقديرات وصحَّت الأخبار فينبغي أن يُقطَع بورودها علىٰ أحوال مختلفة) جمعًا بين الأخبار كيلا تتضادَّ **(فإن الحق في نفسه لا يكون إلا واحدًا)** كما هو مذهب الأصوليين **(والتقدير ممتنع، وغاية الممكن فيه تقريبٌ، ولا يتم ذلك إلا بتقسيمٍ محيطٍ بأحوال المحتاجين، فنقول: قال رسول الله ﷺ: لا حقَّ لابن آدم إلا في ثلاث: طعام يقيم صلبه، وثوب يواري عورته، وبيت يكنُّه، فما زاد فهو حساب)** رواه الترمذي من حديث عثمان بن عفان نحوه، وقد ذُكر

(١) انظر: تبيين الحقائق للزيلعي ١/ ٣٠٥ - ٣٠٦. النهر الفائق لابن نجيم ١/ ٤٦٩. الاختيار لتعليل المختار لابن مودود ١/ ١٢٢ (ط - دار الكتب العلمية).

قريبًا (فلنجعل هذه الثلاث أصلاً في الحاجات لبيان أجناسها، والنظر في الأجناس والمقادير والأوقات، فأما الأجناس فهي هذه الثلاث، ويلحق بها ما في معناها حتىٰ يلحق بها الكِراء للمسافر إذا كان لا يقدر علىٰ المشي، وكذلك ما يجري مَجراه من المهمَّات، ويلحق بنفسه عيالُه وولدُه وكلُّ من) يكون (تحت كفالته كالدابَّة أيضًا. وأما المقادير فالثوب يراعَىٰ فيه ما يليق بذوي الدين) والمروءات (وهو ثوب واحد وقميص) يواري جسده (ومنديل) يربط به رأسه (وسراويل) أو إزار (ومَداس) في رجليه، فهؤلاء كلهنَّ بمنزلة ثوب واحد لا يُستغنَىٰ عنها، فإن فرضنا ثوبًا واحدًا عريضًا طويلاً فالتحف به من رأسه إلىٰ قدمه فهو كذلك، إلا أنه ليس من ثياب ذوي الدين في الأعصار المتأخرة (وأما الباقي من كل جنس فهو مستغنًىٰ عنه، وليقِسْ علىٰ هذا أثاثَ البيت جميعه) أي يراعي فيه ما يكفيه (ولا ينبغي أن يطلب رِقَّة الثياب) ورفعتها (وكون الأواني من النحاس والصُّفْر فيما يكفي فيه الخزفُ، فإنَّ ذلك مستغنًىٰ عنه، فيقتصر من العدد علىٰ نوع واحد، ومن النوع علىٰ أخسِّ أجناسه ما لم يكن في غاية البعد عن العادة. وأما الطعام فقدرُه في اليوم مُدٌّ) بالضم (وهو ما قدَّره الشرع) وهما[1] حفنتان بالكفَّين هما قوت الحافن غداء وعَشاء كفافًا لا إقتارًا ولا إسرافًا (ونوعه ما يُقتات) من طعام بلده (ولو كان من الشعير والأُدْم علىٰ الدوام فضلة، وقطعُه بالكلِّية إضرارٌ، ففي طلبه في بعض الأحوال رخصة. وأما المسكن فأقلُّه ما يجزئ من حيث المقدار، وذلك من غير زينة، فأما السؤال للزينة والتوسُّع فهو سؤال عن ظهر غنىٰ. وأما بالإضافة إلىٰ الأوقات فما يحتاج إليه في الحال من طعام يوم وليلة) وهو المعبَّر عنه بالغداء والعشاء (وثوب يلبسه ومأوىٰ يكنُّه فلا شك فيه، فأما سؤاله للمستقبل فهذا له ثلاث درجات، إحداها: ما يحتاج إليه في غد، والثانية: ما يحتاج إليه في أربعين يومًا أو خمسين يومًا، والثالثة: ما يحتاج إليه في السنة) وقد تقدم ذِكرها قريبًا (ولنقطع بأنَّ مَن معه ما يكفيه له) وحده

---

(١) نظم الدرر للبقاعي ٣/ ٤٩. التوقيف للمناوي ص ٣٠١.

أو له (**ولعياله إن كان له عيال لسنة فسؤاله حرام، فإنَّ ذلك غاية الغنىٰ**) في حقه (**وعليه ينزَّل التقسيم بخمسين درهمًا في الحديث**) المرويِّ عن ابن مسعود (**فإن خمسة دنانير تكفي المنفرد في السنة إذا اقتصد**) بأن يأكل في كل شهر خمسين نصفًا فضة علىٰ أن خمسة دنانير صرفُها ستمائة نصف فضة، وتجعل الدرهم كفاية عن النصف الفضة بمعاملة مصر الجارية الآن، وهذه الكفاية متيسِّرة إن كانت الأسعار متراخية (**أما المعيل فربما لا يكفيه ذلك وإن كان يحتاج إليه قبل السنة، فإن كان قادرًا علىٰ السؤال ولا تفوته فرصته فلا يحلُّ له السؤال؛ لأنه مستغنٍ في الحال، وربما لا يعيش إلىٰ الغد، فيكون قد سأل ما لا يحتاج إليه فيكفيه غداء يوم وعشاء ليلة، وعليه ينزَّل الخبر الذي ورد في التقدير بهذا القدْر**) وهو المرويُّ عن سهل ابن الحنظلية (**وإن كان تفوته فرصةُ السؤال ولا يجد مَن يعطيه لو أخَّر فيباح له السؤال**) حينئذٍ (**لأن أمل البقاء سنة غير بعيد، فهو بتأخير السؤال خائف أن يبقىٰ مضطرًّا عاجزًا عمَّن يعينه، فإن كان خوف العجز عن السؤال في المستقبل ضعيفًا وكان ما لأجله السؤال خارجًا عن محل الضرورة لم يَخْلُ سؤاله عن كراهية، وتكون كراهته بحسب درجات ضعف الاضطرار وخوف الفوت وتراخِي المدة التي يحتاج فيها إلىٰ السؤال، وكل ذلك لا يقبل الضبطَ، وهو منوط باجتهاد العبد ونظره لنفسه بينه وبين الله تعالىٰ، فيستفتي فيه قلبَه ويعمل به إن كان سالكًا سبيل الآخرة، وكلَّما كان يقينه أقوىٰ وثقته بمجيء الرزق في المستقبل أتم وقناعته بقوت الوقت أظهر فدرجته عند الله أعلىٰ**) وهو داخل في حدِّ قولهم: الصوفي ابن وقته. أي يَقنع بما تيسَّر له من كل شيء في وقته، سواء كان قوتًا ظاهريًّا أو معنويًّا، ولا يَعلق قلبُه بما سيأتي (**فلا يكون خوف الاستقبال وقد آتاك الله قوت يومك لك ولعيالك إلا من ضعف اليقين**) بالله تعالىٰ (**والإصغاء إلىٰ تخويف الشيطان، وقد قال تعالىٰ: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ١٧٥﴾**) [آل عمران: ١٧٥] أي موقنين، فعبَّر عن اليقين هنا بالإيمان؛ لأن اليقين الإيمان كله (**وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ**

وَفَضْلًا﴾ [البقرة: ٢٦٨] **والسؤال من)** جملة (**الفحشاء التي أبيحت بالضرورة**) وإليه يشير خبر: «مسألة الناس من الفواحش» إن ثبت ورودُه، كما تقدم (**وحال مَن يسأل لحاجة متراخية عن يومه وإن كانت ممَّا يحتاج إليه في السنة أشد من حال مَن ملك مالًا موروثًا وادَّخره لحاجة وراء السنة، وكلاهما مباح في الفتوىٰ الظاهرة**) نظرًا إلىٰ ظاهر الحال (**ولكنهما صادران عن حب الدنيا وطول الأمل وعدم الثقة بفضل الله تعالىٰ، وهذه الخصلة**) المتضمِّنة لهذه الأوصاف الثلاث (**من أمَّهات المهلكات**) وأصول المُردِيات (**فنسأل الله تعالىٰ حُسن التوفيق بلطفه وكرمه.**

بيـان أحـوال السائلـين

(كان بشر) بن الحارث الحافي رحمه الله تعالىٰ **(يقول: الفقراء ثلاثة: فقير لا يسأل، وإن أُعطيَ لا يأخذ، فهذا مع الروحانيين في عِلِّيِّين)** لكمال تجرُّده عن العلائق **(وفقير لا يسأل، وإن أُعطيَ أخذ)** علىٰ قدر حاجته وردَّ الباقي **(فهذا مع المقرَّبين في جنات الفردوس)** وهو أنزلُ درجةً من الأول **(وفقير يسأل عند الحاجة)** وفي نسخة: عند فاقته **(فهذا مع الصادقين من أصحاب اليمين)** وهو أنزلُ درجةً من الذي قبله.

وهذا القول رواه القشيري في الرسالة[1] في باب التوكل فقال: سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت محمد بن الحسن المخزومي يقول: حدثنا أحمد بن محمد بن صالح، حدثنا محمد بن عبدون، حدثنا الحسن الخياط قال: كنت عند بشر الحافي، فجاءه نفر فسلَّموا عليه، فقال: من أين أنتم؟ ... ثم ساق القصة، وفي آخرها: ثم قال بشر: يا حسن، الفقراء ثلاثة: فقير لا يسأل، وإن أُعطيَ لا يأخذ، فذاك من جملة الروحانيين. وفقير لا يسأل، وإن أُعطيَ قَبِلَ، فذاك توضَع له موائد في حظائر القدس. وفقير يسأل، وإن أُعطيَ قبلَ قدْرَ الكفاية، فكفَّارته صِدقه[2].

(فإذًا قد اتفق كلُّهم علىٰ ذمِّ السؤال) مطلقًا **(وعلىٰ أنه مع الحاجة[3] يحطُّ المرتبةَ والدرجة)** ثم هذا الذي يسأل لا يخلو من أن يسأل لنفسه أو لغيره، فإن سأل لغيره فهو معونة، وإن سأل لنفسه فلا يخلو من أن يسأل الأقارب والأصدقاء أو سائر الناس، الأول طريق القوم، والثاني حرام، وقد تقدم تفصيل ذلك (قال

---

(١) الرسالة القشيرية ص ٣٠٤.

(٢) رواه البيهقي في شعب الإيمان ٥/ ١٧١، وابن عساكر في تاريخ دمشق ١١/ ٣٨. ورواه البيهقي في الشعب ٢/ ٤٥٩ من قول الجنيد بن محمد.

(٣) في الجميع: الفاقة. والأمر قريب.

شقيق) بن إبراهيم (**البَلْخي**) رحمه الله تعالىٰ (**لإبراهيم بن أدهم**) رحمه الله تعالىٰ (**حين قدمَ عليه من خراسان: كيف تركتَ الفقراء من أصحابك؟ قال: تركتُهم إن أُعطُوا شكروا، وإن مُنعوا**) من الإعطاء (صبروا. وظن أنه لمَّا وصفهم بترك السؤال فقد أثنىٰ عليهم غاية الثناء، **فقال شقيق: هكذا تركتُ كلاب بلخ عندنا**) إن أُعطُوا أكلوا وشكروا، وإن مُنعوا صبروا (**فقال له إبراهيم: فكيف الفقراء عندك يا أبا إسحاق؟ فقال: الفقراء عندنا إن مُنعوا شكروا**) وعلموا أن المنع منَّة من الله عليهم لئلاَّ يشغلهم بسواه (**وإن أُعطُوا آثروا**) غيرَهم علىٰ أنفسهم، ولم يتعلَّقوا بما لاح لهم من العطاء (**فقبَّل رأسه وقال: صدقتَ يا أستاذ**) هكذا سياق هذه القصة في النسخة، وهو مُزال عن الأصل، والصواب أن السائل هو إبراهيم والمسؤول هو شقيق، وقوله: فقال شقيق، صوابه: فقال إبراهيم. وقوله: فقال له إبراهيم، صوابه: فقال له شقيق[١]. بدليل قوله: يا أبا إسحاق، فإنها كنية إبراهيم، وأما كنية شقيق فأبو علي، وقد رواه أبو نعيم في الحلية[٢] علىٰ الصواب، حيث قال: سمعت أبا القاسم عبد السلام بن محمد المخرَّمي البغدادي الصوفي يقول: حدثني أحمد بن محمد الخزاعي، عن حذيفة المرعشي قال: دخلنا مكة مع إبراهيم بن أدهم، فإذا شقيق البلخي قد حج تلك السنة، فاجتمعنا في شق الطواف، فقال إبراهيم لشقيق: علىٰ أيِّ شيء أصَّلتم أصلَكم؟ فقال: أصَّلنا أصلَنا علىٰ أنَّا إذا رُزقنا أكلنا، وإذا مُنعنا صبرنا. فقال إبراهيم: هكذا تفعل كلاب بلخ. فقال له شقيق: فعلامَ أصَّلتم؟ قال: أصَّلنا علىٰ أنَّا إذا رُزقنا آثرنا، وإذا مُنِعنا شكرنا وحمدنا. فقام شقيق فجلس بين يدي إبراهيم فقال: يا أستاذ أنت أستاذنا.

ثم راجعت نسخة أخرىٰ من الكتاب صحيحة بخط العجم فإذا فيها علىٰ الصواب كما أشرتُ إليه: وقال إبراهيم بن أدهم لشقيق حين قدمَ عليه ... فساقها،

---

(١) وهو كذلك علىٰ الصواب في أ، وب، وط المنهاج ٨/ ٩٤.

(٢) حلية الأولياء ٨/ ٣٧.

وفيه: فقال إبراهيم: هكذا تركتُ كلاب بلخ. وفيه: فقال له شقيق: فكيف الفقراء عندك يا أبا إسحاق؟

وذكر القشيري في باب الفتوَّة من الرسالة[١] هذه القصة لشقيق مع جعفر الصادق فقال: وقيل: سأل شقيق البلخي جعفرَ بن محمد عن الفتوة، فقال: ما تقول أنت؟ فقال: إن أُعطينا شكرنا، وإن مُنعنا صبرنا. فقال جعفر: الكلاب عندنا بالمدينة كذلك تفعل. فقال شقيق: يا ابن [بنت] رسول الله، ما الفتوة عندكم؟ قال: إن أُعطينا آثرنا، وإن مُنعنا شكرنا. وفي بعض النسخ: فقال شقيق: الله أعلم حيث يجعل رسالاته.

(فإذًا درجات أرباب الأحوال) من السالكين **(في الرضا والصبر والشكر والسؤال)** والإيثار والفتوة **(كثيرة)** مختلفة **(فلا بد لسالك طريق الآخرة من معرفتها ومعرفة انقسامها واختلاف درجاتها، فإنه إذا لم يعلم لم يقدر علىٰ الرقيِّ من حضيضها إلىٰ يفاعها)** أي ذروتها **(ومن أسفل السافلين إلىٰ أعلىٰ عِلِّيِّين، وقد خُلق الإنسان في أحسن تقويم)** بنص القرآن **(ثم رُدَّ إلىٰ أسفل السافلين)** بنص القرآن أيضًا **(ثم أُمِر أن يترقَّىٰ إلىٰ أعلىٰ عِلِّيِّين، ومَن لا يميِّز بين السفل والعلو لا يقدر علىٰ الترقِّي مطلقًا، وإنما الشك فيمَن عرف ذلك، فإنه)** ربما **(لا يقدر عليه)** فالترقِّي تابع للمعرفة والتمييز **(وأرباب الأحوال)** في أثنا سلوكهم **(قد تغلبهم حالةٌ تقتضي أن يكون السؤال مزيدًا لهم في درجاتهم)** في بعض الأحيان وبعض المَواطن **(ولكن بالإضافة إلىٰ حالهم، فإنَّ مثل هذه الأعمال)** لا يُطَّلَع عليها، وهي مربوطة **(بالنيَّات)** ففي الخبر: «إنما الأعمال بالنيات» **(وذلك كما رُوي أن بعضهم رأىٰ أبا الحسين)** أحمد[٢] بن محمد **(النوري)** رحمه الله تعالىٰ، بغدادي المولد والمنشأ، بغوي الأصل، وكان من أقران الجنيد، وكان كبير الشأن، مات سنة خمس وتسعين

(١) الرسالة القشيرية ص ٣٩٤.

(٢) السابق ص ٨٣.

ومائتين (**يمد يده ويسأل الناس في بعض المواطن. قال**) الرائي: (**فاستعظمت ذلك واستقبحته له**) أي عددته قبيحًا من مثله (**فأتيت الجنيد**) رحمه الله تعالىٰ (**فأخبرته بذلك، فقال: لا يعظُم هذا عليك**) ولا تتعجَّب منه (**فإن النوري لم يسأل الناس إلا ليعطيهم**) لا ليأخذ منهم، فإنه في غنىٰ عن ذلك (**وإنما سألهم ليثيبهم في الآخرة فيؤجَرون من حيث لا يضرُّه**) قال المصنف: (**وكأنَّه**) أي الجنيد (**أشار بذلك إلىٰ قوله ﷺ: يد المعطي هي العليا**) قال العراقي[١]: رواه مسلم[٢] من حديث أبي هريرة.

قلت: وروىٰ الطيالسي[٣] والنسائي والبغوي[٤] وابن قانع[٥] والباوردي والطبراني[٦] والبيهقي[٧] والضياء من حديث ثعلبة بن زهدم الحنظلي: «يد المعطي العليا، وابدأ بمَن تعول». ورواه أحمد[٨] والطبراني[٩] أيضًا من حديث أبي رمثة. ورواه النسائي[١٠] أيضًا وابن حبان[١١] والحاكم[١٢] من حديث طارق المحاربي.

---

(١) المغني ٢/ ١٠٩٨.

(٢) صحيح مسلم ١/ ٤٦٠. ولفظه: «لأن يغدو أحدكم فيحطب علىٰ ظهره فيتصدق به ويستغني به عن الناس خير له من أن يسأل رجلا أعطاه أو منعه ذلك، فإن اليد العليا أفضل من اليد السفلىٰ، وابدأ بمن تعول».

(٣) مسند الطيالسي ٢/ ٥٨٥.

(٤) معجم الصحابة ١/ ٤٢٩ - ٤٣٠.

(٥) معجم الصحابة ١/ ١٢٥.

(٦) المعجم الكبير ٢/ ٨٥.

(٧) السنن الكبرىٰ ٨/ ٥٩٩.

(٨) مسند أحمد ١١/ ٦٧٤، ٦٧٦، ٢٩/ ٤١.

(٩) المعجم الكبير ٢٢/ ٢٧٨، ٢٨٣.

(١٠) سنن النسائي ص ٣٩٤.

(١١) صحيح ابن حبان ٨/ ١٣١، ١٤/ ٥١٩.

(١٢) المستدرك علىٰ الصحيحين ٢/ ٧١٩.

ورواه أحمد[١] أيضًا من حديث رجل من بني يربوع.

(فقال بعضهم: يد المعطي هي يد الآخذ للمال؛ لأنه يعطَىٰ الثواب والقدر له لا لِما يأخذه) وظاهر هذا يخالفه ما رواه الطبراني[٢] من حديث رافع بن خديج: «يد المعطي العليا، ويد الآخذ السفلىٰ إلىٰ يوم القيامة». وما رواه مالك[٣] والشيخان[٤] والنسائي[٥] من حديث ابن عمر: «واليد العليا هي المنفقة، واليد السفلىٰ هي السائلة». إلا أن يقال: إن المراد بالمعطي الآخذ إذا كان من غير سؤال، والآخذ بالسؤال هو الذي اقتضَىٰ كونَ يده سفلىٰ. وهو وجيه إلا أنه لا يطابق واقعة حال النوري، فتأملْ.

(ثم قال الجنيد) رحمه الله تعالىٰ: **(هاتِ الميزان. فوزن مائة درهم، ثم قبض قبضة)** من الدراهم **(فألقاها علىٰ المائة)** جزافًا **(ثم قال: احملها إليه)** أي إلىٰ النوري **(فقلت في نفسي: إنما يوزَن الشيء ليُعرَف مقداره، فكيف خلط به مجهولاً؟ وهو رجل حكيم، واستحييت أن أسأله، فذهبت بالصَّرَّة إلىٰ النوري)** فاستشرف علىٰ باطن الأمر **(فقال: هاتِ الميزان. فوزن مائة درهم وقال: رُدَّها عليه وقلْ له: أنا لا أقبل منك شيئًا. وأخذ ما زاد علىٰ المائة. قال)** الرجل: **(فزاد تعجُّبي، فسألته)** يعني النوري **(فقال)**: أبو القاسم **(الجنيد)** رجل **(حكيم، يريد أن يأخذ الحبل بطرفيه، وزنَ المائةَ لنفسه طلبًا لثواب الآخرة، وطرح عليها قبضة بلا وزن لله عَزَّوَجَلَّ، فأخذتُ ما كان لله تعالىٰ ورددت ما جعله لنفسه. قال: فرددتها)** أي الصَّرَّة المذكورة **(إلىٰ الجنيد)** رحمه الله تعالىٰ **(فبكىٰ وقال: أخذ ما له، وردَّ ما لنا، والله**

---

(١) مسند أحمد ٢٧/ ١٥٩، ٣٨/ ٢٥٢.

(٢) المعجم الكبير ٤/ ٢٧٥.

(٣) الموطأ ٢/ ٩٩٨.

(٤) صحيح البخاري ١/ ٤٤٢. صحيح مسلم ١/ ٤٥٨.

(٥) سنن النسائي ص ٣٩٤.

المستعان) أي فمَن كان بهذه المثابة من المعرفة والاستشراف علىٰ الخواطر كيف لا يكون السؤال مزيدًا في درجاته.

(فانظر الآن كيف صفتْ قلوبُهم وأحوالهم وكيف خلصت لله أعمالُهم حتىٰ كان يشاهد كل واحد منهم قلب صاحبه من غير مناطقة باللسان ولكن بتشاهُد القلوب وتَناجي الأسرار، وذلك نتيجة أكل الحلال وخلوِّ القلب عن حب الدنيا والإقبال علىٰ الله بكُنْه الهمَّة) أي خالصها **(فمَن أنكر ذلك قبل تجربة طريقه فهو جاهل)** وهو **(كمَن ينكر مثلاً كونَ الدواء مسهِّلاً)** للبطن **(قبل شربه)** واستعماله **(ومَن أنكره بعد أن طال اجتهاده حتىٰ بذل كُنْه مجهوده ولم يصل فأنكر ذلك لغيره كان كمَن شرب المسهِّل فلم يؤثِّر في حقه خاصةً لعلَّة في باطنه)** كاليبس البالغ وتحجُّر المعدة **(فأخذ ينكر كونَ الدواء مسهِّلاً، وهذا وإن كان في الجهل دون الأول ولكنه ليس خاليًا عن حظٍّ وافر[1] من الجهل)** بل ضرره أشد **(بل البصير)** السالك **(أحد رجلين: إما رجل سلك الطريق فظهر له مثل ما ظهر لهم فهو صاحب الذوق والمعرفة وقد وصل إلىٰ)** مرتبة **(عين اليقين)** وهو مقام المشاهدة والكشف **(وإما رجل لم يسلك الطريق)** رأسًا فهذا لا كلام فيه **(أو سلك ولم يصل)** لقصوره في جهده **(ولكنه آمن بذلك وصدَّق به)** وسلَّم لأهله **(فهذا صاحب علم اليقين)** تصديقه أعطاه الدليل بتصوُّر الأمر علىٰ ما هو عليه **(وإن لم يكن واصلاً إلىٰ عين اليقين. ولعلم اليقين أيضًا رتبة)** بالإضافة إلىٰ ما قبله **(وإن كان دون عين اليقين، ومَن خلا عن علم اليقين وعين اليقين فهو خارج عن زمرة المؤمنين، ويُحشَر يوم القيامة في زمرة الجاحدين المستكبرين الذين هم قتلىٰ العقول الضعيفة وأتباع الشياطين، فنسأل الله تعالىٰ أن يجعلنا من الراسخين في العلم القائلين:** ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ۝٧﴾ [آل عمران: ٧].

ولنذكر ما يتعلق بالفقر ممَّا ذكره القشيري وصاحب القوت وصاحب

---

(١) في الجميع: واف.

البصائر وغيرهم تكميلاً للباب وتكثيرًا للفوائد:

قال القشيري في الرسالة: الفقر شعار الأولياء وحلية الأصفياء واختيار الحق سبحانه لخواصِّه من الأتقياء والأنبياء، والفقراء صفوة الله من عباده، ومواضع أسراره بين خلقه، بهم يصون الحقُّ الخلقَ، وببركاتهم يبسط [عليهم] الرزق. قال معاذ النسفي: ما أهلك الله قومًا وإن عملوا ما عملوا حتىٰ أهانوا الفقراء وأذلُّوهم. وقيل: لو لم تكن للفقير فضيلة غير إرادته سعة [أرزاق] المسلمين ورخص أسعارهم لكفاه ذلك؛ لأنه يحتاج إلىٰ شرائها، والغني يحتاج إلىٰ بيعها، وهذا لعوامِّ الفقراء، فكيف حال خواصِّهم؟ وسُئل يحيىٰ بن معاذ عن الفقر، فقال: حقيقته أن لا تستغني إلا بالله، ورسمُه عدم الأسباب كلها. وقال إبراهيم القَصَّار: الفقر لباس يورث الرضا إذا تحقق العبد فيه. وقدمَ علىٰ الأستاذ أبي علي الدَّقَّاق فقيرٌ في سنة خمس أو أربع وتسعين وثلاثمائة من زوزن وعليه مِسح وقلنسوة مسح، فقال له بعض أصحابنا: بكم اشتريتَ هذا المسح؟ علىٰ وجه المطايبة، فقال: اشتريته بالدنيا، وطُلب مني بالآخرة فلم أبعه بها. سمعت الأستاذ أبا علي يقول: قام فقير في مجلس يطلب شيئًا وقال: إني جائع منذ ثلاث. وكان هناك بعض المشايخ فصاح عليه وقال: كذبتَ، إن الفقر سر الله، وهو لا يضع سره عند مَن يحمله إلىٰ مَن يذيعه. وقال حمدون القَصَّار: إذا اجتمع إبليس وجنوده لم يفرحوا بشيء كفرحهم بثلاثة أشياء: رجل مؤمن قتل مؤمنًا، ورجل يموت علىٰ الكفر، ورجل قلبه فيه خوف الفقر. وقال الجنيد: يا معشر الفقراء، إنكم تُعرَفون بالله، وتُكرَمون بالله، فانظروا كيف تكونون مع الله إذا خلوتم به[1]. وسُئل محمد بن عبد الله الفرغاني[2] عن الافتقار إلىٰ الله أهو أتمُّ أم الاستغناء بالله؟ فقال: إذا صح الافتقارُ إلىٰ الله فقد

(١) رواه البيهقي في شعب الإيمان ٩/ ٢٢٩.

(٢) كذا هنا، وهو سهو، والذي في الرسالة القشيرية: «عن محمد بن عبد الله الفرغاني قال: سمعت الجنيد وقد سئل عن الافتقار ...» الخ.

صح الاستغناء بالله، وإذا صح الاستغناء بالله فقد كمُلَ الغنىٰ به، فلا يقال: أَيُّهما أتمُّ الافتقار أم الغنىٰ؛ لأنهما حالتان لا تتم إحداهما إلا بالأخرىٰ. وسُئل رويم عن نعت الفقير، فقال: إرسال النفس في أحكام الله. وقيل[١]: نعتُ الفقير ثلاثة أشياء: حفظُ سرِّه، وأداء فرضه، وصيانة فرجه. وقيل للخَرَّاز: لِمَ تأخر عن الفقراء رفقُ الأغنياء؟ فقال: لثلاث خصال: لأن ما في أيديهم غير طيب، ولأنهم غير موفَّقين، ولأن الفقراء مرادون بالبلاء[٢]. وقيل: أوحىٰ الله إلىٰ موسىٰ عليه السلام: إذا رأيتَ الفقراء فسائِلْهم كما تُسائل الأغنياءَ، فإن لم تفعل فاجعل كل شيء علَّمتُك تحت التراب[٣]. ورُوي عن أبي الدرداء قال: لأن أقع من فوق قصر فأتحطَّم أحب إليَّ من مجالسة الغني؛ لأني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إيَّاكم ومجالسة الموتىٰ». قيل: ومَن الموتىٰ؟ قال: «الأغنياء»[٤]. وقيل للربيع بن خثيم: قد غلا السعرُ. فقال: نحن أهون علىٰ الله من أن يجيعنا، إنما يجيع أولياءه. وقال إبراهيم بن أدهم: طلبنا الفقر فاستقبلنا الغنىٰ، وطلب الناس الغنىٰ فاستقبلهم الفقر. وقيل ليحيىٰ بن معاذ: ما الفقر؟ قال: خوف الفقر. قيل: فما الغنىٰ؟ قال: الأمن بالله. وقال ابن الكَرْنبي: إن الفقير الصادق لَيحترزُ من الغِنىٰ حذرًا أن يدخله الغنىٰ فيُفسِد عليه فقرَه، كما أن الغنيَّ يحترز من

---

(١) القائل هو سهل بن عبد الله التستري، كما في طبقات الصوفية للسلمي ص ١٦٨ وصفة الصفوة لابن الجوزي ص ٧٢٨. وعندهما وعند القشيري: فقره، بدل: فرجه. وروىٰ ابن عساكر في تاريخ دمشق ٦/ ٩٠ مثله عن أبي عبد الله ابن الجلاء.

(٢) ذكره الكلاباذي في التعرف ص ١١٣ بسياق أطول دون تسمية القائل، وعبارته: «سئل بعض الكبراء: ما الذي منع الأغنياء عن العود بفضول ما عندهم علىٰ هذه الطائفة؟ فقال: ثلاثة أشياء، أحدها: أن الذي في أيديهم غير طيب، وهؤلاء خالصة الله، وما اصطنع إلىٰ أهل الله فمقبول، ولا يقبل الله تعالىٰ إلا الطيب. والثاني: أنهم مستحقون، فيحرم الآخرون بركة العود عليهم والثواب فيهم. والثالث: أنهم مرادون بالبلاء، فيمنعهم الحق عن العود عليهم ليتم مراده فيهم».

(٣) روا أبو نعيم في حلية الأولياء ٦/ ٣٢ وقوام السنة في الترغيب والترهيب ٢/ ٣٣٢ وابن عساكر في تاريخ دمشق ٦١/ ١٥٠ عن كعب الأحبار.

(٤) تقدم هذا الحديث في كتاب آداب الصحبة والأخوة عن عائشة أم المؤمنين.

الفقر حذرًا أن يدخل عليه فيُفسِد غناه عليه[١]. وسُئل أبو حفص: بماذا يقدُم الفقير علىٰ ربِّه؟ فقال: وماذا للفقير أن يقدُم به علىٰ ربِّه سوىٰ فقره؟ وقيل: أوحىٰ الله إلىٰ موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ: أتريد أن يكون لك يوم القيامة مثل حسنات الخلق أجمع؟ قال: نعم. قال: عُدِ المريضَ، وكنْ لثياب الفقراء فاليًا. فجعل موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ علىٰ نفسه في كل شهر سبعة أيام يطوف علىٰ الفقراء يفلي ثيابهم ويعود المرضىٰ[٢]. وقال سهل: خمسة أشياء من جوهر النفس: فقير يُظهِر الغنىٰ، وجائع يُظهِر الشبع، ومحزون يُظهِر الفرح، ورجل بينه وبين رجل عداوة فيُظهِر له المحبة، ورجل يصوم بالنهار ويقوم بالليل ولا يُظهِر ضعفًا[٣]. وقال بشر: أفضل المقامات اعتقاد الصبر علىٰ الفقر إلىٰ القبر. وقال ذو النون: علامة سخط الله علىٰ العبد خوفُه من الفقر. وقال الشِّبْلي: أدنىٰ علامات الفقر أن لو كانت الدنيا بأسرها لأحد فأنفقها في يوم ثم خطر بباله أن لو أمسك منها قوتَ يوم ما صدق في فقره. سمعت الأستاذ أبا علي يقول: تكلم الناس في الفقر والغنىٰ أيهما أفضل، وعندي أن الأفضل أن يُعطَىٰ الرجل كفايته ثم يُصان فيه. وسُئل ابن الجلاَّء: متىٰ يستحق الفقير اسم الفقر؟ فقال: إذا لم تبقَ عليه بقية منه. فقيل: كيف ذاك؟ فقال: إذا كان له فليس له، وإذا لم يكن له فهو له[٤].

قلت: وهو[٥] من أحسن العبارات في معنىٰ الفقر الذي يشير إليه القوم، وهو أن يصير كله لله، لا تبقىٰ عليه بقية من نفسه وحظِّه وهواه، فلو بقي عليه شيء من أحكام نفسه ففقره مدخول فيه.

ثم قال القشيري: وقيل: صحة الفقر أن لا يستغني الفقير في فقره بشيء إلا

---

(١) رواه الخطيب في تاريخ بغداد ١٦/ ٥٩٥.

(٢) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء ٦/ ٣٣ عن كعب الأحبار.

(٣) هذا القول نسبه الخوارزمي في مفيد العلوم ص ١٦٦ للسري السقطي.

(٤) رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٣٢/ ٣٩٢.

(٥) مدارج السالكين ٢/ ٤١١.

بمَن إليه فقره. وقال ابن المبارك: إظهار الغنىٰ في الفقر أحسن من الفقر. وقال بنان المصري: كنت بمكة قاعدًا وبين يدي شاب، فجاءه إنسان وحمل إليه كيسًا فيه دراهم ووضعه بين يديه، فقال: لا حاجة لي فيه. فقال: فَرِّقْه علىٰ المساكين. فلما كان العِشاء رأيته في الوادي يطلب شيئًا [لنفسه] فقلت: لو تركتَ لنفسك شيئًا ممَّا كان معك. فقال: لم أعلم أني أعيش إلىٰ هذا الوقت. وقال أبو حفص: أحسن ما يتوصل به العبد إلىٰ مولاه دوام الفقر إليه علىٰ جميع الأحوال، وملازمة السنَّة في جميع الأفعال، وطلبُ القوت من وجه حلال. وقال المرتعش: ينبغي للفقير أن لا تسبق همَّتُه خطوتَه. وقال أبو علي الروذباري: كان أربعة في زمانهم: واحد كان لا يقبل من الإخوان ولا من السلطان [شيئًا وهو] يوسف بن أسباط، ورث [من أبيه] سبعين ألف درهم، لم يأخذ منها شيئًا، وكان يعمل الخوص بيده. وآخر كان يقبل من الإخوان والسلطان جميعًا وهو أبو إسحاق الفزاري، فكان ما يأخذه من الإخوان ينفقه في المستورين الذين لا يتحركون، والذي يأخذه من السلطان كان يخرجه إلىٰ [مستحقِّيه من] أهل طرسوس. والثالث كان يأخذ من الإخوان ولا يأخذ من السلطان وهو ابن المبارك [كان] يأخذ من الإخوان ويكافئ عليه. والرابع كان يأخذ من السلطان ولا يأخذ من الإخوان وهو مخلد بن الحسين، كان يقول: السلطان لا يمنُّ، والإخوان يمنُّون[1]. سمعت أبا علي الدقَّاق يقول: في الخبر: «مَن تواضع لغني لأجل غناه ذهب ثلثا دينه»، إنما كان ذلك لأن المرء بقلبه ولسانه ونفسه، فإذا تواضع لغني بنفسه ولسانه ذهب ثلثا دينه، فلو اعتقد فضله بقلبه كما تواضع له بلسانه ونفسه ذهب دينه كلُّه. وقيل: أقلُّ ما يلزم الفقيرَ في فقره أربعة أشياء: علم يسوسه، وورع يحجزه، ويقين يحمله، وذِكر يؤنسه[2]. وقيل: مَن أراد الفقر لشرف الفقر مات فقيرًا، ومَن أراد الفقر لئلاَّ يشتغل عن الله تعالىٰ مات

---

(١) رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٧/ ١٢٩ من طريق القشيري.

(٢) تقدم نحو هذا القول في كتاب آداب السفر عن أبي يعقوب السوسي بلفظ: «يحتاج المسافر في سفره إلىٰ أربعة أشياء: علم يسوسه، وورع يحجزه، ووجد يحمله، وخلق يصونه».

غنيًّا. وقال النوري: نعتُ الفقير السكون عند العدم، والإيثار عند الوجود[١]. وسُئل الشبلي عن حقيقة الفقير، فقال: أن لا يستغني [العبد] بشيء دون الله. وقال الجنيد: إذا لقيتَ الفقير فالْقَه بالرفق، ولا تلقَه بالعلم، فإن الرفق يؤنسه، والعلم يوحشه. فقيل: وهل يكون فقير يوحشه العلم؟ فقال: نعم، إذا كان الفقير صادقًا في فقره فطرحتَ عليه علمك ذاب كما يذوب الرصاص في النار. وقال مظفَّر القرميسيني: الفقير هو الذي لا تكون له إلىٰ الله حاجة. وكأنَّه يشير إلىٰ سقوط المطالبات وانتفاء الاختيار والرضا بما يجريه الحق. وقال ابن خفيف: الفقر عدم الإملاك والخروج عن أحكام الصفات. وقال أبو حفص: لا يصح لأحد الفقرُ حتىٰ يكون العطاء أحب إليه من الأخذ، وليس السخاء أن يعطي الواجدُ المعدَم، وإنما السخاء أن يعطي المعدمُ الواجدَ. وقال ابن الجلاَّء: لولا شرف التواضع لله لكان حكمُ الفقير إذا مشىٰ أن يتبختر[٢]. وقال يوسف بن أسباط: منذ أربعين سنة ما ملكتُ قميصين. وقال بعضهم: رأيت كأنَّ القيامة قامت وقيل: أدخِلوا مالك بن دينار ومحمد بن واسع الجنة، فنظرت أيُّهما يتقدم، فتقدم محمد بن واسع، فسألت عن سبب تقدُّمه، فقيل لي: إنه كان له قميص واحد، ولمالك بن دينار قميصان. وقال محمد المسوحي: الفقير: الذي لا يرىٰ لنفسه حاجة إلىٰ شيء من الأسباب. وسُئل سهل: متىٰ يستريح الفقير؟ فقال: إذا لم يرَ لنفسه غير الوقت الذي هو فيه[٣]. وتذاكروا عند يحيىٰ بن معاذ الفقر والغنىٰ، فقال: لا يوزَن غدًا الفقر ولا الغنىٰ، وإنما يوزن الصبر والشكر. وقيل: أوحىٰ الله إلىٰ بعض الأنبياء: إذا أردتَ أن تعرف رضاي عنك فانظر كيف رضا الفقراء عنك. وقال الزَّقَّاق: مَن لم يصحبه التُّقَىٰ في فقره أكل الحرام المحض. وقال أبو بكر بن طاهر: من حكم الفقير أن لا تكون له رغبة

---

(١) رواه البيهقي في شعب الإيمان ٢/ ٤٧١، والرافعي في التدوين ٢/ ٤٦٤.

(٢) رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٦/ ٩٠ من طريق القشيري.

(٣) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء ١٠/ ١٩٣، ٢٠٠.

[في الدنيا] فإن كان ولا بد فلا تجاوز رغبتُه كفايتَه[١]. وسُئل أبو بكر المصري عن الفقير الصادق فقال: الذي لا يملك ولا يميل. وقال ذو النون: دوام الفقر إلىٰ الله مع التخليط أحب إليَّ من دوام الصفاء مع العُجْب. ومكث أبو جعفر الحدَّاد عشرين سنة يعمل كل يوم بدينار وينفقه علىٰ الفقراء ويصوم ويخرج بين العشاءين فيُتصدَّق [عليه] من الأبواب[٢]. وقال محمد بن علي الكتَّاني: كان عندنا بمكة فتىٰ عليه أطمار رثَّة، وكان لا يداخلنا ولا يجالسنا، فوقعت محبته في قلبي، ففُتح لي بمائة درهم من وجه حلال، فحملتها إليه ووضعتها علىٰ طرف سجَّادته وقلت له: إنه فُتح لي ذلك من وجه حلال، تصرفه في بعض أمورك. فنظر إليَّ شَزَرًا ثم قال[٣]: اشتريتُ هذه الجلسة مع الله علىٰ الفراغ بسبعين ألف دينار غير الضِّياع والمستغَلاَّت، تريد أن تخدعني عنها بهذه؟! وقام وبدَّدها، وقعدت ألتقطها، فلا رأيتُ كعزِّه حين مر، ولا كذلِّي حين كنت ألتقطها. وقال ابن خفيف: ما وجبت عليَّ زكاةُ الفطر أربعين سنة، ولي قبول عظيم بين الخاص والعام[٤]. وسُئل عن الفقير يجوع ثلاثة أيام ثم يخرج ويسأل مقدار كفايته أيش يقال فيه؟ فقال: مكدٍ، كلوا واسكتوا، فلو دخل فقير من هذا الباب لفضحكم كلَّكم[٥]. وسُئل الدقي عن سوء أدب الفقراء مع الله في أحوالهم، فقال: انحطاطهم من الحقيقة إلىٰ العلم[٦]. وقال خير النسَّاج: دخلت بعض المساجد، وإذا فيه فقير، فلما رآني تعلَّق بي وقال: أيها الشيخ، تعطَّفْ عليَّ، فإن محنتي عظيمة. فقلت: وما هي؟ فقال: فقدت البلاء وقُرنتُ بالعافية. فنظرت فإذا هو قد فُتح عليه بشيء من الدنيا. وقال أبو بكر الورَّاق:

(١) رواه البيهقي في شعب الإيمان ٥/ ١٧١، والرافعي في التدوين ٣/ ٢٢٩.

(٢) رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٦٦/ ١١٤، وابن الجوزي في تلبيس إبليس ص ٣٤٧.

(٣) في الرسالة: «فنظر إلي شزرا ثم كشف عما هو مستور عني وقال».

(٤) رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٥٢/ ٤١٦.

(٥) رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٥٣/ ٣٧١.

(٦) في طبقات الصوفية للسلمي ص ٣٣٦: «انحطاطهم من حقيقة العلم إلىٰ ظاهر العلم».

طوبىٰ للفقير في الدنيا والآخرة، لا يطلب السلطان منه في الدنيا الخراج، ولا الجبار في الآخرة الحسابَ.

إلىٰ هنا كلام القشيري.

وقال السهروردي في العوارف[1]: قال ابن الجلاَّء: الفقر: أن لا يكون لك، وإذا كان لك لا يكون لك حتىٰ تؤثر. وقال بعضهم: نعت الفقيرُ السكون عند العدم، والاضطراب عند الوجود. وتقدم مثله في قول النوري، إلا أنه قال: والبذل، بدل: الاضطراب. وقال الدَّرَّاج: فتَّشت كنف أستاذي أريد مكحلة، فوجدت فيها قطعة فتحيَّرت، فلما جاء قلت له: إني وجدت في كنفك قطعة. قال: قد رأيتُها، رُدَّها. ثم قال: خذها فاشترِ بها شيئًا. فقلت: ما كان من أمر هذه القطعة بحق معبودك؟ فقال: ما رزقني الله تعالىٰ من الدنيا لا صفراء ولا بيضاء غيرها، فأردتُ أن أوصي أن تُشَدَّ في كفني فأردُّها إلىٰ الله تعالىٰ. وقال إبراهيم الخوَّاص: الفقر رداء الشرف، ولباس المرسلين، وجلباب الصالحين. وسُئل سهل عن الفقير الصادق، فقال: لا يسأل، ولا يردُّ، ولا يحبس[2]. وقال أبو علي الروذباري: سألني الزَّقَّاق فقال: يا أبا علي، لِمَ ترك الفقراء أخذ البلغةِ في وقت الحاجة؟ قال: قلت: لأنهم مستغنون بالمعطي عن العطايا. قال: نعم، ولكن وقع لي شيء آخر. فقلت: هاتِ فأفِدْني [ما وقع لك]. قال: لأنهم قوم لا ينفعهم الوجود إذ لله فاقتهم، ولا تضرُّهم الفاقة إذ لله وجودهم. وقال بعضهم: الفقر: وقوف الحاجة علىٰ القلب، ومحوها عمَّا سوىٰ الرب. وقال المسوحي: الفقير: الذي لا تغنيه النعمُ، ولا تفقره المحنُ. وقال أبو بكر الطوسي: بقيتُ مدةً أسأل عن معنىٰ اختيار أصحابنا لهذا الفقر علىٰ سائر

---

(١) عوارف المعارف ص ٣٤٣ - ٣٤٤.

(٢) في الرسالة القشيرية ص ٢٩٤: «قال أبو علي الروذباري: قلت لعمرو بن سنان: احكِ لي عن سهل ابن عبد الله حكاية. فقال: إنه قال: علامة المتوكل ثلاث: لا يسأل، ولا يرد، ولايحبس».
وذكره أبو طالب في القوت ٣/ ١٥٢٨ بلفظ: «المتوكل لا يسأل ولا يرد ولا يحتكر».

الأشياء، فلم يجبْني أحد بجواب يقنعني، حتىٰ سألت نصر بن الحمامي، فقال لي: لأنه أول منازل التوحيد. فقنعت بذلك. وقال فارس: قلت لبعض الفقراء مرةً ورأيت عليه أثر الجوع والضر: لِمَ لا تسأل فيطعموك؟ فقال: أخاف أن أسألهم فيمنعوني فلا يفلحون.

وقال صاحب البصائر(١): الفقر له بداية ونهاية، وظاهر وباطن. فبدايته الذل، ونهايته العز، وظاهره العُدْم، وباطنه الغِنىٰ، كما قال رجل لآخر: [الفقر] فقر وذل. فقال: لا، بل فقر وعز. فقال: فقر وثرىٰ. فقال: لا، بل فقر وعرش. وكلاهما مصيب. وأما مسألة الفقير الصابر والغني الشاكر وترجيح أحدهما علىٰ الآخر، فعند المحقِّقين أن التفضيل لا يرجع إلىٰ ذات الفقر والغنىٰ، وإنما يرجع إلىٰ الأعمال والأحوال والحقائق، فالمسألة فاسدة من أصلها، وأن التفضيل عند الله بالتقوىٰ وحقائق الإيمان، لا بفقر وغنىٰ، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣] ولم يقل أفقركم أو أغناكم. ثم اعلمْ أن الفقر والغنىٰ ابتلاء من الله للعباد، فليس كل مَن أعطاه ووسَّع عليه قد أكرمه، ولا كل مَن ضيَّق عليه قد أهانه، والإكرام أن يُكرَم العبد بطاعته ومحبَّته ومعرفته، وأن يُهان إذا سُلب ذلك، ولا يقع التفاضل بالغنىٰ والفقر بل بالتقوىٰ. وقال بعضهم: هذه المسألة مُحال أيضًا من وجه آخر وهو أن كلاًّ من الغني والفقير لا بد له من صبر وشكر، فإن الإيمان نصفان: نصف صبر ونصف شكر، بل قد يكون قسط الغنيِّ من الصبر أوفي؛ لأنه يصبر عن قدرة، فصبرُه أتمُّ من صبر مَن يصبر عن عجز، ويكون شكر الفقير أتمَّ؛ لأن الشكر هو استفراغ الوسع في طاعة الله، والفقير أعظم فراغًا للشكر من الغني، وكلاهما لا تقوم قائمة إيمانه إلا علىٰ ساقَي الصبر والشكر. نعم، الذي رجع الناس إليه في المسألة أنهم ذكروا نوعًا من الشكر ونوعًا من الصبر، وأخذوا في

---

(١) بصائر ذوي التمييز للفيروزآبادي ٤/ ٢٠٧ - ٢٠٨، نقلا عن مدارج السالكين لابن القيم ٢/ ٤١٢ - ٤١٤.

الترجيح [بينهما] فجرَّدوا غنيًّا منفقًا متصدِّقًا باذلاً ماله في وجوه القُرَب شاكرًا الله عليه وفقيرًا متفرِّغًا لطاعة الله تعالىٰ ولأوراد العبادات صابرًا علىٰ فقره فهل هو أكملُ من ذلك الغني أم بالعكس؟ فالصواب في مثل هذا أن أكملهما أطوعُهما، فإن تساوت طاعتهما تساوت درجتهما. والله أعلم.

وقال صاحب القوت: قال الله تعالىٰ: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ﴾ [الرعد: ٢٤] قيل: علىٰ الفقر[١]، وقد سمَّىٰ الله الفقراء الصابرين[٢] محسنين، ووضع عنهم السبيل يوم الدين، فقال تعالىٰ: ﴿مَا عَلَى ٱلۡمُحۡسِنِينَ مِن سَبِيلٖۚ﴾ [التوبة: ٩١] ثم أوقع الحُجَّة والمطالبة علىٰ الأغنياء، وسمَّاهم ظالمين، ووصفهم بأوصاف النساء، وجعلهم من المخلَّفين، فقال في المعنيين من الآيتين: ﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَسۡتَـٔۡذِنُونَكَ وَهُمۡ أَغۡنِيَآءُۚ رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلۡخَوَالِفِ﴾ [التوبة: ٩٣] يعني النساء؛ لأن هذا جمع التأنيث، وقال: ﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظۡلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبۡغُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۚ﴾ [الشورىٰ: ٤٢] يعني بطلب العلو فيها ضد الفقراء الصادقين الذين قال في ذِكرهم: ﴿نَجۡعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوّٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [القصص: ٨٣] وقد يحتجُّ متوهِّم لفضل الأغنياء الممسكين لفضول الغنىٰ علىٰ الفقراء عنده بقوله تعالىٰ مخبراً [عن الفقراء]: ﴿تَوَلَّواْ وَّأَعۡيُنُهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ ٩٢﴾ [التوبة: ٩٢] ولا يعلم أن هذا عند أهل التدبُّر للقرآن مزيد للفقراء لتمام حالهم لمَّا كانوا محسنين، كما قال: ﴿تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ﴾ [الأنعام: ١٥٤] وقال: ﴿وَسَنَزِيدُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٥٨﴾ [البقرة: ٥٨] فكان مزيدهم الحزن والإشفاق وخوف التقصير لمشاهدة عظيم حق الربوبية عليهم، حتىٰ كأنَّهم مسيئون، حتىٰ بشَّرهم الله بأنهم محسنون لمَّا قال:

---

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٨/ ٤٣١ لأبي الشيخ في تفسيره عن محمد بن النضر الحارثي، ونسبه الماوردي في النكت والعيون ٣/ ١٠٩ لأبي عمران الجوني، ورواه ابن الشجري في أماليه ٢/ ١٨٢ عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر.

(٢) في القوت: الزاهدين.

﴿مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ﴾ لأنه أضافهم إليه في الوصف، وعطف بهم عليه في المعنىٰ، وأيضًا فلم يكن بكاؤهم علىٰ فوت الدنيا، ولا علىٰ طلب الغنىٰ، والله تعالىٰ يمدحهم بصبرهم عن الدنيا ويذم الدنيا إليهم، لكن لما كان حزنهم علىٰ طلب المزيد من الفقر ليجدوا الإنفاق فيخرجوه فيفتقروا منه فيزدادوا فقرًا من الدنيا ببذل المال علىٰ فقرهم، فعلىٰ كثرة الإنفاق وحقيقة الفقر من الدنيا كان حزنهم، فهذا فضل ثانٍ للفقر لا علىٰ الجمع والادِّخار، والموضع الأعلىٰ الذي فُضِّل به الفقراء من هذه الآية عند أهل الاستنباط والدراية هو مشاركتهم للرسول في حاله، ووصف الله رسولَه ﷺ بمثل حالهم في قوله تعالىٰ: ﴿قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ ثم نعتهم بمثله؛ لأنهم هم الأمثل فالأمثل به، فقال تعالىٰ: ﴿أَلَّا يَجِدُوا۟ مَا يُنفِقُونَ ﴿٩٢﴾﴾ [التوبة: ٩٢] فمَن كان برسول الله ﷺ أمثل فهو الأفضل، وجعل ابن مسعود الفقرَ حقيقة الإيمان؛ إذ عبَّر عن ذروة الإيمان به، فقال: لا يبلغ عبد حقيقة الإيمان حتىٰ يحلَّ بذروته، ولا يحل بذروته حتىٰ يكون الفقر أحب إليه من الغنىٰ، والتواضع أحب إليه من الشرف، والذل أحب إليه من العز[١]. وأما وهب بن منبِّه فإنه جعل هذه الخصال الثلاث من استكمال العقل، فقال: لا يستكمل العبد العقلَ حتىٰ تكون فيه هذه الخصال ... فذكرها[٢]. وكان أبو سليمان يقول: ما من شيء إلا وهو مطروح في الخزائن إلا الفقر مع المعرفة، فإنه مخزون مختوم عليه لا يُعطاه إلا مَن طُبع بطابع الشهداء.

---

(١) رواه أحمد في الزهد ص ١٣٠، وأبو نعيم في حلية الأولياء ١/ ١٣٢.

(٢) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء ٤/ ٤٠ بلفظ: «ما عُبد الله بشيء أفضل من العقل، وما يتم عقل امرئ حتىٰ تكون فيه عشر خصال: أن يكون الكبر منه مأمونا، والرشد فيه مأمورا، يرضىٰ من الدنيا بالقوت، وما كان من فضل فمبذول، والتواضع فيها أحب إليه من الشرف، والذل فيها أحب إليه من العز، لا يسأم من طلب العلم دهره، ولا يتبرم من طالبي الخير، يستكثر قليل المعروف من غيره، ويستقل كثير المعروف من نفسه، والعاشرة هي ملاك أمره، بها ينال مجده، وبها يعلو ذكره، وبها علاه في الدرجات في الدارين كليهما وهي أن يرىٰ أن جميع الناس بين خير منه وأفضل، وآخر شر منه وأرذل». ورواه ابن أبي الدنيا في مداراة الناس ص ٤٧ وأحمد في الزهد ص ٣٠٢ بنحوه.

وبه تم الكلام علىٰ الفقر بعون الله تعالىٰ.

(الشطر الثاني من الكتاب: في الزهد

وفيه بيان حقيقة الزهد، وبيان فضيلة الزهد، وبيان درجات الزهد وأقسامه، وبيان تفضيل الزهد في المطعم والملبس والمسكن والأثاث وضروب المعيشة، وبيان علامة الزهد) وذلك في فصول خمسة مرتَّبة.

بيان حقيقة الزهد

(اعلمْ) هداك الله تعالىٰ **(أن الزهد في الدنيا مقام شريف من مقامات السالكين)** وهو السادس من مقامات اليقين، علىٰ ما رتَّبه صاحب القوت، ولم يعدَّ الفقر منها، وإنما ذكره في ضمن مقام الزهد، ونحن قلَّدناه في سياقه، وأما السهروردي وشيخ الإسلام الهروي وغيرهما من مشايخ القوم عدُّوا الفقر من جملة مقامات الدين، وهي مائة مقام في سياق منازل السائرين **(وينتظم هذا المقامُ من علم وحال وعمل كسائر المقامات)** المذكورة والآتية **(لأن أبواب الإيمان كلها - كما قال السلف - ترجع إلىٰ عقد وقول وعمل)** فالعقد يرجع إلىٰ القلب، والقول يرجع إلىٰ اللسان، والعمل يرجع إلىٰ الجوارح **(وكأنَّ القول لظهوره أقيمَ مقام الحال؛ إذ به يظهر الحال الباطن، وإلا فليس القول مرادًا لعينه، وإن لم يكن صادرًا عن حال سُمِّي إسلامًا ولم يسمَّ إيمانًا)** فالعلم[١] هو الأصل الذي هو عقدٌ من عقود الإيمان بالله أو لله، والحال ما ينشأ عنه من المواجيد، والعمل هو ما تنشئه المواجيدُ علىٰ القلوب والجوارح من الأعمال **(والعلم هو السبب في الحال يجري مَجرىٰ المثمر، والعمل من الحال يجري مَجرىٰ الثمرة، فلنذكر الحال مع كِلا طرفَيْه من العلم والعمل، أما الحال فنعني به)** هنا **(ما يسمَّىٰ زهدًا، وهو)** الآلة التي لا يستغني عنها عابد ولا عارف؛ لأن الدنيا عدوَّة محبوبة، أما كونها عدوَّة فلأنها قاطعة شاغلة، وأما كونها محبوبة فلأن أصل الحياة وكمالها لا يتأتَّىٰ إلا بها، وأصل الحياة هو المقصود للعبادة والمعرفة، وكمال الحياة بالتنعيم هو القاطع إن كان محظورًا، والشاغل إن كان مباحًا، وأما الزهد فلا يتعلق إلا بترك المباح، وتركُ المباح منوط بثلاثة آفات[٢]:

---

(١) روضة الطالبين ص ١٦١ [ضمن مجموع رسائل الغزالي].

(٢) انظر: الموافقات للشاطبي ١/ ١٧٨، ١٧٩ (ط دار الفضيلة).

الآفة الأولىٰ: أن الانهماك فيه يحمل علىٰ ترك الواجبات وفعلِ المحظورات، ولا يُقدَر علىٰ فعل الواجبات وترك المحظورات إلا بترك فضول الشهوات المباحات.

الآفة الثانية: اعتياد النفس وإلفها به، فتشق عليها مفارقتُه، والمفارقة للدنيا ضرورة.

الآفة الثالثة: الاشتغال به عن معرفة الله التي ما خُلقت إلا لأجلها، والقلب لا يتسع لحالين، إما إقبال علىٰ الدنيا أو علىٰ الآخرة أو علىٰ الله تعالىٰ.

فإذا عرفتَ هذا عرفت أن الزهد في الدنيا ضرورة السالك، فأما السبب الموجِب للزهد فقد قال الله تعالىٰ: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ [البقرة: ٢١٩ - ٢٢٠] وقال: ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللَّهِ بَاقٍ﴾ [النحل: ٩٦] فقد عرَّفك طريق الفكر في الآية الأولىٰ وهو أن تنظر إلىٰ فناء الدنيا وسرعة ذهابها حتىٰ كأنَّها لم تكن، وفي بقاء الآخرة وثباتها حتىٰ كأنَّها لم تزل، مع ما اشتملت عليه الدنيا من الخساسة والقذارة والمكابدة ومحاصرة الشركاء، وكذلك ما اشتملت عليه الآخرة من النفاسة والبهاء وعدم الآفات، والإيمان بهاتين المعرفتين واجب؛ لأنهما من عقود الإيمان بالله، فإذا أضفتَ المعرفة بالآخرة إلىٰ المعرفة بالدنيا، وكانت إرادتك مائلة إلىٰ الدنيا انصرفت إرادتك من الدنيا إلىٰ الآخرة، فحينئذٍ تعرف حقيقة الزهد بالذوق إن كنتَ مصدِّقًا بها برهانًا أو تقليدًا، فحقيقة الزهد: انصراف الإرادة عن الدنيا حقارةً لاستعظام ما عاين من نفاسة الآخرة، وإليه أشار المصنف بقوله: وهو (**عبارة عن انصراف الرغبة عن الشيء إلىٰ ما هو خير منه، فكل مَن عدل عن شيء إلىٰ غيره بمعاوضة وبيع وغيره فإنما عدل عنه لرغبته عنه، وإنما عدل إلىٰ غيره لرغبته في غيره، فحاله بالإضافة إلىٰ المعدول عنه يسمَّىٰ زهدًا، وبالإضافة إلىٰ المعدول إليه يسمَّىٰ رغبة وحبًّا، فإذًا يستدعي حالُ الزهد مرغوبًا عنه ومرغوبًا فيه هو خير من المرغوب عنه**) فهذا شرط المرغوب فيه (**وشرط**

المرغوب عنه أن يكون هو أيضًا مرغوبًا فيه) ولو **(بوجه من الوجوه، فمَن رغب عمَّا ليس مطلوبًا)** هو **(في نفسه لا يسمَّىٰ زاهدًا)** في الحقيقة **(إذ تارك الحجر والتراب)** والحشرات **(وما أشبهَ ذلك)** من المحقَّرات **(لا يسمَّىٰ زاهدًا، وإنما يسمَّىٰ زاهدًا مَن ترك الدراهم والدنانير؛ لأن)** الدراهم والدنانير مطلوبة في نفسها، و**(الحجر والتراب ليسا في مَظَنَّة الرغبة)** إليهما **(وشرط المرغوب فيه أن يكون عنده خيرًا من المرغوب عنه حتىٰ تغلب هذه الرغبةُ)** وإنما قال «عنده» لأنه إذا كان في نفس الأمر خيرًا منه إلا أنه ليس عنده ذلك فلا تغلب رغبتُه، فلذلك اشترط أن يكون ذلك عنده لأجل غلبة رغبته **(فالبائع لا يُقدِم علىٰ البيع إلا والمشتري عنده خير من المبيع، فيكون حاله بالإضافة إلىٰ المبيع زهدًا فيه، وبالإضافة إلىٰ العوض عنه رغبةً فيه وحبًّا، ولذلك قال الله تعالىٰ: ﴿وَشَرَوْهُ﴾)** أي يوسف (﴿بِثَمَنٍ بَخْسٍ﴾): ناقص (﴿دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ﴾): قليلة (﴿وَكَانُوا فِيهِ﴾) أي يوسف (﴿مِنَ الزَّاهِدِينَ ۝٢٠﴾) [يوسف: ٢٠] أي ممَّن يرغب عمَّا في يده فيبيعه بثمن طفيف **(أي باعوه)** هو تفسير لـ «شروه» **(فقد يطلق الشراء بمعنىٰ البيع)** فيقولون: شريت، بمعنىٰ بعت، كما يقولون: ابتعت، بمعنىٰ اشتريت، وهما من الأضداد **(ووُصف إخوة يوسف بالزهد فيه إذ طمعوا أن يخلو لهم وجهُ أبيهم)** منه **(وكان ذلك عندهم أحب من يوسف، فباعوه طمعًا في العوض)** فلمَّا باعوه وخرج من أيديهم كانوا من الزاهدين **(فإذًا كل مَن باع الدنيا بالآخرة فهو زاهد في الدنيا، وكل مَن باع الآخرة بالدنيا فهو أيضًا زاهد ولكن في الآخرة)** هذا ما تقتضيه اللغةُ **(ولكن العادة جارية بتخصيص اسم «الزهد» بمَن يزهد في الدنيا، كما خُصِّص اسم «الإلحاد» بمَن يميل إلىٰ الباطل خاصةً، وإن كان هو للمَيل في وضع اللسان)** العربي، وكذا تخصيص اسم «الحنيف» بمَن يميل إلىٰ الحق، وإن كان في أصل اللسان بمعنىٰ الميل أيضًا **(ولمَّا كان الزهد)** عبارة عن **(رغبة عن محبوب بالجملة لم يُتصوَّر إلا بالعدول إلىٰ شيء هو أحب منه، وإلا فتركُ المحبوب بغير الأحب مُحال)** وبهذا يفارق الفقرَ، فإنَّ حقيقة الفقر: الفقد والاحتياج **(والذي يرغب عن كل ما سوىٰ الله تعالىٰ حتىٰ الفراديس)** وحتىٰ

نسيم الأسحار **(ولا يحب إلا الله تعالىٰ فهو الزاهد المطلق)** وهذا أعلىٰ المراتب **(والذي يرغب عن كل حظ يُنال في الدنيا ولم يزهد في مثل تلك الحظوظ في الآخرة بل طمعَ في الحور والقصور والأنهار والفواكه فهو أيضًا زاهد، ولكنه دون الأول، والذي يترك من حظوظ الدنيا البعضَ دون البعض كالذي يترك المال دون الجاه، أو يترك التوسُّع في الأكل ولا يترك التجمُّل في الزينة، فلا يستحق اسم «الزاهد» مطلقًا، ودرجته في الزهَّاد درجة مَن يتوب عن بعض المعاصي)** دون البعض **(في التائبين، وهو زهد صحيح، كما أن التوبة عن بعض المعاصي صحيحة)** وقد ذُكر وجه ذلك في كتاب التوبة **(فإنَّ التوبة عبارة عن ترك المحظورات، والزهد عبارة عن ترك المباحات التي هي حظ النفس، ولا يبعُد أن يقدر علىٰ ترك بعض المباحات دون بعض، كما لا يبعُد ذلك في المحظورات)** أي يترك بعضًا منها دون بعض **(والمقتصر علىٰ ترك المحظورات)** دون المباحات **(لا يسمَّىٰ زاهدًا)** وإنما يسمَّىٰ تائبًا **(وإن كان قد زهدَ في المحظور وانصرف عنه، ولكن العادة تخصِّص هذا الاسم)** أي الزهد **(بترك المباحات، فإذًا الزهد عبارة عن رغبته عن الدنيا)** وإعراضه عنها **(عدولاً إلىٰ الآخرة أو عن)** رغبته **(عن غير الله تعالىٰ عدولاً إلىٰ الله، وهي الدرجة العليا)** في مراتب الزهد **(وكما يُشترَط في المرغوب فيه أن يكون خيرًا عنده)** لتغلُّب رغبته **(فيُشترَط في المرغوب عنه أن يكون مقدورًا عليه)** وبهذا يفارق الفقرَ **(فإنَّ ترك ما لا يقدر عليه مُحال)** فإن قلتَ: هذا يَرِدُ عليكم في الزهد في نعيم الجنة بالنسبة إلىٰ التنعُّم بمشاهدة الله تعالىٰ، فإن نعيم الجنة غير مقدور عليه. فأقول: نعيم الجنة ضربان: حِسي وعقلي، فالحسي ما يتلذَّذ به سائر البدن من مأكول ومشروب وملبوس ومسموع ومنكوح، فلا تختلف اللذات الحسية في أصل ذلك، إنما الاختلاف في كمال اللذة؛ لأن قوة اللذة علىٰ قدر الشوق وعلىٰ [قدر] كمال الملتذ به، فقد عُرفت لذَّات الآخرة بالمقايسة علىٰ لذَّات الدنيا. وأما العقلي فهو كسلام الملائكة وتبشيرها وتعظيمها، وهذا أيضًا موجود في الدنيا بتعظيم العِباد بعضهم بعضًا، فلا يختلف أيضًا في أصل اللذة، إنما يختلف في كمالها؛ لأن اللذة

بتعظيم العظيم عظيمة، فلمَّا ذاق العارفون في الدنيا اللذات المحسوسة والمعقولة كما وصفنا وذاقوا لذة معرفة الله تعالىٰ بمطالعة جماله وكماله واستغرقهم ذلك في وقت الأنس بمجالسته ومُوادَّته ومصافاته استحقروا عند اللذة بهذه المعرفة جميعَ اللذات العقلية والحسية، وصارت لذة المعرفة عندهم بالنسبة إلىٰ اللذة العقلية كنسبة الحسية، ولا تؤثِّر لذة الحس علىٰ لذة العقل إلا لبهيمة لم يُخلَق لها الإدراك الإنساني **(وبالترك يتبيَّن زوال الرغبة، ولذلك قيل لابن المبارك)** عبد الله رحمه الله تعالىٰ: **(يا زاهد)** فأنكر علىٰ القائل **(فقال: إنما الزاهد عمر بن عبد العزيز)** أي هو حقيق أن يسمَّىٰ زاهدًا **(إذ جاءته الدنيا راغمة)** أي صاغرة ذليلة **(فتركها)** وزهدَ فيها **(وأما أنا ففيماذا زهدتُ)**؟ ولفظ القوت: وقد كان مالك بن دينار يقول إذا قيل له إنك زاهد قال: إنما الزاهد عمر ابن عبد العزيز، جاءته الدنيا وملكها فزهد فيها، فأما أنا ففي أيِّ شيء زهدتُ[١]؟

فهذا ما يتعلق بالحال، بقي الكلام علىٰ طرفَيْه: العلم والعمل، فقال: **(وأما العلم الذي هو مثمر لهذا الحال فهو العلم بكون المتروك حقيرًا بالإضافة إلىٰ المأخوذ)** وهذا **(كعلم التاجر بأن العوض خير من المبيع فيرغب فيه، وما لم يتحقق هذا العلمُ لا يُتصور أن تزول الرغبة عن المبيع، فكذلك مَن عرف أن ما)** عندكم ينفد وما **(عند الله باقٍ، وأن الآخرة خير وأبقىٰ، أي لذَّاتها خير في أنفسها وأبقىٰ)** بالإضافه إلىٰ لذَّات الدنيا، وفي قوله تعالىٰ: ﴿مَا عِندَكُمۡ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍۗ﴾ [النحل: ٩٦] إشارة حسنة، حيث أضاف الدنيا إلينا ليذلَّنا بها؛ لأنَّا أهل الفناء، وليزهِّدنا فيها زُهدنا في أنفسنا الأمَّارة بالسوء، وأضاف الآخرة إلىٰ الآخرِ الأعلىٰ ليعزَّنا بها ويشوِّقنا إليها؛ لأنه أهل البقاء، فخصَّ بها أهلَه؛ إذ منحها البقاءَ. والإيمان بهذه المعرفة واجب؛ لأنه من عقود الإيمان بالله. ثم مثَّل للذات الآخرة

---

(١) رواه عبد الله بن أحمد في زوائد المسند ٣٦/ ٤٥٨، وأبو نعيم في حلية الأولياء ٥/ ٢٥٧، وابن أبي الدنيا في كتاب الزهد ص ٢٢٧، والبيهقي في الزهد الكبير ص ٧٢.

مثالاً في عالَم المُلك فقال: (**كما تكون الجواهر**) واللآلئ (**خيرًا من الثلج مثلاً** و) هي (**أبقىٰ**) كما يكون الجوهر أبقىٰ من الثلج (**ولا يعسُر علىٰ مالك الثلج بيعه بالجواهر واللآلئ، فهكذا مثال الدنيا والآخرة، فالدنيا كالثلج الموضوع في الشمس لا يزال في الذوبان إلىٰ الانقراض، والآخرة كالجوهر الذي لا فَناء له، فبقدر قوة اليقين والمعرفة بالتفاوت بين الدنيا والآخرة**) بخساسة الدنيا وقذارتها وفنائها، ونفاسة الآخرة وشرفها وبقائها (**تقوَىٰ الرغبةُ في البيع والمعاملة، حتىٰ إن مَن قويَ يقينُه يبيع نفسه وماله، كما قال الله تعالىٰ**: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ﴾ [التوبة: ١١١] فلمَّا اشتراها باعوها، فالعبد إذا باع نفسه وماله من الله تعالىٰ وخرج من هواه إلىٰ سبيل مولاه فهو من الزاهدين، وهذا كما قال تعالىٰ: ﴿وَنَهَى ٱلنَّفۡسَ عَنِ ٱلۡهَوَىٰ ۝٤٠ فَإِنَّ ٱلۡجَنَّةَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ ۝٤١﴾ [النازعات: ٤٠ - ٤١] فإذا كان العوض واحدًا وهو الجنة ذُكر في المعنيين كان بيع النفس والمال وإخراجهما لله عَزَّوَجَلَّ بمعنىٰ النهي عن الهوىٰ فيهما الذي هو الحياة الدنيا وهو اقتناؤه للنفس وحبسُ النفس عليه - أعني المال - فاستبدال ذلك بضدِّه من إخراج الهوىٰ من النفس وإدخال الفقر علىٰ المال هو الزهد في الدنيا؛ إذ ليس ذلك من أمر النفس الأمَّارة بالسوء؛ لأنه نهاية الخير، فصار نهيًا لها عن الهوىٰ الذي هو اقتناء المال للجمع والمنع لمتعة النفس به، وهذا هو الدنيا بوصف النفس الأمَّارة بالسوء؛ لأن هذا سوءٌ كلُّه، فمَن كان بهذا الوصف فنفسه غير مرحومة لأمرها بالسوء، وإذا لم تكن مرحومة لم يكن صاحبها بائعها، وإذا لم يبعْها لم تكن مُشتراة (**ثم بيَّن أن صفقتهم رابحة فقال تعالىٰ**: ﴿فَٱسۡتَبۡشِرُواْ بِبَيۡعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعۡتُم بِهِۦۚ﴾) فمَن باع حياة نفسه وفرَّق مجموع ماله فاشتراه المولىٰ الكريم منه فعوَّضه دارَه وأسكنه عنده في جواره فقد ربحت صفقتُه واهتدىٰ سبيلَه، فإيمان الزاهدين قد أمرهم بإخراج المال والنفس التي هي الهوىٰ لدخول اليقين علىٰ إيمان التصديق (**فليس يحتاج من العلم في الزهد إلا إلىٰ هذا القدر وهو أن الآخرة خير وأبقىٰ**) وصفها بالخيريَّة لبقائها في المآل، ومنحها وصفين من صفاته ليُرغب

فيها، كما قال: ﴿وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴾ [طه: ٧٣] فإذا شهد العبدُ بعين قلبه ويقين إيمانه ما صدَّق به ممَّا علمَه بفهمِ سمعِه وإدراك خبره أن ما يفنَىٰ آخره كأنَّه لم يكن وما يبقىٰ آخره كأنَّه لم يزل كان من المتفكِّرين في مثل هذه الآي، المشاهدين لها، كما قال تعالىٰ: ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ۝ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾ [البقرة: ٢١٩ - ٢٢٠] **(وقد يعلم ذلك مَن لا يقدر علىٰ ترك الدنيا إما لضعف علمه ويقينه، وإما لاستيلاء الشهوة في الحال عليه وكونه مقهورًا في يد الشيطان، وإما لاغتراره بمواعيد الشيطان في التسويف يومًا بعد يوم)** وحينًا بعد حين **(إلىٰ أن يختطفه الموت ولا يبقىٰ معه إلا الحسرة بعد الفوت)** ومَن دامت غفلته عظُمت في الآخرة حسرتُه وخسارتُه، ألم تسمع إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿وَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ۝ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ۝﴾ [النحل: ١٠٨ - ١٠٩] مع قوله: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ﴾ [مريم: ٣٩] فهذه صفات الجاهلين وأخلاق نفوس المشركين لفقد حقيقة العلم ووُجْد عدم اليقين، وبمعنىٰ ما ذكرناه ذكرهم خالقهم، فمَن دخل في بعض مداخلهم ووقع به التهديد والوعيد والتخويف الشديد لهم في قوله مخبرًا عنهم: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا﴾ الآية [هود: ١٥] وقوله تعالىٰ: ﴿وَرَضُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّوا۟ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ۝﴾ [يونس: ٧] فما أعظم حسرة الفوت علىٰ مَن خسر ما ربحه الزاهدون بعد الموت! **(وإلىٰ تعريف خساسة الدنيا الإشارة بقوله تعالىٰ:** ﴿قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ﴾**)** [النساء: ٧٧] والمراد بالدنيا هنا هو حب البقاء لمتعة النفس، كما يدل عليه قوله تعالىٰ مخبراً عنهم: ﴿وَقَالُوا۟ رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا ٱلْقِتَالَ لَوْلَآ أَخَّرْتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾ [النساء: ٧٧] فالقتال هو فراق الحياة الدنيا؛ لأنه المشي بالسيف إلىٰ السيف والفناء بين السيفين، فقالوا: هلَّا أبقيتنا إلىٰ وقت آخر وهو أجلُنا بالموت لا بالقتل؟ وهذا هو حب البقاء، ففُسِّر حب البقاء بأنه الدنيا، فقال تعالىٰ: ﴿قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ﴾

فانكشف الناس، وافتضح المنافقون، وابتُلي هنالك المؤمنون عند فرض القتال، وظهر المحبُّون الذين يقاتلون في سبيله صفًّا كأنَّهم بنيان مرصوص، فعندها ربح الذين هم لأنفسهم وأموالهم بائعون، وخسر الذين هم لحياة الآخرة مشترون **(وإلىٰ تعريف نفاسة الآخرة الإشارة بقوله عَزَّوَجَلَّ)** إذ وصف قارون: ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾ إلىٰ قوله: (﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ﴾) فجعل أهل الزهد علماء (﴿وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [القصص: ٧٩ - ٨٠] **فنبَّه علىٰ أن العلم بنفاسة الجوهر هو المرغِّب عن عوضه، ولمَّا لم يُتصور الزهد إلا بمعاوضة ورغبة عن محبوب في أحب منه قال رجل في دعائه: اللهم أرِني الدنيا كما تراها. فقال له النبي ﷺ: لا تقُلْ هكذا)** فإن الله لا يراها كما تراها **(ولكن قل)**: اللهم **(أرِني الدنيا كما أريتَها الصالحين من عبادك)** ولفظ القوت: كما يراها الصالح من عبادك. وقال العراقي[١]: ذكره صاحب الفردوس[٢] مختصرًا: «اللهم أرِني الدنيا كما تريها صالحَ عبادك» [من حديث أبي العصير] ولم يخرجه ولدُه **(وهذا لأن الله تعالىٰ يراها حقيرة كما هي)** ولذلك لم ينظر إليها منذ خلقها لحقارتها، كما ورد ذلك في الخبر، وتقدم في ذم الدنيا **(وكل مخلوق فهو بالإضافة إلىٰ جلاله)** وكبريائه وعظمته **(حقير، والعبد يراها حقيرة في حق نفسه بالإضافة إلىٰ ما هو خير له، ولا يُتصور أن يرىٰ بائع الفرس وإن رغب عن فرسه كما يرىٰ حشرات الأرض مثلاً؛ لأنه مستغنٍ عن الحشرات أصلاً، وليس مستغنيًا عن الفرس، والله تعالىٰ غنيٌّ بذاته عن كل ما سواه، فيرىٰ الكلَّ في درجة واحدة بالإضافة إلىٰ جلاله، ويراه متفاوتًا بالإضافة إلىٰ غيره)** وفي نسخة: ويراها متفاوتة بالإضافة إلىٰ غيره **(والزاهد هو**

---

(١) المغني ٢/ ١٠٩٩.

(٢) الفردوس بمأثور الخطاب ١/ ٤٦٩. ورواه أبو عبد الرحمن الضبي في الدعاء ص ١٥٩ (ط - مكتبة الرشد) بلفظ: «بينا النبي ﷺ يصلي فسمع رجلا من خلفه وهو يصلي وهو يقول: اللهم أرني الدنيا كما تراها. فلما انصرف النبي ﷺ من الصلاة قال: من صاحب الدعوة؟ قال الرجل: أنا. قال: إن الله لا يرىٰ الدنيا كالذي تراها، فإذا كنت سائلا فقل: اللهم أرني الدنيا كالذي يراها صالحو عبادك».

الذي يرىٰ تفاوته بالإضافة إلىٰ نفسه لا إلىٰ غيره) وساق صاحب القوت هذا الحديث واستنبط منه معنىً آخر فقال: وإظهار سر الملكوت معصية؛ إذ الله تعالىٰ لم يأمر به ولم يأذن فيه، فسبحان مَن خصَّ الشاهدين الذين عنده في ظلِّه بمعنىً من شهادته، كما أعطاهم حيطة بشيء من علمه فأحاط علمُهم بما شاء لمَّا أحاط لهم ما شاء، ولذلك قال صاحب السر الذي عنده حقيقة الخبر للرجل الذي قال: اللهم أرِني الدنيا كما تراها. فقال: لا تقُلْ ... ثم ساق الحديث، ثم قال: فهذا علىٰ نحو ما أمر الآخَر به؛ إذ قال له: أوصِني. قال: «استحي من الله كما تستحي من رجل صالح». فهذا الذي يمكنه معرفته؛ إذ كانت حقيقة الحق ممتنعة، وكُنْه صفاته الموجِبة للحياء وغيره محتجبة، فردَّه إلىٰ ما يعلم، وخاطبه بما يعقل.

هذا ما يتعلق بأحد طرفَي الحال وهو العلم، ثم شرع في بيان الطرف الثاني الذي هو العمل، فقال: **(وأما العمل الصادر عن حال الزهد فهو تركٌ وأخذٌ؛ لأنه بيع ومعاملة واستبدال للذي هو خير بالذي هو أدنىٰ)** هو تذكير الدنيا، من الدناءة وهي الخساسة **(فكما أن العمل الصادر من عقد البيع هو تركُ المبيع وإخراجه من اليد وأخذُ العوض، فكذلك الزهد يوجب ترك المزهود فيه بالكلِّية وهي الدنيا بأسرها)** أي بتمامها **(مع أسبابها ومقدِّماتها وعلائقها، فيُخرِج من القلب حبها ويُدخِل حب الطاعات، ويُخرِج من العين واليد ما أخرجه من القلب، ويوظِّف علىٰ اليد والعين وسائر الجوارح وظائفَ الطاعات، وإلا كان كمَن سلَّم المبيع ولم يأخذ الثمن، فإذا وفىٰ بشرط الجانبين في الأخذ والترك فليستبشر ببيعه الذي بايع به، فإن الذي بايعه بهذا البيع وفيٌّ بالعهد)** وهو الله سبحانه وتعالىٰ **(فمَن سلَّم حاضرًا في غائب وسلَّم الحاضر وأخذ يسعىٰ في طلب الغائب سلَّم إليه الغائب حين فراغه من سعيه إن كان العاقد ممَّن يوثَق بصدقه وقدرته ووفائه بالعهد)** وكان معروفًا بذلك **(وما دام ممسكًا للدنيا لا يصح زهدُه أصلاً، ولذلك لم يصِف اللهُ إخوة يوسف)** عليه السلام **(بالزهد في بنيامين)** وهو أخو يوسف لأمه راحيل، وقد كان زهدهم فيه يقارب

زهدهم في يوسف؛ لأنه كان نظيره عند أبيه (**وإن كانوا قد**) همُّوا بالزهد فيه أيضًا ليخلو لهم وجهُ أبيهم منهما، ألم تسمع إلىٰ قوله تعالىٰ: (﴿إِذْ قَالُوا۟ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا﴾ [يوسف:٨] **وعزموا علىٰ إبعاده كما عزموا علىٰ يوسف**) فقد جاء في الخبر أنهم أرادوا أن يُلقُوا أخاهم معه في الجُب حين ألقىٰ نفسه عليه (**حتىٰ تشفَّع فيه أحدهم**) وهو يهوذا فشفع فيه ورحمه ومنعهم منه، وكان شديدًا بينهم منيعًا مهيبًا فيهم، وقد قيل في السِّير إن أخاهم الأكبر روبيل هو استوهبه منهم وقال: دعوه يكون فيه سلوة وعزاء للشيخ الكبير من يوسف، لا تفجعوه بهما ولا تُفقِدوه إياهما معًا. فوهبوه له (**فتُرك**) ثم إن الله عَزَّوَجَلَّ لم يقلْ مع إرادتهم لذلك وهمِّهم به وعزمهم عليه: وكانوا فيهما من الزاهدين، من قِبَل أنهم لم يتحقَّقوا بالزهد فيه كالزهد في يوسف؛ إذ لم يخرجوه من أيديهم (**ولا وصفهم أيضًا بالزهد في يوسف عند العزم علىٰ إخراجه**) من الجُب (**بل عند التسليم والبيع. فعلامة الرغبة الإمساك، وعلامة الزهد الإخراج**) فإذا كان الشيء موجودًا عندك وأنت ممسكه لنفسك ثم توهَّمتَ أنك زاهد فيه لخواطر الإرادة أو لإرادة الزهادة فقد كذبتَ علىٰ نفسك بتسميتك إياها زاهدًا (**فإن أخرجتَ عن يدك بعضَ الدنيا دون البعض فأنت زاهد فيما أخرجتَ فقط، ولستَ زاهدًا مطلقًا، وإن لم يكن لك مال ولم تساعدك الدنيا لم يُتصور منك الزهد**) فإن زهدك فيما لا تملك غير جائز، وكذا الزهد في معدومٍ باطلٌ، وكما أن التصرُّف في مال غيرك غير جائز فكذلك لم يصحَّ زهدُك فيه (**لأنَّ ما لا تقدر عليه لا تقدر علىٰ تركه**) ولعله لو كان موجودًا تغيَّر قلبُك به وتقلَّب فيه؛ إذ ليس الخبر كالمعاينة؛ لأن الخبر قد يوهِم ويشتبه، والمعاينة تكشف الحقيقة وتحكم علىٰ الخِلقة (**وربما يستهويك الشيطان بغروره ويخيِّل إليك أن الدنيا وإن لم تأتِك فأنت زاهد فيها، فلا ينبغي أن تتدلَّىٰ بحبل غروره دون أن تستوثق وتستظهر بموثِق غليظ من الله تعالىٰ، فإنك إذا لم تجرِّب حال القدرة فلا تثق بالقدرة علىٰ الترك عندها**) لأن للنفس بدوات لِما طُبعت عليه من الشهوات والملل والتقليبات وحب المتعة بالوجود وادِّخار المحصول، فلا تجعل ظنًّا معدومًا كيقينٍ موجودٍ

(فكم من ظانٍّ بنفسه كراهة المعاصي) وبغضها **(عند تعذُّرها)** أو تعذُّر أسبابها **(فإذا تيسَّرت له أسبابها من غير)** مانع **(مكدِّر ولا خوف من الخلق وقع فيها، وإذا كان هذا غرور النفس في المحظورات)** التي الترك عنها عبارة عن التوبة **(فإيَّاك أن تثق بوعدها في المباحات)** الذي الترك عنها عبارة عن الزهد، ولكن قد يكون لك مقام من الزهد في المعدوم بقيامك بشرطه وهو أن لا تحب وجود الشيء، ولا تأسَىٰ علىٰ فقده، أو تكون مغتبطًا بعُدْمك، مسرورًا بفقدك، يعلم الله من غيبك ويطَّلع علىٰ سرِّك أنك لا تفرح بوجوده لو وجدته، وتخرجه إن دخل عليك؛ لأن قلبك قانع بالله، راضٍ به عن الله بحالك التي هي العُدم من الدنيا، غير محبٍّ للاستبدال بها من الغنىٰ، فإذا كنت بهذا الوصف حُسب لك جميع ذلك زهدًا، فكان لك بأحد هذه المعاني ثواب الزاهدين وإن لم تكن للدنيا من الواجدين ولا لإخراجها من الفاعلين، وهذا زهد الفقراء الصادقين، وهو التحقُّق بالفقر **(والموثِق الغليظ الذي تأخذه عليها أن تجرِّبها مرة بعد مرة في حال القدرة، فإذا وفت بما وعدت علىٰ الدوام مع انتفاء الصوارف)** أي الموانع **(والأعذار ظاهرًا وباطنًا)** وتلك الأعذار تختلف باختلاف الأشخاص والأزمان **(فلا بأس أن تثق بها وثوقًا ما)** أي أدنىٰ وثوقٍ **(ولكن تكون من تغيُّرها أيضًا علىٰ حذر، فإنها سريعة النقض للعهد، قريبة الرجوع إلىٰ مقتضَىٰ الطبع)** فإنها طُبعت علىٰ الشهوات والملل والتقلُّبات **(وبالجملة، فلا أمان منها إلا عند الترك بالإضافة إلىٰ ما ترك فقط وذلك عند القدرة، قال ابن أبي ليلىٰ)** هو[1] محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلىٰ الأنصاري الكوفي القاضي، أبو عبد الرحمن، صدوق، سيئ الحفظ جدًّا، مات سنة ثمان وأربعين [ومائة] روىٰ له أصحاب السنن **(لابن شبرمة)** هو[2] عبد الله بن شُبرمة بن الطفيل بن حسان الضَّبِّي، أبو شبرمة الكوفي القاضي، ثقة، فقيه، مات سنة أربع وأربعين [ومائة] روىٰ له البخاري في صحيحه تعليقًا ومسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجه **(ألا ترىٰ إلىٰ**

---

(١) تقريب التهذيب ص ٨٧١.

(٢) السابق ص ٥١٤.

ابن الحائك هذا؟ لا نفتي في مسألة إلا ردَّ علينا. يعني أبا حنيفة) الإمام رحمه الله تعالىٰ **(فقال ابن شبرمة: لا أدري أهو ابن الحائك أم ما هو، لكن أعلم أن الدنيا غدت)** أي صارت **(إليه فهرب منها)** كأنَّه يعني القضاء **(وهربتْ منا فطلبناها)** (١) فإنَّ كلاً منهما تولَّىٰ قضاء الكوفة، وأباها الإمام وضُرب وامتُحن لذلك، ولقد أنصف ابنُ شبرمة في جوابه، وأما ابن أبي ليلىٰ فكان يحسد الإمام دائمًا ويعاديه لِما يرىٰ له من القدْر والمنزلة عند الخاص والعامِّ، سامح الله الجميع وجعلهم إخوانًا علىٰ سُرُر متقابلين.

(ولذلك قال جميع المسلمين علىٰ عهد رسول الله ﷺ: إنَّا نحب ربَّنا، ولو علمنا في أيِّ شيء محبَّته لفعلناه. حتىٰ نزل قوله تعالىٰ: ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ ٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ أَوِ ٱخْرُجُوا۟ مِن دِيَٰرِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ﴾ [النساء: ٦٦] **قال ابن مسعود)** رضي الله عنه: **(قال لي رسول الله ﷺ: أنت منهم. يعني من القليل)** قال العراقي(٢): لم أقف له علىٰ أصل.

قلت: سياق هذه العبارة في القوت، قال: وقد كان الناس مستورين بإظهار الزهد في البقاء، ومظنونًا بهم حب الباقي الأعلىٰ، حتىٰ نزلت: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓا۟ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ الآية [النساء: ٧٧] وحتىٰ نزل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٢﴾ [الصف: ٢] كانوا قالوا: إنَّا نحب ربَّنا، ولو علمنا في أيِّ شيء محبَّته لفعلناه. فلذلك قال: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٣ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ۝٤﴾ [الصف: ٣ - ٤] ولذلك قال [ابن مسعود: ما كنت أحسب أن فينا أحدًا يريد الدنيا حتىٰ نزلت: ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَ﴾ [آل عمران:

---

(١) ذكره الراغب في محاضرات الأدباء ١/ ٥٢٨.

(٢) المغني ٢/ ١٠٩٩.

١٥٢] ولذلك قال له] رسول الله ﷺ حين نزلت: ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِن دِيَارِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ﴾ قال ابن مسعود: قال لي رسول الله ﷺ: «فأنت منهم». أي من القليل الذي كان يفعل ذلك.

ففي سياق المصنف سقط ظاهر يبيِّنه سياقُ القوت، ولذلك قال العراقي: لم أقف له على أصل. أي لا أصل لهذه القصة في نزول قوله تعالىٰ: ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ﴾ الآية، وسياق صاحب القوت صحيح، فروىٰ[1] ابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه[2] عن ابن عباس قال: كان ناس من المؤمنين قبل أن يُفرَض الجهاد يقولون: لوددنا أن الله دلَّنا علىٰ أحب الأعمال فنعمل به. فأخبر الله نبيَّه أن أحب الأعمال إيمان بالله لا شك فيه وجهاد أهل معصيته الذين خالفوا الإيمان ولم يقرُّوا به، فلما نزل الجهاد كره ذلك ناسٌ من المؤمنين وشقَّ عليهم أمرُه، فأنزل الله تعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٢﴾.

وروىٰ ابن أبي حاتم وابن مردويه وابن عساكر[3] عن عبد الرحمن بن سابط قال: كان عبد الله بن رواحة مع نفر من أصحابه يذكرون الله تعالىٰ، فهشُّوا للذِّكر واشتاقوا فقالوا: لو نعلم الذي هو أحب إليك فعلناه. فأنزل الله تعالىٰ هذه الآية إلىٰ قوله ﴿مَّرْصُوصٌ ۝٤﴾ فلمَّا كان يوم مؤتة وكان ابن رواحة أحد الأمراء نادىٰ في القوم: يا أهلَ المجلس الذين وعدتم ربَّكم قولَكم: لو نعلم الذي هو أحب إليك فعلنا. ثم تقدَّم فقاتل حتىٰ قُتل.

وروىٰ عبد بن حميد وابن مردويه[4] عن ابن عباس قال: نزلت هذه الآية عند قولهم: واللهِ لو نعلم أحب الأعمال [إلىٰ الله] لفعلناه. فدلَّهم علىٰ أحب

---

(١) الدر المنثور ١٤/ ٤٤٢ - ٤٤٥.

(٢) وكذلك الطبري في جامع البيان ٢٢/ ٦٠٦ - ٦٠٧.

(٣) تاريخ دمشق ٢٨/ ٩٠.

(٤) وكذلك الطبري في جامع البيان ٢٢/ ٦٠٧.

الأعمال إليه.

وروىٰ ابن مردويه عن أبي هريرة: قالوا: لو كنا نعلم أحب الأعمال إلىٰ الله. فنزلت هذه الآية.

وروىٰ ابن المنذر وابن عساكر[1] عن مجاهد قال: نزلت في نفر من الأنصار منهم عبد الله بن رواحة، قالوا في مجلس لهم: لو نعلم أيَّ عمل أحب إلىٰ الله لعملناه حتىٰ نموت. فقال ابن رواحة: لا أبرح حبيسًا [في سبيل الله] حتىٰ أموت. فقُتل شهيدًا.

ورواه مالك في تفسيره عن زيد بن أسلم نحوه.

وروىٰ ابن أبي حاتم عن مقاتل قال: قال المؤمنون: لو نعلم أحب الأعمال إلىٰ الله لعملنا به. فدلَّهم علىٰ أحب الأعمال [إليه] فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا﴾ فبيَّن لهم، فابتُلوا يوم أُحد بذلك فولَّوا عن النبي ﷺ مدبرين، فأنزل الله تعالىٰ في ذلك: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٢﴾.

(وقال) ابن مسعود أيضًا: **(ماعرفت أن فينا مَن يحب الدنيا حتىٰ نزل قوله تعالىٰ: ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْأَخِرَةَ﴾** [آل عمران: ١٥٢] ولفظ القوت: ما كنت أحسب أن فينا أحدًا يريد الدنيا حتىٰ نزلت. وقال العراقي[2]: رواه البيهقي في الدلائل[3] بإسناد حسن.

(واعلمْ أنه ليس من الزهد ترك المال وبذله علىٰ سبيل السخاء) والجود **(والفتوَّة وعلىٰ سبيل استمالة القلوب و)** لا **(علىٰ سبيل الطمع، فذلك كله من محاسن العادات، ولكن لا مدخل لشيء منه في العبادات، وإنما الزهد أن تترك**

---

(١) تاريخ دمشق ٢٨/ ٩٠.

(٢) المغني ٢/ ١٠٩٩.

(٣) دلائل النبوة ٣/ ٢٢٨. وفيه أن ذلك كان يوم أحد.

الدنيا لعلمك بحقارتها بالإضافة إلىٰ نفاسة الآخرة، فأما كل نوع من الترك فإنه يُتصور ممَّن لا يؤمن بالآخرة، فذلك قد يكون مروءة وفتوَّة وسخاء وحُسن خلق ولكن لا يكون زهدًا؛ إذ حُسن الذِّكر) والثناء الطيب **(ومَيل القلوب)** إليه بالمحبة **(من حظوظ العاجلة)** أي الدنيا **(وهي ألذ وأهنأ من المال، وكما أن ترك المال علىٰ سبيل السَّلَم طمعًا في العوض ليس من الزهد فكذلك تركُه طمعًا في الذِّكر والثناء والاشتهار بالفتوَّة والسخاء)** والبذل **(واستثقالاً له؛ لِما في حفظ المال من المشقَّة والعناء، والحاجة إلىٰ التذلُّل للسلاطين والأغنياء ليس من الزهد أصلاً، بل هو استعجال حظ آخر للنفس)** في الدنيا. ولفظ القوت: مَن جادَ بملكه لله كان زاهدًا فيه لوجه الله ووقع أجرُه علىٰ الله، ومَن جاد بماله لأجل الناس كان أيضًا زاهدًا في ذلك، موصوفًا بالسخاء، ولكن ذلك لنفسه ولأجل هواه، فهو موصوف بظاهر المروءة وبمعنىٰ الفتوة، ولا أجر له؛؛ إذ لم يكن من عمَّال الله، فبطل [في الآخرة] أجرُه؛ لأنه عمل لأجل نفسه لا لوجه ربِّه، وحصل في الدنيا شكرُه وذكرُه تعويضًا له من حرث الآخرة؛ لأن هذا حرث الدنيا، فلم يكن له في الآخرة [نصيب؛ إذ لم يؤتِ ذلك زكاةً يريد بها وجه الله فيضعَّف له في الآخرة] أضعافًا كثيرة، وهذا هو الربا الذي أربَىٰ في أموال الناس؛ لأنه عمل لأجل الناس ففني نصيبُه ممَّا كسب وذهب خَلاقُه في الآخرة؛ إذ لم يحتسب لفناء الدنيا وأهلها؛ لأنه عمل لأجلهم، وطلب ما عندهم من الذكر [فيهم] والثناء منهم، والباقيات الصالحات ما يُراد به الباقي، يبقىٰ ببقائه لصالحي أوليائه. وكان ابن المبارك يقول: ما رأيتُ بين الفتوة والقراءة فرقًا إلا في شيء واحد: ما حظرت القراءةُ شيئًا إلا قبَّحته الفتوةُ، وإنما يفترقان في أن القراءة يُراد بها وجه الله، والفتوة يُراد بها وجوه الناس ومدحهم. وقد كان أستاذنا سفيان الثوري يقول: مَن لم يُحسِن يتفتَّىٰ لم يُحسِن يتقرَّىٰ[1]. أي مَن لم يعرف أحكام التفتِّي فيقوم به ويصبر عليه ويراعي حسن الأدب فيه حتىٰ يستحقَّ

---

(١) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء ٧/ ٥١ وابن الجعد في مسنده ص ٧٥٣ والخطابي في العزلة ص ٢٢٠ بلفظ: من لم يتفتَّ لم يحسن أن يتقرأ.

وصف فتىٰ لم يُحكِم أوصاف التقرِّي ولم يقُمْ بحُسن الرعاية فيه حتىٰ يوصَف بأنه قارئ (**بل الزاهد مَن أتته الدنيا راغمة صفوًا عفوًا وهو قادر علىٰ التنعُّم بها من غير**) مانع من (**نقصان جاهٍ وقبح اسم**) بسببها (**ولا فوات حظ للنفس فتركها خوفًا من أن يأنس بها**) ويحبها (**فيكون آنسًا بغير الله، ومحبًّا لِما سوىٰ الله، ويكون مشركًا في حب الله غيره، أو تركها طمعًا في ثواب الله في الآخرة، فترك التمتُّع بأشربة الدنيا طمعًا في أشربة الجنة، وترك التمتع بالسراري والنسوان طمعًا في الحور العين، وترك التفرُّج في البساتين طمعًا في بساتين الجنة وأشجارها، وترك التزيُّن والتجمُّل بزينة الدنيا طمعًا في زينة الجنة، وترك المطاعم اللذيذة طمعًا في فواكه الجنة وخوفًا من أن يقال له:** ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا﴾ [الأحقاف: ٢٠] **فآثرَ في جميع ذلك ما وُعد به في الجنة علىٰ ما تيسَّر له في الدنيا عفوًا صفوًا**) من غير تعب (**لعلمه بأن ما في الآخرة خير وأبقىٰ**) وما يفنىٰ آخرُه كأنَّه لم يكن، وما يبقىٰ آخرُه كأنَّه لم يزل (**وأن ما سوىٰ هذا فمعاملات دنيوية لا جدوَىٰ لها في الآخرة أصلاً**) والله الموفِّق.

تنبيه: اعلمْ أن الزهد علىٰ قسمين: مراد لذاته وهو الزهد فيما سوىٰ الله تعالىٰ من كل ما يشغل عن عين الشهود، وهو من عقود الإيمان بالله لتعلُّقه بالجلال والكمال. ومراد لغيره وهو فراغ القلب لهذه المعرفة، وكلَّما ازددتَ تركًا للدنيا ازددتَ بالله معرفةً. والقدر الواجب من الزهد المراد لغيره ما يحثُّ علىٰ الفراغ لأوقات الواجبات، وهو لعَمْري سبب لإقامة الإخلاص الذي هو شرط في صحة العبادات، فلا يقدر علىٰ ترك جملة من الشرور الظاهرة والباطنة إلا بترك الدنيا، إلا أن ما يُنهَىٰ عنه لغيره غير ما يُنهَىٰ عنه لأجل نفسه، والمباحات منهيٌّ عنها لأدائها إلىٰ ما ذكرنا في الغالب، ومن أهل التمكين من يُعطَىٰ قوة يدبِّر بها العالمين ولا يشغله شيءٌ عن الله، فمنهم مَن وصل إلىٰ هذا المقام الشريف بالكسب والاجتهاد، وهو المسمَّىٰ مريدًا. ومنهم مَن وصل إليه بنفس نفح الرحمة في كشف الحجاب عن

قلبه حتىٰ وقف علىٰ حقيقة الأمر بغير مدافع ولا منازع، وهو المسمَّىٰ عند القوم مرادًا، وكلٌّ منهما مراد، إلا أن هذا مراد بوسائط كثيرة، وهذا مراد بغير واسطة، وقد أخبر الله عن كِلا الحالين فقال: ﴿ٱللَّهُ يَجْتَبِيٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِيٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ۝١٣﴾ [الشورىٰ: ١٣] وينبغي أن يجري بينهما الخلافُ الجاري في التفاضُل بين أفاضل المؤمنين وأفاضل الملائكة لمناسبة الجذب والترقِّي. هذا إذا اتَّحدت المعرفتان، فإن اختلفتا كانت الفضيلة علىٰ حسب المعرفة، فافهمْ. والله أعلم.

بيـان فضيـلة الزهـد

(**قال الله تعالىٰ**) إذ وصف قارون: (﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ فِي زِينَتِهِۦۖ﴾) من خيول وبغال وغلمان عليها بَزَّة حسنة من أصفر وأحمر وأخضر (**إلىٰ قوله تعالىٰ**: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ وَيۡلَكُمۡ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لِّمَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗاۚ وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ٨٠﴾ [القصص: ٧٩ - ٨٠] **فنسب الزهد إلىٰ العلماء**) أي سمَّاهم كذلك وخصَّه بهم وشرطَ له الصبرَ (**ووصف أهله بالعلم**) إذ جاء في التفسير أن المراد بهم الزاهدون في الدنيا (**وهو غاية الثناء**) ونهاية المدح، وهذه الآية كافية في بيان فضل الزهد والزاهدين.

(**وقال تعالىٰ**: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡتَوۡنَ أَجۡرَهُم مَّرَّتَيۡنِ بِمَا صَبَرُواْ﴾ [القصص: ٥٤] **جاء في التفسير**): صبروا (**علىٰ الزهد في الدنيا**).

وقال تعالىٰ: ﴿وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَدۡخُلُونَ عَلَيۡهِم مِّن كُلِّ بَابٖ ٢٣ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ﴾ [الرعد: ٢٣ - ٢٤] قيل: علىٰ الفقر.

ويشهد للصبر عن الدنيا في هاتين الآيتين قولُه تعالىٰ في وصف العلماء الزاهدين لمَّا قال: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ وَيۡلَكُمۡ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيۡرٞ﴾ قال عقيب ذلك في بقية ثنائه عليهم: ﴿وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ٨٠﴾ أي عن زينة الدنيا التي خرج فيها [قارون] فهم الزاهدون الصابرون عنها. ثم قال في مدحهم بوصف آخر: ﴿يُؤۡتَوۡنَ أَجۡرَهُم مَّرَّتَيۡنِ بِمَا صَبَرُواْ﴾ فقد حصل للزاهد أجران بصبره علىٰ الفقر وبوجود زهده، وللفقير المعدم أجر واحد علىٰ الغني؛ لوجود فقره وعدم زهده، فلحق بمقام الخوف الذي أُعطيَ به الخائف جنَّتين، ففُضِّل بالأخرىٰ علىٰ مقام الرجاء؛ إذ الخوف مقتضىٰ العلم بالله؛ لقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ

ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ﴾ [فاطر: ٢٨] ولذلك قال عيسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ: خشية الله وحب الفردوس يباعدان عن زهرة الدنيا، ويورثان الصبرَ علىٰ المشقَّة[١]. فجعل الخشية لله تعالىٰ والحب له يدلاًن علىٰ الزهد في الدنيا ويورثانه ويسهِّلان الصبرَ علىٰ شدائدها إيثارًا لمحبة الله علىٰ محبة نفوسهم فيها، وخيفةً من الله أن يحاسبهم علىٰ التكاثر منها.

(**وقال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ ﴾**) من المعادن والجواهر والنبات (**﴿ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۝٧ ﴾ [الكهف: ٧] قيل: معناه: أيُّهم أزهد فيها**) رواه[٢] ابن أبي حاتم عن سفيان الثوري، ورواه عن الحسن فقال: أيُّهم أشد تركًا للدنيا (**فوصف الزهد بأنه من أحسن الأعمال.**

وقال تعالىٰ: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْءَاخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ۝٢٠ ﴾) [الشورىٰ: ٢٠] معنىٰ ﴿نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ﴾ أي لا نحاسبه بما نعطيه منها بعد أن لا يريدها، وأن لا تكون من همِّه، فما أُدخِلَ عليه منها يخرج منه العبد من غير محاسبة، فهذا مجاز الزيادة؛ لأن الرزق لا يُزاد فيه ذرَّة علىٰ ما قُسم له أول مرة، فجعل ذلك له مَجعل المجازاة علىٰ زهده فيها، وجرىٰ مجرىٰ المكافأة لخروج همِّه منها.

(**وقال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ۝١٣١ ﴾**) [طه: ١٣١] فأمره بأن لا يمدَّ عينه إلىٰ زهرة الحياة الدنيا، وهو عين الزهد، ووصف رزق الآخرة بما وصف به نفسه بوصفين من الخيرية والبقاء، حيث قال: ﴿وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ۝٧٣ ﴾ [طه: ٧٣] وهذا غاية الثناء.

(**وقال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ ﴾** [إبراهيم: ٣] **فوصف الكفار بذلك، فمفهومه أن المؤمن هو الذي يتَّصف بنقيضه وهو أن**

---

(١) تقدم هذا الأثر في كتاب الرجاء والخوف.

(٢) الدر المنثور ١٤/ ٤٨٦.

يستحبَّ الآخرة علىٰ الحياة الدنيا).

فهذه الآيات كلها دالَّة علىٰ الزهد بمنطوقها ومفهومها.

(وأما الأخبار فما ورد منها في ذم الدنيا كثير، وقد أوردنا بعضها في كتاب ذم الدنيا من ربع المهلكات؛ إذ حب الدنيا من المهلكات) إذ هو أُس الخطايا **(ونحن الآن نقتصر علىٰ فضيلة بغض الدنيا، فإنه من المنجيات)** فناسب إيرادُه هنا **(وهو المعنيُّ بالزهد)** أي وهو المراد به إذا أطلقوا لفظه **(وقد قال رسول الله ﷺ: مَن أصبح وهمُّه الدنيا شتَّت الله عليه أمره، وفرَّق عليه ضيعته)** أي عياله وما يخاف عليه من الضياع **(وجعل فقره بين عينيه، ولم يأتِه من الدنيا إلا ما كُتب له. ومَن أصبح وهمُّه الآخرة جمع الله له همَّه، وحفظ عليه ضيعته، وجعل غناه في قلبه، وأتته الدنيا وهي راغمة)** وإن لم يُرِدْها. قال العراقي[١]: رواه ابن ماجه[٢] من حديث زيد بن ثابت بسند جيد، والترمذي[٣] من حديث أنس بسند ضعيف نحوه.

قلت: حديثه رواه أيضًا ابن النجار، ولفظه: «مَن أراد الآخرة وسعىٰ لها سعيها كتب الله له غِناه في قلبه وكفَّ عليه ضيعته فيصبح غنيًّا ويمسي غنيًّا، ومَن أراد الدنيا وسعىٰ لها سعيها أفشىٰ الله ضيعته وكتب فقره في قلبه فيصبح فقيرًا ويمسي فقيرًا»[٤].

(وقال ﷺ: إذا رأيتم العبد قد أُعطيَ صمتًا وزهدًا في الدنيا فاقترِبوا منه فإنه يُلقَّىٰ الحكمة) قال العراقي[٥]: رواه ابن ماجه[٦] من حديث أبي خلاَّد بسند فيه ضعفٌ.

---

(١) المغني ٢/ ١٠٩٩.

(٢) سنن ابن ماجه ٥/ ٥٥٥.

(٣) سنن الترمذي ٤/ ٢٥٢.

(٤) كنز العمال ٣/ ٢٢٤.

(٥) المغني ٢/ ١١٠٠.

(٦) سنن ابن ماجه ٥/ ٥٥٢.

قلت: لفظ ابن ماجه: «إذا رأيتم الرجل قد أُعطيَ زهدًا في الدنيا وقلة منطق فاقتربوا منه، فإنه يُلقَّىٰ الحكمة». وكذلك رواه ابن سعد[١] والطبراني[٢] وأبو نعيم في الحَلية[٣] والبيهقي[٤] وابن عساكر[٥]. ورواه أيضًا الطبراني[٦] والبيهقي[٧] من حديث أبي هريرة. وقال القشيري في الرسالة: أخبرنا حمزة بن يوسف السهمي الجرجاني، حدثنا أبو الحسين عبيد الله بن أحمد بن يعقوب المقري ببغداد، حدثنا جعفر بن مجاشع، حدثنا زيد بن إسماعيل، حدثنا كثير بن هشام، حدثنا الحكم بن هشام، عن يحيىٰ بن سعيد، عن أبي فروة، عن أبي خلاَّد - وكانت له صحبة - قال: قال النبي ﷺ: «إذا رأيتم الرجل قد أوتي زهدًا في الدنيا وقلة منطق فاقتربوا منه، فإنه يلقَّىٰ الحكمة». انتهىٰ. أخرجه[٨] البزار من طريق الحكم ابن هشامَ عن يحيىٰ بن سعيد بن أبان القرشي عن أبي فروة عن أبي خلاَّد. وأخرجه ابن منده[٩] من طريق هشام بن عمار عن الحكم، وقال في روايته: عن أبي خلاد، ويقال: اسمه عبد الرحمن بن زهير، وكانت له صحبة. وأخرجه ابن ماجه عن هشام بن عمار. قال أبو الحسن ابن القَطَّان[١٠]: أبو فروة لا يُعرَف، وليس هو الجزري. قال الحافظ: قد ذكر البخاري[١١] أن أحمد بن إبراهيم رواه عن الحكم

(١) الطبقات الكبرىٰ ٨/ ١٨٧.

(٢) المعجم الكبير ٢٢/ ٣٩٢.

(٣) حلية الأولياء ١٠/ ٤٠٥.

(٤) شعب الإيمان ١٣/ ١١٩، ١٢٢.

(٥) تاريخ دمشق ١٥/ ٨٤، ٥٢/ ٢٣٩ - ٢٤٠، ٥٣/ ٩٦.

(٦) المعجم الأوسط ٢/ ٢٤٨.

(٧) شعب الإيمان ٧/ ٥٣.

(٨) الإصابة في تمييز الصحابة ٦/ ٢٨٠ - ٢٨١.

(٩) معرفة الصحابة ص ٨٤٣ - ٨٤٤.

(١٠) بيان الوهم والإيهام ٤/ ٦٣٨، وعبارته: «أبو خلاد لا يعرف في الصحابة، والقائل: إن له صحبة، هو أبو فروة الراوي عنه، وهو غير معروف فيمن يكنىٰ بهذه الكنية».

(١١) التاريخ الكبير ٩/ ٢٧ - ٢٨، ونصه: «أبو خلاد، قال عبد الله بن يوسف: حدثنا الحكم بن =

فقال: عن أبي فروة الجزري، ورجَّح البخاري أن الحديث عن أبي فروة عن أبي مريم عن أبي خلاد. وأخرجه سمويه في فوائده من طريقين عن الحكم بن هشام، وقال في سياقه: وكانت له صحبة. ولم يذكر تسميته. ووقع في رواية لابن أبي عاصم[1]: عن أبي خالد. والصواب: عن أبي خلاد، وقال فيها عنه: سمعت رسول الله ﷺ.

(**وقال الله تعالىٰ**: ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾) [البقرة: ٢٦٩] فهذا الخير الكثير هو ظاهر عطاء الزاهدين وأوله، فكيف بباطن عطائهم ونهايته؟ (**ولذلك قيل: مَن زهد في الدنيا أربعين يومًا أجرىٰ الله ينابيع الحكمة في قلبه وأنطق بها لسانَه**) وهذا وصفٌ من صفات الأبدال الذين هم خلائف الأنبياء، وهم الصدِّيقون والشهداء والملحَقون بهم، المرفوعون إلىٰ الرفيق الأعلىٰ. ثم هذا القول هكذا أورده صاحب القوت، وتبعه المصنِّف، وقد رُوي مرفوعًا نحوه، أخرجه ابن عدي في الكامل[2] من حديث أبي موسىٰ بلفظ: «مَن زهد في الدنيا أربعين يومًا وأخلص فيها العبادةَ أجرىٰ الله ينابيع الحكمة من قلبه علىٰ لسانه». وقال: حديث منكر. وقال الذهبي[3]: باطل. وأورده ابن الجوزي في الموضوعات[4].

= هشام عن يحيىٰ بن سعيد بن أبان عن أبي فروة عن أبي خلاد - وكانت له صحبة - عن النبي ﷺ: إذا رأيتم الرجل أعطي زهدا في الدنيا وله منطق فإنه يلقن الحكمة. وقال القاسم بن أبي شيبة: حدثنا كثير بن هشام، أراه عن الحكم بن هشام عن يحيىٰ بن سعيد الأنصاري نحوه. وقال أحمد بن إبراهيم: حدثنا يحيىٰ بن سعيد بن أبان بن سعيد بن العاص عن عنبسة سمع أبا فروة الجزري عن أبي مريم عن أبي خلاد عن النبي ﷺ مثله. والأول أصح». وبهذا يتضح ما في كلام ابن حجر من الوهم.

(١) الآحاد والمثاني ٤/ ٣٩٩ - ٤٠٠. ورواه في موضع آخر ٥/ ١٥٢ علىٰ الصواب.

(٢) الكامل في الضعفاء ٥/ ١٩٤٥.

(٣) ميزان الاعتدال ٢/ ٦٦٥.

(٤) الموضوعات ٣/ ١٤٤.

(وعن بعض الصحابة أنه قال: قلنا: يا رسول الله، أيُّ الناس خير؟ قال: كل مؤمن مخموم القلب، صدوق اللسان. قلنا: يا رسول الله، وما مخموم القلب؟ قال: التقي النقي الذي لا غِلَّ فيه ولا غش ولا بغي ولا حسد. قيل: يا رسول الله، فمَن علىٰ أثره؟ قال: الذي يشنأ الدنيا) أي يبغضها **(ويحب الآخرة)** قال العراقي[١]: رواه ابن ماجه بإسناد صحيح من حديث عبد الله بن عمرو دون قوله «قيل: يا رسول الله، فمَن علىٰ أثره»؟ وقد تقدم. ورواه بهذه الزيادة بالإسناد المذكور الخرائطيُّ في مكارم الأخلاق.

قلت: لفظ الخرائطي: «خير الناس ذو القلب المخموم واللسان الصادق». قيل: قد عرفنا اللسان الصادق، فما القلب المخموم؟ قال: «هو التقي النقي الذي لا إثم فيه ولا بغي [ولا غل] ولا حسد». قيل: فمَن علىٰ أثره؟ قال: «الذي يشنأ الدنيا ويحب الآخرة». قيل: فمَن علىٰ أثره؟ قال: «مؤمن في خُلُق حسن». وهكذا رواه الحكيم والطبراني وأبو نعيم في الحلية والبيهقي، كلهم من حديث عبد الله بن عمرو. ورواه أحمد في الزهد عن أسد بن وداعة مرسلاً. وقد تقدم في ذم الدنيا[٢]. وأورده صاحب القوت، ثم قال: والشيء يُعرَف بضده كما يُعرَف بمثله، فضد الشنآن: المحبة، وضد الزهد: الرغبة.

(ومفهوم هذا أن شر الناس الذي يحب الدنيا) وأن الراغب فيها هو المحب لها، كيف (و) قد **(قال ﷺ: إن أردتَ أن يحبك الله فازهدْ في الدنيا)** قال العراقي[٣]: رواه ابن ماجه من حديث سهل بن سعد بسند ضعيف نحوه، وقد تقدم[٤].

---

(١) المغني ٢/ ١١٠٠.

(٢) بل في كتاب عجائب القلب، وكذا حديث عبد الله بن عمرو. ويزاد هنا أن حديث عبد الله بن عمرو أخرجه الخرائطي في مكارم الأخلاق ص ٣٦.

(٣) المغني ٢/ ١١٠٠.

(٤) في كتاب ذم الجاه والرياء.

قلت: كأنَّه يشير إلىٰ حديث سهل بن سعد: «ازهدْ في الدنيا يحبك الله، وازهدْ فيما في أيدي الناس يحبك الناس». هذا الذي رواه ابن ماجه، ورواه أيضًا الطبراني والحاكم. ورواه ابن عساكر[١] من حديث ابن عمر، وقد تقدم.

(فجعل الزهد سببًا للمحبة) أي محبة الله التي لا مِثل لها **(فمَن أحبه الله تعالىٰ فهو في أعلىٰ الدرجات، فينبغي أن يكون الزهد في الدنيا من أفضل المقامات)** وصار الزاهد حبيب الله **(ومفهومه أيضًا أن محب الدنيا)** الراغب لها **(متعرِّض لبغض الله)** مبغَض عند الله **(وفي خبر)** مرويٍّ **(من طريق أهل البيت)** أسنده جعفر الصادق عن آبائه الأخيار إلىٰ الرسول المختار قال فيه: **(الزهد والورع يجولان في القلوب كل ليلة، فإن صادفا قلبًا فيه الإيمان والحياء أقاما فيه، وإلا ارتحلا)** هكذا في النسخ، وقد قال العراقي[٢]: لم أجد له أصلاً.

قلت: والحديث مُزال من أصله، وصوابه: «الإيمان والحياء يجولان في القلوب كل ليلة، فإذا صادفا قلبًا فيه الزهد والورع أقاما فيه، وإلا ارتحلا». وهكذا أورده صاحب القوت، غير أنه قال: يطوفان، بدل: يجولان. ثم قال: وكأنَّه أراد بهذا محضَ الإيمان وخالصه الذي هو يقين المعاينة، والحياء الذي هو نظرُ المشاهدة. إنَّ وجود ذلك علىٰ حقيقته في مكان الزهد فيما آمن بفَنائه لوجود مكان الرغبة فيما آمن ببقائه إذا تفكَّر في ذلك تفكُّر أولي الألباب فيما شهدوا من بيان الآيات في الخطاب.

(ولمَّا قال حارثة) بن مالك الأنصاري، ويقال له أيضًا: الحارث **(لرسول الله ﷺ: أنا مؤمن حقًّا. قال: وما حقيقة إيمانك)**؟ فابتدأ بالزهد وجعله عَلَمًا لحقيقة الإيمان، وقرنه بمشاهدة الإيقان **(قال: عَزَفتْ نفسي عن الدنيا)** أي انصرفتْ،

---

(١) تاريخ دمشق ١٠/ ١٩٩ - ٢٠٠.

(٢) المغني ٢/ ١١٠٠. وقد روىٰ أبو نعيم في حلية الأولياء ٣/ ١٨١ عن محمد بن علي الباقر قال: الغنىٰ والعز يجولان في قلب المؤمن، فإذا وصلا إلىٰ مكان فيه التوكل أوطناه.

يقال[١]: عَزَفَ عن الشيء عَزْفًا وعزوفًا وعزيفًا، من باب قتل وضرب: انصرف عنه **(فاستوىٰ عندي حجرها وذهبها)** ثم ذكر المشاهدة بعد الزهد، فكانت عُدَّته، فكما أن الشهادة بعد الزهادة، كذلك حقيقة الإيمان بعد الزهد، وهو إيمان الموقنين، وهذا تحقيق التصديق. ثم قال: **(وكأنِّي بالجنة والنار، وكأنِّي بعرش ربِّي بارزًا)** أي ظاهرًا **(فقال ﷺ: عرفتَ فالزمْ، عبدٌ نوَّر اللهُ قلبَه بالإيمان. فانظر كيف بدأ في إظهار حقيقة الإيمان بعزوف النفس عن الدنيا وقرنه باليقين، وكيف زكَّاه رسولُ الله ﷺ إذ قال: عبدٌ نوَّر اللهُ قلبه بالإيمان)** قال العراقي[٢]: رواه البزار[٣] من حديث أنس، والطبراني[٤] من حديث الحارث بن مالك، وكِلا الحديثين ضعيف. انتهىٰ.

قلت: قال الحافظ في الإصابة[٥] في ترجمة الحارث بن مالك الأنصاري: روىٰ حديثه ابن المبارك في الزهد[٦] عن معمر عن صالح بن مسمار أن النبي ﷺ قال: «يا حارث بن مالك، كيف أصبحتَ»؟ قال: «أصبحتُ مؤمنًا حقًّا. قال: «إن لكل قولٍ حقيقةً، فما حقيقة إيمانك»؟ قال: «عزفت نفسي عن الدنيا، فأسهرتُ ليلي وأظمأت نهاري، وكأني أنظر إلىٰ عرش ربي، وكأني أنظر إلىٰ أهل الجنة يتزاورون فيها، وكأني أسمع عُواء أهل النار. فقال: «مؤمن نوَّر اللهُ قلبه». وهو معضَل. وكذا أخرجه عبد الرزاق[٧] عن معمر عن صالح بن مسمار وجعفر بن برقان أن النبي ﷺ قال للحارث. وأخرجه في التفسير[٨] عن الثوري عن عمرو بن

---

(١) المصباح المنير ص ٤٠٧.

(٢) المغني ٢/ ١١٠٠.

(٣) مسند البزار ١٣/ ٣٣٣.

(٤) المعجم الكبير ٣/ ٣٠٢.

(٥) الإصابة في تمييز الصحابة ٢/ ١٧٤ - ١٧٥.

(٦) الزهد والرقائق ص ١٢٥.

(٧) مصنف عبد الرزاق ١١/ ١٢٩.

(٨) تفسير عبد الرزاق ٢/ ٢٣٤.

قيس المُلائي عن زيد السُّلَمي قال: قال رسول الله ﷺ للحارث: «كيف أصبحتَ يا حارث»؟ قال: من المؤمنين. قال: «اعلمْ ما تقول ...» فذكر نحوه، وزاد في آخره: فقال: يا رسول الله، ادْعُ اللهَ لي بالشهادة. فدعا له، فأُغيرَ علىٰ سَرْح المدينة، فخرج فقاتل فقُتل. وجاء موصولاً من طرق أخرىٰ، وأخرجه الطبراني من طريق سعيد بن أبي هلال عن محمد بن أبي الجَهْم، وابن منده من طريق سليمان بن سعيد عن الربيع بن لوط، كلاهما عن الحارث بن مالك الأنصاري أنه جاء إلىٰ النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، أنا من المؤمنين حقًّا. فقال: «انظر ما تقول ...» الحديث، وفي آخره: «مَن سرَّه أن ينظر إلىٰ مَن نوَّر الله قلبه فلينظر إلىٰ الحارث بن مالك». قال ابن منده: رواه زيد بن أبي أنيسة عن عبد الكريم بن الحارث عن الحارث بن مالك، ورواه جرير بن عتبة بن عبد الرحمن عن أبيه عن أنس بن مالك أن النبي ﷺ دخل المسجد، فإذا الحارث بن مالك، فحرَّكه برجله ... فذكر الحديث. ورواه البيهقي في الشعب[1] من طريق يوسف بن عطية الصَّفَّار - وهو ضعيف جدًّا - عن أنس أن النبي ﷺ لقيَ الحارث يومًا، فقال له: «كيف أصبحتَ يا حارث»؟ قال: أصبحتُ مؤمنًا حقًّا ... الحديث بطوله، وفي آخره: قال: «يا حارث، عرفتَ فالزمْ». قال البيهقي: هذا منكر. وقد خبط فيه يوسف، فقال مرة: الحارث، ومرة: حارثة. وقال أبو عاصم خُشَيش بن أصرم في كتاب «الاستقامة» له: حدثنا عبد العزيز بن أبان، أنبأنا مالك بن مِغْوَل، عن فُضَيل بن غَزْوان قال: أُغيرَ علىٰ سرح المدينة، فخرج الحارث بن مالك فقتل منهم ثمانية ثم قُتل، وهو الذي قال له النبي ﷺ: «كيف أصبحتَ يا حارثة»؟ ورواه ابن أبي شيبة[2] عن ابن نُمَير عن مالك بن مغول بالمرفوع، ولم يذكر فضيل بن غزوان. قال ابن صاعد بعد أن أخرجه عن الحسين بن الحسن المروزي عن ابن المبارك: لا أعلم صالح بن مسمار أسند إلا

---

(١) شعب الإيمان ١٣/ ١٥٨ - ١٦٠.

(٢) مصنف ابن أبي شيبة ١٠/ ١١٠ - ١١١، وفيه: عن مالك بن مغول عن زبيد اليامي أن رسول الله ﷺ قال: كيف أصبحت ... الخ.

حديثًا واحدًا، وهذا الحديث لا يثبُت موصولاً.

(**ولمَّا سُئل رسول الله ﷺ عن معنىٰ الشرح في قوله تعالىٰ: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ﴾** [الأنعام: ١٢٥] **وقيل له: ما هذا الشرح؟ فقال: إن النور إذا دخل في القلب انشرح له الصدر وانفسح. قيل: يا رسول الله، وهل لذلك من علامة؟ قال: نعم، التَّجافي**) أي التباعُد (**عن دار الغرور، والإنابة**) أي الرجوع (**إلىٰ دار الخلود، والاستعداد للموت قبل نزوله. فانظر كيف جعل الزهد**) من علامة شرح الصدر بالنور، وهو نور التصديق الذي هو عموم وصفِ المؤمنين؛ لأنه هو التحقُّق بالإسلام، فهذا هو الزهد جعله (**شرطًا للإسلام**) أي لحقيقته (**وهو التجافي عن دار الغرور**) وهذا[1] الحديث رواه ابن المبارك في الزهد[2] وعبد الرزاق[3] والفريابي وابن أبي شيبة[4] وعبد بن حميد وابن جرير[5] وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في الأسماء والصفات[6] عن أبي جعفر المدائني - هو عبد الله بن المسور، من ولد جعفر بن أبي طالب - قال: سُئل النبي ﷺ عن هذه الآية قالوا: كيف يشرح صدره يا رسول الله؟ قال: «نور يُقذَف فيه فينشرح [له وينفسح] له». قالوا: فهل لذلك من أمارة يُعرَف بها؟ قال: «نعم، الإنابة إلىٰ دار الخلود، والتجافي عن دار الغرور، والاستعداد للموت قبل لقاء الموت».

ورواه عبد بن حميد عن الفضيل أن رجلاً سأل النبي ﷺ فقال: كيف الشرح؟ قال: «إذا أراد الله بعبد خيرًا قذف في قلبه النور فانفسح لذلك صدرُه». فقال: يا رسول الله، هل لذلك من آية يُعرَف بها؟ قال: «نعم». قال: فما آية ذلك؟ قال: «التجافي عن دار الغرور، والإنابة إلىٰ دار الخلود، وحُسن الاستعداد للموت

---

(١) الدر المنثور ٦/ ١٩٦ - ١٩٧.

(٢) الزهد والرقائق ص ١٢٥.

(٣) تفسير عبد الرزاق ١/ ٢١٧ - ٢١٨.

(٤) مصنف ابن أبي شيبة ١٢/ ٢٥.

(٥) جامع البيان ٩/ ٥٤١.

(٦) الأسماء والصفات ١/ ٤٠٠.

قبل نزول الموت».

ورواه ابن أبي الدنيا في كتاب «ذِكر الموت» عن الحسن نحوه.

وقد رُوي ذلك من حديث ابن مسعود، أخرجه ابن أبي شيبة وابن أبي الدنيا وابن جرير وأبو الشيخ والحاكم وابن مردويه والبيهقي في الشعب من طرق. وقد تقدم في كتاب ذم الدنيا[١].

(وقال ﷺ: استحيوا من الله حق الحياء. قالوا: إنَّا لنستحي منه. فقال: ليس كذلك، تبنون ما لا تسكنون، وتجمعون ما لا تأكلون. فبيَّن أن ذلك يناقض الحياءَ من الله تعالىٰ) فقد فسَّر الحياء من الله تعالىٰ بالزهد في الدنيا. قال العراقي[٢]: رواه الطبراني[٣] من حديث أم الوليد ابنة عمر بن الخطاب بإسناد ضعيف.

قلت: أم[٤] الوليد هذه ذكرها الدارقطني في «الإخوة»[٥] وقال: روىٰ حديثها الطرائفيُّ، وفيها نظرٌ. انتهىٰ. قال الحافظ: حديثها أنها قالت: اطَّلع رسول الله ﷺ ذات عشيَّة فقال: «أيها الناس، ألا تستحيون»؟ قالوا: ممَّ ذاك يا رسول الله؟ قال: «تجمعون ما لا تأكلون، وتبنون ما لا تعمِّرون، وتؤمِّلون ما لا تدركون». أخرجه الطبراني من رواية عثمان بن عبد الرحمن الطرائفي عن الوازع بن نافع عن سالم ابن عبد الله بن عمر عنها. وقال ابن منده: رواه سعيد بن عبد الحميد بن جعفر عن علي بن ثابت عن الوازع بن نافع [نحوه]. قال الحافظ: والطريقان ضعيفان.

(ولمَّا قدمَ عليه) ﷺ **(بعض الوفود)** من العرب قال لهم: ما أنتم؟ **(قالوا: إنَّا**

---

(١) بل في كتاب عجائب القلب، وقبله في الباب السادس من كتاب العلم. ويزاد هنا عزوه إلىٰ جامع البيان لابن جرير الطبري ٩/ ٥٤٣.

(٢) المغني ٢/ ١١٠١.

(٣) المعجم الكبير ٢٥/ ١٧٢.

(٤) الإصابة في تمييز الصحابة ١٣/ ٣٠٥.

(٥) الإخوة والأخوات ص ٦٣ (ط - دار الراية).

مؤمنون. قال: وما علامة إيمانكم؟ فذكروا الصبر على البلاء، والشكر عند الرخاء، والرضا بمواقع القضاء، وترك الشماتة بالمصيبة إذا نزلت بالأعداء. فقال ﷺ: إن كنتم كذلك فلا تجمعوا ما لا تأكلون، ولا تبنوا ما لا تسكنون، ولا تَنافسوا فيما عنه ترحلون. فجعل الزهد تكملة لإيمانهم) وعلوًّا لمقامهم، وتمامًا على إحسانهم.

قال العراقي[١]: رواه الخطيب وابن عساكر في تاريخيهما بإسناد ضعيف من حديث جابر[٢].

(وقال جابر) بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه: **(خطبنا رسولُ الله ﷺ فقال: مَن جاء بـ «لا إله إلا الله» لا يخلط بها)** أي معها **(غيرَها وجبت له الجنة. فقام إليه علي)** بن أبي طالب **(كرَّم الله وجهه فقال: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، ما لا يُخلَط**

---

(١) المغني ٢/ ١١٠١.

(٢) لم أقف عليه عند الخطيب، وهو في تاريخ دمشق لابن عساكر ٤١/ ١٩٨ - ٢٠١ مطولا من حديث سويد بن الحارث من عدة طرق، ولفظه: «وفدت على النبي ﷺ سابع سبعة من رفقائي، فلما دخلنا عليه وكلمناه أعجبه ما رأى من سمتنا وزينا، فقال: ما أنتم؟ قلنا: مؤمنون. فتبسم رسول الله ﷺ وقال: لكل قول حقيقة، فما حقيقة قولكم وإيمانكم؟ قلنا: خمس عشرة خصلة، خمس منها أمرتنا رسلك أن نؤمن بها، وخمس أمرتنا رسلك أن نعمل بها، وخمس منها تخلقنا بها في الجاهلية، ونحن على ذلك إلا أن تكره منها شيئا. فقال رسول الله ﷺ: ما الخمس خصال التي أمرتكم رسلي أن تؤمنوا بها؟ قلنا: أمرتنا رسلك أن نؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، والبعث بعد الموت. قال: فما الخمس التي أمرتكم رسلي أن تعملوا بهن؟ قلنا: أمرتنا رسلك أن نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وأن نقيم الصلاة، ونؤتي الزكاة، ونصوم رمضان، ونحج البيت، فنحن على ذلك. قال: وما الخمس خصال التي تخلقتم بها في الجاهلية؟ قلنا: الشكر عند الرخاء، والصبر عند البلاء، والصدق عند اللقاء، ومناجزة الأعداء، وترك الشماتة بالمصيبة إذا حلت بالأعداء، والرضا بالقضاء. فتبسم رسول الله ﷺ وقال: أدباء فقهاء عقلاء حلماء، كادوا أن يكونوا أنبياء من خصال ما أشرفها وأزينها وأعظم ثوابها. ثم قال رسول الله ﷺ: أوصيكم بخمس خصال لتكمل عشرون خصلة، إن كنتم كما تقولون فلا تجمعوا ما لا تأكلون، ولا تبنوا ما لا تسكنون، ولا تتنافسوا في شيء غدا عنه تزولون، وارغبوا فيما عليه تقدمون وفيه تخلدون، واتقوا الله الذي إليه ترجعون وعليه تُعرضون».

بها غيرها صِفْه لنا، فَسِّرْه لنا. فقال: حب الدنيا طلبًا لها واتِّباعًا لها، وقوم يقولون قول الأنبياء ويعملون عمل الجبابرة، فمَن جاء بـ «لا إله إلا الله» ليس فيها شيء من هذا وجبت له الجنة) قال صاحب القوت: رويناه عن ابن المنكدر عن جابر. وقال العراقي[١]: لم أره من حديث جابر[٢]، وقد رواه الحكيم في النوادر[٣] من حديث زيد بن أرقم بإسناد ضعيف نحوه. انتهىٰ.

ثم قال صاحب القوت: فلذلك كان علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يجعل الزهد مقامًا في الصبر، ويجعل الصبر عمدة الإيمان، وفسَّر بذلك مقامَ اليقين الذي شرح فيه شُعَبه في حديثين رويناهما [عنه] أولهما: قوله في الحديث الطويل الذي رواه عكرمة وعتبة ابن حميد والحارث الأعور وقبيصة بن جابر الأسدي في مباني الإيمان أنه قال: الإيمان علىٰ أربع شُعَب. وفي لفظ حديث بعضهم: اليقين[٤] علىٰ أربع دعائم: علىٰ الصبر، واليقين، والجهاد، والعدل. ثم قال فيه: والصبر فيها علىٰ أربع شُعَب: علىٰ الشوق، والشفقة، والزهادة والترقُّب، فمَن اشتاق إلىٰ الجنة سلا عن الشهوات [ومَن أشفق من النار رجع عن المحرَّمات] ومَن زهد في الدنيا هانت عليه المصيبات، ومَن ترقَّب الموت سارع في الخيرات. فأقام الزهدَ مقام اليقين؛ إذ هو مقتضاه، فلمَّا أوجب اليقينُ الزهدَ في الدنيا اقتضَىٰ الزهدُ تهوينَ مصائبها وتيسير شأنها وتسهيل أمرها، فصغرت بعد كبرها، وهانت بعد صعوبة حالها، فاستبدل بها الرغبةَ في الآخرة، فسارع إليها بقدْر هربه من الدنيا، ونافس فيها بقدْر عزوفه عن

---

(١) المغني ٢/ ١١٠١.

(٢) قد رواه ابن عدي في الكامل ٦/ ٢٢٩٢ من حديث جابر، وأوله: خطبنا رسول الله ﷺ بعد انصرافه من حجة الوداع، وكانت آخر خطبة خطبها فيما أعلم فقال ... الخ.

(٣) نوادر الأصول ص ٤٤، ٧٨٣. ولفظه: «إن الله عهد إليَّ أن لا يأتيني أحد من أمتي بلا إله إلا الله لا يخلط بها شيئا إلا وجبت له الجنة. قالوا: يا رسول الله، وما الذي يُخلط بها؟ قال: حرصا علىٰ الدنيا وجمعا لها ومنعا لها، يقول بقول الأنبياء ويعمل عمل الجبابرة».

(٤) كذا هنا، وهو خطأ، والصواب: الإيمان.

ضدِّها، عندها تحقق بإرادة الآخرة وسعىٰ لها سعيها لَمَّا ركب طريقها وصار ابنَ سبيلها، فوجب حقُّه علىٰ الراغبين في الدنيا كما وجب حقُّ ابن السبيل الذي ركب الطريقَ، فتدبَّرْ.

(**وفي الخبر: السخاء من اليقين، ولا يدخل النار موقن، والبخل من الشك، ولا يدخل الجنة مَن شك**) قال صاحب القوت: رويناه في خبر مقطوع. وقال العراقي[1]: ذكره صاحب الفردوس من حديث أبي الدرداء[2]، ولم يخرجه ولدُه في مسنده.

(**وقال أيضًا: السخي قريب من الله، قريب من الناس، قريب من الجنة. والبخيل بعيد من الله، بعيد من الناس، قريب من النار**) ولَجاهلٌ سخيٌّ أحب إلىٰ الله من عابد بخيل. رواه الترمذي - وقال: غريب - والدارقطني في الأفراد وابن عدي والبيهقي والخرائطي في مكارم الأخلاق والخطيب في كتاب «ذم البخلاء» من حديث أبي هريرة. ورواه البيهقي من حديث جابر بن عبد الله. ورواه الدارقطني والطبراني في الأوسط والخطيب من حديث عائشة. قال الدارقطني: له طرق، ولا يثبُت منها شيءٌ. قال السيوطي: وأورده ابن الجوزي في الموضوعات، ولم يُصِبْ. وقد تقدم ذلك في ذم البخل.

قال صاحب القوت: الخبر الأول مفسِّر للخبر المجمل الثاني بأيِّ معنًىٰ كان السخي قريبًا من الله؛ لأن السخاء من اليقين، والسخي موقن، فصار من المقرَّبين. وبأيِّ معنًىٰ كان البخيل بعيدًا من الله، بعيدًا من الناس، قريبًا من النار، أي بالشك؛ لأنه ضد اليقين، فصار به من المبعَدين، فالسخاء أيضًا وصفُ الزاهد، لا يكون الزاهد إلا سخيًّا؛ لأنه لَمَّا زهدَ في الدنيا سَخَتْ نفسُه بها وطابت عنها للاستبدال بها والتعويض عنها (**والبخل ثمرة الرغبة في الدنيا**) ووصفُ الراغب فيها، لا يكون

---

(١) المغني ٢/ ١١٠١.

(٢) ورواه الحكيم الترمذي في نوادر الأصول ص ٤٧٨ من حديث الزبير بن العوام.

الحريص إلا بخيلاً، ولا يكون البخيل زاهدًا (و) قد يكون (**السخاء**) سببًا للزهد، إذا سخت نفسُه عن الشيء زهدت فيه، كما إذا زهد في شيء أخرجه إلىٰ غيره، فصار السخاء (**ثمرة الزهد**) فنفس الزهد سخاءٌ، وعين البخل رغبة (**والثناء علىٰ الثمرة ثناء علىٰ المثمر لا محالة**.

وروىٰ) سعيد (**ابن المسيب**) رحمه الله تعالىٰ (**عن أبي ذر**) رضي الله عنه (**عن رسول** ﷺ **أنه قال: مَن زهد في الدنيا أدخل الله الحكمة قلبَه فأنطق بها لسانَه، وعرَّفه داء الدنيا ودواءها، وأخرجه منها سالمًا إلىٰ دار السلام**) ولفظ القوت: وبصَّره داءها ودواءها. فبنور الحكمة أبصرتَ داء الدنيا وعرفت دواءها، فوضعتَ الدواء علىٰ معاقر الداء فبرأ، ولا ترىٰ ذلك قبل نور الحكمة، وبالزهد في الدنيا إذا خرجت منها ورثت الحكمة فأُخرِجتَ من ظلمات الهوىٰ إلىٰ نور التقوىٰ؛ إذ لا يبصر العبد عيب ما هو فيه ولا يعرف قبحه حتىٰ يفارقه إلىٰ هاديه.

وزاد في موضع آخر: ومَن حرص عليها توهَّه اللهُ فيها ولم يبالِ في أيِّ أوديتها يهلكه.

وقال العراقي[١]: لم أرَه من حديث أبي ذر[٢]. ورواه ابن أبي الدنيا في ذم الدنيا[٣] من حديث صفوان بن سليم مرسلاً. ولابن عدي في الكامل[٤] من حديث أبي موسىٰ الأشعري: «مَن زهد في الدنيا أربعين يومًا وأخلص فيها العبادة أجرىٰ الله ينابيع الحكمة من قلبه علىٰ لسانه». وقال: حديث منكر. ورواه أبو الشيخ في كتاب «الثواب» وأبو نعيم في الحلية[٥] مختصرًا من حديث أبي أيوب: «مَن أخلص لله

---

(١) المغني ٢/ ١١٠٢.

(٢) قد رواه البيهقي في شعب الإيمان ١٣/ ١٢١ من طريق سعيد بن المسيب عن أبي ذر باللفظ الذي ذكره الغزالي.

(٣) بل في كتاب الزهد ص ٦١.

(٤) الكامل في الضعفاء ٥/ ١٩٤٥.

(٥) حلية الأولياء ٥/ ١٨٩.

...» الحديث، وكلها ضعيفة. انتهىٰ.

قلت: حديث أبي موسىٰ الأشعري تقدم الكلام عليه قريبًا. أما حديث أبي أيوب: «مَن أخلص العبادة لله أربعين يومًا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه علىٰ لسانه» فقد رواه أبو الشيخ وأبو نعيم عن مكحول عن أبي أيوب، ورواه هناد في الزهد[1] وأبو نعيم أيضًا عن مكحول مرسلاً. وأورده ابن الجوزي في الموضوعات[2]. وروىٰ ابن ماجه[3] من حديث ابن مسعود: «مَن جعل الهموم همًّا واحدًا همَّ المعادِ كفاه الله سائر همومه، ومَن تشعَّبت به الهمومُ في أحوال الدنيا لم يبالِ الله في أيِّ أوديتها هلك».

(**ورُوي أنه ﷺ مر في أصحابه بعِشار من النوق حُفَّل، وهي**) النوق (**الحوامل**) وهو تفسير للعِشار، يقال[4]: عشَّرت الناقةُ، مشدَّدًا، فهي عُشَراء: أتىٰ علىٰ حملها عشرةُ أشهر، وجمعه: عِشار، ومثله: نُفَساء ونِفاس، ولا ثالث لهما. وأما[5] الحُفَّل فهي جمع حافلة، وهي التي تُرك حلبها حتىٰ اجتمع اللبن في ضرعها، وهي محفَّلة أيضًا، وأصله في الشاة[6] (**وكانت من أحب أموالهم إليهم وأنفسها عندهم**) وأهمها وأكرمها عليهم (**لأنها تجمع الظهر**) للركوب عليها (**واللحم**) لأكلهم (**واللبن**) لشربهم (**والوبر**) للبسهم وكنِّهم والولد، فهي خمسة، وهي الراحلة من الإبل التي ضُرب بها المثل في قلة وجودها مع الكثرة، فإنَّ التي تجمع هذه الخمس من الإبل الحمولة قليل، فكذلك المؤمن الجامع للخصال الخمس عزيز قليل بين الجملة، يجمع الزهد والعلم والعمل والخوف والورع (**ولعِظَمها في قلوبهم قال الله تعالىٰ**)

---

(١) الزهد ص ٢/ ٣٥٧.

(٢) الموضوعات ٣/ ١٤٤.

(٣) سنن ابن ماجه ٥/ ٥٥٥.

(٤) المصباح المنير ص ٤١١.

(٥) السابق ص ١٤٢.

(٦) في المصباح: «وكان الأصل: حفلت لبن الشاة؛ لأنه هو المجموع، فهي محفل لبنها».

في خطابه لهم بتعطيلها عند تكوير شمسها: (﴿إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ ۝١﴾.. ﴿وَإِذَا ٱلۡعِشَارُ عُطِّلَتۡ ۝٤﴾.. ﴿عَلِمَتۡ نَفۡسٞ مَّآ أَحۡضَرَتۡ ۝١٤﴾) [التكوير: ١، ٤، ١٤] يعني يومئذٍ تشهد ما قدَّمت من مثاقيل الذَّر من الخير والشر (**قال: فأعرض عنها رسول الله ﷺ**) يعني عن العِشار الحوامل (**وغضَّ بصره، فقيل له: يا رسول الله، هذه أنفس أموالنا**) وكرائمها أعرضتَ عنها (**لِمَ لا تنظر إليها؟ فقال: قد نهاني الله عن ذلك. ثم تلا قوله تعالىٰ:** ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيۡنَيۡكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعۡنَا بِهِۦٓ﴾ **الآية**) وتمامها: ﴿أَزۡوَٰجٗا مِّنۡهُمۡ زَهۡرَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا لِنَفۡتِنَهُمۡ فِيهِۚ وَرِزۡقُ رَبِّكَ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰ ۝١٣١﴾ [طه: ١٣١] هكذا أورده صاحب القوت بعد أن قال: وقد نهىٰ الله رسوله أن يوسِّع نظرَه إلىٰ أبناء الدنيا مقتًا لهم، وأخبر أن ما أظهره من زينة الدنيا وزهرتها فتنة لهم، وأعلمه أن الزهد والقناعة خير وأبقىٰ، تنتظم هذه المعاني في قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيۡنَيۡكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعۡنَا بِهِۦٓ﴾ الآية، وفي خبر أنه ﷺ ... فساقه.

وقال العراقي[١]: لم أجد له أصلاً.

قلت: وروىٰ[٢] عبد بن حميد وابن أبي حاتم عن قتادة قال: ﴿وَإِذَا ٱلۡعِشَارُ عُطِّلَتۡ ۝٤﴾ أي سيَّبها أهلوها، أتاهم ما شغلهم عنها فلم تُصرَّ ولم تُحلَب، ولم يكن في الدنيا مالٌ أعجب إليهم منها[٣].

---

(١) المغني ٢/ ١١٠٢، قلتُ: أخرج أبو عبيد في فضائل القرآن ١/ ٢٩١ من مرسل يحيىٰ بن أبي كثير قال: مر رسول الله ﷺ علىٰ إبل لحي يقال لهم بنو الملوح، أو بنو المصطلق، قد عبست في أبوالها من السمن، قال: فتقنع بثوبه ثم قرأ هذه الآية: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيۡنَيۡكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا مِّنۡهُمۡ زَهۡرَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾. قال الإمام أحمد عن مراسيل يحيىٰ كما في مسائله رواية ابن هانئ ٢/ ٢٢٢ (ط المكتب الإسلامي): لا تعجبني؛ لأنه روىٰ عن رجال ضعاف صغار.

(٢) الدر المنثور ١٥/ ٢٦١.

(٣) وروىٰ الطبري في جامع البيان ٢٤/ ١٣٥ مثله عن الحسن البصري.

وروىٰ[١] ابن المنذر وابن أبي حاتم[٢] عن عروة أنه كان إذا دخل علىٰ أهل الدنيا فرأىٰ من دنياهم طرفًا فإذا رجع إلىٰ أهله فدخل الدار قرأ: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾ إلىٰ قوله: ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُكَ﴾ ثم يقول: الصلاةَ الصلاة رحمكم الله.

وقال صاحب القوت بعد أن أورد قصة العشار: وبمعناه روينا في الإسرائيليات أن عيسىٰ عليه السلام مرَّ في الحواريين علىٰ شجرة خضرة نضرة تحتها غدير، فنظروا إليها، وأعرض هو فلم ينظر، فلما جاوزها قال: بحقٍّ أقول لكم، لقد نقص من عقولكم بمقدار نظركم إلىٰ الدنيا.

(ورُوي عن مسروق) بن الأجدع الهَمْداني التابعي الكوفي **(عن عائشة** رضي الله عنها **قالت: قلت: يا رسول الله، ألا تستطعم الله فيطعمك؟ قالت: وبكيتُ لمَّا رأيتُ به من الجوع. فقال: يا عائشة، والذي نفسي بيده، لو سألتُ ربي أن يجري معي جبال الدنيا ذهبًا لأجراها حيث شئتُ من الأرض، ولكني اخترت جوع الدنيا علىٰ شبعها، وفقر الدنيا علىٰ غناها، وحزن الدنيا علىٰ فرحها. يا عائشة، إن الدنيا لا تنبغي لمحمد ولا لآل محمد. يا عائشة، إن الله لم يرضَ لأولي العزم من الرسل إلا الصبر علىٰ مكروه الدنيا، والصبر عن محبوبها، ثم لم يرضَ لي إلا أن يكلِّفني ما كلَّفهم فقال:** ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٣٥] **والله ما لي بدٌّ من طاعته، وإني والله لأصبرنَّ كما صبروا بجهدي، ولا قوة إلا بالله)** قال العراقي[٣]: رواه الديلمي في مسند الفردوس[٤] من طريق أبي عبد الرحمن السلمي من رواية

---

(١) الدر المنثور ١٠/ ٢٦٦.

(٢) وكذلك أبو داود في الزهد ص ٣٥٧.

وفي تفسير الطبري ١٦/ ٢١٧: كان عروة إذا رأىٰ ما عند السلاطين ... فذكره.

(٣) المغني ٢/ ١١٠٢ - ١١٠٣.

(٤) الفردوس بمأثور الخطاب ٥/ ٤٢٦. ورواه أبو الشيخ في كتاب أخلاق النبي ٤/ ١٨٢، ومن طريقه البغوي في شرح السنة ١٤/ ٢٤٨ والواحدي في التفسير الوسيط ٤/ ١١٧ من قوله (يا عائشة إن الدنيا لا تنبغي) حتىٰ آخر الحديث.

عبَّاد بن عباد عن مجالد عن الشعبي عن مسروق مختصرًا: «إن الله لم يرضَ من أولي العزم إلا بالصبر علىٰ مكروهها، والصبر عن محبوبها، ثم لم يرضَ لي إلا أن كلَّفني ما كلَّفهم فقال: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾». ومجالد مختلَف في الاحتجاج به.

(ورُوي عن عمر) بن الخطاب (رضي الله عنه أنه حين فُتحت عليه الفتوحات قالت له ابنته حفصة رضي الله عنها): يا أبتِ (البسْ ليِّن الثياب إذا وفدت عليك الوفودُ من الآفاق، ومُرْ بصنعة طعام تَطعمه) أي تأكله (وتطعم مَن حضر) منهم (قال عمر: يا حفصة، ألستِ تعلمين أن أعلم الناس بحال الرجل أهل بيته؟ فقالت: بلىٰ. قال: ناشدتك اللهَ، هل تعلمين أن رسول الله ﷺ لبث في النبوَّة كذا وكذا سنة لم يشبع هو ولا أهل بيته غدوةً إلا جاعوا عشيَّة، ولا شبعوا عشيَّة إلا جاعوا غدوة. وناشدتك الله، هل تعلمين أن النبي ﷺ لبث في النبوة كذا وكذا سنة لم يشبع من التمر هو وأهله حتىٰ فتح الله عليه خيبر. وناشدتك الله، هل تعلمين أن رسول الله ﷺ قرَّبتم إليه يومًا طعامًا علىٰ مائدة فيها ارتفاع، فشقَّ عليه ذلك حتىٰ تغيَّر لونه، ثم أمر بالمائدة فرُفعت ووُضع الطعام علىٰ دون ذلك، أو وُضع علىٰ الأرض. وناشدتك الله، هل تعلمين أن رسول الله ﷺ كان ينام علىٰ عباءة مثنيَّة، فثُنيت له ليلةً أربع طاقات، فنام عليها، فلمَّا استيقظ قال: منعتموني قيام الليلة بهذه العباءة، اثنوها باثنتين كما كنتم تثنونها. وناشدتك الله، هل تعلمين أن رسول الله ﷺ كان يضع قميصه فيُغسَل فيأتيه بلال فيؤذنه بالصلاة، فما يجد ثوبًا يخرج به إلىٰ الصلاة حتىٰ تجفَّ ثيابه فيخرج بها إلىٰ الصلاة. وناشدتك الله هل تعلمين أن رسول الله ﷺ صنعت له امرأة من بنىٰ ظفر): قبيلة من الأنصار[1] (كساءين إزارًا ورِداء، وبعثت إليه بأحدهما قبل أن يبلغ الآخَر، فخرج إلىٰ الصلاة وهو مشتمل به، ليس عليه غيره، قد عقد طرفَيْه

---

(١) ظفر: بطن من الأوس، وهم بنو ظفر بن الخزرج الأصغر بن عمرو، من الأزد، من القحطانية. معجم قبائل العرب ٢/ ٦٩٥.

علىٰ عنقه، فصلىٰ كذلك. فما زال) عمر **(يقول)** لها من هذا الجنس **(حتىٰ أبكاها، وبكىٰ عمر** رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ **وانتحب حتىٰ ظننا أن نفسه ستخرج)** قال العراقي[١]: لم أجده هكذا مجموعًا في حديث، وهو مفرَّق في عدة أحاديث، فروىٰ البزار[٢] من حديث عمران بن حصين قال: ما شبع رسول الله ﷺ وأهله غداءً وعَشاء من خبز شعير حتىٰ لحق بربِّه. وفيه عمرو بن عبيد القَدَري، متروك الحديث. وللترمذي[٣] من حديث عائشة: ما أشبعُ من طعام فما أشاء أن أبكي إلا بكيت. قلت: لِم؟ قالت: أذكرُ الحال التي فارق رسولُ الله ﷺ عليها الدنيا، واللهِ ما شبع من خبز ولحم مرتين في يوم. قال: حديث حسن. وللشيخين[٤] من حديثها: ما شبع آل محمد منذ قدمَ المدينةَ من طعام [البُر] ثلاث ليالٍ تباعًا حتىٰ قُبض. وللبخاري[٥] من حديث أنس: كان لا يأكل علىٰ خوان ... الحديث. وتقدم في آداب الأكل. وللترمذي في الشمائل[٦] من حديث حفصة أنها سُئلت: ما كان فراش النبي ﷺ؟ قالت: مِسْحٌ نثنيه ثنيَّتين فينام عليه ... الحديث. ولابن سعد في الطبقات[٧] من حديث عائشة أنها كانت تفرش للنبي ﷺ عباءة باثنتين ... الحديث. وتقدَّما في آداب المعيشة. وللبزار[٨] من حديث أبي الدرداء قال: كان رسول الله ﷺ لا يُنخَل له الدقيق، ولم يكن له إلا قميص واحد. وفيه سعيد بن ميسرة، كذَّبه القَطَّان، وضعَّفه البخاريُّ[٩].

---

(١) المغني ٢/ ١١٠٣ - ١١٠٤.

(٢) مسند البزار ٩/ ٧٦.

(٣) سنن الترمذي ٤/ ١٧٣.

(٤) صحيح البخاري ٣/ ٤٣٩، ٤/ ١٨٣. صحيح مسلم ٢/ ١٣٥٧.

(٥) صحيح البخاري ٣/ ٤٣٣، ٤٣٨، ٤/ ١٨٢.

(٦) الشمائل المحمدية ص ١٥٦.

(٧) الطبقات الكبرىٰ ١/ ٤٠٠.

(٨) مسند البزار ١٠/ ٧٥.

(٩) التاريخ الكبير ٣/ ٥١٦، وفيه: منكر.

ولابن ماجه[١] من حديث عُبادة بن الصامت: صلىٰ في شملة قد عقد عليها. زاد الغِطْريفي في جزئه المشهور: فعقدها في عنقه، ما عليه غيرها. وإسناده ضعيف. وتقدم في آداب المعيشة.

(وفي بعض الروايات زيادة من قول عمر) رَضِيَ اللهُ عَنْهُ **(وهو أنه قال: كان لي صاحبان سلكا طريقًا، فإن سلكتُ غير طريقهما سُلك بي طريق غير طريقهما، وإني واللهِ سأصبر علىٰ عيشهما الشديد لعلِّي أدرك معهما العيشَ الرغيد)** أخبرنا عمر بن أحمد بن عقيل، أخبرنا عبد الله بن سالم، أخبرنا محمد بن العلاء الحافظ، أخبرنا سليمان بن خالد، أخبرنا محمد بن أحمد بن علي، أخبرنا زكريا بن محمد، أخبرنا محمد بن الحسين بن أبي بكر المراغي، أخبرنا عبد الرحيم بن الحسين الحافظ، أخبرنا عبد الوهاب بن علي السبكي، أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، أخبرنا جماعة قالوا: أخبرنا ابن اللتي، أخبرنا أبو الوقت، أنبأنا أبو الحسن المظفَّري، أنبأنا ابن أعيُن، أنبأنا إبراهيم بن خُزَيم، حدثنا عبد بن حميد[٢]: حدثنا محمد ابن بِشر، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن أخيه، عن مصعب بن سعد قال: قالت حفصة لأبيها: قد أوسع اللهُ [عليك] الرزقَ، فلو أنك أكلتَ طعامًا ألين من طعامك، ولبستَ ثوبًا ألين من ثوبك. فقال: سأخاصمكِ إلىٰ نفسكِ. فجعل يذكِّرها ما كان فيه رسول الله ﷺ وما كانت فيه من الجهد حتىٰ أبكاها فقال: قد قلتُ لكِ إنه كان لي صاحبان سلكا طريقًا، وإني إن سلكتُ غيرَ طريقهما سُلك بي غير طريقهما، وإني واللهِ لأشاركنَّهما في مثل عيشهما لعلِّي أن أدرك معهما عيشهما الرخيَّ. وكذلك رواه النسائي[٣] من طريق ابن المبارك عن إسماعيل. ورواه يزيد ابن هارون عن إسماعيل عن مصعب بن سعد بن أبي وقاص قال: قالت حفصة

---

(١) سنن ابن ماجه ٥/ ١٨٨.

(٢) المنتخب من مسند عبد بن حميد ١/ ٧٩.

(٣) السنن الكبرىٰ ١٠/ ٣٨٩ - ٣٩٠.

لعمر: يا أمير المؤمنين، لو لبستَ ثوبًا هو ألين من ثوبك، وأكلتَ طعامًا هو ألين من طعامك، فقد وسَّع الله الرزق وأكثرَ من الخير. فقال: إني سأخاصمكِ إلىٰ نفسك، أما تذكرين ما كان رسول الله ﷺ يَلقىٰ من شدة العيش؟ فما زال يذكِّرها حتىٰ أبكاها، فقال لها: أما واللهِ إن قلتُ ذلك لكِ إني واللهِ لئن استطعتُ لأشاركنَّهما بمثل عيشهما الشديد لعلي أدرك معهما عيشهما الرخيَّ. هكذا رواه أحمد في الزهد[1] عنه، ورواه أبو نعيم في الحلية[2] من طريقه. ورواه معمر عن ابن طاووس عن عكرمة بن خالد أن حفصة وابن مطيع وابن عمر كلَّموا عمر فقالوا: لو أكلتَ طعامًا طيبًا كان أقوىٰ لك علىٰ الحق. قال: أكلُّكم علىٰ هذا الرأي؟ قالوا: نعم. قال: قد علمتُ أنه ليس منكم إلا ناصح، ولكني تركتُ صاحبَيَّ علىٰ جادَّة، فإن تركتُ جادَّتهما لم أدركهما في المنزل. قال: وأصاب الناسَ سنةٌ، فما أكل عامئذٍ سمنًا ولا سمينًا [حتىٰ أحيي الناس][3].

(وعن أبي سعيد الخدري) رضي الله عنه **(عن النبي ﷺ أنه قال: لقد كان الأنبياء قبلي يُبتلَىٰ أحدهم بالفقر فلا يلبس إلا العباء، وإن كان أحدهم لَيُبتلَىٰ بالقمل حتىٰ يقتله القمل، وكان ذلك أحب إليهم من العطاء إليكم)** قال العراقي[4]: رواه ابن ماجه[5] بإسناد صحيح في أثناء حديث أوله: دخلتُ علىٰ النبي ﷺ وهو يوعَك ... الحديث، دون قوله «وإن كان أحدهم لَيُبتلَىٰ بالقمل».

قلت: وروىٰ ابن سعد[6] بإسناد صحيح: «إن كان النبي من أنبياء الله ليعرىٰ حتىٰ ما يجد ما يواري به عورته إلا العباءة يدرعها».

---

(١) الزهد ص ١٠٣.

(٢) حلية الأولياء ١/ ٤٨.

(٣) رواه عبد الرزاق في مصنفه ١١/ ٢٢٣، ومن طريقه البيهقي في السنن الكبرىٰ ٩/ ٧٣.

(٤) المغني ٢/ ١١٠٤.

(٥) سنن ابن ماجه ٥/ ٤٩٤.

(٦) الطبقات الكبرىٰ ٢/ ١٨٥.

(وعن ابن عباس) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (عن النبي ﷺ قال: لمَّا ورد موسىٰ عليه السلام ماء مدين كانت خضرة البقل تُرَىٰ في بطنه من الهُزال)[1] أي كان غالب طعامه من بقول الأرض زهدًا في الدنيا حتىٰ تُرَىٰ خضرتها في جلدة بطنه.

(فهذا ما كان قد اختاره أنبياء الله ورسله، وهم أعرَفُ خَلْق الله بالله وبطريق الفوز في الآخرة) فيقتضي أن ما اختاروه هو أعلىٰ الدرجات وأفضل المقامات.

(وفي حديث عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: لمَّا نزل قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٤] قال ﷺ: تبًّا للدنيا، تبًّا للدينار والدرهم. فقلنا: يا رسول الله، نهانا الله عن كنز الذهب والفضة، فأيَّ شيء ندَّخر؟ فقال ﷺ: ليتَّخذ أحدكم لسانًا ذاكرًا وقلبًا شاكرًا وزوجة صالحة تعينه علىٰ أمر آخرته) رواه الترمذي وابن ماجه دون قوله «تبًّا للدينار والدرهم»، وتقدم في النكاح وفي ذم الدنيا. قال العراقي[2]: وهو من حديث ثوبان، وإنما قال المصنف «إنه حديث عمر» لأن عمر هو الذي سأل النبيَّ ﷺ: أيُّ المال نتخذ؟ كما في رواية ابن ماجه، وكما رواه البزار من حديث ابن عباس.

(وفي حديث حذيفة) بن اليمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (عن رسول الله ﷺ قال: مَن آثر الدنيا علىٰ الآخرة ابتلاه الله بثلاث: همًّا لا يفارق قلبه أبدًا، وفقرًا لا يستغني به أبدًا، وحرصًا لا يشبع أبدًا) هكذا هو في القوت. وقال العراقي[3]: لم أجده من حديث

(١) لم يتعرض الزبيدي لتخريج هذا الحديث، وكذا العراقي في المغني، ولم أقف عليه مرفوعا. وقد روي من قول ابن عباس، أخرجه الطبري في جامع البيان ١٨/ ٢١٦، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٦١/ ٣٣. وأورده الزمخشري في ربيع الأبرار ٥/ ٣٤٢ من قول علي بن أبي طالب ضمن أثر طويل بلفظ: «وإن شئت ثنيت بموسىٰ كليم الله إذ يقول: إني لما أنزلت إليَّ من خير فقير. والله ما سأله إلا خبزا يأكله؛ لأنه كان يأكل بقلة الأرض، ولقد كانت خضرة البقل تُرَىٰ من شفيف صفاق بطنه لهزاله وتشذب لحمه».

(٢) المغني ٢/ ١١٠٤ - ١١٠٥.

(٣) السابق ٢/ ١١٠٥.

حذيفة. وللطبراني[١] من حديث ابن مسعود بسند حسن: «مَن أُشرِب قلبه حب الدنيا التاط منها بثلاث: شقاء لا ينفد عَناه، وحرص لا يبلغ غناه، وأمل لا يبلغ منتهاه»، وفي آخره زيادة. انتهىٰ.

قلت: وتلك الزيادة: «فالدنيا طالبة ومطلوبة، فمَن طلب الدنيا طلبته الآخرةُ حتىٰ يأتيه الموت فيأخذه، ومَن طلب الآخرة طلبته الدنيا حتىٰ يستوفي منها رزقه». ورواه كذلك أبو نعيم في الحلية[٢] من طريقه. ورواه ابن عساكر[٣] عن شعيب بن صالح قال: قال عيسىٰ ابن مريم عليه السلام، واللهِ ما سكنت الدنيا في قلب عبدٍ إلا التاطَ قلبُه منها بثلاث: شغل لا ينفكُّ عَناه، وفقر لا يدرك غِناه، وأمل لا يبلغ منتهاه ... ثم ساقه بتلك الزيادة.

(وقال ﷺ: لا يستكمل العبد الإيمان حتىٰ يكون أن لا يعرف أحب إليه من أن يعرف، وحتىٰ تكون قلة الشيء أحب إليه من كثرته) قال صاحب القوت: رويناه مرسلاً عن علي بن معبد عن علي بن أبي طلحة قال: قال رسول الله ﷺ ... فساقه. قال العراقي[٤]: لم أجد له إسنادًا، وذكره صاحب الفردوس[٥] من رواية علي بن أبي طلحة مرسلاً: «لا يستكمل عبدٌ الإيمانَ حتىٰ تكون قلة الشيء أحب إليه من كثرته، وحتىٰ يكون أن يعرف في ذات الله أحب إليه من أن يعرف في غير ذات الله». ولم يخرجه ولده في مسنده. وعلي بن أبي طلحة أخرج له مسلم، وروىٰ عن ابن عباس، لكن روايته عنه مرسَلة، فالحديث إذًا معضَل.

---

(١) المعجم الكبير ١٠/ ٢٠١.

(٢) حلية الأولياء ٨/ ١٢٠.

(٣) تاريخ دمشق ٤٧/ ٤٢٩.

(٤) المغني ٢/ ١١٠٥.

(٥) وكذلك رواه المعافىٰ بن عمران في الزهد ص ٢١٨ (ط - دار البشائر الإسلامية) بلفظ: «لا يستكمل الرجل الإيمان حتىٰ تكون قلة الشيء أحب إليه من كثرة الشيء، وحتىٰ يكون أن لا يُعرَف في طاعة الله أحب إليه من أن يعرف في معصية الله».

(وقال المسيح عليه السلام: الدنيا قنطرة، فاعبروها، ولا تعمروها) هذا قد رواه صاحب الفردوس[1] من حديث ابن عمر، إلا أنه قال: قنطرة الآخرة. ولم يذكر له سندًا. وأما قول عيسىٰ عليه السلام فأخرجه أبو نعيم في الحلية[2] في ترجمة وهيب قال: بلغني أن عيسىٰ عليه السلام قال قبل أن يُرفَع: يا معشر الحواريين، إني قد كببت لكم الدنيا، فلا تنعشوها بعدي، فإنه لا خير في دار قد عُصِيَ الله فيها، ولا خير في دار لا تُدرَك الآخرة إلا بتركها، فاعبروها ولا تعمروها. وأخرجه ابن عساكر[3] عن يحيىٰ بن سعيد قال: كان عيسىٰ عليه السلام يقول: اعبروا الدنيا ولا تعمروها. وهو في القوت بلفظ: الدنيا قنطرة يُعبَر عليها إلىٰ الآخرة ... والباقي سواء.

(وقيل له: يا نبي الله، لو أمرتنا أن نبني بيتًا نعبد الله فيه. قال: اذهبوا فابنوا بيتًا علىٰ الماء. فقالوا: وكيف يستقيم بنيانٌ علىٰ الماء؟ قال: وكيف تستقيم عبادة علىٰ حب الدنيا)؟ قال صاحب القوت: ورويناه بمعنًىٰ آخر: قالوا: إنَّا نريد أن نبني بيتًا نجتمع فيه نتعبَّد ونتدارس، فاخترْ لنا موضعًا نبني فيه. فقال: تعالوا. فمشوا معه، فوقف علىٰ قنطرة فقال: ابنوا ههنا. فقالوا: نبني علىٰ قنطرة وهي مَدرجة للناس، لا يَدَعونا فيها؟! فقال: كذلك الدنيا مَدرجة الموتىٰ، وأنتم تبنون عليها، ولا يَدَعونكم فيها. انتهىٰ.

وروىٰ أحمد[4] في الزهد عن سفيان الثوري: قيل لعيسىٰ عليه السلام: ألا تبني بيتًا؟ قال: إني علىٰ طريق السبيل.

(وقال نبيُّنا صلى الله عليه وسلم: إن ربِّي عرض عليَّ أن يجعل لي بطحاء مكة ذهبًا، فقلت:

---

(١) الفردوس بمأثور الخطاب ٢/ ٢٢٨، وزاد: «وإن الله عز وجل خلق الدنيا للعمل والخراب، والآخرة للبقاء والجزاء والعقاب».

(٢) حلية الأولياء ٨/ ١٤٥.

(٣) تاريخ دمشق ٤٧/ ٤٢٨ - ٤٢٩.

(٤) ومن طريقه رواه أبو نعيم في حلية الأولياء ٧/ ٢٧٣ عن سفيان بن عيينة، وليس سفيان الثوري.

لا يا رب، ولكن أجوع يومًا وأشبع يومًا، فأما اليوم الذي أجوع فيه فأتضرَّع إليك وأدعوك، وأما اليوم الذي أشبع فيه فأحمدك وأثني عليك) رواه أحمد والترمذي وابن سعد والطبراني والبيهقي من حديث أبي أمامة، وقد تقدم في كتاب رياضة النفس وتهذيب الأخلاق[1]. وفي القوت: والفقر اختيار رسول الله ﷺ عن حُسن اختيار الله لمَّا خيَّره بين أن يُجرِي له الأوديةَ مالاً ويجعل له الجبال ذهبًا وفضة ولا ينقصه ذلك من درجته عند الله شيئًا، فاختار بحُسن توفيق الله وعصمته له الأحبَّ إلىٰ الله والأخْيَر عند الله؛ إذ قد ضمن له إن أعطاه لا ينقصه، فلم يبقَ إلا محبة الله، فكانت آثَر عنده من ترك نقيصته، فقال: لا حاجة لي بذلك، بل أجوع يومًا وأشبع يومًا، أحمدك إذا شبعتُ، وأتضرَّع إليك إذا جعتُ.

(وعن ابن عباس ﷺ قال: خرج رسول الله ﷺ ذات يوم يمشي، وجبريل معه، فصعد علىٰ الصفا، فقال له النبي ﷺ: يا جبريل، والذي بعثك بالحق، ما أمسىٰ لآل محمد كفُّ سويق ولا سفَّة دقيق، فلم يكن كلامه بأسرع من أن سمع هدَّة من السماء أفظعته، فقال رسول الله ﷺ: أمر الله القيامة أن تقوم؟ قال: لا، ولكن هذا إسرافيل ﷺ قد نزل إليك حين سمع كلامك، فأتاه إسرافيل فقال: إن الله ﷻ سمع ما ذكرتَ، فبعثني بمفاتيح الأرض، وأمرني أن أعرض عليك إن أحببتَ أن تسير معك جبال تِهامة زمرُّدًا وياقوتًا وذهبًا وفضة فعلتُ، وإن شئتَ نبيًّا ملكًا، وإن شئتَ نبيًّا عبدًا) فرفع رأسه إلىٰ جبريل كأنَّه يستشيره **(فأومأ إليه جبريل أنْ تواضع لله، فقال)**: بل **(نبيًّا عبدًا. ثلاثًا)** قد تقدم في ذم الكبر مختصرًا[2].

(وقال ﷺ: إذا أراد الله بعبد خيرًا زهَّده في الدنيا، ورغَّبه في الآخرة، وبصَّره بعيوب نفسه) قال العراقي[3]: رواه الديلمي في مسند الفردوس[4] من حديث أنس دون قوله

---

(١) بل في كتاب الصوم، وفي كتاب كسر الشهوتين.

(٢) ورواه بهذا السياق: الطبراني في المعجم الأوسط ٧/ ٨٨، والبيهقي في الزهد الكبير ص ١٨٦.

(٣) المغني ٢/ ١١٠٦.

(٤) الفردوس بمأثور الخطاب ١/ ٢٤٢.

«ورغَّبه في الآخرة»، وزاد: «فقَّهَه في الدين»، وإسناده ضعيف جدًّا. انتهىٰ.

قلت: لفظ الديلمي: «إذا أراد الله بعبد خيرًا فقَّهَه في الدين، وزهَّده في الدنيا، وبصَّرَه عيوبَه». ورواه كذلك البيهقي في الشعب[1]، ورواه البيهقي[2] أيضًا عن محمد بن كعب القرظي مرسلاً.

(وقال ﷺ لرجل: ازهدْ في الدنيا يحبك الله، وازهدْ فيما في أيدي الناس يحبك الناس) رواه ابن ماجه والطبراني والحاكم والبيهقي من حديث سهل بن سعد. ورواه ابن عساكر من حديث ابن عمر، وقد تقدم[3]. وروىٰ أبو نعيم في الحلية من حديث أنس: «ازهدْ في الدنيا يحبك الله، وأما الناس فانبذْ إليهم هذا فيحبُّونك». وقد تقدم أيضًا.

(وقال ﷺ: مَن أراد أن يؤتيه الله علمًا بغير تعلُّم وهدًىٰ بغير هداية فليزهد في الدنيا) قال العراقي[4]: لم أجد له أصلاً.

قلت: بل له أصل، أخرجه أبو نعيم في الحلية[5] من حديث علي بلفظ: «مَن زهد في الدنيا علَّمه الله بلا تعلُّم، وهداه بلا هداية، وجعله بصيرًا، وكشف عنه العمىٰ»، قال: حدثنا أبو ذر محمد بن الحسين بن يوسف الورَّاق، حدثنا محمد ابن الحسين بن حفص، حدثنا علي بن حفص العبسي، حدثنا نصير بن حمزة، عن أبيه، عن جعفر بن محمد، عن محمد بن علي بن الحسين، عن الحسين بن علي، عن علي بن أبي طالب قال: قال رسول الله ﷺ ... فساقه.

---

(١) أي بمثل لفظه فقط، لا أنه رواه عن أنس، فتنبه.

(٢) شعب الإيمان ١٣/ ١٢٢.

(٣) في كتاب ذم الجاه والرياء.

(٤) المغني ٢/ ١١٠٦.

(٥) حلية الأولياء ١/ ٧٢.

(وقال ﷺ: مَن اشتاق إلىٰ الجنة سارع إلىٰ الخيرات، ومَن خاف من النار لَها عن الشهوات، ومَن ترقَّب الموت ترك اللذَّات، ومَن زهد في الدنيا هانت عليه المصيبات) قال العراقي[١]: رواه ابن حبان في الضعفاء[٢] من حديث علي. انتهىٰ.

قلت: وكذلك البيهقي[٣] وتمام[٤] وابن عساكر[٥] وابن النجار مرفوعًا من حديثه. وأما صاحب الحلية[٦] فأورده من طريق خلاس بن عمرو عنه مرفوعًا بلفظ: «وللصبر أربع شُعَب: الشوق والشفقة والزهادة والترقُّب، فمَن اشتاق إلىٰ الجنة سلا عن الشهوات، ومَن أشفق من النار رجع عن المحرَّمات، ومَن زهد في الدنيا تهاون بالمصيبات، ومَن ارتقب الموت سارع في الخيرات». قال: ورواه كذلك الأصبغ بن نباتة عن علي مرفوعًا، ورواه الحارث عن علي مرفوعًا مختصرًا، ورواه قبيصة بن جابر عن علي من قوله، ورواه العلاء بن عبد الرحمن عن علي من قوله.

(ويُروَىٰ عن نبيِّنا وعن المسيح صلىٰ الله عليهما وسلم: أربع لا يُدرَكن إلا بعُجْب: الصمت وهو أول العبادة، والتواضع، وكثرة الذِّكر، وقلة الشيء) قال العراقي[٧]: رواه الطبراني والحاكم من حديث أنس، وقد تقدم[٨]. انتهىٰ.

قلت: ذُكر في كتاب الصمت، ورواه البيهقي أيضًا، وصحَّحه الحاكم وتُعُقِّب. ورواه ابن عساكر عن أنس موقوفًا. ويُروَىٰ: «لا يصبنَ إلا بعُجْب». وفي رواية: وذِكر الله،

---

(١) المغني ٢/ ١١٠٦.

(٢) المجروحون من المحدثين ٢/ ٣٠.

(٣) شعب الإيمان ١٣/ ١٧٦.

(٤) فوائد تمام ٥/ ٨٠ - ٨١.

(٥) تاريخ دمشق ١٣/ ٣١، ١٤/ ٣٠، ٢٥/ ٢٩٢.

(٦) حلية الأولياء ١/ ٧٤.

(٧) المغني ٢/ ١١٠٧.

(٨) في كتاب ذم الكبر.

بدل: وكثرة الذِّكر. وأما قول عيسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ فرواه ابن أبي الدنيا في الصمت[1].

(وإيراد جميع الأخبار الواردة في مدح بغض الدنيا وذم حبها لا يمكن) لكثرتها **(فإن الأنبياء)** عليهم السلام **(ما بُعِثوا إلا لصرف)** وجوه **(الناس عن)** حب **(الدنيا إلىٰ)** حب **(الآخرة، فإليه يرجع أكثر كلامهم مع الخلق)** لمَن تتبَّع السياق **(وفيما أوردناه كفاية. والله المستعان.**

وأما الآثار، فقد جاء في الأثر: لا تزال) كلمة **(«لا إله إلا الله» تدفع عن العباد سخط الله)** أي غضبه **(ما لم يبالوا ما نقص من دنياهم)** بسلامة دينهم **(وفي لفظ آخر: ما لم يؤثِروا صفقة دنياهم علىٰ دينهم، فإن فعلوا ذلك وقالوا: لا إله إلا الله، قال الله تعالىٰ: كذبتم، لستم بها صادقين)** وفي لفظ آخر: فإذا قالوها رُدَّت عليهم. أورد المصنف هذا في الآثار علىٰ أنه ليس بمرفوع متصل، وليس كذلك، بل رُوي ذلك من حديث زيد بن أرقم: «لا تزال لا إله إلا الله تحجب غضب الرب عن الناس ما لم يبالوا ما ذهب من دينهم إذا صلحت لهم دنياهم، فإذا قالوها قيل لهم: كذبتم، لستم من أهلها». رواه ابن النجار في تاريخه[2].

وروىٰ[3] الحاكم في تاريخه من رواية أبان عن أنس رفعه: «لا تزال لا إله إلا الله تنفع مَن قالها حتىٰ يستخفُّوا بحقِّها، والاستخفاف بحقها أن يظهر العملُ بالمعاصي فلا ينكروه ولا يغيِّروه.

(وعن بعض الصحابة[4] رضي الله عنهم أنه قال: تابعنا الأعمال كلَّها فلم نرَ في أمر الآخرة أبلغ من زهدٍ في الدنيا) ولفظ القوت: تابعنا الأعمال كلها بعضها علىٰ إثر بعض،

---

(١) الصمت وآداب اللسان ص ٢٨٥.

(٢) تقدم ذلك في كتاب آداب الكسب والمعاش.

(٣) كنز العمال ١/ ٦٣.

(٤) هو أبو واقد الليثي، كما رواه عنه ابن أبي شيبة في مصنفه ١٢/ ٩٤، وأحمد في الزهد ص ١٤١، ١٦٤، وأبو داود في الزهد ص ٣٢٢، والبيهقي في شعب الإيمان ١٣/ ٢٠٧، وابن أبي الدنيا في الزهد ص ٥٧.

فلم نرَ أبلغ في أمر الآخرة من زهادة في الدنيا.

(**وقال بعض الصحابة لصدر من التابعين**) أي للصدر الأول منهم لمَّا رأوا شدة اجتهادهم في العبادة: (**أنتم أكثر أعمالاً واجتهادًا من أصحاب رسول الله ﷺ**) هم (**كانوا خيرًا منكم. قيل: ولِمَ ذاك؟ قال: كانوا أزهد في الدنيا منكم**) نقله صاحب القوت، قال: وكذلك قال أبو الدرداء لمَّا وصف الأبدال فذكر قلوبهم ومواجيدهم وعلم اليقين منهم وأحوال الصدِّيقين فيهم، فقال له صاحبه: واللهِ ما سمعتُ صفة أحسن من هذه ولا أعجب إليَّ منها، فكيف لي أن أكون من أهلها؟ فقال: يا ابن أخي، ما بينك وبين أن تكون من أوسطهم - أو في أوسطها - حالاً إلا أن تزهد في الدنيا، فبقدْر زهدك فيها وبغضك لها يدخل حب الآخرة والرغبة والرَّوح في قلبك، وبقدر ذلك يحبك ربُّك.

قلت: والمراد ببعض الصحابة هو عبد الله بن مسعود، قال أبو نعيم في الحلية[1]: حدثنا عبد الله بن محمد، حدثنا محمد بن شبل، حدثنا أبو بكر ابن أبي شيبة، حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن [عمارة، عن] عبد الرحمن بن يزيد، عن عبد الله قال: أنتم أكثر صلاة وصيامًا واجتهادا من أصحاب رسول الله ﷺ، وهم كانوا خيرًا منكم. قالوا: لِمَ يا أبا عبد الرحمن؟ فقال: هم كانوا أزهد في الدنيا وأرغب في الآخرة.

(**وقال عمر**) بن الخطاب (رضي الله عنه: **الزهادة في الدنيا راحة القلب والجسد**)[2] وهذا قد رُوي مرفوعًا من حديث أبي هريرة، رواه ابن لال في مكارم الأخلاق،

(١) حلية الأولياء ١/ ١٣٦. ورواه أيضا: ابن المبارك في الزهد والرقائق ص ١٧٢، وابن أبي شيبة في مصنفه ١٢/ ٧٦، والحاكم في المستدرك على الصحيحين ٤/ ٤٥٧، والطبراني في المعجم الكبير ٩/ ١٦٧.

(٢) رواه ابن المبارك في الزهد والرقائق ص ١٩٨، والبيهقي في شعب الإيمان ١٣/ ١٧٠، وابن أبي الدنيا في الزهد ص ١٠٧.

ولفظه: «الزهد في الدنيا يريح القلب والبدن، والرغبة في الدنيا تتعب القلب والبدن»[١].

(**وقال بلال بن سعد**) ابن[٢] تميم الأشعري أو الكِنْدي، أبو عمرو أو أبو زُرعة الدمشقي، ثقة، عابد، فاضل، مات في خلافة هشام، روىٰ له البخاري في كتاب الأدب وأبو داود في كتاب القدَر والنسائي (**كفىٰ به ذنبًا أن الله تعالىٰ يزهِّدنا في الدنيا ونحن نرغب فيها**)[٣] نقله صاحب القوت عن بعض السلف، قال: والآخَر يقول: كفىٰ من الذنوب التي لا نستغفر منها ولا نتوب حبُّنا للدنيا ولأسبابها.

(**وقال رجل لسفيان**) الثوري: (**أشتهي أن أرىٰ عالمًا زاهدًا**) في الدنيا (**فقال: ويحك! تلك ضالَّة لا توجد**) رواه أبو نعيم في الحلية[٤].

(**وقال وهب بن منبه**) رحمه الله تعالىٰ: (**إن للجنة ثمانية أبواب، فإذا صار أهل الجنة إليها جعل البوَّابون**) أي الملائكة الموكَّلون بالأبواب (**يقولون: وعزَّة ربنا لا يدخلها أحد قبل**) الناس كلهم إلا (**الزاهدين في الدنيا والعاشقين للجنة**) أي

---

(١) ورواه الطبراني في المعجم الأوسط ٦/ ١٧٧ والبيهقي في شعب الإيمان ١٣/ ١٢٤ وابن عدي في الكامل ١/ ٣٦٧ بالشطر الأول فقط. ورواه القضاعي في مسند الشهاب ١/ ١٨٨ من حديث عبد الله بن عمرو بلفظ: «الزهد في الدنيا يريح القلب والبدن، والرغبة في الدنيا تكثر الهم والحزن، والبطالة تقسي القلب». وكذا رواه أحمد في الزهد ص ١٢ والبيهقي في شعب الإيمان ١٣/ ١٢٢ وابن أبي الدنيا في الزهد ص ٥٣ عن طاووس مرسلا دون قوله (والبطالة تقسي القلب).

(٢) تقريب التهذيب ص ١٧٩.

(٣) رواه ابن المبارك في الزهد والرقائق ص ١٦٧، وأحمد في الزهد ص ٣١٢، وابن أبي الدنيا في الزهد ص ٣٨، والبيهقي في الزهد الكبير ص ١٣٩. وزادوا: «فزاهدكم راغب، وعالمكم جاهل، وعابدكم مقصر».

(٤) حلية الأولياء ٧/ ٥٢ عن بكر بن محمد العابد قال: قلت لسفيان الثوري: دلني علىٰ رجل أجلس إليه. قال: تلك ضالة لا توجد. ورواه أبو الشيخ في طبقات المحدثين بأصفهان ٣/ ١٩٠ عن بكر قال: قلت لداود الطائي ... فذكر مثله. ورواه الدينوري في المجالسة وجواهر العلم ٢/ ٢٨٩ عن إبراهيم بن بشار قال: سألت سفيان بن عيينة فقلت له: دلني ... فذكره.

المحبِّين لها.

(وقال يوسف بن أسباط) الشيباني رحمه الله تعالىٰ: **(إني لأشتهي من الله ثلاث خصال: أن أموت حين أموت وليس في مِلكي درهم، ولا يكون عليَّ دَين، ولا علىٰ عظمي لحم. فأُعطيَ ذلك كله)** ترجم له أبو نعيم في الحلية، وهو من أقران حذيفة المرعشي.

(ورُوي أن بعض الخلفاء) من بني العباس **(أرسل إلىٰ الفقهاء بجوائز)** أي عطايا **(فقبلوها، وأرسل إلىٰ الفضيل)** بن عياض رحمه الله تعالىٰ **(بعشرة آلاف، فلم يقبلها، فقال له بنوه)**: يا أبتاه **(قد قبل الفقهاءُ، وأنت تردُّ علىٰ حالتك هذه)** أي من الخَصاصة **(فبكىٰ الفضيل وقال: أتدرون ما مثلي ومثلكم كمثل قوم كانت لهم بقرة يحرثون عليها، فلما هرمتْ)** أي أسنَّت وعجزت عن العمل **(قيل: ألا تنتفعون بجلدها؟ وكذلك أنتم أردتم ذبحي علىٰ كبر سنِّي، موتوا يا أهلي جوعًا خير لكم من أن تذبحوا فضيلاً)** رواه أبو نعيم في الحلية[1] نحوه في قصة طويلة قال: حدثنا سليمان بن أحمد، حدثنا محمد بن زكريا الغلابي، حدثنا أبو عمر الجَرْمي النحوي، حدثنا الفضل بن الربيع قال: حج أميرُ المؤمنين - يعني هارون الرشيد - فأتاني، فخرجت مسرعًا، فقلت: يا أمير المؤمنين، لو أرسلتَ إليَّ أتيتك. فقال لي: ويحك! قد حاك في نفسي شيءٌ، فانظرْ لي رجلاً أسأله ... فذكر لُقِيَّه لجماعة من الفقهاء منهم سفيان بن عيينة وعبد الرزاق بن همام، وأنه أعطاهما الجوائز، ولقي الفضيلَ بن عياض، فذكر قصة طويلة تقدَّم بعضها في وعظ العلماء الملوك وذِكر وعظِه له، وفيه: فبكىٰ هارون وقال له: عليك دَين؟ قال: نعم، دَين لربِّي لم يحاسبني عليه، فالويل لي إن سألني وناقشني[2]. قال: إنما أعني من دَين العباد[3]. هذه ألف

---

(١) حلية الأولياء ٨/ ١٠٥ - ١٠٧.

(٢) بعده في الحلية: «والويل لي إن لم أُلهَم حجتي».

(٣) بعده في الحلية: «قال: إن ربي لم يأمرني بهذا، إنما أمرني أن أصدق وعده وأطيع أمره فقال: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝﴾ إلىٰ قوله: ﴿ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ۝﴾».

دينار، خذها فأنفِقْها علىٰ عيالك، وتَقَوَّ بها علىٰ عبادتك. فقال: سبحان الله! أنا أدلُّك علىٰ طريق النجاة وأنت تكافئني بمثل هذا؟ سلَّمك الله ووفَّقك. ثم صمت [فلم يكلِّمنا] قال: فخرجنا من عنده، فلما صِرْنا علىٰ الباب(١) فدخلت عليه امرأة من نسائه فقالت: ياهذا، قد ترىٰ ما نحن فيه من ضيق الحال، فلو قبلتَ هذا المال فتفرحنا به. فقال لها: مثلي ومثلكم كمثل قوم كان لهم بعير يأكلون من كسبه، فلمَّا كبر نحروه فأكلوا لحمه(٢).

(**وقال عبيد بن عمير**) بن(٣) قتادة الليثي، أبو عاصم المكي القاص، من كبار التابعين، مجمع علىٰ ثقته، روىٰ له الجماعة (**كان المسيح ابن مريم** عليه السلام **يلبس الشعر، ويأكل الشجر، وليس له ولد يموت، ولا بيت يخرب، ولا يدَّخر لغد، أينما أدركه المساءُ نام**)(٤) روىٰ ابن عساكر(٥) نحوه عن مجاهد، ولفظه: كان يلبس الشعر، ويأكل الشجر، ولا يخبأ اليوم لغدٍ، ويبيت حيث أواه الليل، لم يكن له ولد فيموت، ولا بيت فيخرب.

ورواه أحمد في الزهد(٦) عن سفيان: كان عيسىٰ عليه السلام لا يخبأ عَشاء لغداء، ولا غداء لعشاء، يقول: مع كل يوم وليلة رزقها، ليس له بيت يخرب.

وروىٰ ابن عساكر(٧) عن كعب أن عيسىٰ عليه السلام كان يأكل الشعير، ويمشي

---

(١) بعده في الحلية: «قال هارون: إذا دللتني علىٰ رجل فدلني علىٰ مثل هذا، هذا سيد المسلمين».

(٢) بعده في الحلية: «فلما سمع هارون هذا الكلام قال: ندخل فعسىٰ أن يقبل المال. فلما علم الفضيل خرج فجلس في السطح علىٰ باب الغرفة، فجاء هارون فجلس إلىٰ جنبه، فجعل يكلمه فلا يجيبه، فبينا نحن كذلك إذ خرجت جارية سوداء فقالت: يا هذا، قد آذيت الشيخ منذ الليلة، فانصرفْ رحمك الله. فانصرفنا».

(٣) تقريب التهذيب ص ٦٥١.

(٤) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه ١٢/ ٧، وأبو نعيم في حلية الأولياء ٣/ ٢٧٣.

(٥) تاريخ دمشق ٤٧/ ٤١٤.

(٦) ومن طريقه رواه أبو نعيم في حلية الأولياء ٧/ ٢٧٣. وسفيان هو ابن عيينة.

(٧) تاريخ دمشق ٤٧/ ٤١٧.

علىٰ رجليه، ولا يركب الدوابَّ، ولا يسكن البيوت، ولا يصطبح بالسراج، ولا يلبس القطن، ولم يمسَّ النساء، ولم يمسَّ الطِّيب، ولم يمزج شرابه بشيء قط، ولم يبرِّده، ولم يدهن رأسه قط [ولم يقرب رأسه ولحيته غسول قط] ولم يجعل بين الأرض وجلده شيئًا قط إلا لباسه، ولم يهتمَّ لغداء قط، ولا لعشاء قط، ولا اشتهىٰ شيئًا من شهوات الدنيا(١).

(وقالت امرأة أبي حازم لأبي حازم) سلمة بن دينار الأعرج المدني التابعي العابد الفقيه: **(هذا الشتاء قد هجم علينا، ولا بد لنا من الطعام والثياب والحطب. فقال لها أبو حازم: من هذا كله بدٌّ، ولكن لا بد لنا من الموت، ثم البعث، ثم الوقوف بين يدي الله تعالىٰ، ثم إلىٰ الجنة أو النار**(٢).

وقيل للحسن) البصري رحمه الله تعالىٰ وقد رُؤيَ عليه ثوب وسخ: **(لِمَ لا تغسل ثيابك؟ قال: الأمر أعجلُ من ذلك)**(٣) نقله صاحب القوت.

(وقال إبراهيم بن أدهم) رحمه الله تعالىٰ: **(قد حُجبت قلوبنا بثلاثة أغطية، فلن يُكشَف للعبد اليقين حتىٰ ترتفع هذه الحُجُب)** الأول: **(الفرح بالموجود، و)** الثاني: **(الحزن علىٰ المفقود، و)** الثالث: **(السرور بالمدح، فإذا فرحتَ بالموجود فأنت حريص)** والحريص محروم **(وإذا حزنتَ علىٰ المفقود فأنت ساخط، والساخط معذَّب، وإذا سُررت بالمدح فأنت معجَب، والعُجْب يحبط العملَ)** نقله

---

(١) تمام الأثر: «وكان يجالس الضعفاء والزمنىٰ والمساكين، وكان إذا قُرب إليه الطعام علىٰ شيء وضعه علىٰ الأرض، ولم يأكل مع الطعام إداما قط، وكان يجتزئ من الدنيا بالقوت القليل ويقول: هذا لمن يموت ويحاسَب عليه كثير».

(٢) رواه ابن سعد في الطبقات الكبرىٰ ٧/ ٥١٥، والدينوري في المجالسة وجواهر العلم ٢/ ١٤٠، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٢٢/ ٤٩.

(٣) رواه أحمد في الزهد ص ٢٢٥، وأبو نعيم في حلية الأولياء ٦/ ٢٧٠، وابن أبي الدنيا في قصر الأمل ص ٤٥، والبيهقي في الزهد الكبير ص ٢٢٦.

صاحب القوت. وقال أبو نعيم في الحلية[1]: حدثنا أبو عمرو عثمان بن محمد العثماني، حدثنا العباس بن أحمد الرملي، عن بعض أشياخه قال: قال إبراهيم بن أدهم: علىٰ القلب ثلاثة أغطية: الفرح والحزن والسرور، فإذا فرحتَ بالموجود فأنت حريص، والحريص محروم... وساقه إلىٰ آخره كسياق صاحب القوت، ثم قال: ودليل ذلك [كله] قوله تعالىٰ: ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾ [الحديد: ٢٣].

ثم قال صاحب القوت: وهذان الوصفان هما أتمُّ حالٍ في الزهد، مَن أُعطيَ أحدهما تبعَه الآخَرُ؛ لأن الذي لا يأسَىٰ علىٰ ما فاته من الدنيا هو الذي لا يفرح بما أتاه منها؛ لأنه مثله. والذي لا يفرح بما أتاه منها هو الذي لا يحزن علىٰ ما فاته منها؛ إذ هو نحوه، والأسَىٰ علىٰ المفقود بعد الفرح بالموجود، وهذان الوصفان هما ثمرة اليقين بما أُمِر به من ستر النصيب في الكتاب المبين ومشاهدة التوفية للنصيب لا محالة مع الزهد؛ لقوله تعالىٰ: ﴿أُولَٰئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ الْكِتَابِ﴾ [الأعراف: ٣٧] ثم أحكمه وفرغ منه؛ لقوله تعالىٰ: ﴿وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنقُوصٍ ﴿١٠٩﴾﴾ [هود: ١٠٩] كذلك كان أول الخبر عن فقد الأسىٰ علىٰ الفوت وترك الوجد بالفرح علىٰ ما لا يفوت، فأول الكلام قوله: ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ﴾ فهذا المنفصل عن النفس ﴿وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ﴾ وهذا المتصل بالجسم ﴿إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا﴾ [الحديد: ٢٢] نخلق النفس والمصيبة معًا، ثم عقَّبه بقوله: لكيلا تأسوا علىٰ الفوت فيقطعكم الحزنُ علىٰ المغيَّب، ولا تفرح بما لك بما قد كُتب في الكتاب فيشغلك السبب عن وليِّ الأسباب، وهذا وصفُ عبدٍ غير متملِّك لمُلكٍ، وسيما عبدٍ قائم بحكم ربٍّ، ونعتُ عبد موقن محب، قد شغلته مشاهدةُ الآخرة عن التفرُّغ لمتعة الدنيا، وقد فرَّغته معاينةُ الغيب عن الاشتغال بما يفنَىٰ. والله أعلم.

(وقال ابن مسعود رضي الله عنه: ركعتان من زاهد قلبه خير له وأحب إلىٰ الله من

---

(١) حلية الأولياء ٨/ ٣٤.

عبادة المتعبِّدين المجتهدين إلىٰ آخر الدهر أبدًا سرمدًا)[١] رواه مسروق عنه، كما في القوت.

قلت: وقد رُوي نحوه مرفوعًا من حديث أنس: «ركعتان من رجل ورعٍ أفضل من ألف ركعة من مخلِّط». رواه أبو نعيم[٢].

وروىٰ[٣] ابن النجار عن موسىٰ بن جعفر عن أبيه عن جده: «ركعتان من عالِم أفضل من سبعين ركعة من غير عالِم».

وروىٰ الشيرازي في الألقاب من طريق مالك بن دينار عن الحسن عن أنس عن علي رفعه: «ركعتان من عالِم بالله خير من ألف ركعة من متجاهل بالله».

(وقال بعض السلف: نعمة الله علينا فيما صرف عنا) من الدنيا **(أكثر من نعمته)** علينا **(فيما صرف إلينا)** نقله صاحب القوت.

(وكأنَّه التفت إلىٰ معنىٰ قوله ﷺ: إن الله يحمي عبده المؤمن من الدنيا وهو يحبه كما تحمون مريضَكم الطعام والشراب تخافون عليه) رواه أحمد وابن عساكر من حديث محمود بن لبيد، ورواه الحاكم من حديث أبي سعيد الخدري، وقد تقدم[٤].

وكان الفضيل يمثِّل حالَ المؤمن في الدنيا [مع الله] بالطفل مع أمه، يقول: إن الله يحمي عبده المؤمن من الدنيا [ويزويها عنه] ويعلِّله عنها ويمرِّرها عليه مرةً بالجوع، ومرة بالعري، ومرة بالحاجة والغم والكروب [والأذىٰ] كما تصنع

---

(١) تقدم هذا الأثر في الباب الثالث من كتاب الصلاة بلفظ: «ركعتان من زاهد أفضل من ألف ركعة من راغب في الدنيا».

(٢) تاريخ أصفهان ١/ ٢١١ - ٢١٢، وهو عند البيهقي في الشعب ١٠/ ٤٠٥ وضعفه.

(٣) الجامع الكبير للسيوطي ٥/ ١٧٣.

(٤) في كتاب ذم الغرور.

الوالدة الشفيقة بولدها، تعلِّله، مرة تسقيه صبرًا، ومرة حظظًا، ومرة تجرِّعه ألوان الأشربة والأغذية [وهو يبكي] تريد بذلك ما هو خير له من حيث لا يعلم[1].

(وإذا فُهِم هذا عُلم أن النعمة في المنع المؤدِّي إلىٰ الصحة أكثر منها في الإعطاء المؤدِّي إلىٰ السقم.

وكان) سفيان (الثوري) رحمه الله تعالىٰ (يقول: الدنيا دار التواء) أي هلاك (لا دار استواء) أي اعتدال وإقامة (ودار تَرَح) أي تعب وحزن (لا دار فرح، مَن عرفها لم يفرح برخاء) أي بسعة (ولم يحزن علىٰ شقاء)[2] أي ضيق وتعب. كذا في القوت.

(وقال) أبو محمد (سهل) التستري رحمه الله تعالىٰ: (لا يخلُص العملُ لمتعبِّد حتىٰ لا يفزع) أي لا يجزع ولا يخاف (من أربعة أشياء: الجوع والعري والفقر والذل) نقله صاحب القوت، ولفظه: لا يصح التعبُّد لأحد ولا يخلُص له عملٌ حتىٰ لا يجزع ولا يفرَّ من أربعة أشياء ... والباقي سواء.

(وقال الحسن البصري) رحمه الله تعالىٰ: (أدركت أقوامًا وصحبت طوائف ما كانوا يفرحون بشيء من الدنيا) إذا (أقبل) عليهم (ولا يأسفون علىٰ شيء منها) إذا (أدبر) عنهم (ولهي كانت في أعينهم أهون من التراب) فضلاً عن أن تكون مساوية له (كان أحدهم يعيش خمسين سنة أو ستين سنة) أو أقل أو أكثر (لم يطوله ثوب، ولم تُنصَب له قِدْر، ولم يجعل بينه وبين الأرض شيئًا) سوىٰ الثوب الذي علىٰ جسده (ولا أمر مَن في بيته بصنعة طعام قط) وإنما يأكل ما وجد وتيسَّر (فإذا كان

---

(١) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء ٨/ ٩١ بلفظ: «ليست الدار دار إقامة، وإنما أهبط آدم إليها عقوبة، ألا ترىٰ كيف يزويها عنه ويمررها عليه بالجوع مرة، وبالعري مرة، وبالحاجة مرة، كما تصنع الوالدة الشفيقة بولدها، تسقيه مرة حضضا، ومرة صبرا، وإنما تريد بذلك ما هو خير له». وبنحوه رواه الدينوري في المجالسة وجواهر العلم ٦/ ٤٢، ٧/ ١٤٢، ومن طريقه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٤٨/ ٣٩٦.

(٢) هذا الأثر رواه الديلمي في الفردوس بمأثور الخطاب ٥/ ٢٨١ مرفوعا من حديث عبد الله بن عمر.

الليل فقيامٌ علىٰ أقدامهم) في العبادة (**يفترشون وجوههم**) تذلُّلاً (**تجري دموعهم علىٰ خدودهم**) تخوُّفًا (**يناجون ربَّهم في فكاك رقابهم**) من النار (**كانوا إذا عملوا الحسنة دأبوا في شكرها**) حيث أنعم الله عليهم بها (**وسألوا الله أن يقبلها**) منهم (**وإذا عملوا السيئة أحزنتهم، وسألوا الله أن يغفرها لهم، فلم يزالوا علىٰ ذلك**) الحال والدؤب (**ووالله ما سَلِموا**) مع ذلك (**من الذنوب ولا نجوا إلا بالمغفرة**[1])[2].

رحمة الله عليهم ورضوانه، والله الموفِّق.

---

(١) في أ، وب: إلا بالعفو.

(٢) رواه أحمد في الزهد ص ٢٣١، وزاد في آخره: «وإنكم أصبحتم في أجل منقوص، والعمل محفوظ، والموت والله في رقابكم، والنار بين أيديكم، فتوقعوا قضاء الله عز وجل في كل يوم وليلة».

بيان درجات الزهد وأقسامه بالإضافة إلى نفسه وإلى المرغوب عنه وإلى المرغوب فيه

(اعلمْ) وفَّقك الله تعالىٰ **(أن الزهد في نفسه يتفاوت بحسب تفاوت قوَّته علىٰ درجات ثلاث)** وهي درجات الزاهد في بدايته:

(الدرجة الأولىٰ، وهي السفلىٰ منها: أن يزهد في الدنيا وهو لها مشتهٍ، وقلبه إليها مائل، ونفسه إليها ملتفتة، ولكنه يجاهدها ويكفُّها) ويجنِّبها الأسبابَ التي ذكرناها مع قِصَر الأمل **(وهذا يسمَّىٰ: المتزهِّد)** وهو الذي يتصنَّع الزهدَ ويعمل في أسبابه من التقلُّل ورثاثة الحال في كل شيء، فمثله مثل المتصبِّر من الصابر الذي يحمل علىٰ نفسه بالصبر ويصابرها علىٰ العلم والبِر، فيكون له مقام من الصبر **(وهو)** أي الزهد بالمعنىٰ المذكور **(مبدأ الزهد في حق مَن يصل إلىٰ درجة الزهد بالكسب والاجتهاد)** قال صاحب القوت: إن العبد قد يجاهد نفسه علىٰ الزهد، كما يجاهدها علىٰ مخالفة الهوىٰ، وكما يجاهدها في الصبر علىٰ مُرِّ الحق بأن يُخرِج المرغوبَ وينفق المحبوب ويتصبَّر علىٰ كراهة النفس لذوق ذلك ولقلة عادته بجريانه عليه، كما يتصبَّر علىٰ ذوق مرارة الدواء خشية أن يقتله الداء، فيكون له مقام في الزهد ينال به البِر ويستوجب مدحًا فيه[1]، وقد قال بعض البصريين من أهل المعرفة: إن مَن أكرهَ نفسه علىٰ إخراج المحبوب من ماله وحمل عليها بالزهد فيه حتىٰ بذله علىٰ تكرُّه من النفس، إن هذا أفضل ممَّن سمحت له نفسه ببذل ماله طوعًا من غير كراهة ولا وجدِ ثقلٍ، قالوا: لفضل المجاهدة فيه، ولكراهة النفس وإكراهها **(والمتزهِّد)** غير الزاهد، فإن المتزهِّد **(يذيب أولاً نفسه)** بأن يجاهدها

---

(١) في القوت: ويستوجب مدحا من البَر.

علىٰ الزهد (**ثم كيسه**) بإخراج المرغوب منه (**والزاهد أولاً يذيب كيسه**) بإخراج المحبوب من اليد في سبيل المطلوب (**ثم يذيب نفسه في الطاعات**) ويوطِّنها عليها (**لا في الصبر علىٰ ما فارقه**) وهذا من قول حاتم الأصم: الزاهد يذيب كيسه قبل نفسه، والمتزهِّد يذيب نفسه قبل كيسه. نقله القشيري (**والمتزهِّد علىٰ خطر**) لا يأمن علىٰ حاله (**فإنه ربما تغلبه نفسه وتجذبه شهوته فيعود إلىٰ الدنيا وإلىٰ الاستراحة بها في قليل أو كثير.**)

الدرجة الثانية: الذي يترك الدنيا طوعًا) أي اختيارًا، وجعله طاعة مع القدرة (**لاستحقاره إيَّاها بالإضافة إلىٰ ما طمع فيه كالذي يترك درهمًا لأجل**) تحصيل (**درهمين، فإنه لا يشقُّ عليه ذلك، وإن كان يحتاج إلىٰ انتظارٍ قليلٍ، ولكن هذا الزاهد يرىٰ لا محالة زهده ويلتفت إليه**) لأنه ترك شيئًا لشيء (**كما يرىٰ البائع المبيع ويلتفت إليه، فيكاد يكون معجبًا بنفسه وبزهده، ويظن في نفسه أنه ترك شيئًا له قدْرٌ لِما هو أعظم قدرًا منه، وهذا أيضًا نقصان.**)

الدرجة الثالثة، وهي العليا) منها: (**أن يزهد طوعًا**) أي اختيارًا (**ويزهد في زهده، فلا يرىٰ زهده؛ إذ لا يرىٰ أنه ترك شيئًا؛ إذ عرف أن الدنيا لا شيء**) في الحقيقة، كما ورد في الخبر: «إن الله تعالىٰ يقول للدنيا يوم القيامة: اسكتي يا لا شيء» (**فيكون كمَن ترك خزفة وأخذ جوهرة، فلا يرىٰ ذلك معاوضة، ولا يرىٰ نفسه تاركًا شيئًا**) كما قال بعض الزاهدين لبعض العارفين: لم يبقَ عليَّ من الدنيا إلا مص النوىٰ. فهذا يرىٰ هذا بعيدًا عن الرغبة، فقال: يا هذا، نظرُك إلىٰ مص النوىٰ لزهدك هو نفسه من الدنيا. أراد منه نسيان ذلك بالزهد في زهده علىٰ ترك النظر إلىٰ وصفه لِما يستغرقه في الجريان عليه، فلا يبقىٰ فيه همَّةٌ بغير مُجرِيه، ويكون بحكم المُجرِي فيه، فهذا مقام فوق الزهد متصل بغيره من القُرب المصطلم (**والدنيا بالإضافة إلىٰ الله تعالىٰ ونعيم الآخرة أخسُّ من خزفة بالإضافة إلىٰ جوهرة، فهذا هو الكمال في الزهد، وسببه كمال المعرفة**) وإنما تتفاوت مراتب الزهد بتفاوت

المعرفة (**ومثل هذا الزاهد آمِن من خطر الالتفات إلىٰ الدنيا، كما أن تارك الخزفة بالجوهرة آمِن من طلب الإقالة في البيع**) وفي القوت: وقال أبو سعيد ابن الأعرابي عن أشياخه: إنما الزهد عندهم خروج قدْر الدنيا من القلب؛ إذ هي [لا شيء[1]. ولا يكون في نفسه زاهدًا؛ لأنه لم يترك شيئًا؛ إذ كانت] لا شيء. وهذا لعَمْري هو الزهد في الزهد؛ لأنه زهدَ، ثم لم ينظر إلىٰ زهده فزهدَ فيه؛ إذ لم يره شيئًا؛ لأنه زهدَ في لا شيء، وهذا يشبه ما يقال: إن حقيقة الزهد هو الزهد في النفس؛ لأنه قد يزهد في الدنيا لنفسه طلبًا للعوض، فيكون ذلك رغبة علىٰ صفة، فإذا زهدَ في النفس التي يريد لها الأعواض علىٰ الزهد، فهو حقيقة الزهد، وهو يشبه قولَ مَن قال: إن حقيقة الزهد في الغِنىٰ هو الزهد في البقاء؛ لأن العبد ربما زهدَ في الغنىٰ ولم يزهد في البقاء [لحب الحياة الدنيا] فيكون فيه بقية من الرغبة، فإذا زهدَ في البقاء [واستشعر الفناءَ] فهو حقيقة الزهد في الغنىٰ؛ إذ كان الغنىٰ يُراد للبقاء، وإذ لا متعة بالبقاء بغير غنىٰ.

(**قال أبو يزيد**) البسطامي، وهو من أعلىٰ الطوائف إشارة وأغلقهم عبارةً (**لأبي موسىٰ**) هارون[2] بن سلمان الكوفي، مولىٰ عمرو بن حُرَيث المخزومي، روىٰ له أبو داود والترمذي والنسائي (**عبد الرحيم**) بن يحيىٰ الأسود الأرموي الدمشقي (**في أيِّ شيء تتكلم**[3]**؟ قال**): فقلت: (**في الزهد. قال**) أبو يزيد: (**في أيِّ شيء؟ قال**): فقلت: (**في الدنيا. فنفض يده**) وأعرض (**وقال: ظننت أنه يتكلم في شيء، الدنيا لا شيء، أيش يُزهَد فيها**)؟ أورده صاحب القوت، ولفظه: ثم قال:

---

(١) الزهد وصفة الزاهدين لابن الأعرابي ص ٧٦.

(٢) تقريب التهذيب ص ١٠١٤.

(٣) كذا فرق الزبيدي بين أبي موسىٰ وعبد الرحيم، وسمىٰ أبا موسىٰ هارون بن سلمان، وهو خطأ، فهارون من أتباع التابعين، وهو متقدم علىٰ أبي يزيد البسطامي بزمان. وفي القوت: «وقد كان أبو يزيد البسطامي يقول لهارون: أي موسىٰ، في أي شيء يتكلم عبد الرحيم». والعبارة مضطربة، والصواب هو ما في متن الإحياء: (وقال أبو يزيد لأبي موسىٰ عبد الرحيم: في أي شيء تتكلم).

يتكلم بالزهد في لا شيء، وأيُّ شيء الدنيا حتىٰ تُذكَر بالزهد فيها؟

ثم قال: وكانت رابعة رحمها الله تعالىٰ من قبله إذا ذكر جُلَساؤها الدنيا تقول: نوَّهتم بالدنيا إذ تذكرونها، أيُّ قدْر لها حتىٰ نقطع الوقت بذكرها؟ ولكن مَن أحب شيئًا أكثر من ذِكره[1].

(ومثل مَن ترك الدنيا للآخرة عند أهل المعرفة وأرباب القلوب المعمورة بالمشاهدات) العيانية **(والمكاشفات)** الربَّانية **(مثل مَن منعه من باب الملك كلبٌ)** جاثم **(علىٰ بابه، فألقىٰ إليه لقمة من خبز، فشغله بها، ودخل الباب، ونال القُرب)** والاتصال **(من الملك حتىٰ نفذ أمرُه في جميع مملكته، أفترىٰ أنه يرىٰ لنفسه يدًا عند الملك بلقمة خبز ألقاها إلىٰ كلبه في مقابلة ما قد ناله)** من القُرب؟ **(فالشيطان كلب)** جاثم **(علىٰ باب الله تعالىٰ يمنع الناس من الدخول، مع أن الباب مفتوح، والحجاب مرفوع)** والإذن حاصل **(والدنيا)** بأسرها **(كلقمة خبز، إن أُكِلت فلذَّتها في حال المضغ)** فقط **(وتنقضي)** تلك اللذة **(علىٰ القرب بالابتلاع، ثم يبقىٰ ثفلها في المعدة، ثم تنتهي إلىٰ النتن والقذر، ثم يحتاج بعد ذلك إلىٰ إخراج ذلك الثفل)** من كل وجه ولو بعلاج **(فمَن تركها لينال عز الملك كيف يلتفت إليها؟ ونسبة الدنيا كلها - أعني ما يَسلم لكل شخص منها وإن عُمِّر مائة سنة - بالإضافة إلىٰ نعيم الآخرة أقل من لقمة بالإضافة إلىٰ مُلك الدنيا؛ إذ لا نسبة للمتناهي إلىٰ ما لا نهاية له، والدنيا متناهية علىٰ القرب، ولو كانت تتمادَىٰ ألف ألف سنة صافية عن كل كدر لكان لا نسبة لها إلىٰ نعيم الأبد)** بوجه من الوجوة **(فكيف ومدة العمر قصيرة، ولذَّات الدنيا مكدَّرة غير صافية، فأيُّ نسبة لها إلىٰ نعيم الأبد؟ فإذًا لا يلتفت الزاهد**

---

(١) تقدم هذا الأثر في الباب الثالث من كتاب الصلاة بلفظ آخر. وقد رواه ابن أبي الدنيا في ذم الدنيا ص ١٨٤ وفي الزهد ص ٢٢٨ عن شيخه العباس بن الفضل البجلي قال: أكثر قوم ذم الدنيا عند رابعة، فقالت: أقلوا من ذم الدنيا، فإنه من أحب شيئا أكثر ذكره.وأورده الذهبي في سير أعلام النبلاء ٨/ ٢٤١ عن خالد بن خداش قال: سمعت رابعة صالحا المري يذكر الدنيا في قصصه، فنادته: يا صالح، من أحب شيئا أكثر من ذكره.

إلىٰ زهده إلا إذا التفت إلىٰ ما زهدَ فيه، ولا يلتفت إلىٰ ما زهد فيه إلا لأنه يراه شيئًا معتدًّا به، ولا يراه شيئًا معتدًّا به إلا لقصور معرفته، فسبب نقصان الزهد نقصان المعرفة.

فهذا تفاوُت درجات الزهد، وكل درجة من هذه لها أيضًا درجات؛ إذ تصبُّر المتزهِّد يختلف ويتفاوت أيضًا باختلاف قدْر المشقَّة في الصبر، وكذلك درجة المعجَب بزهده بقدر التفاته إلىٰ زهده) ثم اعلمْ أن المصنف رحمه الله تعالىٰ ذكر للزاهد ثلاث درجات، وهي أحواله في بدايته، وبقيت عليه درجتان، فالمجموع خمسة:

الأولىٰ منهما: أن يزهد في رؤيته لزهده؛ لعلمه بتوفيق الله ومنَّته، ورؤية التوفيق واجبة، وهي من عقود الإيمان بالله ولله؛ لتردُّدها بين الصفات الذاتية والفعلية، وهكذا في كل حال، قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾﴾ [النور: ٢١].

الثانية منهما، وهو مقام العارفين والمقرَّبين من الزهَّاد: وهو أن لا يكون له اختيار في إخراج الدنيا ولا في ادِّخارها؛ لأنه إذا علم مرادَ الله في الإخراج أخرج، وإذا علم مرادَ الله في الادِّخار ادَّخر؛ لأن بواعثه في الادِّخار والإخراج تهذَّبت وسكنت، وصار عبدًا مفقودًا لنفسه، موجودًا لسيده، فصار كفُّه خزانة من خزائن الله كمحلِّ الوديعة المنتظر بها قدوم مالكها عرفها وردَّها إليه. والله أعلم.

(وأما انقسام الزهد بالإضافة إلىٰ المرغوب فيه فهو أيضًا علىٰ ثلاث درجات:

الدرجة السفلىٰ: **أن يكون المرغوب فيه النجاة من النار ومن سائر الآلام كعذاب القبر، ومناقشة الحساب، وخطر الصراط، وسائر ما بين يدي العبد من الأهوال)** والشدائد **(كما وردت به الأخبار)** وتقدم ذِكرُها في آخر قواعد العقائد **(وفي الخبر: إن الرجل لَيوقَفُ في الحساب حتىٰ لو وردت مائةٌ من الإبل عطاشًا)**

من الحمض (**علىٰ عرقه لصدرت رِواءً**) قال العراقي[١]: رواه أحمد[٢] من حديث ابن عباس: «التقىٰ مؤمنان علىٰ باب الجنة، مؤمن غني ومؤمن فقير ...» الحديث، وفيه: «إني احتُبِست بعدك محبسًا فظيعًا كريهًا، وما وصلت إليك حتىٰ سال مني من العَرَق ما لو ورده ألفُ بعير كلها آكلة حَمْض لصدرتْ عنه رِواء». وفيه دُوَيد غير منسوب يُحتاج إلىٰ معرفته، قال أحمد: هذا حديث منكر.

قلت: بقية الحديث بعد قوله «ومؤمن فقير»: «كانا في الدنيا، فأُدخِل الفقير الجنة، وحُبس الغني ما شاء الله أن يُحبَس ثم أُدخِل الجنة، فلقيه الفقير فقال: أي أخي، ماذا حبسك؟ واللهِ لقد احتُبستَ حتىٰ خفتُ عليك. فقال: أي أخي، إني حُبستُ بعدك محبسًا فظيعًا كريهًا، وما وصلت إليك حتىٰ سال مني من العرق ...» ثم ساق الحديث. وقول العراقي نقلاً عن أحمد «هذا حديث منكر» يظهر في بادئ الرأي أنه قاله في المسند، وليس كذلك، بل ذكره عنه الخلاَّل في العلل[٣]، وليس هو في المسند؛ نبَّه عليه الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالىٰ.

وروىٰ الطبراني[٤] من حديث ابن مسعود: «إن الرجل لَيلجمُه العرقُ يوم القيامة فيقول: رب أرحني ولو إلىٰ النار».

(**فهذا هو زهد الخائفين، وكأنَّهم رضوا بالعدم لو أُعدِموا، فإن الخلاص من الألم يحصل بمجرد العدم**) لأن احتباس الغني إنما كان بسبب غناه.

(**الدرجة الثانية: أن يزهد رغبةً في ثواب الله ونعيمه واللذَّات الموعودة في جنَّته من الحور والقصور وغيرها، وهذا زهد الراجين، فإنَّ هؤلاء ما تركوا الدنيا قناعةً**

---

(١) المغني ٢/ ١١٠٧.

(٢) مسند أحمد ٤/ ٤٩١ - ٤٩٢.

(٣) المنتخب من كتاب العلل للخلال، لموفق الدين ابن قدامة المقدسي ص ٤٦ (ط - دار الراية).

(٤) المعجم الكبير ١٠/ ١٢٣. وفي رواية أخرىٰ له ١٠/ ١٣١: «إن الكافر ليحاسب يوم القيامة ...» فذكر مثله.

بالعدم والخلاص من الألم، بل طمعوا في وجودٍ دائم ونعيم سرمد) قائم (لا آخر له.

الدرجة الثالثة، وهي العليا) منها: (أن لا تكون له رغبة إلا في الله وفي لقائه، فلا يلتفت قلبه إلىٰ الآلام ليقصد الخلاص منها، ولا إلىٰ اللذات ليقصد نيلها والظفر بها، بل هو مستغرق الهم بالله تعالىٰ، وهو الذي أصبح وهمومه همٌّ واحد) روىٰ الحاكم[1] من حديث ابن عمر: «مَن جعل الهموم همًّا واحدًا كفاه الله ما أهمَّه من أمر الدنيا والآخرة ...» الحديث، وقد تقدم (وهو الموحِّد الحقيقي الذي لا يطلب غير الله تعالىٰ؛ لأن مَن طلب غير الله فقد عبدَه) روىٰ هناد في الزهد من حديث حذيفة: «مَن أصبح وأكبر همِّه غير الله فليس من الله في شيء»[2] (وكل مطلوبٍ معبودٌ، وكل طالب عبدٌ بالإضافة إلىٰ مطلبه، وطلبُ غير الله من الشرك الخفيِّ، وهذا زهد المحبِّين) وصاحب هذا المقام قد سباه الحبُّ وشغفه الشوقُ، فهو داخل في الخَلق، منفصل عنهم، غير مضيِّع لِما ألزمه الله من حقوقهم، فأنَّىٰ لإبليس أن يطمع في هذا ومعه من الله عصمةٌ وتأييد، فلولا القدَر لرفعه إليه من حبِّه له (وهم العارفون) المتمكِّنون، الداخلون مع الخَلق بالأجسام، الخارجون بالقلوب، وأحدهم منقطع إلىٰ ربِّه بهمِّه، ناظر إلىٰ مولاه بنظره إليه بما تولاَّه فتوحَّد له بوصفه من حيث اتَّجه له واحدُه بوجهه وتخلَّق له بخُلُقه لِما ألبسه من نوره فحجبه به عن خَلْقه، فهو ظاهريٌّ باطني نبوي ربَّاني، ينظر بعين التعديل، ظاهره حكمة، وباطنه قدرة، فهذا مقام زائد علىٰ حال الزهد، وهي صفات، فهذه الصفات يتحقَّق الموصوف بها بعد حقيقة زهده في الدنيا، فهي ثمرة حب الله تعالىٰ له عن فرع بغضه للدنيا عن أصل معرفته بمقت الله لها (لأنه لا يحب اللهَ خاصةً إلا مَن عرفه) إذ المحبة ثمرة المعرفة (وكما أن مَن عرف الدينار والدرهم وعلم أنه لا يقدر علىٰ

---

(١) المستدرك علىٰ الصحيحين ٤/ ٤٧٤.

(٢) هكذا أورده السيوطي في الجامع الكبير ٨/ ٥٦٨، ولم أقف عليه عند هناد. وهو عند الحاكم في المستدرك علىٰ الصحيحين ٤/ ٤٥٩، والبيهقي في شعب الإيمان ١٣/ ١١٣، والخطيب في تاريخ بغداد ١١/ ٩، وابن الجوزي في الموضوعات ٣/ ١٣٢.

الجمع بينهما لم يحب إلا الدينار) لعزَّته (**فكذلك مَن عرف الله وعرف لذة النظر إلىٰ وجهه الكريم، وعرف أن الجمع بين تلك اللذة وبين لذة التنعُّم بالحور العين والنظر إلىٰ نقش القصور وخضرة الأشجار**) وجريان الأنهار من تحتها (**غير ممكن، فلا يحب إلا لذة النظر**) إلىٰ وجهه الكريم (**ولا يؤثِر غيرَه**) عليها (**ولا تظننَّ أن أهل الجنة عند النظر إلىٰ وجه الله تعالىٰ يبقىٰ للذة الحور والقصور متسَع في قلوبهم، بل تلك اللذة بالإضافة إلىٰ لذة نعيم أهل الجنة كلذة مُلك الدنيا والاستيلاء علىٰ أطراف الأرض، ورقاب الخَلق بالإضافة إلىٰ لذة الاستيلاء علىٰ عصفور واللعب به والطالبون لنعيم الجنة عند أهل المعرفة وأرباب القلوب كالصبي الطالب للعب بالعصفور، التارك للذة المُلك، وذلك لقصوره عن إدراك لذة المُلك لا لأن اللعب بالعصفور في نفسه أعلىٰ وألذ من الاستيلاء بطريق المُلك علىٰ كافَّة الخَلق**) **فهذا** ما يتعلق بأقسام الزهد بالإضافة إلىٰ المرغوب فيه.

(**وأما انقسامه بالإضافة إلىٰ المرغوب عنه فقد كثرت فيه الأقاويل**) واختلف المشايخ فيه (**ولعل المذكور فيه يزيد علىٰ مائة قول**) رُويت عنهم بالأسانيد المعتبَرة (**فلا نشتغل بنقل**) تلك (**الأقاويل**) فإنه لا يفيد السالكَ في طريق الحق، بل تشتبه عليه الأحوال بالأحوال فيقع بذلك في حيرة وضلال (**ولكن نشير إلىٰ كلام محيط بالتفاصيل حتىٰ يتضح أن أكثر ما ذُكر فيه قاصر عن الإحاطة بالكل، فنقول: المرغوب عنه بالزهد له إجمال وتفصيل، ولتفصيله مراتب، بعضها أشرح لآحاد الأقسام، وبعضها أجمل للجمل، أما الإجمال في الدرجة الأولىٰ**) من الدرجات الثلاث (**فهو**) أي المرغوب عنه (**كل ما سوىٰ الله، فينبغي أن يزهد فيه حتىٰ يزهد في نفسه أيضًا**) فإنه أيضًا ممَّا سوىٰ الله (**والإجمال في الدرجة الثانية أن يزهد في كل صفة للنفس فيها متعة**) أي بقاء لها وإمساك لقوَّتها (**وهذا يتناول جميعَ مقتضيات الطبع من الشهوة والغضب والكبر والرياسة والمال والجاه وغيرها**) من كل ما تقتضيه النفسُ (**وفي الدرجة الثالثة أن يزهد في المال والجاه وأسبابهما؛ إذ إليهما**

ترجع جميع حظوظ النفس) كما تقدم ذلك في ذم المال والجاه **(وفي الدرجة الرابعة أن يزهد في العلم والقدرة والدينار والدرهم والجاه؛ إذ الأموال وإن كثرت أصنافها فيجمعها الدينار والدرهم والجاه، وإن كثرت أسبابه فيرجع إلىٰ العلم والقدرة، وأعني به كل علم وقدرة مقصوده مَلْك القلوب؛ إذ معنىٰ الجاه)** كما سبق **(هو مَلْك القلوب والقدرة عليها، كما أن معنىٰ المال هو مَلْك الأعيان والقدرة عليها، فإن جاوزت هذا التفصيل إلىٰ شرح وتفصيل أبلغ من هذا فيكاد يخرج ما فيه من الزهد عن الحصر، وقد ذكر الله تعالىٰ في آية واحدة سبعة منها فقال تعالىٰ: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ﴾ ثم قال: ﴿ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾)** [آل عمران: ١٤] فوصف حب الشهوات بالتزيين، ثم نسَّق الأوصاف السبعة علىٰ الحب لها، ثم أشار إليها بقوله «ذلك»، فـ «ذا» إشارة إلىٰ الكاف، والكاف كناية عن المذكور المتقدم المنسوق، واللام بين «ذا» والكاف للتمكين والتوكيد، فحصل من تدبُّر الخطاب أن هذه السبعة جملة الدنيا المرغوب عنها، وأن الدنيا هي هذه الأوصاف السبعة وما تفرَّع من الشهوات رُدَّ إلىٰ أصل من أصول هذه الجمل، فمَن أحب جميعَها فقد أحب جملة الدنيا نهاية الحب، ومَن أحب أصلاً منها أو فرعًا من أصل فقد أحب بعض الدنيا، فعلمنا بنص الكلام أن الشهوة دنيا، وفهمنا من دليله أن الحاجات التي تقع ضرورات ليست بدنيا، فإذا لم تكن الحاجة دنيا دلَّ أنها لا تسمَّىٰ شهوة **(ثم ردَّه)** أي مجموع هذه الأوصاف السبعة **(في آية أخرىٰ إلىٰ خمسة معانٍ (فقال تعالىٰ: ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ﴾)** [الحديد: ٢٠] فهذه الخمسة وصفُ مَن أحب تلك السبعة **(ثم ردَّه)** أي مجموع تلك الخمسة **(في موضع آخر)** من كتابه العزيز **(إلىٰ)** معنيين **(اثنين)** هما جامعان للسبعة **(فقال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾** [محمد: ٣٦] **ثم ردَّ الكلَّ)** من الموضعين **(إلىٰ)** وصف **(واحد في موضع آخر)** من كتابه العزيز وعبَّر عنه بمعنيين، فصارت الدنيا ترجع إلىٰ شيئين جامعين مختصرين، يصلُح

أن يكون كل واحد منهما هو الدنيا، فالوصف الواحد الذي رُدَّ الاثنين إليه اللذان هما اللهو واللعب هو الهوىٰ، واندرجت السبعة فيه (**فقال تعالىٰ:** ﴿وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝٤٠ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ۝٤١﴾) [النازعات: ٤٠ - ٤١] فصارت الدنيا طاعة النفس للهوىٰ، بدليل قوله تعالىٰ: ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ۝٣٧ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ۝٣٨ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ۝٣٩﴾ [النازعات: ٣٧ - ٣٩] (**فـ «الهوىٰ» لفظ**) جامع (**يجمع جميع حظوظ النفس في الدنيا**) فإذ كانت الجنة ضد الجحيم كان الهوىٰ هو الدنيا؛ لأن النهي عنه ضد الإيثار له، فمَن نهىٰ نفسه عن الهوىٰ فإنه لم يؤثِر الدنيا، وإذا لم يؤثِر الدنيا فهذا هو الزهد كانت له الجنة التي هي ضد الجحيم التي هي لمَن لم ينهَ نفسَه عن الهوىٰ بإيثاره الدنيا، فصارت الدنيا هي طاعة الهوىٰ وإيثاره في كل شيء (**فينبغي أن يكون الزهد عنه**) أي يكون الزهد عبارة عن مخالفة الهوىٰ من كل شيء (**وإذا فهمتَ طريق الإجمال والتفصيل عرفتَ أن البعض من هذه لا يخالف البعض، وإنما يفارقه في الشرح مرةً، والإجمال أخرىٰ**) وأما المعنىٰ الآخر الذي عبَّر به عن هذا الوصف الذي هو الهوىٰ فجعله دنيا أيضًا وهو حب البقاء لمتعة النفس فقد أشار إليه المصنف بقوله: (**فالحاصل أن الزهد عبارة عن الرغبة عن حظوظ النفس كلها، ومهما رغبَ عن حظوظ النفس رغب عن البقاء في الدنيا فقصُرَ أملُه لا محالة، لأنه إنما يريد البقاء ليتمتَّع، ويريد التمتُّع الدائم بإرادة البقاء، فإنَّ مَن أراد شيئًا أراد دوامه، ولا معنىٰ لحب الحياة إلا حب دوام ما هو موجود أو ممكن في هذه الحياة، فإذا رغب عنها لم يُرِدْها**) واستُنبِط هذا المعنىٰ من كلام الله تعالىٰ، كما أشار إليه المصنف بقوله: (**ولذلك لمَّا كُتب عليهم القتال**) أي فُرض الجهاد في سبيل الله أخبر عنهم الله تعالىٰ بقوله: (﴿وَقَالُواْ رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا ٱلْقِتَالَ لَوْلَآ أَخَّرْتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾) [النساء: ٧٧] فالقتال هو فراق الحياة الدنيا؛ لأنه المشي بالسيف إلىٰ السيف، والفناء بين السيفين، فقالوا: هلاَّ أبقيتنا إلىٰ وقت آخر وهو أجلُنا بالموت لا بالقتل، وهذا هو حب البقاء، ففُسِّر حب البقاء بأنه هو الدنيا (**فقال تعالىٰ:** ﴿قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا

قَلِيلٌ وَٱلْأَخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ﴾ [النساء: ٧٧] **أي لستم تريدون البقاء إلا لمتاع الدنيا)** فانكشف الناس (**فظهر عند ذلك الزاهدون، وانكشف حال المنافقين**) بالافتضاح، وابتُلي هنالك المؤمنون عند فرض القتال (**أما الزاهدون المحبُّون لله تعالىٰ فقاتلوا في سبيل الله**) كما أخبر عنهم الله تعالىٰ في كتابه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا﴾ أي مصطفِّينَ (﴿كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ۝٤﴾) [الصف: ٤] في[1] تراصِّهم من غير فرجة، والرَّص: اتصال بعض البناء بالبعض واستحكامه (**وانتظروا إحدىٰ الحُسنيين**) مثنَّىٰ الحسنىٰ تأنيث الأحسن، كما قال تعالىٰ: ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ﴾ [التوبة: ٥٢] (**وكانوا إذا دُعوا إلىٰ القتال يستنشقون رائحة الجنة**) ويرون الحور العِين عيانًا (**ويبادرون إليه**) أي إلىٰ القتال (**مبادرة الظمآن**) في الهاجرة (**إلىٰ الماء البارد حرصًا علىٰ نصرة دين الله**) لتكون كلمة الله هي العليا (**أو نيل رتبة الشهادة، وكان مَن مات منهم علىٰ فراشه يتحسَّر علىٰ فوت الشهادة**) لعلوِّ رتبتها عندهم (**حتىٰ إن**) سيف الله أبا سليمان (**خالد ابن الوليد**) بن المغيرة بن عبد الله المخزومي القرشي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (**لمَّا احتضر للموت علىٰ فراشه**) بالمدينة علىٰ الأصح، أو بمدينة حِمص علىٰ الأشهر (**كان يقول: كم غررتُ بروحي وهجمت علىٰ الصفوف طمعًا في الشهادة، وأنا الآن أموت موت العجائز**[2]. **فلما مات عُدَّ علىٰ جسده ثمانمائة ثقب من آثار الجراحات**) في سبيل الله، شهد[3] غزوة مؤتة، وكان الأمير الثالث[4]، وأبلىٰ في غزوة الفتح بلاء حسنًا، ثم شهد حنينًا، والطائف

---

(١) أنوار التنزيل للبيضاوي ٥/ ٢٠٨.

(٢) رواه الدينوري في المجالسة وجواهر العلم ٣/ ١٩٤ ومن طريقه ابن عساكر في تاريخ دمشق ١٦/ ٢٧٣ عن عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه: أن خالد بن الوليد لما حضرته الوفاة بكىٰ وقال: لقد لقيت كذا وكذا زحفا، وما في جسدي شبر إلا وفيه ضربة بسيف أو رمية بسهم أو طعنة برمح، فها أنا أموت علىٰ فراشي حتف أنفي كما يموت البعير، فلا نامت أعين الجبناء.

(٣) الإصابة في تمييز الصحابة ٣/ ٧٠ - ٧٤.

(٤) بل الأمير الرابع بعد زيد بن حارثة، وجعفر بن أبي طالب، وعبد الله بن رواحة.

في هدم العزَّىٰ، واليرموك وأسر أكيدر دومة، وقاتل أهل الرِّدَّة قتالاً عظيمًا، وافتتح دمشق. قال ابن سعد في الطبقات[1]: أخبرنا محمد بن عبيد، حدثنا إسماعيل بن أبي خالد، عن زياد مولىٰ آل خالد قال: قال خالد عند موته: ما كان في الأرض ليلة أحب إليَّ من ليلة شديدة الجليد في سريَّة من المهاجرين أصبِّح بهم العدوَّ، فعليكم بالجهاد. وروىٰ أبو يعلىٰ[2] من طريق إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم قال: قال خالد: ما ليلة يُهدَىٰ إليَّ فيها عروس أنا لها محبٌّ أو أُبشَّر فيها بغلام أحب إليَّ من ليلة شديدة الجليد ... فذكر نحوه. وقال ابن المبارك في كتاب الجهاد[3]: عن حماد بن زيد، حدثنا عبد الله بن المختار، عن عاصم ابن بهدلة، عن أبي وائل - ثم شك حمادٌ في أبي وائل - قال: لما حضرت خالدًا الوفاةُ قال: لقد طلبتُ القتل مَظانَّه، فلم يقدَّر لي إلا أن أموت علىٰ فراشي، وما من عملي شيء أرجىٰ عندي بعد «لا إله إلا الله» من ليلة بتُّها وأنا متترِّس [بفرسي] والسماء تهلني ننتظر إلىٰ صبح حتىٰ نغير علىٰ الكفار.

(هكذا كان حال الصادقين في الإيمان، وأما المنافقون ففرُّوا من الزحف خوفًا من الموت، فقيل لهم: ﴿إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ﴾ [الجمعة: ٨] **فإيثارهم البقـاء)** في الدنيا **(علىٰ الشهادة استبدال الذي هو أدنىٰ بالذي هو خير، فأولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة)** يعني رغبوا في البقاء الأدنىٰ لِما اشتروه ببيع البقاء الآخِر الأعلىٰ الأبقىٰ إذ باعوه **(فما ربحت تجارتُهم)** فمَن اشترىٰ ثلاثين سنة أو أربعين سنة بألف ألف وبأبد الآباد فكيف تربح تجارته؟ **(وما كانوا مهتدين)** أي ممَّن هُديَ سبيله، فهذه تجارة مَن رغب في حياة دنيَّة فاشتراها ببقاء أبد الآباد، فقد صار بائعًا للحياة العالية بما استبدل به من اشتراء الحياة الدانية

---

(١) الطبقات الكبرىٰ ٥/ ٣٦.

(٢) مسند أبي يعلىٰ ١٣/ ١٤١.

(٣) الجهاد ص ٨٨ (ط - دار المطبوعات الحديثة).

(وأما المخلصون فإن الله تعالىٰ اشترىٰ منهم أنفسهم وأموالهم بأنَّ لهم الجنة) فهم لأنفسهم وأموالهم بائعون، كما قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ الآية [التوبة: ١١١] **(فلمَّا رأوا أنهم تركوا تمتُّع عشرين سنة مثلاً أو ثلاثين سنة بتمتُّع الأبد استبشروا ببيعهم الذي بايعوا به)** كما قال تعالىٰ: ﴿فَٱسۡتَبۡشِرُواْ بِبَيۡعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعۡتُم بِهِۦ﴾ [التوبة: ١١١] فشتَّان بين التجارتين، وفرقان ما بين الربحين **(فهذا بيان المزهود فيه)** فإذا كان حب البقاء هو الدنيا فينبغي أن يكون حب لقاء الله الباقي هو الزهد، فصار الزهد في الدنيا هو الزهد في البقاء، وصارت الرغبة في البقاء مثل اتِّباع الهوىٰ الذي هو الدنيا، فمَن زهد في الحياة الفانية للمتعة بها وفي ماله المجموع بالجهاد للنفس والإنفاق في سبيل الله فقد زهد في الدنيا، ومَن زهد فيها أحبَّه الله تعالىٰ، ولذلك صار الجهاد من أفضل الأعمال؛ لأنه حقيقة الزهد في الدنيا، ولأن الله يحب مَن زهد فيها كأنَّه قد قتل نفسه فيها فاستعجل الخروجَ إليه منها [ليرضىٰ] ثم كانت مخالفة الهوىٰ أفضل الجهاد؛ لأنه هو حقيقة الرغبة في الدنيا، فالزاهد في هوىٰ نفسه هو حبيب ربِّه، والراغب في حب البقاء لنفسه منافق في دين ربِّه، وبه كشف الله الكاذبين ووصفهم بمرض القلوب. وظهر ممَّا ذكرنا أن حقيقة الدنيا هو حب البقاء لطاعة الهوىٰ، وموافقة الهوىٰ في حب العَرَض لأجل البقاء من الدنيا، فدخل أحد هذين في الآخَر؛ لأن حب البقاء لأجل المتعة هو من الهوىٰ الذي هو صفة النفس الأمَّارة بالسوء، وطاعة الهوىٰ الذي هو عيش النفس إنما يكون لحب البقاء؛ لأن العبد لو أيقن بالموت ساعة لآثر الحقَّ علىٰ الهوىٰ، ولو أيسَ من البقاء لَما رغب في العَرَض الأدنىٰ، فصار حب البقاء من الهوىٰ، وصار إيثار الهوىٰ إنما هو لحب البقاء، فكان ذلك هو حقيقة الدنيا، فصار أقصر الناس أملاً للبقاء أزهدهم في الدنيا، وصار أرغب الناس في الدنيا أطولهم أملاً **(وإذا فهمت هذا علمتَ أن ما ذكره المتكلمون)** من الصوفية **(في حدِّ الزهد لم يشيروا به إلا إلىٰ بعض أقسامه، فذكر كل واحد منهم ما رآه غالبًا علىٰ نفسه)** إذ كان مقامًا له أُقيمَ فيه أو حالاً له **(أو علىٰ مَن كان يخاطبه)** فخاطبه علىٰ قدْر حاله أو مقامه **(فقال بشر)** بن

الحارث الحافي رحمه الله تعالىٰ: **(الزهد في الدنيا هو الزهد في الناس)**[1] وفي ملاقاتهم. إذ الرغبة هي فيهم وفيما عندهم. نقله صاحب القوت. وقال في موضع آخر: وكان بشر يقول: الزهد في الدنيا هو الزهد في الناس. لأنه كان يقول: حب لقاء الناس هو من الدنيا[2] [فهذا جعل الرغبة هم الناس] لأنه المرغوب فيه عندهم، ويتسبَّب إليه بهم، فلذلك صار الزهد فقدهم، ولذلك قال بعض الحكماء: إذا طلب الزاهد الناسَ فاهربْ منه، وإذا هرب من الناس فاطلبْه[3]. وهذا هو حال الزاهد العابد المشغول بنفسه **(وهذا إشارة إلىٰ الزهد في الجاه خاصةً)** ومثله قول السري: مارستُ كلَّ شيء من أمر الزهد فنلت منه ما أريد إلا الزهد في الناس، فإني لم أبلغه ولم أطقْه. رواه القشيري عن أبي عبد الله الصوفي، سمعت أبا الطيِّب السامري يقول: سمعت الجنيد يقول: سمعت السري يقول... فذكره.

(وقال قاسم) بن عثمان **(الجوعي)** الدمشقي، منسوب إلىٰ ربيعة الجوع[4]، وقيل: كان يجوع كثيرًا. وقد سبق ذِكرُه **(الزهد في الدنيا هو الزهد في الجوف، فبقدْر ما تملك من بطنك كذلك تملك من الزهد)** فكأنَّ الدنيا عنده هي الشبع وأكل الشهوات وتناوُل المطعوم من غير الحاجات عن فضول الكفايات. نقله صاحب القوت **(وهذا إشارة إلىٰ الزهد في شهوة واحدة)** وهي شهوة البطن **(ولعَمْري هي**

---

(١) وروىٰ أبو نعيم في حلية الأولياء ٧/ ٦٩ مثله عن سفيان الثوري، وزاد: «وأول الزهد في الناس زهدك في نفسك».

(٢) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء ٨/ ٣٤٣ بلفظ: «حب لقاء الناس حب الدنيا، وترك لقاء الناس ترك الدنيا». ورواه البيهقي في الزهد الكبير ص ١٠٧ وابن الأعرابي في الزهد ص ٦٢ بلفظ: «حب الدنيا حب لقاء الناس، والزهد في الدنيا الزهد في لقاء الناس».

(٣) عزاه الصفدي في الوافي بالوفيات ١٧/ ٢٤١ لعبد الله بن المعتز. وفي عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة ص ٥١ من كلام أفلاطون: إذا هرب الحكيم من الناس فاطلبه، وإذا طلبهم فاهرب منه.

(٤) ربيعة الجوع: بطن من تميم، من العدنانية، وهم بنو ربيعة بن مالك بن زيد مناة بن تميم بن أد بن طابخة، ويعرفون أيضا بربيعة الكبرىٰ. معجم قبائل العرب ٢/ ٤٢٤.

أغلب الشهوات على الأكثر، وهي المهيِّجة لأكثر الشهوات.

وقال الفضيل) بن عياض رحمه الله تعالى: **(الزهد في الدنيا هو القناعة)**[1] فكانت الدنيا عنده هي الحرص والشَّره والضراعة. وفي لفظ له: القناعة هي الزهد **(وهذا إشارة إلى المال خاصةً.**

وقال) سفيان **(الثوري)** رحمه الله تعالى: **(الزهد هو قِصَر الأمل)** وانتظار الموت. فصارت الدنيا عنده طول الأمل ونسيان قرب الأجل. كذا في القوت. وقال القشيري في الرسالة: سمعت أبا عبد الرحمن السلمي يقول: حدثنا أحمد ابن إسماعيل الأزدي، حدثنا عمران بن موسى الإسفنجي، حدثنا الدورقي، حدثنا وكيع قال: قال سفيان الثوري: الزهد في الدنيا قِصَر الأمل، ليس بأكل الغليظ ولا بلبس العباء[2] **(وهو جامع لجميع الشهوات، فإنَّ مَن يميل إلى الشهوات يحدِّث نفسه بالبقاء فيطول أملُه، ومَن قصُرَ أملُه)** واستشعر سرعة موته وفراقه للدنيا **(فكأنَّه رغب عن الشهوات كلِّها)** وقد رُوي مثل قول سفيان أيضًا عن أحمد بن حنبل وعيسى بن يونس وغيرهما. قال القشيري: وهذا الذي قالوه يُحمَل على أنه من أمارات الزهد والأسباب الباعثة [عليه] والمعاني الموجِبة له.

(وقال أُوَيس) بن عامر القَرَني رحمه الله تعالى – وهو سيد التابعين في قول – لرجل سأله عن الزهد: **(إذا خرجتَ تطلب)** أي الرزق **(ذهب الزهد عنك)** ولفظ القوت: إذا خرج العبد يطلب ذهب الزهدُ. وقال مرةً لبعض مَن سأله عن الزهد: في أيِّ شيء خرجتَ؟ فقال: أطلب المعاش. فقال له: فأين الزهد؟ يعني أن الزهد عنده أن يُقطَع العبد بدوام الشغل بالله عن التفرُّغ لطلب ما سوى الله، وأن ينسى

---

(١) رواه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله ١/ ٤٣٠ عن إبراهيم بن الأشعث قال: سألت الفضيل ابن عياض عن الزهد، فقال: الزهد القناعة، وهو الغنى.

(٢) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء ٦/ ٣٨٦، وابن أبي الدنيا في الزهد ص ٦٣، والبيهقي في الزهد الكبير ص ١٩٣.

في جنب ذِكر الله ترك الطلب[١] شغلاً بما يَرِدُ عليه من المطلوب، فلا يبقىٰ فيه فراغ المرغوب، فهذا غاية الزهد، وهو طريق طائفة من الأبدال اقتُطِعوا عن الخَلق وأُريدوا بهذه الحال. كذا في القوت (**وما قصد بهذا حد الزهد، ولكن جعل التوكل شرطًا في الزهد**) أي لا يكمُل مقامُ الزهد إلا بالتوكل علىٰ الله تعالىٰ.

(**وقال أويس**) رحمه الله تعالىٰ (**أيضًا: الزهد هو تركُ الطلب للمضمون**) أي الذي ضمنه الله تعالىٰ لعباده وأقسم عليه (**وهو إشارة إلىٰ الرزق**) وهو بمعنىٰ ما تقدم. قال هرم بن حيَّان: لقيتُه علىٰ شاطئ الفرات يغسل كِسَرًا وخِرَقًا قد التقطها من المنبوذ، وكان ذلك أكله ولبسه. قال: فسألتُه عن الزهد أيُّ شيء هو؟ فقال: في أيِّ شيء خرجتَ؟ قلت: أطلب المعاش. قال: إذا وقع الطلب ذهب الزهد.

(**وقال**) بعض العلماء من (**أهل الحديث: الدنيا هو العمل بالرأي والمعقول، والزهد إنما هو اتِّباع العلم وطريق السنَّة**) قال صاحب القوت: وهذا القول من الظواهر يشبه قولَ علماء الظاهر، كما روينا عن سفيان قال: قالوا للزهري: ما الزهد؟ قال: ما لا يغلب الحرامُ صبره، ولا يمنع الحلالُ شكره[٢]. يعني أن يكون العبد صابرًا عن الحرام حتىٰ لا تغلبه شهوةُ الحرام، ويكون شاكرًا في الحلال حتىٰ لا يغلبه الحلال فيشغله عن الشكر (**وهذا إن أريدَ به الرأي الفاسد والمعقول الذي يُطلَب به الجاه في الدنيا فهو صحيح، ولكنه إشارة إلىٰ بعض أسباب الجاه خاصةً، أو إلىٰ بعض ما هو من فضول الشهوات، فإنَّ من العلوم ما لا فائدة فيه في الآخرة**) بل يكون وبالاً فيها وسببًا لهلاكه (**وقد طوَّلوها**) أي تلك العلوم (**حتىٰ ينقضي عمرُ الإنسان في الاشتغال بواحد منها، فشرطُ الزاهد أن يكون الفضول أول مرغوب عنه عنده**) وإلا لم يخلُص له الزهد.

---

(١) في القوت بعد قوله «لطلب ما سوىٰ الله»: «وأن لا يشغله عن ذكر الله ذكر ما قطع عن الله، ولم يكن الزهد يصح عنده إلا بحقيقة التوكل، وكأن التوكل عنده ترك الطلب ...» الخ.

(٢) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء ٣/ ٣٧١، ٧/ ٢٨٧، والبيهقي في شعب الإيمان ٦/ ٣٠٥، ١٣/ ٢٥٢، وابن أبي الدنيا في الزهد ص ٥٨. وسفيان هو ابن عيينة.

وقال صاحب القوت: ومن الزهد عند الزاهدين: تركُ فضول العلوم التي معلوماتها تؤول إلىٰ الدنيا وتدعو إلىٰ الجاه والمنزلة عند أبنائها وفيما لا نفع فيه في الآخرة ولا قُربة به عند الله، وقد تشغل عن عبادة الله تعالىٰ، وتفرِّق الهمَّ عن اجتماعه بين يدي الله تعالىٰ [وتقطع الجوارح عن المعاملة لله] وتقسِّي القلبَ [عن ذِكر الله]، وتحجُب عن التفكُّر في آلائه وعظمته، وقد أُحدِثت علوم كثيرة لم تكن تُعرَف فيما سلف، اتَّخذها الغافلون علمًا، وجعلها البطَّالون شغلاً، انقطعوا بها عن الله، وحُجبوا بها عن مشاهدة علم الحقيقة، لا نستطيع ذِكرها لكثرة أهلها إلا أن يُسئل عن شيء منها أعلمٌ هو أم كلام؟ أحقٌّ أو تشبيه؟ أصدقٌ وحكمة أو زخرف وغرور؟ أسنَّة هو أم بدعة؟ أعتيق أم محدَث وتشديق؟ فحينئذٍ نخبر بصواب ذلك.

(**وقال الحسن**) البصري رحمه الله تعالىٰ: (**الزاهد: الذي إذا رأىٰ أحدًا قال: هذا أفضل مني**)[1] قال صاحب القوت: (**فذهب إلىٰ أن الزهد هو التواضع**) وقد قال يوسف بن أسباط: غاية التواضع أن تخرج من بيتك فلا ترىٰ أحدًا إلا رأيتَ أنه خير منك. رواه أبو نعيم في الحلية[2] (**وهذا إشارة إلىٰ نفي الجاه والعُجب، وهو بعض أقسام الزهد.**

وقال بعضهم: الزهد) إنما (**هو طلبُ الحلال**) وأنه واجب مفترَض في مثل زماننا هذا؛ لاختلاط الأشياء وغلبة الشهوات، وهو قول عارفي أهل الشام وطريقة عُبَّادهم مثل إبراهيم بن أدهم وسليمان الخَوَّاص ويوسف بن أسباط وحذيفة

---

(١) رواه البيهقي في شعب الإيمان ١٠/ ٥١١ وابن الأعرابي في الزهد وصفة الزاهدين ص ٥٤ وأبو نعيم في حلية الأولياء ٦/ ٣١٤ وابن أبي الدنيا في الزهد ص ١٤١ عن معاوية بن عبد الكريم الثقفي قال: ذُكر عند الحسن الزهد، فقال بعضهم: اللباس، وقال بعضهم: المطعم، وقال بعضهم كذا، فقال الحسن: لستم في شيء، الزاهد الذي إذا رأىٰ أحدا قال: هذا أفضل مني.

(٢) حلية الأولياء ٨/ ٢٣٨ عن تميم بن سلمة قال: قلت ليوسف بن أسباط: ما غاية الزهد؟ قال: أن لا تفرح بما أقبل، ولا تأسف علىٰ ما أدبر. قلت: فما غاية التواضع؟ قال: أن تخرج من بيتك فلا تلقىٰ أحدا إلا رأيت أنه خير منك.

المرعشي وأبي إسحاق الفزاري وشعيب بن حرب والداراني ووُهَيب بن الورد وفضيل بن عياض، وهم عشرة معروفون بأكل الحلال، قالوا: فقد تعيَّن فرضُ الزهد، ووجب تفقُّد المطاعم والسؤال عنها؛ لقلة المتقين وفقدِ الورعين (**وأين هذا ممَّن يقول: الزهد هو تركُ الطلب، كما قال أويس**) رحمه الله تعالىٰ، وذُكر قريبًا (**ولا شك في أنه**) أي أويسًا (**أراد به ترك طلب الحلال**) ولكلٍّ من القولين وجهٌ (**وقد كان يوسف بن أسباط**) الشيباني رحمه الله تعالىٰ (**يقول: مَن صبر على الأذىٰ وترك الشهوات وأكل الخبز من الحلال فقد أخذ بأصل الزهد**)[1] نقله صاحب القوت.

(**وفي الزهد أقاويل**) كثيرة (**وراء ما نقلناه، فلم نرَ في نقلها فائدة**) مع أن بعضها عند التأمُّل يرجع إلىٰ بعض ما ذُكر، فمن ذلك قول بعضهم: الزهد أن لا تفرح بموجود من الدنيا ولا تتأسَّف علىٰ مفقود منها. نزع بذلك إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾ [الحديد: ٢٣] وقال أبو عثمان: الزهد أن تترك الدنيا ثم لا تبالي بمَن أخذها. وقال أبو علي الدَّقَّاق: الزهد أن تترك الدنيا كما هي، لا تقول: أبني بها رباطًا ولا أعمر مسجدًا. وقال ابن الجلاء: الزهد هو النظر إلىٰ الدنيا بعين الزوال؛ لتصغر في عينيك فيسهُل عليك الإعراضُ عنها[2]. وقال الجنيد: الزهد: خلوُّ القلب ممَّا خلت منه اليد. وقال ابن المبارك: الزهد هو الثقة بالله مع حب الفقر. وبه قال شقيق البلخي ويوسف بن أسباط. قال القشيري: وهذا أيضًا من أمارات الزهد، فإنه لا يقوَىٰ العبد علىٰ الزهد إلا بالثقة بالله. وقال عبد الواحد بن زيد: الزهد: تركُ الدينار والدرهم[3]. وسأل

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في الزهد ص ٢١٣، والبيهقي في الزهد الكبير ص ١٧٥، وابن الأعرابي في الزهد وصفة الزاهدين ص ٦٥.

(٢) رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٦/ ٨٩.

(٣) قول ابن المبارك وقول عبد الواحد بن زيد رواهما البيهقي في الزهد الكبير ص ٧٩ من طريق محمد ابن يعقوب ابن الفرجي.

رويمٌ الجنيدَ عن الزهد، فقال: هو استصغار الدنيا ومحو آثارها من القلب[١]. ويُروَىٰ عنه أيضًا: الزهد: خلوُّ اليد من المِلك، وخلو القلب من التتبُّع[٢]. وقال الشِّبْلي: الزهد: أن تزهد فيما سوىٰ الله تعالىٰ. وقال ذو النون: الزهد في الدنيا هو الزهد في النفس[٣]. وقال الحسن البصري: الزهد في الدنيا أن تبغض أهلها وتبغض ما فيها. وقال بعضهم: الزهد في الدنيا هو تركُ ما فيها علىٰ مَن فيها[٤]. فهذه ثلاثة عشر قولاً نقلها القشيري في الرسالة.

وفي القوت: وقالت طائفة: الزهد هو بغض المَحمدة وأن لا تحب أن تُحمَد علىٰ شيء من أعمالك. وقال آخَرون: الدنيا هي الأكل واللباس والمال، والزهد هو تركُ فضول هذه الأشياء. وقال آخرون: حقيقة الدنيا هو حب الشرف والعلو وطلبُ العز والرياسة. فينبغي أن يكون الزهد عند هؤلاء هو حب الخمول والذلة وطلبُ الخضوع والضعة. وقال آخرون: الزهد: مفارقة حظوظ النفس في كل شيء. وكان سفيان يقول: الزهد في الدنيا هو الصبر علىٰ الحق في كل شيء. وسُئل حاتم الأصم عن الزهد، فقال: رأسه الثقة بالله، ووسطه الصبر، وآخره الإخلاص[٥]. فأدخل فيه التوكلَ وجعله أوله؛ لأنه لا يزهد حتىٰ يثق بالله في الرزق ويتوكل عليه فيه، وجعل الصبر حالاً منه، أراد الثبات عليه لئلاً يميل أو يخرج فيرجع إلىٰ الرغبة [والدنيا] وجعل نهايته الإخلاص، وهذا إخلاص الصادقين أن

---

(١) رواه البيهقي في الزهد الكبير ص ٦٦ - ٦٧ عن إبراهيم بن فاتك.

(٢) رواه البيهقي في الزهد الكبير ص ٦٦. وفيه: الأموال، بدل: الملك.

(٣) في الرسالة القشيرية: «وقال رجل لذي النون المصري: متىٰ أزهد في الدنيا؟ فقال: إذا زهدت في نفسك».

(٤) رواه البيهقي في الزهد الكبير ص ١٤٤ عن محمد بن يعقوب ابن الفرجي قال: أشرفت علىٰ راهب في صومعته، فقلت له: ما الزهد في الدنيا؟ فقال: ترك ما فيها علىٰ من فيها. ورواه في موضع آخر ص ٣٤١ من قول علي بن محمد المزين البغدادي.

(٥) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء ٨/ ٧٥، ١٠/ ٢٢١، والخطيب في تاريخ بغداد ٩/ ١٥٣، وأبو الشيخ في طبقات المحدثين بأصفهان ٤/ ١٧٩.

تريد بذلك وجهَ الله وحده وابتغاء مرضاته، لا تطلُّعًا إلىٰ عوض، ولا تطلُّبًا لسبب هو دون الله تعالىٰ، وكذلك جعل أحمد بن حنبل الإخلاص هو الزهد، ففسَّره به؛ لأنه إذا بلغ حقيقةَ الإخلاص لله وحده فقد زهدَ فيما سواه، فاتفقا بمعنًىٰ تقاربا فيه، أما أحدهما ففسَّر الزهد بالإخلاص وجعله نهايته وهو حاتم، وأحمد عبَّر عن الإخلاص بالزهد؛ لأنه حقيقته. وأما أيوب السختياني فإنه سُئل عن الزهد ما هو؟ فقال: هو أن تقعد في بيتك، فإن كان قعودك لله رضا وإلا خرجتَ، تنفق درهمك، فإن كان لله رضا وإلا أمسكتَ، تمسك مالك، فإن كان لله رضا وإلا أخرجتَه، تسكت، فإن كان سكوتك لله رضا وإلا تكلمت، تتكلم، فإن كان كلامك لله رضا وإلا سكت، هذا هو الزهد، وإلا فلا تتعبوا[1]. وهذا مقام المحاسبة للنفس، وحال المراقب للرب، ووصفُ المُراعي للوقت، فجعل الدنيا هي تركُ موافقة رضا الله تعالىٰ في كل شيء؛ إذ جعل الزهد فيها هو اتِّباع مرضاته في الأشياء. وقال مجاهد: الزهد: الأثرة لله علىٰ ما سواه، إذا أتاه شيءٌ من الدنيا استعمل الخوف والحياء، فيؤدِّي إلىٰ كل ذي حقٍّ حقَّه. وكان ابن عيينة يقول: حد الزهد أن يكون شاكرًا عند الرخاء، صابرًا عند البلاء[2]. فهذا قد صيَّر الشاكر علىٰ النعمة والصابر علىٰ البليَّة زاهدًا، وجمع له الزهد باجتماع الشكر والصبر، وهذا زهد عموم المؤمنين. وقيل ليحيىٰ بن معاذ: متىٰ يكون الرجل زاهدًا؟ فقال: إذا بلغ حرصُه في ترك الدنيا حرص الطالب لها كان زاهدًا. وقال الداراني: الزهد: التخلِّي عن الدنيا والاشتغال بالعبادة. فأما مَن تركها وتبطَّل فإنما طلب الراحة لنفسه. وقال سهل: أول الزهد التوكل، وأوسطه إظهار القدرة. وقال أيضًا: لا يزهد العبد زهدًا حقيقيًّا لا رجعة

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في الزهد ص ٢١٣ عن شيخه علي بن أبي مريم - ومن طريقه ابن الأعرابي في الزهد ص ٦٦.

(٢) رواه البيهقي في شعب الإيمان ٦/ ٢٥٢ وابن الأعرابي في الزهد ص ٥٨ عن علي ابن المديني قال: قيل لسفيان بن عيينة: ما حد الزهد؟ قال: أن يكون شاكرا في الرخاء، صابرا في البلاء، فإذا كان كذلك فهو زاهد. وقيل له: ما الشكر؟ قال: أن يجتنب ما نهىٰ الله عنه.

بعده إلا بعد مشاهدة قُدَره. وقال بعضهم: الزهد هو إخفاء الزهد[١]. وقال سهل: لا يُنال الزهد إلا بالخوف؛ لأن مَن خاف ترك. فجعل الزهد مقامًا في الخوف، رفعه عليه. وفي الخبر: «إنما الزهد أن تكون بما في يد الله تعالىٰ أوثق منك بما في يدك»[٢]. فهذا مقام التوكل. وقال قوم: الزهد هو تركُ الادِّخار. فكانت الدنيا عندهم الجمع [والإمساك]. وقال بعضهم: الدنيا ما شغل القلبَ واهتمَّ به [وقطعه عن تضرُّعه لله]. فجعلوا الزهد ترك الاهتمام وطرح النفس تحت تصريف الأحكام، وهذا هو التفويض والرضا. وقال الداراني: التورُّع أول الزهد[٣]. وقال أبو هشام المغازلي: الزهد: قطعُ الآمال، وإعطاء المجهود، وخلع الراحة[٤]. وقال ابن السَّمَّاك: الزهد أن لا يفرح بشيء من الدنيا أتاه، ولا يحزن علىٰ شيء منها فاته، لا يبالي علىٰ عسر أصبح أم علىٰ يسر[٥]. وقال طيفور البسطامي: الزهد أن لا يَملِك ولا يُملَك[٦]. وقال علماء الظاهر: الزهد في الدنيا موافقة العلم، والقيام بأحكام الشرع،

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في الزهد ص ٦١ عن عبد الله بن المبارك، والدينوري في المجالسة وجواهر العلم ١/ ٣٧٧ عن وهيب بن الورد، كلاهما بلفظ: أفضل الزهد إخفاء الزهد. وأورده الشريف الرضي في نهج البلاغة من كلام علي رضي الله عنه. شرح نهج البلاغة ١٨/ ٢٦٦.

(٢) رواه الترمذي في سننه ٤/ ١٦٣ وابن ماجه في سننه ٥/ ٥٥١ من حديث أبي ذر الغفاري قال: قال رسول الله ﷺ: «ليست الزهادة في الدنيا بتحريم الحلال ولا في إضاعة المال، ولكن الزهادة في الدنيا أن لا تكون بما في يديك أوثق منك بما في يد الله، وأن تكون في ثواب المصيبة إذا أصبت بها أرغب منك فيها لو أنها أبقيت لك».

(٣) بعده في القوت: ولا حد لآخره. وقد رواه أبو نعيم في حلية الأولياء ٩/ ٢٥٧ وابن أبي الدنيا في الزهد ص ١٥٩ بلفظ: «القناعة أول الرضا، والورع أول الزهد». ورواه البيهقي في الزهد الكبير ص ٣١٢ بلفظ: «الورع أول الزهد، كما أن القناعة طرف من الرضا».

(٤) رواه ابن أبي الدنيا في الزهد ص ١٥٩، والبيهقي في الزهد الكبير ص ٧٥، وابن الأعرابي في الزهد وصفة الزاهدين ص ٦٣.

(٥) رواه ابن أبي الدنيا في الزهد ص ٢١٤. ورواه ابن الأعرابي في الزهد ص ٦٧ من طريق ابن أبي الدنيا. ورواه أبو نعيم في حلية الأولياء ٨/ ٢٠٤.

(٦) في القوت: «يأتي عليَّ وقت لا أملك شيئا ولا يملكني شيء، ففي هذا الوقت يصح أن أسمىٰ زاهدا». وفي موضع آخر: «ليس الزاهد من لا يملك شيئا، إنما الزاهد من لا يملكه شيء».

وأخذُ الشيء من وجهه، ووضعُه في حقِّه، وما خالف العلمَ فهو جهلٌ كله وهوًىٰ. فذكروا فرض الزهد وظاهره، ولم يعرفوا غرائبه وباطنه، ذلك مبلغهم من العلم ونصيبهم من الفهم، وهو مقامهم من المقال وطريقهم المشوب بالاعتلال. وقال الجنيد: الزهد معنيان ظاهر وباطن، فالظاهر نفض ما في الأيدي من الأملاك وتركُ طلبِ المفقود، والباطن زوال الرغبة عن القلب ووجود العزوف والانصراف عن ذكر ذلك.

فهذه الأقوال مع ما ذكره المصنف تنيف علىٰ أربعين قولاً، وإنما لم يرَ المصنف في نقلها فائدةً (**فإنَّ مَن طلب كشف حقائق الأمور من أقاويل الناس رآها مختلفة، فلا يستفيد إلا الحيرة، وأما مَن انكشف له الحقُّ في نفسه وأدركه بمشاهدة من قلبه لا بتلقُّف من سمعه فقد وثقَ بالحق واطَّلع علىٰ قصور مَن قصَّر لقصور بصيرته وعلىٰ اقتصار مَن اقتصر مع كمال المعرفة لاقتصار حاجته، وهؤلاء كلهم اقتصروا لا لقصور في البصيرة لكنهم ذكروا ما ذكروه عند الحاجة، فلا جَرَم ذكروه بقدْر الحاجة، والحاجات تختلف، فلا جَرَم الكلمات تختلف، وقد يكون سبب الاقتصارِ الإخبارُ عن الحالة الراهنة التي هي مقام العبد في نفسه، والأحوال تختلف، فلا جَرَم الأقوال المخبرة عنها تختلف، وأما الحق في نفسه فلا يكون إلا واحدًا، ولا يُتصوَّر أن يختلف**) علىٰ الصحيح مذهب الأصوليين (**وإنما الجامع من هذه الأقاويل الكامل في نفسه وإن لم يكن فيه تفصيلٌ ما قاله**) قارئ أهل الشام الإمام (**أبو سليمان**) أحمد بن محمد بن عبد الرحمن (**الداراني**) رحمه الله تعالىٰ (**إذ قال: سمعنا في الزهد كلامًا كثيرًا، والزهد عندنا تركُ كل شيء يشغلك عن الله عَزَّوَجَلَّ**)[1] ولفظ القشيري: قال الداراني: الزهد: تركُ ما يشغل عن الله تعالىٰ. ولفظ

---

(١) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء ٩/ ٢٥٨ بلفظ: اختلفوا علينا في الزهد بالعراق، فمنهم من قال: الزهد في ترك لقاء الناس، ومنهم من قال: في ترك الشهوات، ومنهم من قال: في ترك الشبع، وكلامهم قريب بعضه من بعض، وأنا أذهب إلىٰ أن الزهد في ترك ما يشغلك عن الله.

القوت: وكان الداراني أبو سليمان يقول: الدنيا كل ما شغل عن الله. وكأنَّ الزهد عنده دوام التفرُّغ لله تعالىٰ بحُسن الإقبال عليه. ا.هـ. وقال شارح الرسالة: أراد بترك ما يشغل عن الله، أي بقلبه، وإلا فهو من ثمرات الزهد، فقد يترك الإنسان ما يشغله عن الله لا لزهده بل لشغله بما هو أشرف منه. ا.هـ. هذا علىٰ سبيل الإجمال (**وقد فصَّلَ مرةً وقال: مَن تزوج أو سافر في طلب المعيشة أو كتب الحديث فقد ركن إلىٰ الدنيا**[1]. **فجعل جميع ذلك ضدًّا للزهد**) ويقرُب من قول الداراني قولُ داود الطائي: كل ما شغلك عن الله تعالىٰ من أهل أو مال فهو عليك مشؤم[2].

(**وقرأ أبو سليمان**) الداراني (**قوله تعالىٰ: ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ۝٨٩﴾** [الشعراء: ٨٩] **فقال: هو القلب الذي ليس فيه غير الله**)[3] فهذا زهد الصدِّيقين، وإنما تكون هذه الثلاث دنيا لمَن أراد بها الدنيا لعاجل متعة النفس بها، فأما مَن أراد بها الآخرة فهي طرقات له إلىٰ الآخرة.

(**وقال**) مرةً: (**إنما زهدوا في الدنيا لتفرغ قلوبُهم عن همومها للآخرة**) فإذا رُزق العبد فراغ القلب مع وجود هذه الثلاث التي ذُكرت كنَّ له قربات إلىٰ المذكور بها. وقد كان رحمه الله تعالىٰ ذا عيال، و[لكن] لم يكن يشغله ذلك عن أوقاته مع الله، ولا يدخلون عليه في مقامه فيخرجونه من المقام. كذا في القوت.

(**فهذا بيان أقسام الزهد بالإضافة إلىٰ أصناف المزهود فيه، فأما بالإضافة إلىٰ أحكامه فينقسم إلىٰ فرض ونفل وسلامة، كما قاله إبراهيم بن أدهم**) رحمه الله تعالىٰ (**فالفرض هو الزهد في الحرام، والنفل هو الزهد في الحلال، والسلامة هو**

---

(١) تقدم هذا الأثر في كتاب العلم والنكاح والعزلة.

(٢) الصحيح أن ذلك من قول أبي سليمان الداراني، كما تقدم في كتاب كسر الشهوتين.

(٣) رواه عبد الجبار الخولاني في تاريخ داريا ص ٥٢ بلفظ: «القلب السليم الذي يلقىٰ الله وليس فيه أحد غيره».

الزهد في الشبهات)[١] فكأنَّه جعل الورع زهدًا وهو التوسُّط بين الزهدين: زهد عموم بداية، وزهد خصوص نهاية[٢] **(وقد ذكرنا تفاصيل درجات الورع في كتاب الحلال والحرام)** وقال سلام بن أبي مطيع: الزهد علىٰ ثلاثه وجوه، واحد: أن يخلص العمل لله والقول فلا يريد بشيء منه الدنيا ولا ما عند الخلق، والثاني: تركُ ما لا يصلُح به القلب والدين [والعمل بما يصلح] والثالث: الحلال أن يزهد في فضله، وهذا تطوُّع[٣].

وقال القشيري: اختلف الناس في الزهد، فمنهم مَن قال: الزهد في الحرام؛ لأن الحلال مباح من قِبَل الله تعالىٰ، فإذا أنعم الله علىٰ عبد بمال من حلال وتعبَّدَه بالشكر عليه فتركُه له باختياره وبحق لا يُقدَّم علىٰ إمساكه له بحق إذنه. ومنهم من قال: الزهد في الحرام واجب، وفي الحلال فضيلة، فإن إقلال المال - والعبد صابر في حاله، راضٍ بما قسم الله له، قانع بما يعطيه - أتمُّ من توسُّعه وتبسُّطه في الدنيا. ومنهم مَن قال: إذا أنفق [العبد] ماله في الطاعة وعلم من حاله الصبر وترك التعرُّض لِما نهاه الشرع عنه في حال العسر فحينئذٍ يكون زهده في المال الحلال أتم منه في الحرام. ومنهم مَن قال: ينبغي [للعبد] أن لا يختار ترك الحلال بتكلُّفه، ولا طلب الفضول ممَّا لا يحتاج إليه، ويراعي القسمة، فإن رزقه الله مالاً من حلال شكره، وإن وقفه الله علىٰ حدِّ الكفاف لم يتكلَّف في طلب ما هو فضول المال، فالصبر أحسن بصاحب الفقر، والشكر أليق بصاحب المال [الحلال].

---

(١) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء ٨/ ٢٦، ١٠/ ١٣٧، والبيهقي في شعب الإيمان ١٣/ ٢٥٢، وابن أبي الدنيا في الزهد ص ٦٩.

(٢) في القوت: «وهذا هو أفضل الزهد، وهو التوسط بين زهدين: زهد الفرض وزهد الفضل وهو زهد خصوص، وهو نهاية الزهد».

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في الزهد ص ٢١١، وزاد في آخره: وهو أدناها.

ومن طريق ابن أبي الدنيا رواه أبو نعيم في حلية الأولياء ٦/ ١٨٨، وابن الأعرابي في الزهد وصفة الزاهدين ص ٦٤.

وقال صاحب القوت: وكان الشاميون من العلماء يقولون: ليست الزهادة في الدنيا تحريم الحلال ولا إضاعة المال، ولكن أن يكون ذامُّك ومادحك سواء، وتكون حالك في المصيبة وحالك إذا لم تُصَب بها سواء، وتكون بما في يد الله أوثق منك بما في يد غيرك، فهذا مقام التوكل وحال الرضا **(وذلك من الزهد؛ إذ قيل لمالك بن أنس: ما الزهد؟ قال: التقوىٰ)** فأصل[١] التقوىٰ اتِّقاء الشرك، ثم بعده اتقاء المعاصي والسيئات، ثم بعده اتقاء الشبهات، ثم يَدَع بعده الفضلات. وقال أبو حفص: التقوىٰ في الحلال المحض لا غير[٢]. وقال الداراني: الورع أول الزهد، كما أن القناعة طرف من الرضا[٣]. وقال ابن عطاء: للتقوىٰ ظاهر وباطن، فظاهره محافظة الحدود، وباطنه النية والإخلاص[٤].

وكان سهل يقول: أزهدُ الناس في الدنيا أصفاهم مطعمًا. وقال أيضًا: أقصىٰ مقام من الورع أدنىٰ مقام من الزهد. وتحقيق ذلك: أن الدنيا هي نصيب كل عبد من الهوىٰ وما دنا من قلبه من الشهوات، فمَن زهد في نصيبه وملكه من هواه المذموم فهذا هو الزهد المفترَض، ومَن زهد في نصيبه من المباح وهو فضول الحاجات من كل شيء فهذا هو الزهد المفضَّل، يرجع ذلك إلىٰ حظوظ جوارحه التي هي أبواب الدنيا منه وطرقها إليه، فالزهد في محرَّماتها زهدُ المسلمين، به يحسُن إسلامُهم، والزهد في شُبهاتها زهدُ الورعين، به يكمُل إيمانُهم، والزهد في حلالها من فضول حاجات النفس زهدُ الزاهدين، به يصفو يقينُهم. وفي حديث عمرو بن ميمون عن الزبير أن النبي ﷺ قال له: «يا زبير، اجهدْ نفسَك عند نزول الشهوات والشُّبهات بالورع الصادق عن محارم الله وادخل الجنة بغير حساب».

---

(١) الرسالة القشيرية ص ٢٠٢ - ٢٠٤، ٢١١.

(٢) رواه البيهقي في الزهد الكبير ص ٣٤٠.

(٣) تقدم هذا الأثر قريبا.

(٤) رواه البيهقي في الزهد الكبير ص ٣٤٠.

(وأما بالإضافة إلىٰ خفايا ما يتركه فلا نهاية للزهد فيه؛ إذ لا نهاية لِما تتمتَّع به النفس في الخطرات واللحظات وسائر الحالات لا سيَّما خفايا الرياء، فإنَّ ذلك لا يطَّلع عليه إلا سماسرة العلماء) أي نُقَّادهم وجهابذتهم. وفي القوت: ومن أفضل الزهد: الزهد في الرياسة علىٰ الناس، وفي المنزلة والجاه عندهم، والزهد في حب الثناء والمدح منهم؛ لأن هذه المعاني هي أكبر أبواب الدنيا عند العلماء، فالزهد فيها هو زهد العلماء، كان سفيان الثوري يقول: الزهد في الرياسة ومدحِ الخَلق أشد من الزهد في الدينار والدرهم[١]. قال: لأن الدينار والدرهم قد يُبذَلان في طلب ذلك. وكان يقول: هذا باب غامض لا يبصره إلا سماسرة العلماء. وقال الفضيل: نقلُ الصخور من الجبال أيسر من إزالة رياسة قد ثبتت في قلبِ جاهلٍ[٢].

قلت: وقال أحمد بن أبي الحواري: حدثنا إسحاق بن خلف قال: الورع في المنطق أشد منه في الذهب والفضة، والزهد في الرياسة أشد منه في الذهب والفضة؛ لأنك تبذلهما في طلب الرياسة[٣].

وقد رُوي عن يوسف بن أسباط نحوه، كما في الحلية[٤].

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل ١/ ٨٧ ضمن رسالة طويلة كتبها سفيان إلىٰ عباد بن عباد الخواص، ولكن بلفظ: «احذر المنزلة وحبها، فإن الزهد فيها أشد من الزهد في الدنيا». ثم رواه ١/ ٨٩ من طريق يوسف بن أسباط قال: أراد سليمان الخواص أن يركب البحر، فقالوا له: لا بد لنا من أمير. فقال: أنا أميركم. فبلغ ذلك سفيان الثوري، فكتب إليه: الزهد في الرياسة أشد من الزهد في الدنيا. فلما قرأ الكتاب قال: لست لكم بأمير. ورواه أبو نعيم في حلية الأولياء ٦/ ٣٨٧ عن يحيىٰ بن جابر أن سفيان كتب إلىٰ أخ له: احذر حب المنزلة ... فذكره. ورواه البيهقي في الزهد الكبير ص ٧٢ من طريق عبد العزيز بن أبان أن سفيان قال: الزهد في الرياسة أشد من الزهد في الدنيا.

(٢) رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٥٨/ ٢٨٣ من قول المضاء بن عيسىٰ الدمشقي، ولكن بلفظ: «لإزالة الجبال من مواضعها أهون من إزالة رياسة قد ثبتت».

(٣) رواه البيهقي في الزهد الكبير ص ٣١٩، ومن طريقه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٨/ ٢٠٥.

(٤) حلية الأولياء ٨/ ٢٣٨ بلفظ: الزهد في الرياسة أشد من الزهد في الدنيا.

(**بل الأمور الظاهرة أيضًا درجات الزهد فيها لا تتناهىٰ، فمن أقصىٰ درجاتها زهدُ عيسىٰ عليه السلام؛ إذ توسَّد حجرًا في نومه، فقال له الشيطان: أما كنت تركتَ الدنيا؟ فما الذي بدا لك؟ قال: وما الذي تجدَّد؟ قال: توسُّدك الحجر**. أي تنعَّمتَ برفع رأسك عن الأرض في النوم، **فرمىٰ الحجر وقال: خذْه مع ما تركتُه لك**) ولفظ القوت: ولا نهاية للزهد عند طائفة من العارفين؛ لأنه قد يقع عن نهاية معارفهم بدقائق أبواب الدنيا وخفايا لوائح الهوىٰ. وقال بعضهم: نهاية الزهد أن تزهد في كل شيء وتتورَّع عن كل شيء للنفس فيه متعة وبه راحة [وبوجوده لها استراحة]. فهذا كما رُوي عن عيسىٰ عليه السلام أنه وضع تحت رأسه حجرًا، فكأنَّه لمَّا ارتفع رأسه عن الأرض استراح بذلك، فعارضه إبليس فقال: يا ابن مريم، ألست تزعم أنك زهدت في الدنيا؟ قال: نعم. قال: فهذا الذي وطأتَه تحت رأسك من أيِّ شيء هو؟ قال: فرمىٰ عيسىٰ بالحجر وقال: هذا لك مع ما تركتُ [من الدنيا].

قلت: أخرجه ابن عساكر عن الحسن البصري قال: إن عيسىٰ عليه السلام مرَّ به إبليس يومًا وهو متوسِّد حجرًا وقد وجد لذَّة النوم، فقال له: يا عيسىٰ [ألست] تزعم أنك لا تريد شيئًا من عَرَض الدنيا؟ فهذا الحجر من عَرَض الدنيا. فقام عيسىٰ عليه السلام [غضبان] فأخذ الحجر فرمىٰ به وقال: هذا لك مع الدنيا(١).

(و) مثله (**رُوي عن يحيىٰ بن زكريا عليهما السلام أنه لبس المسوح حتىٰ نقب جلدُه**) أي أثَّرَ فيه لخشونته، وكان عليه السلام قد طلب من أمِّه ذلك حين مرَّ ببيت المقدس ورأىٰ الرهبان لابسين ذلك (**تركًا للتنعُّم بليِّن اللباس واستراحة حس اللمس، فسألته أمُّه أن يلبس مكان المِسح جُبَّة من صوف**) لأنه ألين من الشعر (**ففعل**) طاعةً لأمه؛ لأنه كان بارًّا بها (**فأوحىٰ الله تعالىٰ إليه: يا يحيىٰ، آثرتَ عليَّ الدنيا؟! فبكىٰ ونزع الصوف وعاد إلىٰ ما كان عليه**) ولبس مدرعته من الشعر. نقله صاحب القوت.

---

(١) تقدمت هذه القصة في كتاب عجائب القلب، وفي كتاب التوبة.

(وقال أحمد) ابن حنبل رحمه الله تعالىٰ: **(الزهد زهدُ أويس)** القَرَني رحمه الله تعالىٰ **(بلغ من العري إلىٰ أن جلس في قوصرة)** نقله صاحب القوت. والقوصرة بالتخفيف والتثقيل: وعاء للتمر يُتخَذ من قصب.

(وجلس عيسىٰ عليه السلام في ظل حائط إنسان، فأقامه صاحب الحائط، فقال: ما أقمتَني أنت، إنما أقامني الذي لم يرضَ لي أن أتنعَّم بظل الحائط) رواه ابن عساكر[1] عن أبي سليمان الداراني قال: بينما عيسىٰ عليه السلام يمشي في يوم صائف وقد مسَّه الحر والشمس والعطش، فجلس في ظل خيمة، فخرج إليه صاحب الخيمة فقال: يا عبد الله، قمْ من ظلِّنا. فقام عيسىٰ وجلس في الشمس وقال: ليس أنت الذي أقمتني، إنما أقامني الذي لم يُرِدْ أن أصيب من الدنيا شيئًا.

(فإذًا درجات الزهد ظاهرًا وباطنًا لا حصر لها) إذ لا نهاية لمعارف الزاهدين بدقائق أبواب الدنيا وخفايا لوائح الهوىٰ **(وأقل درجاته الزهدُ في كل شبهة ومحظور)** وهو زهدُ الورعين، به يكمُل إيمانُهم، كما سبق قريبًا **(وقال قوم: الزهد هو الزهد في الحلال لا في الشبهة والمحظور، فليس ذلك من درجاته في شيء. ثم رأوا أنه لم يبقَ حلالٌ في أموال الدنيا، فلا يُتصوَّر الزهد الآن)** رُوي ذلك عن جماعة، منهم يوسف بن أسباط، قال صاحب الحلية[2]: حدثنا محمد ابن إبراهيم، حدثنا محمد بن الحسن بن قتيبة، حدثنا المسيب بن واضح: سألت يوسف بن أسباط عن الزهد ما هو؟ قال: أن تزهد فيما أحلَّ اللهُ، فأما ما حرَّم اللهُ فإن ارتكبتَه عذَّبك الله. وحدثنا أبو محمد ابن حيان، حدثنا محمد ابن يحيىٰ، حدثنا الحسين بن منصور، حدثنا علي بن محمد الطنافسي، حدثنا سهل أبو الحسن: سمعت يوسف بن أسباط يقول: لو أن رجلاً في ترك الدنيا مثل أبي ذر وسلمان

---

(١) تاريخ دمشق ٤٧/ ٤١٩ - ٤٢٠. ورواه أيضا: ابن أبي الدنيا في الزهد ص ٦٥، والدينوري في المجالسة وجواهر العلم ٣/ ٣٩٣.

(٢) حلية الأولياء ٨/ ٢٣٧، ٢٣٨.

وأبي الدرداء ما قلنا له زاهد؛ لأن الزهد لا يكون إلا في الحلال المحض، والحلال المحض لا يُعرَف اليوم.

(فإن قلتَ: مهما كان الصحيح هو أن الزهد) هو (تركُ ما سوىٰ الله، فكيف يُتصوَّر ذلك مع الأكل والشرب واللبس ومخالطة الناس ومكالمتهم؟ وكل ذلك اشتغال بما سوىٰ الله تعالىٰ. فاعلمْ أن معنىٰ) العزوف و(الانصراف عن الدنيا إلىٰ الله تعالىٰ هو الإقبال بكل القلب عليه ذكرًا وفكرًا) والتوجُّه بكُنْه الهمَّة إليه (ولا يُتصوَّر ذلك إلا مع البقاء، ولا بقاء إلا بضروريات النفس) ممَّا تحتاج إليه اضطرارًا (فمهما اقتصرتَ من الدنيا علىٰ دفع المهلكات عن البدن وكان) قصدك و(غرضك الاستعانة بالبدن علىٰ العبادة لم تكن مشتغلاً بغير الله، فإنَّ ما لا يُتوصل إلىٰ الشيء إلا به فهو منه، فالمشتغل بعلف الناقة وبسقيها) ورعايتها في خدمتها (في طريق الحج ليس معرضًا عن الحج، ولكن ينبغي أن يكون بدنك في طريق الله مثل ناقتك في طريق الحج، ولا غرض لك في تنعُّم ناقتك باللذات، بل غرضك مقصور علىٰ دفع المهلكات عنها حتىٰ) تحملك و(تسير بك إلىٰ مقصدك، فكذلك ينبغي أن تكون في صيانة بدنك عن الجوع والعطش المهلك بالأكل والشرب، وعن الحر والبرد المهلك باللباس والمسكن، فتقتصر علىٰ قدْر الضرورة، ولا تقصد التلذُّذ) والتنعُّم (بل التقوِّي علىٰ طاعة الله تعالىٰ، فذلك لا يناقض الزهدَ، بل هو شرط الزهد) لأنه به حصوله (فإن قلت: فلا بد وأن أتلذَّذ بأكل ذلك عند الجوع. فاعلمْ أن ذلك لا يضرُّك إذا لم يكن قصدك التلذُّذ، فإن شارب الماء البارد قد يتلذَّذ بالشرب، ويرجع حاصله إلىٰ زوال ألم العطش، ومَن يقضي حاجته قد يستريح بذلك، ولكن لا يكون ذلك مقصودًا عنده ومطلوبًا بالقصد، فلا يكون القلب منصرفًا إليه، فالإنسان قد يستريح في قيام الليل بتنسُّم الأسحار وصوت الطيور) الناغية (ولكن إذا لم يقصد طلب موضع لهذه الاستراحة فما يصيبه من ذلك بغير قصد لا يضرُّه، ولقد كان في الخائفين) من الزاهدين (مَن طلب) لنفسه (موضعًا لا

يصيبه فيه نسيمُ الأسحار خيفةً من الاستراحة به وأُنس القلب معه فيكون فيه أنسٌ إلىٰ الدنيا ونقصان في الأنس بالله بقدْر وقوع الأنس بغير الله) ويُروَىٰ أن الله أوحىٰ إلىٰ موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إن برخًا - يعني [العبد] الأسود الذي كان موسىٰ استسقَىٰ به لبني إسرائيل - نِعم العبد هو، إلا أن فيه عيبًا. قال: وما هو؟ قال: يعجبه نسيم السَّحَر فيسكن إليه، ومَن أحبَّني لم يعجبه شيءٌ ولم يسكن إلىٰ شيء[1]. فعابه باستراحة النفس إلىٰ روح الفضاء، ونقصَه عن التمام بسكون قلبه إلىٰ نسيم السحر.

(ولذلك كان) أبو سليمان **(داود)** بن نصير **(الطائي)** رحمه الله تعالىٰ **(له حُب مكسور)** وهو بضم الحاء المهملة: الخابية للماء، جمعه: حِباب بالكسر، وحِبَبة مثل عنبة **(فيه ماؤه، فكان لا يرفعه من الشمس ويشرب الماء الحارَّ ويقول: مَن وجد لذة الماء البارد شقَّت عليه مفارقةُ الدنيا)** قال أبو نعيم في الحلية[2]: حدثنا إسحاق بن أحمد، حدثنا إبراهيم بن يوسف، حدثنا أحمد بن أبي الحواري قال: سمعت أبا سليمان الداراني يقول: كان داود الطائي له دُنَّانِ: دُن للماء ودن للخبز، فأما دُن الماء فكان قد جعله في الأرض لئلاَّ يصيبه الرَّوحُ فيبرد. وروىٰ من طريق حفص بن عمر الجُعْفي قال: دخل رجل علىٰ داود الطائي فقال: يا أبا سليمان، أنا عطشان. قال: اخرجْ واشربْ. فجعل يدور في الدار ولا يجد ماء، فرجع إليه فقال: يا أبا سليمان، ليس في الدار حُب ولا جَرَّة. فقال: اللهم غفرًا، بل هناك ماء. قال: فخرج يلتمس، فإذا دن من هذا الأصيص الذي يُدفَل فيه الطين وقطعة خزفة أسفل كوز، فأخذ تلك الخزفة يغرف بها، فإذا ماء حارٌّ كأنَّه يغلي لم يقدر أن يسيغه، فرجع إليه فقال: يا أبا سليمان، مثل هذا الحر الناسُ يكادون ينسلخون، ودن مدفون في الأرض وكوز مكسور، فلو كانت جُرَيرة وقُلَّة. فقال داود: حب حيريٌّ وجَرَّة مدارية وقِلال منقشة وجارية حسناء وأثاث وناضٌ وفضول، لو أردتُ هذا الذي

---

(١) سيأتي هذا الأثر في كتاب المحبة والأنس.

(٢) حلية الأولياء ٧/ ٣٤٥، ٣٤٨ - ٣٤٩، ٣٥١.

يشغل القلبَ لم أسجن نفسي ههنا، إنما أطلقت نفسي عن هذه الشهوات وسجنت نفسي حتىٰ يخرجني مولاي من سجن الدنيا إلىٰ روح الآخرة. وروىٰ من طريق سهل بن سليمان النيلي، حدثنا عبد الله الأعرج أو غيره قال: أتيت داودَ، فصلَّيت معه المغرب، ثم تبعته إلىٰ داره ... فذكر الحديث، وفيه: ثم قام داود إلىٰ شن في الدار في يوم صائف، فأخذ يشرب منه، فقلت: يا أبا سليمان، لو أمرتَ أن يبرَّد لك هذا الماء. فقال: أما علمتَ أن الذي يبرَّد له الماء في الصيف ويسخَّن له في الشتاء لا يحب لقاءَ الله؟

(فهذه مخاوف المحتاطين) لدينهم **(والحزم في جميع ذلك الاحتياطُ، فإنه وإن كان شاقًّا فمدته قريبة، والاحتماء مدة يسيرة للتنعُّم علىٰ التأبيد لا يثقُل علىٰ أهل المعرفة القاهرين لأنفسهم بسياسة الشرع، المعتصمين بعروة اليقين في معرفة المضادَّة التي بين الدنيا والدين)** والله الموفِّق.

بيان تفصيل الزهد فيما هو من ضروريات الحياة

(اعلمْ) وفَّقك الله تعالىٰ (أن ما الناس منهمكون فيه ينقسم إلىٰ فضول) وهو ما زاد علىٰ الحاجة (وإلىٰ مهمٍّ) ضروري (والفضول كالخيل المسوَّمة) أي المُعلَمة أو المرعيَّة، كما في الصحاح[١]. وقال الأزهري[٢]: هي المرسَلة وعليها ركبانها (مثلاً؛ إذ غالب الناس إنما يقتنيها) ويتخذها (للترفُّه بركوبها وهو قادر علىٰ المشي) علىٰ رجليه أو علىٰ خيل أقل منها (والمهم كالأكل والشرب. ولسنا نقدر علىٰ تفصيل أصناف الفضول، فإنَّ ذلك لا ينحصر) لكثرتها (وإنما ينحصر المهم الضروري) الذي لا بد منه (والمهم) الضروري (أيضًا يتطرَّق إليه فضول في مقداره وجنسه وأوقاته. فلا بد من بيان وجه الزهد فيه. والمهمَّات ستة أمور): الأول: (المَطعم) والمشرب تابع له (و) الثاني: (الملبس، و) الثالث: (المسكن، و) الرابع: (أثاثه، و) الخامس: (المنكح، و) السادس: (المال. و) أما (الجاه) فإنه (يُطلَب لأغراض، وهذه الستة من جملتها) أي الأغراض (وقد ذكرنا معنىٰ الجاه وسبب حب الخَلق له وكيفية الاحتراز عنه في كتاب الرياء من ربع المهلكات) فلا نعيده (ونحن الآن نقتصر علىٰ بيان هذه المهمَّات الستة:

الأول: المَطعم) فنقول: (ولا بد للإنسان من قوت حلال يقيم صلبَه) ويقوِّيه علىٰ العبادة (ولكن له طول وعرض، فلا بد من قبض طوله وعرضه حتىٰ يتم به الزهدُ، فأما طوله فبالإضافة إلىٰ جملة العمر) وفي نسخة: جميع العمر (فإنَّ مَن

---

(١) الصحاح للجوهري ٥/ ١٩٥٥.

(٢) تهذيب اللغة ١٣/ ١١١ - ١١٢، ونصه: «قال أبو زيد: الخيل المسومة: المرسلة وعليها ركبانها، وهو من قولك: سومت فلانا: إذا خليته وسومه، أي وما يريد. وقيل: الخيل المسومة هي التي عليها السيما والسومة، وهي العلامة».

يملك طعام يومه فلا يَقنع به، وأما عرضه ففي مقدار الطعام وجنسه ووقت تناوله، وأما طوله فلا يقصُر إلا بقِصَر الأمل، وأقل درجات الزهد فيه الاقتصارُ علىٰ قدْر دفع الجوع عند شدة الجوع وخوف المرض، ومَن هذا حالُه إذا استقلَّ بما تناوله لم يدَّخر من غدائه لعشائه) ولا من عشائه لغدائه **(وهذه هي الدرجة العليا)** كما سبق في الادِّخار **(الدرجة الثانية: أن يدَّخر لشهر أو أربعين يومًا)** وهي الدرجة الوسطىٰ **(الدرجة الثالثة: أن يدَّخر لسنة فقط)** وهي اثنا عشر شهرًا **(وهذه رتبة ضعفاء الزهَّاد**[١]**، ومَن ادَّخر لأكثر من ذلك فتسميتُه زاهدًا مُحال؛ لأن مَن أمَّل بقاءَ أكثر من سنة فهو طويل الأمل جدًّا، فلا يتم منه الزهدُ، إلا إذا لم يكن له كسب ولم يرضَ لنفسه الأخذ من أيدي الناس كداود)** بن نصير **(الطائي)** رحمه الله تعالىٰ **(فإنه ورث عشرين دينارًا فأمسكها)** لنفسه **(وأنفقها في عشرين سنة)** رواه أبو نعيم في الحلية[٢]: حدثنا عبد الله بن محمد بن جعفر، حدثنا عبد الله بن محمد بن العباس، حدثنا سلمة بن شبيب، حدثنا سهل بن عاصم، حدثنا عثمان بن زُفَر، أخبرني ابن عم لداود قال: ورث داود الطائي من أبيه عشرين دينارًا، فأكلها في عشرين سنة، كل سنة دينارًا، منه يأكل، ومنه يتصدَّق **(فهذا لا يضادُّ أصلَ الزهد إلا عند مَن جعل التوكل شرط الزهد)** وسيأتي جواب أبي سليمان الداراني عن هذا **(وأما عرضه فبالإضافة إلىٰ المقدار، وأقل درجاته في اليوم والليلة نصف رطل، وأوسطه رطل، وأعلاه مُدٌّ واحد)** وهو[٣] رطل وثلث بالبغدادي عند أهل الحجاز، فهو ربع صاع؛ لأن الصاع خمسة أرطال وثلث، والمُد رطلان عند أهل العراق **(وهو ما قدَّره الله في إطعام المساكين في الكفَّارة، وما وراء ذلك فهو من اتِّساع البطن والاشتغال به، ومَن لم يقدر علىٰ الاقتصار علىٰ مُدٍّ لم يكن له من الزهد في البطن نصيب. وأما بالإضافة إلىٰ الجنس فأقله كل ما يقوت ولو)** كان **(الخبز)** المتخَذ

---

(١) قد أول الغزالي ادخار النبي ﷺ لسنة بتأويل سيأتي في كتاب التوكل.

(٢) حلية الأولياء ٧/ ٣٤٧.

(٣) المصباح المنير ص ٥٦٦.

(من النُّخالة، وأوسطه خبز الشعير والذرة) والدُّخْن (وأعلاه خبز البُر) من دقيق (غير منخول، فإذا مُيِّزت النُّخالة وصار حواري فقد دخل في التنعُّم وخرج من آخر أبواب الزهد فضلاً عن أوائله، وأما الأُدْم فأقله الملح) الجريش (أو البقل) من نبات الأرض (والخل) منفردًا ومجموعًا (وأوسطه الزيت أو يسيرٌ من الأدهان أيُّ دهن كان، وأعلاه اللحم أيُّ لحم كان، وذلك في الأسبوع مرة أو مرتين، فإن صار دائمًا) في كل يوم (أو أكثر من مرتين في الأسبوع خرج من آخر أبواب الزهد، فلم يكن صاحبه زاهدًا في البطن أصلاً. وأما بالإضافة إلىٰ الوقت فأقله في اليوم والليلة مرة) واحدة (وهو أن يكون صائمًا) فيفطر عليه (وأوسطه أن يصوم ويشرب ليلة) عند الإفطار (ولا يأكل، ويأكل كل ليلة) عند الإفطار (ولا يشرب، وأعلاه أن ينتهي إلىٰ أن يطوي ثلاثة أيام) تباعًا (وأسبوعًا) تباعًا (وما زاد عليه) فلا حدَّ له (وقد ذكرنا طريق تقليل الطعام وكسر شَرَهه في ربع المهلكات) فلا نعيده (ولينظر في أحوال رسول الله ﷺ والصحابة رضوان الله عليهم في كيفيَّة زهدهم في المطاعم وتركهم الأُدْم. قالت عائشة ﵂: كانت تأتي علينا أربعون ليلة وما يوقَد في بيت رسول الله ﷺ مصباح ولا نار. قيل لها: فبِمَ كنتم تعيشون؟ قالت: بالأسودين: التمر والماء) ولفظ القوت: قد جاءت الأخبار في وصف النبي ﷺ وحال أهل بيته وأزواجه أنه كان يأتي عليهم الهلال بعد الهلال ثلاثة أهلَّة ولا توقَد في بيوت أزواجه نارٌ ولا يُرَىٰ دخانٌ لخبز ولا طبخ. قال عروة: فقلت لعائشة: يا أُمَّه، فما كان تعيُّشُكم؟ قالت: الأسودان: التمر والماء، وكان لنا جيران من الأنصار يرسلون إلينا باللبن في الحين بعد الحين.

قال العراقي[١]: روىٰ ابن ماجه[٢] من حديث عائشة: كان يأتي علىٰ آل محمد الشهرُ ما يُرَىٰ في بيت من بيوته دخان ... الحديث. وفي رواية له: ما يوقَد فيه بنار.

---

(١) المغني ٢/ ١١٠٧ - ١١٠٨.

(٢) سنن ابن ماجه ٥/ ٥٨٠ - ٥٨١.

ولأحمد[١]: كان يمرُّ بنا هلالٌ وهلال ما يوقَد في بيت من بيوته نارٌ. وفي رواية له: ثلاثة أهلَّة.

(وهذا) أي تعيُّشهم بالأسودين **(تركُ اللحم والمرقة والأُدْم.**

وقال الحسن) البصري رحمه الله تعالىٰ: **(كان رسول الله ﷺ يركب الحمار، ويلبس الصوف، وينتعل المخصوف، ويلعق أصابعه، ويأكل علىٰ الأرض، ويقول: إنما أنا عبدٌ، آكُل كما يأكل العبيد، وأجلس كما يجلس العبيد)** قال العراقي[٢]: تقدم دون قوله «إنما أنا عبدٌ» فإنه ليس من حديث الحسن، إنما هو من حديث عائشة، وقد تقدم.

قلت: وروىٰ ابن عساكر من حديث أبي أيوب: كان يركب الحمار، ويخصف النعل، ويرقع القميص، ويلبس الصوف ويقول: «مَن رغب عن سُنَّتي فليس مني». وروىٰ الطبراني من حديث ابن عباس: كان يجلس علىٰ الأرض، ويأكل علىٰ الأرض، ويعتقل الشاة، ويجيب دعوة المملوك علىٰ خبز الشعير. وروىٰ ابن ماجه من حديث أنس: كان يُردِف خلفه، ويضع طعامه علىٰ الأرض، ويجيب دعوة المملوك، ويركب الحمار. وروىٰ أبو يعلىٰ من حديث عائشة بسند حسن: «آكُل كما يأكل العبد، وأجلس كما يجلس العبد». وعند ابن عدي: «إنما أنا عبد، آكل كما يأكل العبد، وأشرب كما يشرب العبد»[٣].

(وقال عيسىٰ عليه السلام: بحقٍّ أقول لكم إنه مَن طلب الفردوس فخبز الشعير له والنوم علىٰ المزابل مع الكلاب كثيرٌ) رواه أبو نعيم في الحلية وابن عساكر في التاريخ بلفظ: قال عيسىٰ عليه السلام: أكلُ الشعير مع الرماد والنوم علىٰ المزابل مع

---

(١) مسند أحمد ٤٠/ ٢٨٠، ٤٨١، ٤١/ ١١٠، ٤٢/ ٣١٤، ٤٣/ ١٤٠. وهذا الحديث رواه البخاري ٢/ ٢٢٧، ٤/ ١٨٤، ومسلم ٢/ ١٣٥٧ - ١٣٥٨.

(٢) المغني ٢/ ١١٠٨.

(٣) تقدمت هذه الأحاديث كلها في كتاب أخلاق النبوة، وفي كتاب ذم الكبر.

الكلاب لَقليلٌ في طلب الفردوس[١].

(**وقال الفضيل**) بن عياض رحمه الله تعالىٰ: (**ما شبع رسول الله ﷺ منذ قدم المدينةَ ثلاثة أيام من خبز البُر**) ولفظ القوت: وفي الخبر: ما شبع رسول الله ﷺ وأهل بيته من خبز بُرٍّ ثلاثة أيام حتىٰ لحق بالله عَزَّوَجَلَّ. وتقدم في أخلاق النبوَّة.

(**وكان عيسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ يقول: يا بني إسرائيل، عليكم بالماء القراح والبقل البرِّي وخبز الشعير، وإياكم وخبز البُر، فإنكم لن تقوموا بشكره**)[٢] كذا في القوت. وروىٰ ابن عساكر من طريق كعب الأحبار نحوه.

(**وقد ذكرنا سيرة الأنبياء**) عليهم السلام (**والسلف**) الصالح (**في المَطعم والمشرب في ربع المهلكات، فلا نعيده**) ثانيًا.

(**ولمَّا أتىٰ النبيُّ ﷺ أهلَ قُباء أتوه بشربة من لبن مشوبة بعسل، فوضع القدح من يده وقال: أما إني لست أحرِّمه، ولكن أتركه تواضعًا لله تعالىٰ**) رواه الحكيم في النوادر عن أبي جعفر محمد بن علي أن النبي ﷺ أتاه أوس بن خولي بقدح فيه لبن وعسل، فوضعه وقال ... فذكره وفي آخره: «فإنه مَن تواضع لله رفعه الله، ومَن اقتصد أغناه الله، ومَن بذَّر أفقره الله». وقد تقدم[٣].

(**وأُتيَ عمر**) بن الخطاب (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **بشربة من ماء بارد وعسل في يوم صائف**) فذاقها فإذا ماء وعسل (**فقال: اعزلوا عني حسابها**) اعزلوا عني مؤنتها. رواه

---

(١) تقدم هذا الخبر في كتاب ذم الدنيا، وفي كتاب الرجاء والخوف.

(٢) رواه مالك في الموطأ ٢/ ٩٣٢ بلاغا، ومن طريقه البيهقي في شعب الإيمان ٦/ ٣٢١، وأبو نعيم في حلية الأولياء ٦/ ٣٢٨. ورواه ابن أبي الدنيا في الزهد ص ١٠٠ عن مالك بن دينار، وزاد في آخره: واعلموا أن حلاوة الدنيا مرارة الآخرة. ورواه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٤٧/ ٤٢٥ عن عطاء الأزرق، وزاد في آخره: وأن مرارة الآخرة حلاوة الدنيا.

(٣) في كتاب ذم الكبر.

جعفر بن سليمان حدثنا حوشب عن الحسن. وقد تقدم[١].

(**وقد قال يحيىٰ بن معاذ الرازي**) رحمه الله تعالىٰ: (**الزاهد الصادق قوته ما وجد، ولباسه ما ستر، ومسكنه حيث أدرك**) أي حيث يدركه الليلُ يأوي (**الدنيا سجنه، والقبر مضجعه، والخلوة مجلسه، والاعتبار فكرته، والقرآن حديثه، والرب أنيسه، والذِّكر رفيقه، والزهد قرينه، والحزن شأنه، والحياء شعاره، والجوع إدامه، والحكمة كلامه، والتراب فراشه، والتقوىٰ زاده، والصمت غنيمته، والصبر معتمده، والتوكل حسبه، والعقل دليله، والعبادة حرفته، والجنة مبلغه إن شاء الله تعالىٰ**)[٢] فقد أدرج فيه جملة من المقامات: الاعتبار، والحزن، والحياء، والصبر، والتوكل، والتقوىٰ.

وقال ذو النون المصري: الزاهد قوته ما وجد، وثوبه ما ستر، وبيته ما آواه، وماله وقته.

(**المهم الثاني: الملبس، وأقل درجاته ما يدفع الحرَّ والبرد ويستر العورة، وهو كساء يتغطَّىٰ به، وأوسطه قميص وقلنسوة ونعلان، وأعلاه أن يكون معه منديل**) لربط الرأس (**وسراويل، وما جاوز هذا من حيث المقدار فهو مجاوز حد الزهد، وشرطُ الزاهد أن لا يكون له ثوب يلبسه إذا غسل ثوبه، بل يلزمه القعودُ في البيت**) حتىٰ يجفَّ (**فإذا صار صاحبَ قميصين وسروالين ومنديلين فقد خرج من جميع أبواب الزهد من حيث المقدار. أما الجنس فأقلُّه المسوح الخشنة**) وهي ثياب تُنسَج من الشعر (**وأوسطه الصوف الخشن، وأعلاه القطن الغليظ**) وهو الكرباس (**وأما من حيث الوقت فأقصاه ما يستر سنة، وأقله ما يبقىٰ يومًا حتىٰ رقَّع بعضهم ثوبه بورق الشجر وإن كان يتسارع الجفافُ إليه**) فيتكسَّر (**وأوسطه ما**

---

(١) في كتاب كسر الشهوتين، وفي كتاب ذم الدنيا.

(٢) رواه البيهقي في الزهد الكبير ص ٨٠ وابن الشجري في أماليه ٢/ ٢١٠ بنحوه.

يتماسك عليه شهرًا وما يقاربه. فطلبُ ما يبقىٰ أكثر من سنة خروج إلىٰ طول الأمل، وهو مضادٌّ للزهد) لِما سبق أن الزهد عبارة عن قِصَر الأمل **(إلا إذا كان المطلوب خشونته)** وفي نسخة: جشوبته، أي غِلَظه **(ثم قد يتبع ذلك قوَّتُه ودوامه، فمَن وجد زيادة من ذلك فينبغي أن يتصدَّق به، فإن أمسكه لم يكن زاهدًا، بل كان محبًّا للدنيا)** ومحبة الدنيا تخالف صفةَ الزهد **(ولينظر فيه إلىٰ أحوال الأنبياء)** عليهم السلام **(والصحابة)** رضوان الله عليهم **(كيف تركوا الملابس)** وأعرضوا عنها **(قال أبو بُرْدة)** هانئ بن نيار رضي الله عنه: **(أخرجت لنا عائشة رضي الله عنها كساء ملبَّدًا وإزارًا غليظًا فقالت: قُبض رسول الله ﷺ في هذين)** رواه الشيخان، وتقدم في آداب المعيشة.

(وقال ﷺ: إن الله يحب المتبذِّل الذي لا يبالي ما لبس) قال العراقي[1]: لم أجد له أصلاً.

قلت: وجدت بخط الحافظ السخاوي ما لفظه: هذا عجيب، فهو في مسند الفردوس[2] من طريق يعقوب بن عتبة بن المغيرة عن أبي هريرة، ولفظه: «إن الله عزَّ وجلَّ يحب المؤمن المتبذل الذي لا يبالي ما لبس».

قلت: ورواه كذلك من هذا الطريق ابنُ النجار في تاريخه.

(وقال عمرو بن الأسود العَنْسي) بالنون، ويقال[3]: الهَمْداني، ويقال له: عُمَير، بالتصغير، وهو به أشهر، وهو والد حكيم بن عمير، يكني أبا عياض وأبا عبد الرحمن. سكن داريًّا من دمشق، وسكن حِمص أيضًا. له روايات عن عمر ومعاذ وابن مسعود وعُبادة بن الصامت وأم حرام بنت مِلْحان وأبي هريرة وعائشة

---

(١) المغني ٢/ ١١٠٨.

(٢) الفردوس بمأثور الخطاب ١/ ١٥٥. ورواه أيضا: البيهقي في شعب الإيمان ٨/ ٢٤٦، والخطيب في الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ١/ ٢٢٩، ويعقوب لم يسمع من أبي هريرة، فروايته مرسلة كما قال البيهقي، وانظر: تهذيب الكمال للمزي ٣٢/ ٣٥٠.

(٣) تهذيب الكمال ٢١/ ٥٤٣ - ٥٤٥. الإصابة في تمييز الصحابة ٧/ ٢٨٦ - ٢٨٧.

وغيرهم. وقال ابن حبان[١]: عمير بن الأسود كان من عُبَّاد أهل الشام، وكان يقسم علىٰ الله فيبرُّه. وقال ابن عبد البر: أجمعوا علىٰ أن عمرو بن الأسود كان من العلماء الثقات، وأنه مات في خلافة معاوية. وكان يقول: (**لا ألبس مشهورًا أبدًا**) أي ثوب شهرة (**ولا أنام بليل علىٰ دثار أبدًا، ولا أركب علىٰ مأثور أبدًا**) أي لينًا سهلاً، يقال[٢]: وَثُرَ الشيءُ وَثارةً: لانَ وسهُلَ، فهو وثير، وفراش وثير: ثخين ليِّن، ووثَّر مركبَه، بالتشديد: وطَّأه، ومنه: مِيثرة السَّرْج، بكسر الميم، وأصلها الواو، والجمع: مَواثِر ومَياثِر، علىٰ الأصل ولفظ المفرد (**ولا أملأ جوفي من طعام أبدًا**) رواه أبو نعيم في الحلية[٣]: حدثنا عبد الله بن محمد، حدثنا مسلم بن سعيد، حدثنا مجاشع بن عمرو بن حسان، حدثنا عيسىٰ بن يونس، حدثنا أبو بكر بن أبي مريم، عن يحيىٰ بن جابر الطائي قال: قال عمرو بن الأسود: لا ألبس مشهورًا أبدًا، ولا أملأ جوفي من طعام بالنهار أبدًا حتىٰ ألقاه (**فقال عمر**) ﵁: (**مَن سرَّه أن ينظر إلىٰ هَدْي رسول الله ﷺ فلينظرْ إلىٰ عمرو بن الأسود**) رواه أبو نعيم في الحلية من طريق يحيىٰ بن جابر الطائي بالسند المذكور قال: وكان عمر بن الخطاب يقول ... فذكره.

وقال العراقي[٤]: رواه أحمد[٥] بإسناد جيد عن عمر.

لكن في الإصابة لتلميذه: بسند لين. قال: وأورده ابن أبي عاصم في الوحدان[٦] بهذا الأثر، وليس في ذلك ما يقتضي أن له صحبة، ولكن يقتضي أن له

---

(١) الثقات ٥/ ١٧١.

(٢) المصباح المنير ص ٦٤٧.

(٣) حلية الأولياء ٥/ ١٥٦.

(٤) المغني ٢/ ١١٠٩.

(٥) مسند أحمد ١/ ٢٦٩.

(٦) الآحاد والمثاني ٥/ ٣٠١.

إدراكًا، وقد أخرج الطبراني في مسند الشاميين[١] من وجه آخر أن عمرو بن الأسود قدم المدينة، فرآه عبد الله بن عمر يصلي، فقال: مَن سرَّه أن ينظر إلىٰ أشبه الناس صلاةً برسول الله ﷺ فلينظر إلىٰ هذا.

(وفي الخبر: ما من عبد لبس ثوب شهرة إلا أعرض الله عنه حتىٰ ينزعه وإن كان عنده حبيبًا) قال العراقي[٢]: رواه ابن ماجه[٣] من حديث أبي ذر بإسناد جيد دون قوله «وإن كان عنده حبيبًا».

قلت: وفي رواية لابن ماجه: «مَن لبس ثوب شهرة أعرض الله عنه حتىٰ يضعه [متىٰ وضعه]». وقد رواه كذلك أيضًا في المختارة.

وروىٰ الطبراني[٤] من حديث أبي سعيد: «مَن لبس ثوبًا مشهورًا من الثياب أعرض الله عنه يوم القيامة».

ورواه هو[٥] وتمام[٦] وابن عساكر[٧] من حديث أم سلمة بإسناد لين: «مَن لبس ثوبًا ليباهي به ليراه الناس لم ينظر الله إليه حتىٰ ينزعه».

وروىٰ الحارث[٨] والطبراني من حديث أنس: «مَن لبس رِداء شهرة أو ركب ذا شهرة أعرض الله عنه وإن كان له وليًّا».

(واشترىٰ رسول ﷺ ثوبًا بأربعة دراهم) كذا في القوت. وقال العراقي[٩]:

---

(١) مسند الشاميين ١/ ٤٠٣.

(٢) المغني ٢/ ١١٠٩.

(٣) سنن ابن ماجه ٥/ ٢٢٠.

(٤) المعجم الكبير ٣/ ١٤٦ من رواية أبي سعيد التيمي عن الحسن والحسين رضي الله عنهما.

(٥) السابق ٢٣/ ٢٨٤.

(٦) فوائد تمام ٣/ ٢٦٠.

(٧) تاريخ دمشق ٣٤/ ٩٨، ٤٥/ ٤٧٠.

(٨) بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث ص ٩٨٤.

(٩) المغني ٢/ ١١٠٩.

روىٰ أبو يعلىٰ[١] من حديث أبي هريرة قال: دخلت يومًا السوق مع رسول الله ﷺ، فجلس إلىٰ البَزَّازين، فاشترىٰ سراويل بأربعة دراهم ... الحديث، وإسناده ضعيف.

(**وكانت قيمة ثوبَيْه**) ﷺ (**عشرة**) إلىٰ دينار. كذا في القوت. وقال العراقي[٢]: لم أجده.

(**وكان إزاره**) ﷺ (**أربعة أذرع ونصفًا**) ولفظ القوت: وكان طول إزاره أربعة أذرع ونصفًا، وفي خبر: سبعة أشبار. وقال العراقي[٣]: روىٰ أبو الشيخ في كتاب أخلاق رسول الله ﷺ[٤] من رواية عروة بن الزبير مرسلاً: كان [طول] رِداء النبي ﷺ أربعة أذرع، وعرضه ذراعان ونصف ... الحديث، وفيه ابن لهيعة. وفي طبقات ابن سعد[٥] من حديث أبي هريرة: كان له إزار من نسج عُمان طوله أربعة أذرع وشبر في ذراعين وشبر. وفيه محمد بن عمر الواقدي.

(**واشترىٰ سراويل بثلاثة دراهم**) كذا في القوت[٦]. وقال العراقي[٧]: المعروف أنه اشتراه بأربعة دراهم، كما تقدم عند أبي يعلىٰ، وشراؤه للسراويل عند أصحاب السنن[٨] من حديث سويد بن قيس، إلا أنه لم يذكر فيه مقدار ثمنه، قال

---

(١) مسند أبي يعلىٰ ١١/ ٢٤.

(٢) المغني ٢/ ١١٠٩.

(٣) السابق ٢/ ١١٠٩.

(٤) أخلاق النبي وآدابه ٢/ ١٥١.

(٥) الطبقات الكبرىٰ ١/ ٢١٥.

(٦) أخرجه الطيالسي في مسنده ٢/ ٥١٧، ومن طريقه النسائي في الكبرىٰ ٨/ ٤٣٦.

(٧) المغني ٢/ ١١١٠.

(٨) سنن أبي داود ٤/ ١١٦. سنن الترمذي ٢/ ٥٧٤. سنن النسائي ص ٧٠١. سنن ابن ماجه ٣/ ٥٦٢. ولفظ الحديث: جلبت أنا ومخرفة العبدي بزا من هجر، فأتينا به مكة، فجاءنا رسول الله ﷺ يمشي، فساومنا بسراويل فبعناه، وثَم رجل يزن بالأجر، فقال له رسول الله ﷺ: «زن وأرجِح».

الترمذي: [حسن] صحيح. انتهىٰ.

زاد صاحب القوت بعد قوله «بثلاثة دراهم»: وكان كُمُّ قميصه إلىٰ أطراف أصابعه، وقيل مرةً: إلىٰ الرُّسغ، فإذا تشنَّج وقلص صار [إلىٰ نصف الذراع، وإذا امتدَّ فإلىٰ أطراف الأنامل، وكان ذيله] إلىٰ أنصاف ساقَيْه، وكذلك الإزار إلىٰ عضلة الساق.

(وكان) ﷺ **(يلبس شَمْلتين بيضاوين من صوف)** ومرةً سوداوين من شعر **(وكانت تسمَّىٰ: حُلَّة؛ لأنها ثوبان من جنس واحد)** يشير إلىٰ قول أهل اللغة، قالوا: الحُلَّة[١] بالضم لا تكون إلا ثوبين من جنس واحد، قال المرزوقي[٢]: وكانوا يأتزرون ببُرْد ويرتدون بآخر، ويسمَّيان حُلَّة. والجمع: حُلَل، مثل غرفة وغُرَف **(وربما كان)** ﷺ **(يلبس بُرْدين يمانيين أو سَحُوليين من هذه الغِلاظ)** من قرية باليمن تسمَّىٰ: سَحُول، وفيهما كُفِّن مع الثالث مثلهما، وربما كانت البُردة مخطَّطة بتلوين الأصباغ كبرود أهل اليمن اليوم، وربما كانت خضراء كلها من خيط واحد، وربما كانت شملته بيضاء لا شية فيها غير خيطها الأبيض. كل ذلك في القوت.

وقال العراقي: تقدم في آداب المعيشة وأخلاق النبوَّة لبسُه للشملة والبُردة والحبرة، وأما لبسه للحُلَّة ففي الصحيحين[٣] من حديث البراء: رأيتُه في حلة حمراء. ولأبي داود[٤] من حديث ابن عباس حين خرج إلىٰ الحرورية وعليه أحسن ما يكون من حُلَل اليمن وقال: رأيت علىٰ رسول الله ﷺ أحسن ما يكون من الحُلَل. وفي الصحيحين[٥] من حديث عائشة أنه ﷺ قُبض في ثوبين أحدهما

---

(١) المصباح المنير ص ١٤٨.

(٢) شرح ديوان الحماسة ص ١٢٩ (ط - دار الكتب العلمية).

(٣) صحيح البخاري ٢/ ٥١٦، ٤/ ٦٥، ٧٤. صحيح مسلم ٢/ ١١٠٠.

(٤) سنن أبي داود ٤/ ٣٩٤.

(٥) صحيح البخاري ٢/ ٣٩٠. صحيح مسلم ٢/ ١٠٠١.

إزار غليظ ممَّا يُصنَع باليمن. وتقدم في آداب المعيشة. ولأبي داود[١] والترمذي[٢] والنسائي[٣] من حديث أبي رِمْثة: وعليه بُرْدان أخضران. سكت عليه أبو داود، واستغربه الترمذي. وللبزار[٤] من حديث قُدامة الكلابي: وعليه حلة حِبَرة. وفيه عريف بن إبراهيم، لا يُعرَف؛ قاله الذهبي[٥].

(**وفي الخبر: كان قميص رسول الله ﷺ كأنَّه قميص زَيَّات**) قال العراقي[٦]: رواه الترمذي في الشمائل[٧] من حديث أنس بسند ضعيف: كان يُكثِر دهن رأسه وتسريح لحيته [ويكثر القناع] حتىٰ كأنَّ ثوبه ثوب زَيَّات.

(و) قد (**لبس ﷺ يومًا واحدًا ثوبًا سِيَراء**) بكسر[٨] السين وفتح التحتية ممدودًا: ضرب من البرود فيه خطوط صُفر (**من سُندس**) فُنْعُل[٩] من سدس: اسم لِما رقَّ من الديباج (**قيمته مائتا درهم**) فلبسه وخطب فيه (**فكان أصحابه يلمسونه**) بأيديهم (**ويقولون: يا رسول الله، أُنزِل هذا عليك من الجنة؟ تعجُّبًا**) من لونه ولينه (**وكان قد أهداه له المقوقس**) جريج بن ميناء (**ملك الإسكندرية، فأراد أن يكرمه بلبسه**) ويُرِي رسلَه قبول هديَّته (**ثم نزعه**) وقد لبس نحوه من قميص مغمَّد بحرير أهداه إليه النجاشي ملك الحبشة، فخطب فيه مرةً ثم نزعه حين نزل من المنبر (**وأرسل به إلىٰ رجل من المشركين وصله به، ثم حُرِّم لباس الحرير والديباج**) بعد

---

(١) سنن أبي داود ٤/ ٤٠٦.

(٢) سنن الترمذي ٤/ ٥٠٥.

(٣) سنن النسائي ص ٢٥٩.

(٤) كشف الأستار عن زوائد البزار ٣/ ٣٦١.

(٥) ديوان الضعفاء والمتروكين ص ٢٧٤.

(٦) المغني ٢/ ١١١٠ - ١١١١.

(٧) الشمائل المحمدية ص ٢٤، ٥٨.

(٨) الصحاح للجوهري ٢/ ٦٩٢.

(٩) المصباح المنير ص ٢٧١. النهاية لابن الأثير ٢/ ٤٠٩.

ذلك (**وكأنَّه إنما لبسه أولاً**) ولفظ القوت: فقد يكون لبسُه إيَّاه (**تأكيدًا للتحريم، كما لبس خاتمًا من ذهب يومًا**) واحدًا (**ثم نزعه**) ورمىٰ به، كما في الصحيحين، وتقدم[1] (**فحُرِّم لبسه علىٰ الرجال**) ولفظ القوت: وحُرِّم لبس الحرير والذهب علىٰ الذكور.

(**وكما قال لعائشة** ﵂ (**في شأن بَريرة**) مولاة[2] لقوم من الأنصار، وكانت تخدم عائشة قبل أن تشتريها (**اشترطي لأهلها الولاءَ**) وذلك حين أرادت أن تشتريها منهم وطلبوا منها أن يكون الولاء لهم، فأقرَّها ﷺ علىٰ هذا الشرط أولاً (**فلمَّا اشترطته**) بعد أن اشترتها وأعتقتْها (**صعد** ﷺ **المنبرَ فحرَّمه**) وقال: «إنما الولاء لمَن أعتق»؛ لينوِّه بذلك، فهذه حكمة من الحكيم، وتعليم من العليم. وقصة بريرة في الصحيحين[3]، وقد جمع العزُّ ابن جماعة[4] فوائد هذا الحديث في رسالة فزادت علىٰ ثلاثمائة، ولخَّصها الحافظ في فتح الباري.

(**وكما أباح المتعة**) أي متعة النساء (**ثلاثًا**) وذلك في غزوة أوطاس (**ثم حرَّمها لتأكيد أمر النكاح**) وحديث إباحة المتعة رواه مسلم[5] عن سلمة بن الأكوع.

قال صاحب القوت: وقد يحتجُّ بمثل هذا علماءُ الدنيا ويطرِّقون به لأنفسهم ويدعون الناس منه إليهم سرًّا ويُظهِرون الدعوةَ إلىٰ الله علانيةً تأوُّلاً بمتشابه الحديث، كما تأوَّل أهل الزيغ متشابهَ القرآن علىٰ أهوائهم ابتغاءَ الفتنة وطلبًا للدنيا؛ لأن حديث

---

(١) في الباب السادس من كتاب العلم.

(٢) الإصابة في تمييز الصحابة ١٢/ ١٥٧.

(٣) صحيح البخاري ١/ ١٦٤، ٢/ ١٠٣، ١٠٦. صحيح مسلم ١/ ٧٠٢ - ٧٠٤.

(٤) بل والده بدر الدين محمد بن إبراهيم ابن جماعة، واسم رسالته: الفوائد الغزيرة المستنبطة من حديث بريرة. وعدد ما فيها من الفوائد: ٣١٣ فائدة. وفي فتح الباري ٥/ ٢٢٩: «وقد بلغ بعض المتأخرين الفوائد من حديث بريرة إلىٰ أربعمائة أكثرها مستبعد متكلف».

(٥) صحيح مسلم ١/ ٦٣٢ - ٦٣٣.

رسول الله ﷺ على معاني كلام الله تعالى، منه محكَم ومتشابه، وناسخ ومنسوخ، وخاص وعام، فعدل علماءُ الدنيا وأهل الأهواء عن المحكَم السائر من فعل رسول الله ﷺ وقوله إلى ما ذكرناه ونبذوا المحكَم وراءهم ظِهريًّا.

(وقد صلى رسول الله ﷺ في خميصة) وهي كساء أسود مربَّع **(لها عَلَمٌ، فلمَّا سلَّم قال: شغلني النظرُ إلى هذه، اذهبوا بها إلى أبي جَهْم)** بن[1] حذيفة بن غانم القرشي العَدَوي رضي الله عنه، من مسلمة الفتح، وكان من معمَّري قريش ومن مشيختهم **(وائتوني بأنبجانيَّته. يعني كساءه)** هو في الصحيحين من طريق عروة عن عائشة قالت: صلى النبي ﷺ في خميصة لها أعلام، فقال: «اذهبوا بخميصتي هذه إلى أبي جهم وائتوني بأنبجانيَّة أبي جهم، فإنها ألهتني آنفًا عن صلاتي». وقد تقدم في كتاب الصلاة[2]. وذكر الزبير بن بكَّار[3] من وجه آخر مرسلاً أن النبي ﷺ أُتيَ بخميصتين سوداوين، فلبس إحداهما، وبعث الأخرى إلى أبي جهم [ثم إنه أرسل إلى أبي جهم] فصلى في تلك الخميصة، وبعث إليه التي لبسها هو، ولبس هو التي كانت عند أبي جهم بعد أن لبسها أبو جهم لبسات **(فاختار لبس الكساء على الثوب الناعم)** كذا في القوت، قال: وفي هذا حُجَّة على مَن كان إذا أعجبه الشيء واستحسنه كسره وأحرقه، وفيه شاهد ومَحجَّة لمَن أخرج عن يده ما يستحسنه ويخاف فتنته؛ لحصول الزهد بالإخراج، ولانتفاع الغير به، وفيه حجة على مَن ادَّعى الزهد بلبس الناعم وأن ذلك لا يضرُّ الزاهدَ ولا يخرجه عن حقيقة الزهد، وفيه إبطال لمَن ادَّعى أن النظر إلى الزينة لا يشغله وأن الرونق والفتنة لا تدخل عليه؛ إذ لا يقدر أن يقول إنه غير مقام الرسول، فاعتبِروا يا ذوي البصائر والعقول تمويهَ الراغبين بالزهد مع استعمال الفضول.

---

(١) الإصابة في تمييز الصحابة ١١/ ٦٦ - ٦٧.

(٢) وقبله في الباب السادس من كتاب العلم.

(٣) ومن طريقه رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٣٨/ ١٧٩.

(وكان شِراك نعله) ﷺ **(قد أخلق، فأبدله بسير جديد، فصلىٰ فيه، فلمَّا سلَّم)** من الصلاة **(قال: أعيدوا الشِّراك الخَلَق وانزعوا هذا)** الشراك **(الجديد، فإني نظرت إليه في الصلاة)** تقدم في كتاب الصلاة.

(ولبس) ﷺ مرةً **(خاتمًا من ذهب[1] فنظر إليه)** وهو **(علىٰ المنبر نظرةً فرمىٰ به وقال: شغلني هذا عنكم، نظرة إليه ونظرة إليكم)** قال: فلا يُدرَىٰ مَن أخذه. رواه الشيخان[2]، وقد تقدم. قال صاحب القوت: وقد يحتجُّ بهذا محتجٌّ لِما كرهناه من إتلاف المال المنظور إليه، وليس فيه حجة له؛ لأنه ﷺ لم يتلفه؛ إذ لم يرمِ به في بر ولا بحر ولا مضيعة، ولا أفسده، وإنما نزعه ورمىٰ به بين المسلمين ووهبه لمَن أخذه، فجاز ذلك عن وجد في الوقت وجده.

(وكان ﷺ قد احتذىٰ مرةً نعلين جديدتين، فأعجبه حُسنُهما، فخرَّ ساجدًا وقال: أعجبني حُسنُهما فتواضعت لربي خشيةَ أن يمقتني. ثم خرج بهما فدفعهما إلىٰ أول مسكين رآه) وأمر عليًّا فاحتذَىٰ له نعلين سبتيتين، قال: فرأيته وقد لبسهما. يعني جَرْداوين. وقد تقدم في كتاب الصلاة. قال صاحب القوت: وهذا مثل الحديث الآخَر في إخراج الخميصة زهدًا فيها، وإخراج النعل ولم يقطعها، فيكون فسادًا؛ إذ هو ﷺ ينهىٰ عن إضاعة المال، إلا أن فيه شاهدًا لمَن إذا استحسن شيئًا خاف المقت عليه، إلا أنه لا يبلغ به إتلافه فيكون إفسادًا، وفيه دليل علىٰ دخول التغيير والرد إلىٰ الصفة بالمناظر الحسنة، خلافًا لمَن ادَّعىٰ البراءةَ من ذلك، وفيه شاهد آخر لمَن تطرَّق بالحسن من الأشياء إلىٰ الله تعالىٰ وشهد الحُسنَ الأعلىٰ بها وكانت المحاسن طريقًا له إلىٰ الحَسن الجميل؛ لأنه ﷺ لمَّا قال: «أعجبني حسنهما» خرَّ ساجدًا، فكان ذلك اقترابًا له من القريب وتقرُّبًا منه وتطرُّقًا إلىٰ الحبيب، وقد قال الله

---

(١) قال العراقي في المغني ١/ ١١٧: وليس فيه بيان أن الخاتم كان ذهبًا أو فضة، إنما هو مطلق.

(٢) الحديث ليس في الصحيحين، وإنما رواه النسائي عن ابن عباس، كما تقدم في الباب الثالث من كتاب الصلاة.

تعالىٰ: ﴿وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب﴾ [العلق: ١٩].

(**وعن سنان بن سعد**) هكذا في سائر النسخ، والصواب: سهل بن سعد، كما نبَّه عليه العراقي، وليس في الصحابة مَن اسمه سنان بن سعد (**قال: حيكت لرسول الله ﷺ جُبَّة صوف من صوف أنمار، وجعلت حاشيتها سوداء، فلما لبسها قال: انظروا ما أحسنها! ما ألينها! قال: فقام إليه أعرابي فقال: يا رسول الله، هَبْها لي. وكان رسول الله ﷺ إذا سُئل شيئًا لم يبخل به. قال: فدفعها إليه، وأمر أن تُحاك له واحدة أخرىٰ، فمات ﷺ وهي في المحاكة**) قال العراقي[1]: رواه أبو داود الطيالسي[2] والطبراني[3] من حديث سهل بن سعد دون قوله «وأمر أن تُحاك له أخرىٰ» فهي عند الطبراني فقط، وفيه زمعة بن صالح، ضعيف.

(**وعن جابر**) رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ (**قال: دخل رسول الله ﷺ علىٰ فاطمة ﷺ وهي تطحن بالرحىٰ، وعليها كساء من أجلة الإبل، فلمَّا نظر إليها بكىٰ وقال: يا فاطمة، تجرَّعي مرارة الدنيا لنعيم الأبد. فأُنزِل عليه**: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ۝﴾) [الضحىٰ: ٥] قال العراقي[4]: رواه أبو بكر ابن لال في مكارم الأخلاق بسند ضعيف.

قلت: ورواه كذلك العسكري في المواعظ وابن مردويه وابن النجار[5].

---

(١) المغني ٢/ ١١١٢.

(٢) مسند الطيالسي ٢/ ٣٠٥ مختصرا بلفظ: توفي رسول الله ﷺ وله جبة صوف في الحياكة.

(٣) المعجم الكبير ٦/ ١٧٨. والحديث في صحيح البخاري ١/ ٣٩٤، ٢/ ٨٦، ٤/ ٥٨، ٩٧ بلفظ: «جاءت امرأة إلىٰ النبي ﷺ ببردة منسوجة فيها حاشيتها فقالت: نسجتها بيدي فجئت لأكسوكها. فأخذها النبي ﷺ محتاجا إليها، فخرج إلينا وإنها إزاره، فحسنها فلان فقال: اكسنيها، ما أحسنها! فقال: نعم. فجلس النبي ﷺ في المجلس ثم رجع فطواها ثم أرسل بها إليه، فقال القوم له: ما أحسنت، لبسها النبي ﷺ محتاجا إليها ثم سألته، وقد علمتَ أنه لا يرد. قال: إني والله ما سألته لألبسها، إنما سألته لتكون كفني. فكانت كفنه».

(٤) المغني ٢/ ١١١٢.

(٥) ورواه أيضا ابن الأعرابي في معجمه ١/ ٢٤٢ دون ذكر الآية. وفيه: «تعجلي مرارة الدنيا بنعيم الآخرة».

(وقال ﷺ: إن من خيار أمَّتي فيما أنبأني الملأ الأعلىٰ قومًا يضحكون جهرًا من سعة رحمة الله، ويبكون سرًّا من خوف عذابه، مؤنتهم علىٰ الناس خفيفة، وعلىٰ أنفسهم ثقيلة، يلبسون الخلقان، ويتَّبعون الرهبان، أجسامهم في الأرض) وقلوبهم في الآخرة **(وأفئدتهم عند العرش)**[1] قال صاحب القوت: رويناه من حديث عياض بن غنم عن النبي ﷺ. قال: وفي رواية أخرىٰ: «تُفتَح عليهم الدنيا فيزهدون في حلالها ويتبلَّغون باليسير منها، ليسوا من الدنيا، وليست الدنيا منهم في شيء».

قلت: رواه أبو نعيم من طريق مكحول عن عياض بن غنم، ورواه هو أيضًا من وجه آخر والحاكم وصحَّحه وتُعُقِّب والبيهقي في الشعب وضعَّفه وابن النجار من حديث عياض بن سليمان - وكانت له صحبة - ولفظه: «خيار أمَّتي فيما أنبأني الملأ الأعلىٰ قوم يضحكون جهرًا من سعة رحمة ربِّهم، ويبكون سرًّا من خوف عذاب ربهم، يذكرون ربَّهم بالغَداة والعشيِّ في البيوت الطيبة المساجد، ويدعونه بألسنتهم رغبًا ورهبًا، ويسألونه بأيديهم خفضًا ورفعًا، ويُقبِلون بقلوبهم عَوْدًا وبدءًا، فمؤنتهم علىٰ الناس خفيفة، وعلىٰ أنفسهم ثقيلة، يدبُّون في الأرض حُفاةً علىٰ أقدامهم كدبيب النمل بلا مرح ولا بذخ، يمشون بالسكينة، ويتقرَّبون بالوسيلة، ويقرأون القرآن، ويقرِّبون القُربان، ويلبسون الخلقان، عليهم من الله شهود حاضرة وعين حافظة، يتوسَّمون العباد، ويتفكَّرون في البلاد، أرواحهم في الدنيا، وقلوبهم في الآخرة، ليس لهم همٌّ إلا ما أمامهم، أعدُّوا الجهاز لقبورهم، والجواز لسبيلهم، والاستعداد لمقامهم». ثم تلا: ﴿ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ۝١٤﴾ [إبراهيم: ١٤]. قال الذهبي: هذا حديث عجيب منكر، وعياض لا يُدرَىٰ مَن هو. قال ابن النجار: ذكره أبو موسىٰ المديني في الصحابة. ا.هـ. قلت: رواه الحاكم في المستدرك من طريق الوليد بن مسلم وضمرة عن حماد ابن أبي حميد عن مكحول عن عياض بن سليمان، ورواه أبو موسىٰ المديني في الذيل من

---

(١) تقدم هذا الحديث في الباب السادس من كتاب العلم.

هذا الوجه، لكن وقع عنده: حماد عن أبي حميد.

(فهذه كانت سيرة رسول الله ﷺ في الملابس، وقد أوصىٰ أمَّته عامَّةً باتِّباعه؛ إذ قال: مَن أحبَّني فليستنَّ بسنَّتي) رواه أبو يعلىٰ من حديث ابن عباس بلفظ: «مَن أحب فطرتي فليستنَّ بسنَّتي». وفي رواية بزيادة: «وإن من سنَّتي النكاح». رواه ابن عدي والبيهقي وابن عساكر من حديث أبي هريرة، والبيهقي أيضًا والضياء من حديث عبيد الله بن سعد. وقد تقدم في كتاب النكاح.

(وقال) ﷺ: **(عليكم بسنَّتي وسنَّة الخلفاء الراشدين من بعدي، عضُّوا عليها بالنواجذ)** قال العراقي[١]: رواه أبو داود[٢] والترمذي[٣] وصحَّحه وابن ماجه[٤] من حديث العِرْباض بن سارية.

(و) قد **(قال الله تعالىٰ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾)** [آل عمران: ٣١] وقد كان أبو محمد سهل يقول: من علامة حب الله تعالىٰ حبُّ النبي ﷺ، ومن علامة حب النبي ﷺ حب السنَّة، ومن علامة حب السنَّة بغضُ الدنيا[٥]، فإن القوم كانوا زاهدين. وقال مرةً: ومن علامة حب السنَّة بغضُ الدنيا، ومن علامة بغضها أن لا تأخذ منها إلا زادًا أو بلغة[٦]. وقال ﷺ: «إن أقرب الناس مني مجلسًا يوم القيامة مَن كان علىٰ مثل ما أنا عليه اليوم من الدنيا». فلذلك كان أبو ذر يقول لأصحابه: أنا أحبُّكم إلىٰ رسول الله ﷺ وأقربكم منه غدًا مجلسًا. قالوا: كيف ذلك؟ قال: لأني اليوم علىٰ مثل ما فارقتُه عليه، وكلكم قد غيَّرتم. هذا لزهده،

---

(١) المغني ٢/ ١١١٣.

(٢) سنن أبي داود ٥/ ١٩٣.

(٣) سنن الترمذي ٤/ ٤٠٨ - ٤٠٩.

(٤) سنن ابن ماجه ١/ ٧١ - ٧٣.

(٥) في القوت: الزهد في الدنيا.

(٦) تقدم هذا الأثر في كتاب آداب تلاوة القرآن، مع اختلاف.

وكان مالك بن دينار في التابعين بدلاً عن أبي ذر في الزهد؛ لأنه زاد علىٰ أصحابه في التزهُّد والتقشُّف بلبس الخشن وأكل الجشب وتركِ الادِّخار وبذاذة الحال، ولم يكن يغلق بابه، إنما كان يشدُّه بشريط، وقال: لولا الكلاب لَما شددته بشريط. وأما الحسن البصري فإنَّ مالك بن دينار كان يقول: أيها الناس، معلِّمي واللهِ الحسن[1]. به تأدَّب، ومنه تعلَّم، ولم يفارقه حتىٰ مات، فهو بدل عنه، والحسن كان بدلاً عن صاحب السر حذيفة بن اليمان، وكان الإمام أبو محمد سهل لم يكن في عصره مثله، فكان بدلاً عنهم وخلفًا منهم، ثم الله أعلم حيث يجعل رسالاته، ولا [حول ولا] قوة إلا به.

(وأوصىٰ رسول الله ﷺ عائشة ﵂ خاصةً وقال): يا عائشة **(إذا أردتِ اللحوقَ بي فإيَّاكِ ومجالسة الأغنياء، و)** أن **(لا تنزعي ثوبًا حتىٰ ترقعيه)** رواه[2] الترمذي - وقال: غريب - والحاكم وصحَّحه من حديث عائشة، وقد تقدم[3].

(وعُدَّ علىٰ قميص عمر) بن الخطاب (﵁ **اثنتا عشرة رقعة بعضها من أدم)** رواه جعفر بن سليمان، حدثنا مالك بن دينار، حدثنا الحسن أن عمر خطب وهو خليفة وعليه إزار فيه اثنتا عشرة رقعة[4].

وروىٰ عفَّان، عن مهدي بن ميمون، حدثنا الجريري، عن أبي عثمان قال:

---

(١) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء ٢/ ٣٦٧ - ٣٦٨ عن مالك بن دينار قال: لما وقعت الفتنة أتيت الحسن أسأله: يا أبا سعيد، ما تأمرني؟ فلا يجيبني، فقلت: يا أبا سعيد، أتيتك ثلاثة أيام أسألك وأنت معلمي فلا تجيبني، واللهِ لقد هممت أن آخذ الأرض بقدمي وأشرب من أفواه الأنهار وآكل من بقل البرية حتىٰ يحكم الله بين عباده. فأرسل الحسن عينيه باكيا ثم قال: يا مالك، ومن يطيق ما تطيق؟ لكنا واللهِ ما نطيق هذا.

(٢) المغني للعراقي ٢/ ١١١٣.

(٣) في كتاب آداب الصحبة.

(٤) رواه أحمد في الزهد ص ١٠٣، وأبو نعيم في حلية الأولياء ١/ ٥٢ - ٥٣، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٤٤/ ٣٠٤.

رأيت عمر يطوف وعليه إزار فيه اثنتا عشرة رقعة إحداهنَّ من أدم أحمر[١].

وروىٰ أسد بن موسىٰ، حدثنا أبو سفيان قطبة، سمعت مالك بن دينار، حدثني نافع، حدثني ابن عمر أنه رأىٰ عمر يرمي الجمرة وعليه إزار فيه اثنتا عشرة رقعة بعضها من أدم[٢].

(واشترىٰ علي بن أبي طالب رضي الله عنه ثوبًا بثلاثة دراهم، ولبسه وهو في الخلافة، وقطع كُمَّيه من الرُّسْغين، وقال: الحمد لله الذي كساني هذا من رياشه)[٣] رواه أبو نعيم في الحلية[٤] من طريق أبي سعيد الأزدي – وكان إمامًا من أئمَّة الأزد – قال: رأيت عليًّا أتىٰ السوقَ وقال: مَن عنده قميص صالح بثلاثة دراهم؟ فقال رجل: عندي. فجاء به، فأعجبه فقال: لعله خير من ذاك. قال: لا، ذاك ثمنه. قال: فرأيت عليًّا يقرض رباط الدراهم من ثوبه فأعطاه فلبسه فإذا هو يفضل عن أطراف أصابعه، فأمر به فقُطِع ما فضل عن أطراف أصابعه.

(وقال) سفيان **(الثوري وغيره: البسْ من الثياب ما لا يشهرك عند العلماء، ولا يحقرك عند الجُهَّال)**[٥] نقله صاحب القوت.

(و) كان الثوري رحمه الله تعالىٰ يقول: **(إن الفقير لَيمرُّ بي وأنا أصلي فأدعه)** أي أتركه **(يجوز)** أي يمر **(ويمر بي واحد من أبناء الدنيا وعليه هذه البَزَّة فأمقته ولا**

---

(١) رواه ابن سعد في الطبقات الكبرىٰ ٣/ ٣٠٤.

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في إصلاح المال ص ١٠٩ – ١١٠، وفيه: ثلاث عشرة رقعة. وزاد في آخره: «وإن منها ما قد خيط بعضه علىٰ بعض، إذا قعد ثم قام انتخل منه التراب».

(٣) رواه الدينوري في المجالسة وجواهر العلم ٢/ ١٣٦ وابن عساكر في تاريخ دمشق ٤٢/ ٤٨٣ عن ابن عباس.

(٤) حلية الأولياء ١/ ٨٣.

(٥) أورده ابن عبد البر في بهجة المجالس ٣/ ٦٧ (ط – دار الكتب العلمية) بلفظ: «قال رجل لإبراهيم النخعي: ما ألبس من الثياب؟ فقال: ما لا يشهرك عند العلماء، ولا يحقرك عند السفهاء».

أدعه يجوز)[١] نقله صاحب القوت. وتقدَّم للمصنف عن المؤمِّل قال: ما رأيت الغني في مجلس قط أذل منه عند الثوري. وقال آخر: كنا إذا جلسنا عند سفيان تمنَّينا أنَّا كنا فقراء؛ لِما نرىٰ من إقباله عليهم وإعظامه لهم. رواه أبو نعيم في الحلية. وكذلك كان العلماء يقولون في وصف العالِم: إنما العالِم هو الذي يقوم الفقير من عنده غنيًّا، ويقوم الغني من عنده فقيرًا، ولا يستحي الفقير من فقره، ويزري الغني بغناه علىٰ نفسه.

(وقال بعضهم: قوَّمتُ ثوبَيْ سفيان ونعليه بدرهم وأربعة دوانق) نقله صاحب القوت، قال: فهكذا كان علماء الآخرة الزاهدون في الدنيا ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٞ وَرِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ يَأۡخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلۡأَدۡنَىٰ﴾ الآية [الأعراف: ١٦٩].

(وقال) عبد الله **(ابن شُبرمة)** الكوفي قاضيها: **(خير ثيابي ما خدمني، وشرُّها ما خدمتُه)**[٢] نقله صاحب القوت.

(وقال بعض السلف: البسْ من الثياب ما يخلطك بالسوقة، ولا تلبس منها ما يشهرك فيُنظَر إليك) وبعضهم يقول: شر الثياب ما يرفع الناس رؤوسهم فينظرون إلىٰ صاحبها. وكانوا يقولون: كثرة الثياب علىٰ ظهر ابن آدم عقوبة من الله له.

(وقال أبو سليمان الداراني) رحمه الله تعالىٰ: **(الثياب ثلاثة: ثوب لله وهو ما يستر العورة)** وتؤدَّىٰ فيه الفريضة **(وثوب للنفس وهو ما يُطلَب لينه)** ونقاؤه **(وثوب للناس وهو ما يُطلَب جوهره وحُسنه)** وهو شرُّها. ثم قال: وقد يكون [الثوب] الواحد لله تعالىٰ وللنفس[٣]. نقله صاحب القوت.

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل ١/ ١٠٢ وأبو نعيم في حلية الأولياء ٦/ ٣٩٠ وابن الجعد في مسنده ص ٧٤٣ بلفظ: «إنه ليمر بين يدي المسكين وأنا أصلي فأدعه، فإذا مر أحدهم وعليه الثياب يتمشىٰ لم أدعه».

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في التواضع والخمول ص ١٧٨ بلفظ: «إن أبغض ثيابي إليَّ ما خدمته».

(٣) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء ٩/ ٢٧٤ بلفظ: «الثياب ثلاثة: ثوب لله، وثوب لنفسك، =

(**وقال بعضهم: مَن رقَّ ثوبه**) فقد (**رقَّ دينُه**)[١] فإن الثوب الرقيق يحوجه إلىٰ إحضار ثمن كثير، والحلال ضيق، فيحتاج أن يمدَّ يده إلىٰ الشبهات، بل إلىٰ الحرام المحض، وهذا هو رقَّة الدين. وقد كان بعض العلماء يكره أن يكون علىٰ الرجل من الثياب ما يجاوز قيمةَ أربعين درهمًا، وبعضهم يقول: إلىٰ المائة، ويعدُّه سَرَفًا فيما جاوزها (**وكان جمهور العلماء**) و(**من**) خيار (**التابعين قيمة ثيابهم ما بين العشرين إلىٰ الثلاثين درهمًا**) وكان المتقدِّمون من الصحابة أثمان أُزُرهم اثني عشر درهمًا، وكانوا يلبسون ثوبين قيمة نيِّف وعشرين إلىٰ الأربعين، وكان الأحنف بن قيس يقول: ما كذبت كذبةً منذ علمتُ أن الكذب يضرُّ أهلَه إلا مرة واحدة، فإن عمر بن الخطاب نظر إلىٰ إزاري من العيبة فجسَّه فوجده ناعمًا فقال: بكم أخذتَ هذا؟ ففزعت منه فقلت: بعشرين. قال: كثير، فهلاَّ بعشرة وقدَّمتَ عشرة لغدٍ ليوم فقر وفاقتك. قال: وقد كنت اشتريته بثلاثين وأخفيت عشرة رهبة منه[٢].

(**وكان**) سليمان (**الخَوَّاص**) رحمه الله تعالىٰ أحد زهَّاد عصره، وكان (**لا يلبس أكثر من قطعتين**) مئزرين أو (**قميص ومئزر تحته، وربما يعطف ذيل قميصه علىٰ رأسه**) أو يحلُّه من وسطه فيغطي به رأسه. أي فكذلك يُستحب للفقير، وهو حدُّ اللباس من الحاجة. نقله صاحب القوت.

(**وقال بعض السلف: أول النُّسك الزي**) حتىٰ يشبه القلبُ القلبَ. أي إذا

= وثوب للناس وهو شر الثلاثة، فما كان لله فهو أن تجد بثلاثين وتشتري بعشرين وتقدم عشرة، وما كان لنفسك فهو أن تريد لينه علىٰ جسدك، وما كان للناس فهو أن تريد حسنه، وقد تجمع في الثوب الواحد لله ولنفسك».

(١) رواه الدولابي في الكنىٰ والأسماء ٢/ ٨٩٨ عن أبي الغدير المليكي.

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في إصلاح المال ص ١١٢ بلفظ: «ما كذبت قط إلا مرة، فإن عمر نظر إليَّ مرة فقال: بكم أخذت هذا الثوب؟ فألقيت ثلثي ثمنه، فقال: إن رداءك هذا لحسن لولا كثرة ثمنه».

رأيتَ[١] اثنين زيُّهما واحد وشمائلهما واحدة في اللبسة والآداب فاعلمْ أن قلب أحدهما على قلب الآخَر في المجانسة أو يقاربه في الحال والهمَّة، وإن كان أحدهما ظاهره ظاهر أبناء الآخرة فإن باطنه باطن أهل الآخرة[٢]، وقد اتفقا من جهة أو دخلا من باب. كذا في القوت.

(**وفي الخبر: البذاذة من الإيمان**) رواه أحمد وابن ماجه والطبراني والحاكم في الكنى وفي المستدرك والبيهقي وأبو نعيم والضياء من حديث عبد الله بن أبي أمامة [إياس بن] ثعلبة الحارثي عن أبيه مرفوعًا[٣]. وقد سُئل الإمام أحمد عن البذاذة فقال: هي التقارُب في اللباس[٤]. ويقرُب منه: الابتذال وهو التقارب والدنو في كل [شيء] من المستعمَل المبتذَل كالملبوس منه، يقال: فلان متبذِّذ: إذا لم يبالِ ما لبس أو استعمل ما فيه ضعة ودنوٌّ.

(**وفي الخبر: مَن ترك ثوب جمال وهو يقدر عليه تواضعًا لله تعالى**) خيَّره الله من حُلَل الإيمان أيُّها شاء. وفي لفظ آخر: مَن ترك زينةً لله ووضع ثيابًا حسنة تواضعًا لله (**وابتغاء لوجهه كان حقًّا على الله أن يدَّخر له من عبقريِّ الجنة في تَخات الياقوت**) الحديث رواه الترمذي وحسَّنه والطبراني وأبو نعيم والحاكم والبيهقي والضياء من حديث سهل بن معاذ بن أنس الجُهَني عن أبيه مرفوعًا، والحديث الثاني رواه أبو يعلى الذهلي في فوائده وابن النجار من حديث ابن عباس، ورواه أبو سعد الماليني في مسند الصوفية وأبو نعيم في الحلية بلفظ: «مَن ترك زينة الدنيا لله ...». وهذا قد

---

(١) في العبارة سقط، ونص القوت: «كما كان السلف يقولون: أول النسك الزي. وقال بعض العلماء: من رق ثوبه رق دينه. وقال ابن مسعود: لا يشبه الزي الزي حتى يشبه القلب القلب. فتدبر قوله: إذا رأيت ...» الخ. وأثر ابن مسعود رواه ابن أبي شيبة في مصنفه ١٢/ ٧٥ - ٧٦، وهناد في الزهد ٢/ ٤٣٨.

(٢) كذا هنا، وهو سبق قلم، والصواب ما في القوت: «فإن باطنه باطن أبناء الدنيا».

(٣) تقدم هذا الحديث في كتاب ذم الكبر.

(٤) الزهد لأحمد ص ١٠ بلفظ: التواضع في اللباس.

تقدم في ذم الدنيا[١].

(وأوحىٰ الله تعالىٰ إلىٰ بعض أنبيائه: قلْ لأوليائي: لا يلبسوا ملابس أعدائي) ولا يركبوا مراكب أعدائي **(ولا يدخلوا مداخل أعدائي فيكونوا أعدائي كما هم أعدائي)**[٢] ورد ذلك في الخبر، كما في القوت.

(ونظر رافع بن خَديج) بن[٣] رافع بن عدي الحارثي الأوسي الأنصاري، أول مشاهدة أُحد، ثم الخندق، مات سنة ثلاث وسبعين أو أربع وسبعين، وقيل: قبل ذلك، روىٰ له الجماعة **(إلىٰ بشر بن مروان)** بن الحكم بن العاص، أخي عبد الملك **(علىٰ منبر الكوفة)** إذ كان واليًا عليها من طرف أخيه **(وهو يعظ)** الناس في خطبته **(فقال)** رافع: **(انظروا إلىٰ أميركم يعظ الناس وعليه ثياب الفُسَّاق)** قيل: (و) ما **(كان عليه)**؟ قال: **(ثياب رِقاق)** نقله صاحب القوت.

(وجاء عبد الله بن عامر بن ربيعة) القرشي، له رؤية، وقد روىٰ عن الصحابة **(إلىٰ أبي ذر)** رَضِيَ اللهُ عَنْهُ **(في بَزَّته، فجعل يتكلم في الزهد، فوضع أبو ذر)** رَضِيَ اللهُ عَنْهُ **(راحته علىٰ فيه وجعل يضرط به)** كالمستهزئ **(فغضب ابن عامر فشكاه إلىٰ عمر)** رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. كذا في النسخ، ولفظ القوت: فأتىٰ ابنَ عمر فشكا إليه وقال: ألم ترَ ما لقيتُ من [أخيك] أبي ذر؟ قال: وما ذاك؟ قال: جعلتُ أقول في الزهد، فأخذ يهزأ بي **(فقال)** ابن عمر: **(أنت صنعتَ بنفسك، تتكلم في الزهد بين يديه بهذة البَزَّة)** ولفظ القوت: تأتي أبا ذر في هذه البَزَّة وتتكلم في الزهد.

(وقال علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ**: إن الله تعالىٰ أخذ علىٰ أئمَّة الهدىٰ أن يكونوا في مثل أدنىٰ أحوال الناس؛ ليقتدي بهم الغنيُّ، ولا يزري بالفقير فقرُه)** نقله صاحب القوت.

(ولمَّا عوتِب) رَضِيَ اللهُ عَنْهُ **(في خشونة لباسه قال: هو أقرب إلىٰ التواضع، وأجدر**

---

(١) بل في كتاب ذم الكبر.

(٢) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء ٢/ ٣٧١ وابن أبي الدنيا في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ص ١١٠، ١٢٣ عن مالك بن دينار، وزادا: ولا تطعموا مطاعم أعدائي.

(٣) تقريب التهذيب ص ٣١٦.

أن يقتدي به المسلم) ولفظ القوت: وعوتِب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في لباسه، وكان يلبس الخشن من الكرابيس، قيمة قميصه ثلاثة دراهم إلىٰ خمسة، ويقطع ما فضل عن أطراف أصابعه، فقال: هذا أدنىٰ إلىٰ التواضع، وأجدر أن يقتدي بي المسلم.

وقال أبو نعيم في الحلية[1]: حدثنا محمد بن أحمد بن الحسن، حدثنا عبد الله ابن أحمد بن حنبل، حدثنا علي بن حكيم. ح. وحدثنا محمد بن علي، حدثنا أبو القاسم البغوي، حدثنا علي بن الجعد، قالا: حدثنا شريك، عن عثمان بن أبي زُرعة، عن زيد بن وهب قال: قدم علىٰ عليٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وفدٌ من أهل البصرة فيهم رجل من رؤوس الخوارج يقال له: الجعد بن بعجة، فعاتب عليًّا في لبوسه، فقال: ما لك وللبوسي؟ إن لبوسي أبعد من الكبر، وأجدر أن يقتدي بي المسلم.

(ونهىٰ ﷺ عن التنعُّم وقال: ألا إن عباد الله ليسوا بالمتنعِّمين) رواه أحمد[2] وأبو نعيم[3] من حديث معاذ بلفظ: «إيَّاك والتنعُّم، فإن لله عبادًا ليسوا بالمتنعِّمين». وقد تقدم.

(ورُؤي فضالة بن عبيد) بن[4] نافذ بن قيس الأنصاري الأوسي، أول مشاهده أُحد، وشهد فتح مصر، ثم نزل دمشق وولي قضاءها، ومات سنة ثمان وخمسين، روىٰ له مسلم والأربعة **(وهو والي مصر أشعث)** أغبر **(حافيًا، فقيل له: أنت الأمير وتفعل هذا؟! فقال: نهانا رسول الله ﷺ عن الإرفاه)** أي التنعُّم **(وأمرنا أن نحتفي أحيانًا)** ويُروَىٰ نتحفىٰ. رواه أبو داود[5] بإسناد

---

(١) حلية الأولياء ١/ ٨٢ - ٨٣.

(٢) مسند أحمد ٣٦/ ٤٢٠، ٤٢٩.

(٣) حلية الأولياء ٥/ ١٥٥.

(٤) تقريب التهذيب ص ٧٨١.

(٥) سنن أبي داود ٤/ ٤٤٤ عن عبد الله بن بريدة أن رجلا من أصحاب النبي ﷺ رحل إلىٰ فضالة بن عبيد وهو بمصر، فقدم عليه، فقال: أما إني لم آتك زائرا، ولكني سمعت أنا وأنت حديثا =

جيد[١]. والاحتفاء: البذاذة والتبذُّل.

(**وقال عليٌّ لعمر** رضي الله عنهما: **إن أردتَ أن تلحق بصاحبيك فارقع القميص، ونكِّس الإزار، واخصف النعل، وكلْ دون الشبع**)[٢] نقله صاحب القوت.

(**وقال عمر** رضي الله عنه: **اخشوشِنوا، وإيَّاكم وزي العجم كسرىٰ وقيصر**) ولفظ القوت: وكان عمر يقول: اخْلَولَقوا، واخشوشِنوا، وتمعددوا، وإيَّاكم وزي العجم كسرىٰ وقيصر، واقطعوا الركب، وانزوا علىٰ الخيل نزوًا، وعليكم بالمعدِّية الأولىٰ سنَّة أبيكم إسماعيل. انتهىٰ.

رواه ابن حبان في صحيحه[٣] من طريق أبي عثمان قال: أتانا كتاب عمر ونحن بأذربيجان: يا عتبة بن فرقد، إياكم والتنعُّم وزي أهل الشرك ولبوس الحرير، فإن رسول الله ﷺ نهانا عنه إلا هكذا، ورفع رسول الله أصبعيه. وقد رواه أحمد في مسنده[٤]: حدثنا حسن بن موسىٰ، حدثنا زهير، حدثنا عاصم الأحول،

= من رسول الله ﷺ رجوت أن يكون عندك منه علم. قال: وما هو؟ قال: كذا وكذا. قال: فما لي أراك شعثا وأنت أمير الأرض؟ قال: إن رسول الله ﷺ كان ينهانا عن كثير من الإرفاه. قال: فما لي لا أرىٰ عليك حذاء؟ قال: كان النبي ﷺ يأمرنا أن نحتفي أحيانا.

(١) قاله العراقي في المغني ٢/ ١١١٣.

(٢) رواه البيهقي في شعب الإيمان ٧/ ٤٦٦ عن يحيىٰ بن عقيل، وفيه: «يا أمير المؤمنين إن سرك أن تلحق بصاحبيك فاقصر الأمل، وكل ...» والباقي سواء. وكذا رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الجوع ص ٤٤، والخطيب في تاريخ بغداد ٦/ ٤٦٢. ورواه عبد الله بن أحمد في زوائد الزهد ص ٢٥٩ عن مالك بن دينار أن أبا ذر الغفاري قال لعمر ... فذكر مثله.

(٣) صحيح ابن حبان ١٢/ ٢٦٨، ولفظه: «أتانا كتاب عمر ونحن بأذربيجان مع عتبة بن فرقد: أما بعد، فاتزروا، وارتدوا، وانتعلوا، وارموا بالخفاف، واقطعوا السراويلات، وعليكم بلباس أبيكم إسماعيل، وإياكم والتنعم وزي العجم، وعليكم بالشمس فإنها حمام العرب، واخشوشنوا، واخلولقوا، وارموا الأغراض، وانزوا نزوا، والنبي ﷺ نهانا عن الحرير إلا هكذا: أصبعيه الوسطىٰ والسبابة. قال: فما علمنا أنه يعني إلا الأعلام». والحديث في صحيح البخاري ٤/ ٦٢ وصحيح مسلم ٢/ ٩٩٧ - ٩٩٨ بألفاظ مختلفة.

(٤) مسند أحمد ١/ ٢٥٢ - ٢٥٣، ٣٩٤، ٤٢٩.

عن أبي عثمان ... فذكره. وبه قال: حدثنا يزيد، أنبأنا عاصم، عن أبي عثمان أن عمر قال: اتَّزِروا، وارتدوا، وانتعِلوا، وألقوا الخِفاف والسراويلات، وألقوا الرُّكُب، وانزوا نزوًا، وعليكم بالمَعَدِّية، وارموا الأغراض، وذروا التنعُّم وزي العجم، وإياكم والحرير. وقال أبو عبيد في الغريب[1]: حدثنا أبو بكر بن عيَّاش، عن عاصم، عن أبي العَدَبَّس الأسدي، عن عمر أنه قال: اخشوشِنوا، وتمعددوا، واجعلوا الرأس رأسين. ومعنىٰ تمعددوا: اتَّبِعوا معد بن عدنان في الفصاحة، وقيل: تشبَّهوا بعيشه من الغلظ والتقشُّف، فكونوا مثله ودعوا التنعُّم وزيَّ الأعاجم. وقال الرامهرمُزي في الأمثال[2]: المعنىٰ: اقتدوا بمعد بن عدنان، والبسوا الخشن من الثياب، وامشوا حفاةً، فهو حثٌّ علىٰ التواضع ونهيٌ عن الإفراط في الترفُّه والتنعُّم. وقد روىٰ الرامهُرمزي في الأمثال عن عبد الله بن سعيد عن أبيه عن رجل من أسلم يقال له ابن الأدرع - له صحبة - رفعه: «تمعددوا، واخشوشنوا، وامشوا حفاة». ويُروَىٰ: «تمعددوا، واخشوشِنوا، وانتضلوا، وامشوا حفاة». رواه الحاكم في الكنىٰ والبغوي[3] والطبراني[4] وابن منده من حديث ابن أبي حدرد. قال ابن عساكر[5]: اعتقد البغوي أن ابن أبي حدرد هو عبد الله فأخرجه في ترجمته، وإنما هو القعقاع بن عبد الله بن أبي حدرد، وكذلك رواه صفوان بن عيسىٰ ويحيىٰ ابن زكريا بن أبي زائدة عن عبد الله بن سعيد المقبري، فيكون الحديث مرسلاً؛ لأن القعقاع لا صحبة له، وعبد الله بن سعيد ضعيف بمرة. هذا كلام الحافظ السيوطي

(١) غريب الحديث ٤/ ٢٢٣ - ٢٢٦. وفيه: «فرقوا عن المنية، واجعلوا الرأس رأسين، ولا تلثوا بدار معجزة، وأصلحوا مثاويكم، وأخيفوا الهوام قبل أن تخيفكم. وقال: اخشوشنوا، واخشوشبوا، وتمعددوا».

(٢) أمثال الحديث ص ٢٥٦.

(٣) معجم الصحابة ٤/ ١٣٧، ٥/ ٧٤.

(٤) المعجم الكبير ١٩/ ٤٠، ٢٢/ ٣٥٣.

(٥) تاريخ دمشق ٢٧/ ٣٣٢ - ٣٣٣.

في الجامع الكبير(١). وقال الحافظ السخاوي في المقاصد(٢): رواه أبو الشيخ في السبق وابن شاهين في الصحابة والطبراني في الكبير وعنه أبو نعيم في المعرفة(٣)، كلهم من طريق يحيىٰ بن زكريا بن أبي زائدة، عن عبد الله بن سعيد المقبري، عن أبيه، عن القعقاع بن أبي حدرد رفعه: «تمعددوا، واخشوشنوا، واخلولقوا، وانتضلوا، وامشوا حفاة». وهو عند أبي الشيخ فقط من طريق صفوان بن عيسىٰ، عن عبد الله بن سعيد المقبري، عن أبيه، عن عبد الله بن أبي حدرد عن النبي ﷺ [مثله] وكذا أخرجه أبو نعيم في المعرفة من طريق صفوان، لكن جعله عن القعقاع كالأول، ورواه أيضًا من طريق إسماعيل بن زكريا، عن عبد الله بن سعيد، عن أبيه، عن القعقاع بن أبي حدرد، وكذا أخرجه البغوي في معجم الصحابة في ترجمة القعقاع، لكنه لم يسمِّه إذ ساقه، بل قال: عن ابن أبي حدرد، وأعاده في عبد الله من العبادلة من حديث إسماعيل أيضًا ولم يسمِّه كذلك. ورواه الطبراني في الكبير من طريق مندل بن علي عن عبد الله بن سعيد عن أبيه عن عبد الله بن أبي حدرد، وأبو الشيخ أيضًا من طريق سعد بن سعيد ابن أبي سعيد المقبري عن أخيه - هو عبد الله - عن جده عن أبي هريرة رفعه مثله، ورواه الرامهرمزي في الأمثال من طريق أبي بكر ابن أبي شيبة، حدثنا عبد الرحمن، عن عبد الله بن سعيد، عن أبيه، عن رجل من أسلم يقال له ابن الأدرع رفعه: تمعددوا ... الحديث. فهذا ما فيه من الاختلاف، ومداره علىٰ عبد الله بن سعيد، وهو ضعيف.

(**وقال علي رضي الله عنه: مَن تزيَّا بزيِّ قوم فهو منهم**) وقد(٤) رُوي نحوه مرفوعًا من حديث ابن عمر: «مَن تشبَّهَ بقوم فهو منهم». رواه أحمد(٥)

---

(١) الجامع الكبير ٤/ ٤٤٩ - ٤٥٠.

(٢) المقاصد الحسنة ص ١٦٣ - ١٦٤.

(٣) معرفة الصحابة ٤/ ٢٣٦١.

(٤) المقاصد الحسنة ص ١٠٨، ٤٠٧.

(٥) مسند أحمد ٩/ ١٢٣، ١٢٦، ٤٧٨.

وأبو داود[١] والطبراني[٢] من طريق أبي منيب الجُرَشي عنه، وفي السند ضعفٌ. ورواه البزار[٣] من حديث حذيفة وأبي هريرة. ورواه أبو نعيم في تاريخ أصفهان[٤] من حديث أنس. وهو عند القضاعي[٥] من حديث طاووس مرسلاً. وله شاهد جيد من قول الحسن البصري: قلَّما تشبَّهَ رجل بقوم إلا كان منهم. رواه العسكري في الأمثال من طريق حماد عن حميد الطويل قال: كان الحسن يقول ... فذكره. ومن قول عمرو بن عامر البجلي: مَن تشبَّهَ بقوم لحق بهم. رواه العسكري أيضًا من طريق زافر عنه.

(وقال ﷺ: إن من شِرار أمَّتي الذين غُذُّوا بالنعيم، يطلبون ألوان الطعام وألوان الثياب، ويتشدَّقون بالكلام) قال العراقي[٦]: رواه الطبراني بإسناد ضعيف من حديث أبي أمامة: «سيكون رجال من أمَّتي يأكلون ألوان الطعام ...» الحديث، وآخره: «أولئك شِرار أمَّتي». وقد تقدم.

قلت: وتمامه: «ويشربون ألوان الشراب، ويلبسون ألوان الثياب، ويتشدَّقون في الكلام، فأولئك شِرار أمتي». وقد رواه أبو نعيم في الحلية كذلك. وروى ابن عدي والبيهقي وابن عساكر من طريق عبد الله بن الحسن عن أمِّه عن فاطمة بنت رسول الله ﷺ ورضي عنها رفعته: «شِرار أمَّتي الذين غُذُّوا بالنعيم، الذين يأكلون ألوان الطعام، ويلبسون ألوان الثياب، ويتشدَّقون في الكلام». وقد رواه ابن أبي الدنيا في ذم الغيبة كذلك، وتقدم. وروى الحاكم من حديث عبد الله بن جعفر: «شرار أمتي الذين وُلِدوا في النعيم وغُذُّوا به، يأكلون من الطعام ألوانًا، ويلبسون

(١) سنن أبي داود ٤/ ٣٩١.

(٢) المعجم الكبير ١٣/ ٣١٧.

(٣) مسند البزار ٧/ ٣٦٨، ١٥/ ٢٠٥.

(٤) تاريخ أصفهان ١/ ١٢٩.

(٥) مسند الشهاب ١/ ٢٤٤.

(٦) المغني ٢/ ١١١٣.

من الثياب ألوانًا، ويركبون من الدوابِّ ألوانًا، ويتشدَّقون في الكلام». وقد صحَّحه الحاكم وتُعُقِّب. وتقدم[1].

(وقال ﷺ: إزرة المؤمن إلىٰ أنصاف ساقَيْه، ولا جُناح عليه فيما بينه وبين الكعبين، وما أسفل من ذلك ففي النار، ولا ينظر الله يوم القيامة إلىٰ مَن جرَّ إزارَه بطرًا) قال العراقي[2]: رواه مالك[3] وأبو داود[4] والنسائي[5] وابن حبان[6] من حديث أبي سعيد، ورواه النسائي[7] أيضًا من حديث أبي هريرة، قال محمد ابن يحيىٰ الذُّهلي: كِلا الحديثين محفوظ. انتهىٰ.

قلت: لفظ مالك في الموطأ: «إزرة المؤمن إلىٰ نصف الساق، ولا جُناح عليه فيما بينه وبين الكعبين، وما كان أسفل من الكعبين فهو في النار، ومَن جرَّ إزاره بَطَرًا لم ينظر الله إليه». وكذلك رواه الطيالسي[8] وأحمد[9] وابن ماجه[10] وأبو يعلىٰ[11] وابن حبان والبيهقي[12] والضياء من حديث أبي سعيد. ورواه الطبراني[13] من حديث ابن عمر. وفي رواية: «إزرة المؤمن إلىٰ نصف الساق،

---

(١) تقدمت هذه الأحاديث في كتاب آفات اللسان، وفي كتاب كسر الشهوتين، وفي كتاب ذم البخل.

(٢) المغني ٢/ ١١١٤.

(٣) الموطأ ٢/ ٩١٤ - ٩١٥.

(٤) سنن أبي داود ٤/ ٤١٨.

(٥) السنن الكبرىٰ ٨/ ٤٣٨ - ٤٣٩.

(٦) صحيح ابن حبان ١٢/ ٢٦٣، ٢٦٥.

(٧) السنن الكبرىٰ ٨/ ٤٣٦ - ٤٣٨.

(٨) مسند الطيالسي ٣/ ٦٧٤.

(٩) مسند أحمد ١٧/ ٥٢، ٧٣، ٣٥٨، ٤٨٦، ١٨/ ٦٤، ٤١٤.

(١٠) سنن ابن ماجه ٥/ ٢٠١.

(١١) مسند أبي يعلىٰ ٢/ ٢٦٩.

(١٢) السنن الكبرىٰ ٢/ ٣٤٦.

(١٣) المعجم الكبير ١٢/ ٣٤١.

وليس عليه حرج فيما بينه وبين الكعبين، وما أسفل من ذلك ففي النار». رواه كذلك الطبراني[1] من حديث عبد الله بن مغفل. وفي رواية: «إزرة المؤمن إلىٰ عضلة ساقَيْه، ثم [إلىٰ نصف ساقيه، ثم] إلىٰ الكعبين، فما كان أسفل من ذلك ففي النار». رواه كذلك أحمد[2] من حديث أبي هريرة. واقتصر النسائي من حديث أبي هريرة وابن عمر علىٰ الجملة الأولىٰ فقط، وكذلك النسائي والبيهقي من حديث أبي سعيد، وكذلك ابن أبي عاصم وسمويه والضياء[3] من حديث أنس. وروىٰ الطيالسي[4] ومسلم من حديث ابن عمر: «مَن جرَّ إزاره يريد بذلك الخيلاء فإن الله لا ينظر إليه يوم القيامة». وروىٰ أحمد[5] والستة[6] من حديثه: «مَن جرَّ ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة». وروىٰ أحمد[7] من حديث أبي سعيد: «مَن جرَّ ثيابه من الخيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة ...» الحديث.

(وقال أبو سليمان الداراني) رحمه الله تعالىٰ: **(قال رسول الله ﷺ: لا يلبس الشعر من أمَّتىٰ إلا مُراءٍ أو أحمق)** قال العراقي[8]: لم أجد له إسنادًا.

(وقال) أبو عمرو **(الأوزاعي)** رحمه الله تعالىٰ: **(لباس الصوف في السفر**

---

(١) مسند الشاميين ٤/ ٥١.

(٢) مسند أحمد ١٣/ ٢٤٧.

(٣) الأحاديث المختارة ٦/ ٣٨ - ٤٠.

(٤) مسند الطيالسي ٣/ ٤٥٤.

(٥) مسند أحمد ٨/ ٧٣، ٩/ ٢٥٤ وفي مواضع أخرىٰ كثيرة.

(٦) صحيح البخاري ٣/ ١٠، ٤/ ٥٣، ٥٤. صحيح مسلم ٢/ ١٠٠٢ - ١٠٠٣. سنن أبي داود ٤/ ٤١٤ - ٤١٥. سنن الترمذي ٣/ ٣٤٤ - ٣٤٦. سنن النسائي ص ٨٠١ - ٨٠٢. سنن ابن ماجه ٥/ ١٩٧.

(٧) مسند أحمد ١٧/ ٤٤٩.

(٨) المغني ٢/ ١١١٤.

سنَّة، وفي الحضر بدعة)[١] كذا في القوت.

(ودخل محمد بن واسع) أبو يحيىٰ البصري العابد رحمه الله تعالىٰ **(علىٰ قتيبة بن مسلم)** الباهلي، صاحب خراسان، وكان أمير الجيش، وكان محمد بن واسع قد خرج معه **(وعليه جُبَّة صوف، فقال له قتيبة)**: يا أبا يحيىٰ **(ما دعاك إلىٰ مدرعة الصوف)**؟ وكأنَّه استحقرها **(فسكت)** محمد بن واسع ولم يجبْ **(فقال)** قتيبة: **(أكلِّمك ولا تجيبني. فقال: أكره أن أقول)** لبستُها **(زهدًا)** وتقشُّفًا **(فأزكِّي نفسي، أو)** لبستُها **(فقرًا)** وقلة **(فأشكو ربي**[٢]**)**.

وقال أبو سليمان) الداراني رحمه الله تعالىٰ: **(لمَّا اتخذ الله إبراهيم خليلاً أوحىٰ الله إليه أن: وارِ عورتك من الأرض. وكان)** عَلَيْهِ السَّلَامُ **(لا يتَّخذ من كل شيء)** من الثياب **(إلا واحدًا، سوىٰ السراويل فإنه كان يتخذ سروالين، فإذا غسل أحدهما لبس الآخَر حتىٰ لا يأتي عليه حالٌ إلا وعورته مستورة.**

وقيل لسلمان الفارسي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: **ما لك لا تلبس الجيد من الثياب؟ فقال: ما للعبد والثوب الحسن؟ فإذا أُعتق)** أي من رقِّ النار **(فله واللهِ ثياب لا تبلَىٰ أبدًا)** وروىٰ أبو نعيم في الحلية[٣] عن الحسن قال: كان عطاء سلمان خمسة آلاف درهم، وكان أميرًا علىٰ زهاء ثلاثين ألفًا من المسلمين، وكان يخطب الناسَ في عباءة يفترش بعضها ويلبس بعضها، وإذا خرج عطاؤه أمضاه ويأكل من سفيف يده.

(ويُروَىٰ عن عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالىٰ أنه كان له جُبَّة شعر وكساء شعر يلبسهما من الليل إذا قام يصلي) تقشُّفًا وزهدًا. رواه أبو نعيم في الحلية.

(وقال الحسن) البصري **(لفرقد)** بن[٤] يعقوب **(السَّبَخي)** بفتح المهملة

---

(١) رواه الذهبي في تذكرة الحفاظ ص ١٠٢٨ (ط - دار الكتب العلمية) بسنده إلىٰ الأوزاعي.

(٢) رواه الدينوري في المجالسة وجواهر العلم ٤/ ٤١٩، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٥٦/ ١٥٧.

(٣) حلية الأولياء ١/ ١٩٧ - ١٩٨.

(٤) تقريب التهذيب ص ٧٨٠.

والموحدة وبخاء معجمة، أبي يعقوب البصري العابد، صدوق، ليِّن الحديث، مات سنة إحدىٰ وثلاثين [ومائة] روىٰ له الترمذي وابن ماجه (**تحسب أن لك فضلاً علىٰ الناس بكسائك؟ بلغني أن أكثر أصحاب النار أصحاب الأكسية نفاقًا**)[١] أي يلبسونها وباطنهم مخالف لظاهرهم، فالحسن رحمه الله تعالىٰ خاطب فرقدًا ينبِّهه أن لا يغرَّه لبسُ الصوف.

(**وقال يحيىٰ بن معين**) بن[٢] عون الغَطَفاني مولاهم، أبو زكريا البغدادي، ثقة، حافظ مشهور، إمام الجرح والتعديل، مات سنة ثلاث وثلاثين [ومائتين] عن بضع وسبعين سنة، روىٰ له الجماعة (**رأيت أبا معاوية**) يمان (**الأسود**) رحمه الله تعالىٰ، ترجم له أبو نعيم في الحلية، وروىٰ[٣] من طريق بشر بن الحارث: سمعت المعافَىٰ بن عمران يقول: كان عشرة ممَّن مضىٰ من أهل العلم ينظرون في الحلال النظر الشديد، لا يُدخِلون بطونَهم إلا ما يعرفون من الحلال، وإلا استفُّوا التراب. ثم عدَّ بشرٌ منهم أبا معاوية الأسود (**وهو يلتقط الخِرَق من المزابل ويغسلها ويلفقِّها ويلبسها، فقلت**) له: (**إنك تُكسَىٰ خيرًا من هذا. فقال: ما ضرَّهم ما أصابهم في الدنيا جبر اللهُ لهم بالجنة كلَّ مصيبة. فجعل يحيىٰ بن معين يحدِّث بها ويبكي**)[٤] رواه أبو نعيم في الحلية[٥] من غير هذا الوجه قال: حدثنا أحمد بن جعفر بن معبد،

---

(١) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء ٢/ ١٥٦ عن صالح المري قال: دُعي الحسن وفرقد السبخي إلىٰ وليمة، فقرب إليهما ألوان الطعام، فاعتزل فرقد ولم يأكل، فقال الحسن: ما لك يا فريقد؟ أترىٰ أن لك فضلا علىٰ إخوانك بكسيك هذا؟ لقد بلغني أن عامة أهل النار أصحاب الأكسية. ورواه ابن سعد في الطبقات الكبرىٰ ٩/ ١٦٩ عن كلثوم بن جوشن قال: خرج الحسن وعليه جبة يمنة ورداء يمنة، فنظر إليه فرقد، فقال بالفارسية: أستاذ، ينبغي لمثلك أن يكون. فقال الحسن: يا ابن أم فرقد، أما علمت أن أكثر أصحاب النار أصحاب الأكسية؟

(٢) تقريب التهذيب ص ١٠٦٧.

(٣) حلية الأولياء ٨/ ٢٧١.

(٤) رواه الدينوري في المجالسة وجواهر العلم ١/ ٣٩٧، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٦٧/ ٢٤٢.

(٥) حلية الأولياء ٨/ ٢٧٣.

حدثنا أحمد بن مهدي، حدثنا أبو موسىٰ العارفي قال: كنت أسمع أبا معاوية الأسود إذا قام من الليل يستقي الماءَ يقول: ما ضرَّهم ما أصابهم في الدنيا، جبر اللهُ لهم كل مصيبة بالجنة.

حدثنا محمد بن عمر بن سلم إملاءً، حدثنا عبد الله بن بِشر بن صالح، حدثنا يوسف بن سعيد، حدثنا إبراهيم بن مهدي، سمعت أبا معاوية الأسود يقول: ما ضرَّهم ما أصابهم في دنياهم، جبر الله لهم كل مصيبة بالجنة.

حدثنا محمد بن أحمد بن شاهين، سمعت عبد الله بن أبي داود، سمعت أبا حمزة نصر بن الفرج - وكان خادم أبي معاوية الأسود - فقيل له: أيُّ شيء كان يتكلم به أبو معاوية ويتمثَّل؟ فقال: كان يجيء ويذهب ويقول: ما ضرَّهم ما نالهم في الدنيا، جبر الله لهم كل مصيبة بالجنة.

حدثنا أبو محمد ابن حيان، حدثنا إبراهيم بن محمد بن الحسن قال: كتب إليَّ أبو موسىٰ ابن المثنَّىٰ، حدثني عمرو بن أسلم، حدثنا أبو معاوية الأسود قال: شَمِّروا طلابًا، وشمِّروا هرابًا، لم يضرَّهم ما أصابهم في الدنيا، جبر الله لهم كلَّ مصيبة بالجنة.

(**المهم الثالث: المسكن. وللزهد أيضًا فيه ثلاث درجات، أعلاها أن لا يطلب موضعًا خاصًا لنفسه، فيَقنع بزوايا المساجد**) فيأوي إليها إن كان متجرِّدًا عن العيال، وذلك (**كأصحاب الصُّفَّة**) رضوان الله عليهم، وهم أناس من فقراء الصحابة، ليس لهم مسكن يأوون إليه، كانوا يسكنون في صُفَّة المسجد، وكان[١] عددهم يختلف بحسب اختلاف الأوقات والأحوال، فربما تفرَّق عنها وانتقص قادموها من الغرباء فيقل عددُهم، وربما يجتمع فيها واردوها من الوفود فينضم إليهم فيكثُرون، والمشهور من أخبارهم غلبة الفقر عليهم وإيثارهم القلة

---

(١) السابق ١/ ٣٤٠ - ٣٤١.

واختيارهم لها، فلم يجتمع لهم ثوبان، ولا حضرهم من الأطعمة لونان، وقال أبو هريرة: رأيت سبعين من أهل الصفَّة يصلُّون في ثوب، فمنهم مَن يبلغ ركبتيه، ومنهم مَن هو أسفل من ذلك، فإذا ركع أحدهم قبض عليه مخافةَ أن تبدو عورتُه. رواه أحمد في الزهد[1] **(وأوسطها أن يطلب موضعًا خاصًّا لنفسه مثل كوخ مبنيٍّ من سعف)** النخل وجريده **(أو خُص)** وهو بالضم: بيت من قصب فارسي، والجمع: أخصاص **(أو ما يشبهه، وأدناها أن يطلب حجرة مبنيَّة)** بطين ولبِن **(إما بشراء أو إجارة)** أو استعارة **(فإن كان قدْر سعة المسكن علىٰ قدْر حاجته من غير زيادة ولم تكن فيه زينة لم يخرجه هذا القدْرُ عن آخر درجات الزهد، فإن طلب التشديدَ والتجصيص والسعة وارتفاع السقف أكثر من ستة أذرع فقد جاوز بالكلِّية حدَّ الزهد في المسكن، واختلاف جنس البناء بأن يكون من الجِص أو القصب أو بالطين أو بالآجُرِّ، واختلاف قدره بالسعة والضِّيق، واختلاف طوله بالإضافة إلىٰ الأوقات بأن يكون مملوكًا أو مستأجَرًا أو مستعارًا، وللزهد مدخل في جميع ذلك، وبالجملة كل ما يُراد للضرورة فلا ينبغي أن يجاوز حدَّ الضرورة، وقدر الضرورة من الدنيا آلة الدين ووسيلته)** بها يصل إليه، بل لا يُعَدُّ من الدنيا **(وما جاوز ذلك فهو مضادٌّ للدين، والغرض من المسكن دفعُ المطر والبرد)** وحر الشمس **(ودفعُ الأعين)** لئلاَّ تتطلَّع إليه **(والأيدي)** لئلاَّ تصل إليه **(وأقل الدرجات فيه معلوم، وما زاد عليه فهو الفضول، والفضول كله من الدنيا، وطالب الفضول والساعي له بعيد من الزهد جدًّا، وقد قيل: أول)** بدعة حدثت بعد رسول الله ﷺ المناخل والموائد، وأول **(شيء ظهر من طول الأمل بعد رسول الله ﷺ التدريز والتشييد. يعني بالتدريز: كف دروز الثياب، فإنها كانت تُشَلُّ شلاًّ)** والشلالة هي الخياطة الخفيفة، والتدريز هي الكفافة وهي إعادة الخياطة علىٰ الشلالة **(والتشييد هو البنيان بالجِص والآجُرِّ)**

---

(١) الزهد ص ١٠.

يقال: شيَّد بناءه: إذا بناه بالشِّيد بالكسر، وهو الجِص، ولا يتم ذلك إلا بالآجُرِّ **(وإنما كانوا يبنون بالسعف والجريد)** وأعلاه بالطين والرهوص. كذا في القوت.
قال العراقي[١]: أما شلُّ الثياب من غير كفٍّ فروى الحاكم[٢] والطبراني أن عمر قطع ما فضلَ عن الأصابع من الكُم من غير كف وقال: هكذا رأيتُ رسول الله ﷺ.
وأما البناء ففي الصحيحين[٣] من حديث أنس في قصة بناء مسجد المدينة: فصفُّوا النخلَ قبلةَ المسجد، وجعلوا عضادتَيْه الحجارة ... الحديث. ولهما[٤] من حديث أبي سعيد: وكان المسجد على عريش، فوكف المسجد ... الحديث.

(وقد جاء في الخبر: يأتي على الناس زمانٌ يوشُّون) أي يزيِّنون **(ثيابهم)** كذا في النسخ، وفي بعضها: بنيانهم **(كما توشَّى البرود اليمانية)** فإنها تخطَّط بالألوان المختلفة من الحرير. أورده صاحب القوت، وأغفله العراقي.

(وأمر رسول الله ﷺ) عمَّه **(العباس)** بن عبد المطلب رضي الله عنه **(أن يهدم عِلِّيَّة)** بكسر العين واللام والياء المشدَّدتين، هي الغرفة المشرفة، وجمعها: علالي **(كان قد علا بها)** أي رفع بناءها. قال العراقي[٥]: رواه الطبراني من رواية أبي العالية: أن العباس

---

(١) المغني ٢/ ١١١٤.
(٢) المستدرك على الصحيحين ٤/ ٣١٥، ولفظه: عن عبد الله بن عمر قال: لبس عمر قميصا جديدا ثم قال: مد كمي يا بني، والزق يدك بأطراف أصابعي، واقطع ما فضل عنهما. فقطعت من الكمين، فصار فم الكمين بعضه فوق بعض، فقلت: لو سويته بالمقص. قال: دعه يا بني، هكذا رأيت رسول الله ﷺ يفعل. قال ابن عمر: فما زال القميص على أبي حتى تقطع، وما كنا نصلي حتى رأيت بعض الخيوط تتساقط على قدميه. ولم أقف عليه عند الطبراني، ولكن رواه أبو نعيم في حلية الأولياء ١/ ٤٥ من طريقه.
(٣) صحيح البخاري ١/ ١٥٦، ٣/ ٧٨. صحيح مسلم ١/ ٢٣٧ - ٢٣٨.
(٤) صحيح البخاري ٢/ ٦٣، ٦٥. صحيح مسلم ١/ ٥٢٢ - ٥٢٣.
(٥) المغني ٢/ ١١١٤.

بنىٰ غرفة، فقال له النبي ﷺ: اهدمْها ... الحديث[1]. وهو منقطع.

(ومر ﷺ) يومًا **(بجنبذة معلاة)** أي قبَّة مرتفعة **(فقال: لمَن هذه؟ قالوا: لفلان)** وسمَّوا رجلاً من أصحابه **(فلمَّا جاءه الرجل أعرض عنه فلم يكن يُقبِل عليه كما كان)** فاستنكر ذلك من فعل رسول الله ﷺ **(فسأل الرجل أصحابَه عن تغيُّر وجه رسول الله ﷺ، فأُخبِر)** بالسبب **(فذهب فهدمها، فمر رسول الله ﷺ بالموضع فلم يرَها)** فسأل عنها **(فأُخبِر بأنه هدمها، فدعا له بخير)** أورده صاحب القوت. وقال العراقي[2]: رواه أبو داود[3] من حديث أنس بإسناد جيد بلفظ: فرأىٰ قبَّة مشرفة ... الحديث، والجنبذة: القبَّة. انتهىٰ.

قلت: ورواه الطبراني في الأوسط[4] من حديث أنس: أن رسول الله ﷺ مر ببنية قبة لرجل من الأنصار، فقال: «ما هذا»؟ قالوا: قبة. فقال: «كل بناء - وأشار بيده علىٰ رأسه - أكبر من هذا فهو وبال علىٰ صاحبه يوم القيامة».

وروىٰ في الكبير[5] من حديث واثلة: «كل بنيان وبالٌ علىٰ صاحبه إلا ما كان هكذا» وأشار بكفِّه ... الحديث.

(وقال الحسن) البصري رحمه الله تعالىٰ: **(مات رسول الله ﷺ ولم يضع لبنة**

---

(١) ورواه الطيالسي في مسنده ٢/ ٢٧٨، وأبو داود في المراسيل ص ٣٤٠، وابن أبي الدنيا في قصر الأمل ص ١٨١، ١٨٦، والبيهقي في شعب الإيمان ١٣/ ٢٣١.

(٢) المغني ٢/ ١١١٥.

(٣) سنن أبي داود ٥/ ٤٤٥.

(٤) المعجم الأوسط ٣/ ٢٥٩.

(٥) المعجم الكبير ٢٢/ ٥٥ - ٥٦.

علىٰ لبنة، ولا قصبة علىٰ قصبة) قال العراقي[١]: رواه ابن حبان في الثقات[٢] وأبو نعيم في الحلية[٣] هكذا مرسلاً. وللطبراني في الأوسط[٤] من حديث عائشة: «مَن سأل عني أو سرَّه أن ينظر إليَّ فلينظر إلىٰ أشعث شاحب مشمِّر لم يضع لبنة علىٰ لبنة ...» الحديث، وإسناده ضعيف. انتهىٰ.

قلت: وتمامه: «ولا قصبة علىٰ قصبة، رُفع له علم فشمَّر إليه، اليوم المضمار، وغدًا السباق، والغاية الجنة والنار». وقد رواه كذلك أبو نعيم في الحلية[٥].

(وقال ﷺ: إذا أراد الله بعبد شرًّا أهلك ماله في الماء والطين) قال العراقي[٦]: رواه أبو داود من حديث عائشة بإسناد جيد بلفظ: «خضَّر له في الطين واللبِن حتىٰ يبني». انتهىٰ.

قلت: ورواه كذلك الطبراني في معاجمه الثلاثة[٧] والخطيب[٨] من حديث جابر، ورجاله رجال الصحيح، خلا شيخ الطبراني، قال الهيثمي[٩]: لم أجد مَن ضعَّفه. وله في الأوسط[١٠] عن أبي بشير الأنصاري: «إذا أراد الله بعبد هوانًا أنفق ماله

---

(١) المغني ٢/ ١١١٥.

(٢) الثقات ٦/ ٢٦١. ولفظه: «من رأىٰ محمدا فقد رآه غاديا رائحا، لم يضع لبنة علىٰ لبنة ولا قصبة علىٰ قصبة، رفع له علم فشمر إليه، الوحىٰ الوحىٰ، ثم النجاء النجاء، علىٰ ما تعرجون وقد أسرع بخياركم وذهب نبيكم، وأنتم كل يوم ترذلون، العيان العيان».

(٣) حلية الأولياء ٢/ ١٥٤.

(٤) المعجم الأوسط ٣/ ٣٠٧.

(٥) حلية الأولياء ١/ ٩.

(٦) المغني ٢/ ١١١٥.

(٧) المعجم الكبير ٢/ ١٨٥. المعجم الأوسط ٩/ ١٤٥. المعجم الصغير ٢/ ٢٥٨.

(٨) تاريخ بغداد ١٣/ ٣١٢.

(٩) مجمع الزوائد ٤/ ١٢٠.

(١٠) المعجم الأوسط ٨/ ٣٨١.

في البنيان». وفي لفظ له بزيادة «والماء والطين». وهكذا رواه بهذه الزيادة الحسنُ بن سفيان وابن أبي الدنيا[١] والبغوي وأبو نعيم في المعرفة[٢] والبيهقي[٣]، كلهم عن محمد بن بشير الأنصاري، قال البغوي: وما له غيره. ورواه أيضًا ابن عدي[٤] من حديث أنس.

(وقال عبد الله بن عمرو) بن العاص ﵄: **(مرَّ علينا رسول الله ﷺ ونحن نعالج خصًّا، فقال: ما هذا؟ قلنا: خُصٌّ لنا قد وهَىٰ. فقال: أرىٰ الأمر أعجل من ذلك)** قال العراقي[٥]: رواه أبو داود[٦] والترمذي[٧] وصحَّحه وابن ماجه[٨]. انتهىٰ.

قلت: ورواه أحمد[٩] كذلك، ولفظه: قال: «الأمر أسرع من ذلك».

(واتخذ نوح ﵇ بيتًا من قصب) بأن ربط بعضه علىٰ بعض **(فقيل له: لو بنيتَ)** بالطين **(فقال: هذا كثير لمَن يموت)**[١٠] ومن هنا قولهم المشهور: بيت العنكبوت كثير لمَن يموت.

(وقال الحسن) البصري رحمه الله تعالىٰ: **(دخلنا علىٰ صفوان بن محيريز)**

---

(١) قصر الأمل ص ١٥٠.

(٢) معرفة الصحابة ١/ ١٨٠.

(٣) شعب الإيمان ١٣/ ٢٢٨.

(٤) الكامل في الضعفاء ٣/ ١٠٧١.

(٥) المغني ٢/ ١١١٥.

(٦) سنن أبي داود ٥/ ٤٤٤.

(٧) سنن الترمذي ٤/ ١٦٠.

(٨) سنن ابن ماجه ٥/ ٥٨٨.

(٩) مسند أحمد ١١/ ٤٦.

(١٠) رواه ابن أبي الدنيا في قصر الأمل ص ١٦٦ وأبو نعيم في حلية الأولياء ٨/ ١٤٥ والبيهقي في شعب الإيمان ١٣/ ٢٤١ وابن عساكر في تاريخ دمشق ٦٢/ ٢٨٠ عن وهيب بن الورد. وعندهم كلهم: لو بنيت غير هذا.

هكذا في النسخ، وهو غلط، والصواب: صفوان بن محرز، وهو[١] ابن زياد المازني البصري العابد، ثقة، له فضل وورع، قال ابن حبان في الثقات[٢]: مات سنة أربع وسبعين في ولاية عبد الملك. قال: وكان من العُبَّاد، اتخذ لنفسه سربًا يبكي فيه. وقال الواقدي[٣]: توفي في ولاية بشر بن مروان. روىٰ له الجماعة غير أبي داود (**وهو في بيت من قصب قد مال عليه، فقيل له**) أي قال له أحد أصحاب الحسن: (**لو أصلحتَه. فقال: كم من رجل قد مات وهذا قائم علىٰ حاله**.

وقال ﷺ: مَن بنىٰ فوق ما يكفيه كُلِّف أن يحمله يوم القيامة) قال العراقي[٤]: رواه الطبراني[٥] من حديث ابن مسعود بإسناد فيه لين وانقطاع.

قلت: لكن بلفظ: «كُلِّف يوم القيامة أن يحمله علىٰ عنقه». وقد رواه كذلك أبو نعيم في الحلية[٦] والبيهقي[٧] وابن عساكر[٨].

(**وفي الخبر: كل نفقة ينفقها العبد يؤجَر عليها إلا ما أنفقه في الماء والطين**) قال العراقي[٩]: رواه ابن ماجه[١٠] من حديث خَبَّاب بن الأرت بإسناد جيد بلفظ: إلا في التراب، أو قال: في البناء. انتهىٰ.

---

(١) تهذيب الكمال ١٣/ ٢١١ - ٢١٣.

(٢) الثقات ٤/ ٣٨٠.

(٣) الطبقات الكبرىٰ لابن سعد ٩/ ١٤٧ - ١٤٨.

(٤) المغني ٢/ ١١١٦.

(٥) المعجم الكبير ١٠/ ١٨٧.

(٦) حلية الأولياء ٨/ ٢٤٦، ٢٥٢.

(٧) شعب الإيمان ١٣/ ٢٢٢.

(٨) تاريخ دمشق ٥٣/ ١١٥.

(٩) المغني ٢/ ١١١٦.

(١٠) سنن ابن ماجه ٥/ ٥٩٠.

قلت: ورواه الطبراني[١] بلفظ: «كل نفقة ينفقها العبد يؤجَر عليها إلا البنيان».

(**وفي قوله تعالىٰ:** ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا﴾) [القصص: ٨٣] قيل: هو حب الكثرة وطلب (**الرياسة والتطاوُل في البنيان.**

و) كذلك (**قال ﷺ: كل بناء وبال علىٰ صاحبه يوم القيامة إلا ما أكنَّ من حر وبرد**) وفي لفظ: إلا مسجدًا من بيوت الله. قال العراقي[٢]: رواه أبو داود من حديث أنس بإسناد جيد [بلفظ]: «إلا ما لا وإلا ما لا» يعني ما لا بد منه. انتهىٰ.

قلت: سبق ذِكرُه قريبًا في حديث القبة عند الطبراني في الأوسط وفي الكبير. قال صاحب القوت: ولذلك جُعل التطاول في البنيان من أشراط الساعة وقُرب توقُّع وقوعها في خبر الجَسَّاسة أن الدجال سأل: هل تطاول الناس في البنيان؟ قالوا: نعم. قال: الآن دنا خروجي. في أشياء عدَّدها.

(**وقال ﷺ للرجل الذي شكا إليه ضِيق منزله: اتسِعْ في السماء**) قال المصنِّف: (**أي في الجنة**) قال العراقي[٣]: رواه أبو داود في المراسيل[٤] من رواية اليسع بن المغيرة قال: شكا خالد بن الوليد ... فذكره، وقد وصله الطبراني[٥] فقال: عن اليسع بن المغيرة عن أبيه عن خالد بن الوليد، إلا أنه قال: «ارفع إلىٰ السماء، واسأل الله السعة». وفي إسناده لين. انتهىٰ.

ولفظ القوت: وشكا العباس إلىٰ رسول الله ﷺ ضِيق منزله، فقال: «يا عم،

---

(١) المعجم الكبير ٤/ ٦٤.

(٢) المغني ٢/ ١١١٦.

(٣) السابق ٢/ ١١١٦.

(٤) المراسيل ص ٣٤٠.

(٥) المعجم الكبير ٤/ ١١٧.

اتسعْ في السماء»، يعني في طلب الآخرة، ولا تطلب سعة الأرض بالدنيا[1].

(ونظر عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **في طريق الشام)** حين توجُّهه إليه **(إلىٰ صرح)** عالٍ **(قد بُني بجِص وآجُرٍّ فكبَّر)** أي قال: الله أكبر **(وقال: ما كنت أظن أن يكون في هذه الأمَّة مِن يبني بنيان هامان لفرعون. يعني قول فرعون:** ﴿فَأَوۡقِدۡ لِي يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ﴾ [القصص: ٣٨] **يعني به الآجُرَّ، ويقال: إن فرعون هو أول مَن بُني له بالجص والآجر، وأول مَن عمله هامان، ثم تبعهما الجبابرة، وهذا هو)** أول **(الزخرف)** كل ذلك في القوت، إلا أنه قال: وهذا من الزخرف.

(ورأىٰ بعض السلف) مسجدًا **(جامعًا في بعض الأمصار فقال: أدركتُ هذا المسجدَ مبنيًّا من الجريد والسعف، ثم رأيته)** بعد سنين **(مبنيًّا من رهوص، ثم رأيته الآن مبنيًّا باللبن)** والآجر **(فكان أصحاب السعف خيرًا من أصحاب الرهوص، وكان أصحاب الرهوص خيرًا من أصحاب اللبن)**[2] نقله صاحب القوت.

(وكان في السلف مَن يبني داره مِرارًا في مدة عمره؛ لضعف بنائه، وقِصَر أمله، وزهده في إحكام البنيان) وإتقانه **(وكان منهم مَن إذا حج أو غزا نزع بيته أو وهبه لجيرانه، فإذا رجع أعاده،** و**)** العذر في ذلك أنه **(كانت بيوتهم من الحشيش)** والثُّمام **(والجلود، وهي عادة العرب)** إلىٰ **(الآن ببلاد اليمن)** كل ذلك في القوت.

---

(١) نص القوت: «وقال للرجل الذي شكا إليه ضيق منزله: اتسع في السماء. أي في الجنة، وهذا أحد التأويلين، والثاني: اتسع في المعرفة ولا تطلب اتساع المكان».

(٢) رواه ابن الأعرابي في معجمه ص ٩٣٢ عن أبي السوار حسان بن حريث العدوي - أحد التابعين - قال: أدركت مسجد بني عدي رهص، وأدركته لبن، وأدركته آجر، فكان أصحاب الرهص خير من أصحاب اللبن، وأصحاب اللبن خير من أصحاب الآجر. وأورده ابن الفقيه الهمداني في كتاب البلدان ص ٤٤٢ (ط - عالم الكتب) عن إسحاق بن سويد العدوي قال: كانت المساجد بالقصب مدة، ثم صارت بالرهص حينا، ثم صارت باللبن زمنا، ثم صارت بالآجر، فكان أصحاب القصب خير من أصحاب الرهص، وأصحاب الرهص خير من أصحاب اللبن، وأصحاب اللبن خير من أصحاب الآجر.

(**وكان ارتفاع بناء السقف**) ولفظ القوت: وكان سُمْك بناء الصحابة (**قامة وبسطة، قال الحسن**) البصري رحمه الله تعالىٰ: (**كنت إذا دخلتُ بيوت**) أصحاب (**رسول الله ﷺ ضربت بيدي إلىٰ السقف**)[١] كذا في القوت.

(**وقال عمرو بن دينار**) المكي[٢]، أبو محمد الأثرم الجُمَحي مولاهم، ثقة، ثبت، مات سنة ست وعشرين ومائة، روىٰ له الجماعة (**إذا أعلىٰ العبدُ البنيانَ فوق ستة أذرع ناداه مَلَكٌ**) الهواء: (**إلىٰ أين يا أفسق الفاسقين**)[٣]؟ كذا في القوت.

(**وقد نهىٰ سفيان**) الثوري رحمه الله تعالىٰ (**عن النظر إلىٰ بناء مشيد وقال: لولا نظر الناس لَما شيَّدوه، فالنظر**[٤] **إليه مُعين عليه**) ولفظ القوت: وقال بعضهم[٥]: كنت أمشي مع سفيان في طريق، فنظرت إلىٰ باب مشيد بالجص، فقال: لا تنظر إليه. فقلت: يا أبا عبد الله، ما تكره من النظر إليه؟ فقال: إذا نظرتَ إليه كنت عونًا له علىٰ بنائه؛ لأنه إنما بناه ليُنظَر إليه، ولو كان كل مَن يمر به لا ينظر إليه ما عمله.

(**وقال الفضيل**) بن عياض رحمه الله تعالىٰ: (**إني لا أعجب ممَّن بنىٰ وترك،**

---

(١) رواه البخاري في الأدب المفرد ص ١٣٩ بلفظ: كنت أدخل بيوت أزواج النبي ﷺ في خلافة عثمان ابن عفان فأتناول سقفها بيدي. ورواه أيضا: البيهقي في شعب الإيمان ١٣/ ٢٣٥، وأبو داود في المراسيل ص ٣٤١، وابن أبي الدنيا في قصر الأمل ص ١٦٣.

(٢) تقريب التهذيب ص ٧٣٤.

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في قصر الأمل ص ١٦٥ عن عمار بن أبي عمار المكي بلفظ: إذا رفع الرجل بناءه فوق سبعة أذرع نودي: يا فاسق الفاسقين، إلىٰ أين؟ ورواه أبو نعيم في حلية الأولياء ٣/ ٧٥ مرفوعا من حديث أنس بلفظ: «إذا بنىٰ الرجل المسلم سبعة أو تسعة أذرع ناداه مناد من السماء: أين تذهب يا أفسق الفاسقين»؟

(٤) في أ، وب، وط المنهاج ٨/ ١٦٧: فالناظر.

(٥) في القوت: وقال يحيىٰ بن يمان. وقد رواه أبو نعيم في حلية الأولياء ٦/ ٣٧٩ عن يحيىٰ بن المتوكل قال: مررت مع سفيان برجل يبني بناء قد شيده فزوقه، فقال لي: لا تنظر إليه. قلت: لِم يا أبا عبد الله؟ قال: إن هذا إنما بناه لينظر إليه، ولو كان كل من يمر لم ينظر إليه لم يبنِ هذا البناء.

ولكني أعجب ممَّن نظر إليه ولم يعتبر) رواه أبو نعيم في الحلية.

(**وقال ابن مسعود** رضي الله عنه: **يأتي قوم يرفعون الطين، ويضعون الدين، ويستعملون البراذين**) وهي خيل الروم (**ويصلُّون إلىٰ قبلتكم، ويموتون علىٰ غير دينكم**) وهذا من جملة الإخبار بما سيقع.

(**المهم الرابع: أثاث البيت**) أي متاعه (**وللزهد فيه أيضًا درجات، أعلاها حال عيسىٰ المسيح** عليه السلام؛ **إذ كان لا يصحبه**) منه (**إلا مشط وكوز**) فالمشط للحيته، والكوز لشربه، وبينما هو يمشي (**فرأىٰ إنسانًا**) قد غسل وجهه وهو (**يمشِّط لحيته بأصبعه**) يخلِّلها به (**فرمىٰ بالمشط**) إذ رأىٰ الأصابع كافية (**ورأىٰ آخرَ يشرب من النهر بكفَّيْه فرمىٰ بالكوز**) إذ رأىٰ كفَّيْه كافية، وصحب زاهدٌ مسواكًا، فرأىٰ رجلاً يتسوَّك بأصابعه فرمىٰ بالمسواك.

(**وهذا حكم كل أثاث، فإنه إنما يُراد لمقصود، فإذا استغنىٰ عنه فإنه وبالٌ في الدنيا والآخرة، وما لا يستغني عنه فيقتصر فيه علىٰ أقل الدرجات وهو الخزف في كل ما يكفي فيه الخزفُ**) في آلات الشرب والطبخ والعجن والغسل وغيرها (**ولا يبالي بأن يكون مكسور الطرف إذا كان المقصود يحصل به**) وذلك من الزهد، ولا يتشاءم بالشرب من شربة مكسورة الطرف أو من إبريق كذلك، فإنه من الجهل بالسنَّة (**وأوسطها أن يكون له أثاث بقدر الحاجة صحيح في نفسه ولكن يستعمل الآلة الواحدة في مقاصده، كالذي معه قصعة يأكل فيها**) الطعام (**ويشرب فيها**) الماء (**ويحفظ المتاع فيها**) فهذه ثلاثة مقاصد في آلة واحدة (**وكان السلف يستحبُّون استعمال آلة واحدة في أشياء للتخفيف. وأعلاها أن يكون له بعدد كل حاجة آلةٌ من الجنس النازل الخسيس، فإن زاد في العدد**) بأن اتخذ صحنين أو إبريقين أو قصعتين أو قِدْرين (**أو**) زاد (**في نفاسة الجنس**) بأن اتخذ من خزف الصين الساذج أو المموَّه بالنقوش، فقد (**خرج عن جميع أبواب الزهد**) آخرها وأولها (**وركن

إلىٰ طلب الفضول، ولينظر إلىٰ سيرة رسول الله ﷺ وسيرة الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، فقد قالت عائشة ؓ: كان ضجاع رسول الله ﷺ الذي ينام عليه وسادة من أدم) أي جلد مدبوغ **(حشوها ليف)** النخل. قال العراقي[١]: رواه أبو داود والترمذي - وقال: حسن صحيح - وابن ماجه. انتهىٰ.

قلت: ولفظهم: كانت وسادته التي ينام عليها من أدم وحشوها ليف. وكذلك رواه أحمد[٢].

(وقال الفضيل) بن عياض رحمه الله تعالىٰ: **(ما كان فراش رسول الله ﷺ إلا عباءة مثنيَّة ووسادة من أدم حشوها ليف)** قال العراقي[٣]: رواه الترمذي في الشمائل من حديث حفصة بقصة العباءة، وقد تقدم[٤]، ومن حديث عائشة بقصة الوسادة، وقد تقدَّم قبله بعضُ طرقه.

(ورُوي أن عمر بن الخطاب ؓ دخل علىٰ رسول الله ﷺ وهو نائم علىٰ سرير) من جريد **(مرمول)** أي منسوج **(بشريط، فجلس)** ولفظ القوت: فقعد **(فرأىٰ أثر)** حبال **(الشريط في جنبه ﵇، فدمعت عينا عمر)** ولفظ القوت: فأدرت عيني في بيت رسول الله ﷺ، فما رأيت إلا [قدْر] صاعين من شعير مصبوب في زاوية البيت وأُهُب في ناحية منه غير مدبوغة. قال: فلم أملك عيني فبكيت **(فقال له النبي ﷺ: ما الذي أبكاك يا ابن الخطاب)**؟ ولفظ القوت: قال: فما يبكيك يا ابن الخطاب؟ **(قال)** فقلت: **(ذكرتُ كسرىٰ وقيصر وما هما فيه من المُلك)** ونعيم الدنيا **(وذكرتك وأنت حبيب الله وصفيُّه ورسوله)** ولفظ القوت: وأنت رسول الله وخيرته من خلقه علىٰ ما أرىٰ **(نائم علىٰ سرير مرمول بالشريط. فقال ﷺ)**: أفي

---

(١) المغني ٢/ ١١١٦ - ١١١٧.

(٢) تقدم هذا الحديث في كتاب أخلاق النبوة.

(٣) المغني ٢/ ١١١٧.

(٤) في كتاب أخلاق النبوة.

شكٍّ أنت **(يا عمر؟ أما ترضىٰ أن تكون لهم)** وفي نسخة: لهما **(الدنيا ولنا الآخرة؟ قال)** قلت: **(بلىٰ يا رسول الله. قال: فذلك كذلك)** وفي لفظ: فقلت: رضيتُ. وفي لفظ آخر: أولئك قوم عُجِّلت لهم طيِّباتهم في الدنيا.

فدلَّ قولُه ﷺ «أفي شكٍّ أنت» علىٰ أن القلة والزهد من اليقين؛ لأنه ضد الشك، فمَن شك في ذلك أو رغب عنه فهو غير موقن.

قال العراقي[١]: وهو متفق عليه[٢] من حديث عمر بن الخطاب، وقد تقدم.

(ودخل رجل علىٰ أبي ذر) رضي الله عنه **(فجعل يقلِّب بصره في بيته، فقال: يا أبا ذر، ما أرىٰ في بيتك متاعًا ولا غير ذلك من الأثاث. فقال: إن لنا بيتًا نوجِّه إليه صالحَ متاعنا. فقال: إنه لا بد لك من متاع ما دمتَ ههنا. فقال: إن صاحب المنزل لا يَدَعنا فيه)**[٣] وقد روىٰ صاحب الحلية[٤] في ترجمة أبي الدرداء نحو هذه القصة، عن خالد بن حدير الأسلمي أنه دخل علىٰ أبي الدرداء فرأىٰ تحته فراشًا من جلد أو صوف، وعليه كساء صوف وسبتية صوف، وهو وجِعٌ، وقد عرِقَ، فقال: لو شئتَ لكسيت [فراشك بورق وكساء مرعزِّي] ممَّا يبعث به أمير المؤمنين؟ قال: إن لنا دارًا، وإنَّا لنظعن إليها، ولها نعمل.

ومن طريق الأوزاعي عن حسان بن عطية أن أصحابًا لأبي الدرداء تضيَّفوه فضيَّفهم، فمنهم مَن بات علىٰ لبدة، ومنهم مَن بات علىٰ ثيابه كما هو، فلمَّا أصبح غدا عليهم، فعرف ذلك منهم فقال: إن لنا دارًا لها نجمع، وإليها نرجع.

---

(١) المغني ٢/ ١١١٧.

(٢) صحيح البخاري ٢/ ١٩٨، ٣/ ٣١٣، ٣٨٦، ٤/ ٦٤. صحيح مسلم ١/ ٦٨١.

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في الزهد ص ٧٠ والبيهقي في شعب الإيمان ١٣/ ١٩٢ والدينوري في المجالسة وجواهر العلم ٣/ ٢٧١ عن جعفر بن سليمان.

(٤) حلية الأولياء ١/ ٢٢٢.

(**ولمَّا قدم عُمَير بن سعد**) بن[١] عبيد بن النعمان بن قيس بن عمرو بن عوف الأنصاري الأوسي. هكذا نسبه الواقدي، وتبعه ابنُ عبد البر. وكان يقال له: نسيج وحده، قيل: كان عمر يسمِّيه بذلك لإعجابه به. صحبَ رسولَ الله ﷺ، وشهد فتوحَ الشام، واستعمله عمر علىٰ حِمص إلىٰ أن مات، وكان من الزهَّاد. روىٰ عنه راشد بن سعد وحبيب بن عبيد وابنه عبد الرحمن بن عمير. قال ابن سعد: مات في خلافة عمر، وقيل: في خلافة عثمان، وقيل: في خلافة معاوية، وكان (**أمير حِمص**) استعمله عمر (**علىٰ عمر**) بن الخطاب (رضي الله عنهما) أي عن عمر وعن عمير (**قال له: ما معك من الدنيا؟ فقال: معي عصاي أتوكَّأ عليها وأقتل بها حيَّة إن لقيتُها، ومعي جِرابي أحمل فيه طعامي، ومعي قصعتي آكل فيها وأغسل فيها رأسي وثوبي، ومعي مِطهرتي أحمل فيها شرابي ووضوئي للصلاة، فما كان بعد هذا من الدنيا فهو تبعٌ لِما معي. فقال عمر: صدقتَ رحمك الله**) رواه أبو نعيم في الحلية[٢]: حدثنا سليمان بن أحمد، حدثنا محمد بن المرزبان الأدمي، حدثنا محمد بن حكيم الرازي، حدثنا عبد الملك بن هارون بن عنترة، حدثني أبي، عن جدي، عن عمير بن سعد الأنصاري قال: بعثه عمر بن الخطاب عاملاً علىٰ حمص، فمكث حولاً لا يأتيه خبره، فقال عمر لكاتبه: اكتبْ إلىٰ عمير، فواللهِ ما أراه إلا قد خاننا: إذا جاءك كتابي هذا فأقبِلْ وأقبِلْ بما جبيت من فيء المسلمين حين تنظر في كتابي هذا. قال: فأخذ عمير جِرابه فجعل فيه زاده وقصعته، وعلَّق إداوته، وأخذ عنزته، ثم أقبل يمشي من حمص حتىٰ دخل المدينة. قال: فقدم وقد شحب لونُه، واغبرَّ وجهه، وطالت شعرته، فدخل علىٰ عمر وقال: السلام عليك يا

---

(١) الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر ٧/ ١٦٣ - ١٦٤. تهذيب الكمال للمزي ٢٢/ ٣٧١ - ٣٧٦. الطبقات الكبرىٰ لابن سعد ٥/ ٢٩٣ - ٢٩٤، ٩/ ٤٠٦. الاستيعاب لابن عبد البر ٢/ ١١٥ - ١١٦.

(٢) حلية الأولياء ١/ ٢٤٧ - ٢٥٠، وقد رواه الطبراني في المعجم الكبير ١٧/ ٥١ - ٥٣، وقال الذهبي في تاريخ الإسلام ٢/ ٤٣١: حديث طويل منكر.

أمير المؤمنين ورحمة الله [وبركاته]. فقال عمر: ما شأنك؟ فقال عمير: ما ترىٰ من شأني؟ ألستَ تراني صحيح البدن، طاهر الدم، معي الدنيا أجرُّها بقرنها؟ قال: وما معك؟ فظن عمر أنه قد جاء بمال، فقال: معي جرابي أجعل فيه زادي، وقصعتي آكل فيها وأغسل فيها رأسي وثيابي، وإداوتي أحمل فيها وضوئي وشرابي، وعَنَزتي أتوكَّأ عليها وأجاهد بها عدوًّا إن عرضني، فواللهِ ما الدنيا إلا تبعٌ لمتاعي. قال عمر: فجئتَ تمشي؟ قال: نعم. قال: أما كان لك أحد يتبرَّع لك بدابَّة تركبها؟ قال: ما فعلوا، وما سألتُهم ذلك. فقال عمر: بئس المسلمون خرجتَ من عندهم. فقال عمير: اتقِ الله يا عمر، قد نهاك الله عن الغِيبة، وقد رأيتُهم يصلون صلاة الغَداة. قال عمر: فأين بعثتك؟ وأيَّ شيء صنعتَ؟ قال: وما سؤالك يا أمير المؤمنين؟ فقال عمر: سبحان الله! فقال عمير: أما لولا أني أخشىٰ أن أغمُّك ما أخبرتك، بعثتني حتىٰ أتيت البلد، فجمعتُ صُلَحاء أهلها فولَّيتُهم جِباية فَيْئهم، حتىٰ إذا جمعوه وضعتُه مواضعَه، ولو نالك منه شيء لأتيتك به. قال: فما جئتنا بشيء؟ قال: لا. قال: جدِّدوا لعمير عهدًا. قال: إن ذلك لَشيءٌ، لا عملتُ لك ولا لأحد بعدك ... ثم ساق الحديث بطوله، وفيه وفاته بالمدينة، وشهود عمر جنازته، وقوله: وددت لو أن لي رجلاً مثل عمير بن سعد أستعين به في أعمال المسلمين. وروىٰ الواقدي هذا القول عن عمر، ولفظه: وددت لو أن لي رجالاً مثل عمير بن سعد أستعين بهم علىٰ أعمال المسلمين.

(**وقدم رسولُ الله ﷺ من سفر، فدخل علىٰ فاطمة ﵂**) وكانت من أول مَن يدخل عليها من أهله إذا قدم من سفر (**فرأىٰ علىٰ باب منزلها سترًا، وفي يديها قُلْبين من فضة**) مثنَّىٰ قُلْب بضم فسكون، وهو السوار (**فرجع**) ولم يدخل (**فدخل عليها أبو رافع**) مولىٰ رسول الله ﷺ (**وهي تبكي، فأخبرتْه برجوع رسول الله ﷺ**) وقالت: لأمر ما رجع. فقال: أنا أسأله ما ردَّه (**فسأله أبو رافع، فقال: من أجل الستر**

والسوارين) فأخبرها بذلك، فهتكت الستر، ونزعت السوارين (**فأرسلت بهما بلالاً إلىٰ رسول الله ﷺ وقالت: قد تصدَّقتُ بهما، فضعْهما حيث ترىٰ. فقال: اذهب فبعْهما وادفعه إلىٰ أهل الصُّفَّة. فباع**) بلال (**القُلبين بدرهمين ونصف وتصدَّق بهما عليهم، فدخل عليها ﷺ**) وضمَّها إليه (**فقال: بأبي أنتِ**) وأمي (**قد أحسنتِ**) أنتِ مني. كذا في القوت. وقال في موضع آخر: ونظر ﷺ إلىٰ فاطمة ﵂ وفي عنقها عِقد من خرز فيه شيء من ذهب، وعلىٰ بابها سترٌ، فرجع ولم يدخل، فقال: «ما لي وللدنيا». فنزعتْ ذلك وأرسلت به إلىٰ بعض الفقراء. ورأىٰ ﷺ في يد الحسن والحسين ﵄ قُلبين من فضة قد زيَّنتهما بهما فاطمة ﵂، فنزعهما وأمر بلالاً أن يتصدَّق بثمنهما علىٰ أهل الصُّفَّة.

وقال العراقي[1]: لم أرَه مجموعًا، ولأبي داود[2] وابن ماجه[3] من حديث سفينة بإسناد جيد أنه ﷺ جاء فوضع يديه علىٰ عضادتَي الباب، فرأىٰ القِرام قد ضُرب في ناحية البيت فرجع، فقالت فاطمة لعليٍّ: انظر ما أرجعه ... الحديث. وللنسائي[4] من حديث ثوبان بإسناد صحيح قال: جاءت ابنة هُبَيرة إلىٰ النبي ﷺ وفي يديها فَتَخٌ من ذهب ... الحديث، وفيه أنه وجد في يد فاطمة سلسلة من ذهب، وفيه: «يقول الناس: فاطمة بنت محمد في يدها سلسلة من نار». وأنه خرج ولم يقعد، فأمرت بالسلسلة فبِيعتْ، فاشترت بثمنها عبدًا فأعتقته، فلما سمع ذلك قال: «الحمد لله الذي نجَّىٰ فاطمة من النار. انتهىٰ.

---

(١) المغني ٢/ ١١١٧.

(٢) سنن أبي داود ٤/ ٢٨٢.

(٣) سنن ابن ماجه ٥/ ٦٨. ولفظ الحديث: «أضاف رجل علي بن أبي طالب، فصنع له طعاما، فقالت فاطمة: لو دعونا النبي ﷺ فأكل معنا. فدعوه فجاء، فوضع يده علىٰ عضادتي الباب، فرأىٰ قراما في ناحية البيت فرجع، فقالت فاطمة لعلي: الحقه فقل له: ما رجعك يا رسول الله؟ فتبعه وقال: يا رسول الله، ما ردك؟ فقال: إنه ليس لي - أو لنبي - أن أدخل بيتا مزوقا».

(٤) سنن النسائي ص ٧٧٨.

قلت: وروىٰ أبو نعيم في الحلية[١] من طريق شريك، عن عبد الله بن محمد بن عقيل، عن علي بن الحسين، عن أبي رافع قال: لمَّا ولدت فاطمة حسينًا قالت: يا رسول الله، ألا أعقُّ عن ابني؟ قال: «لا، ولكن احلقي رأسه، وتصدَّقي بوزن شعره ورِقًا أو فضة علىٰ الأوفاض والمساكين». يعني بالأوفاض: أهل الصُّفَّة.

(ورأىٰ رسول الله ﷺ علىٰ باب عائشة) ﵂ **(سترًا فهتكه وقال: كلَّما رأيتُه ذكرتُ الدنيا، أرسلي به إلىٰ آل فلان)** وفي القوت: سترًا فيه صورة. وفيه: «إني إذا رأيتُه ذكرتُ الدنيا». وقال العراقي[٢]: رواه الترمذي[٣] وحسَّنه والنسائي في الكبرىٰ[٤] من حديثها.

(وفرشت له عائشة) ﵂ **(ذات ليلة فراشًا جديدًا، وقد كان ﷺ ينام علىٰ عباءة مثنيَّة، فما زال يتقلَّب ليلته، فلمَّا أصبح قال لها: أعيدي العباءة الخلقة ونحِّي هذا الفراشَ عني، قد أسهرني الليلة)** كذا هو في القوت. وفي موضع آخر منه: وأهدتْ لعائشة امرأةٌ فِراشًا، ففرشته لرسول الله ﷺ، وكان فراشه عباءة مطويَّة، فلمَّا اضطجع عليه أنكر لينه وتوطئته ووطاءه، فسألها، فأخبرته، فقال: «رُدِّي العباءة ونحِّي هذا». انتهىٰ.

وقال العراقي[٥]: روىٰ أبو الشيخ ابن حيَّان في كتاب أخلاق النبي[٦] ﷺ من حديثها قالت: دخلت عليَّ امرأةٌ من الأنصار، فرأت فراش رسول الله ﷺ عباءة مثنيَّة، فانطلقت فبعثت إليَّ بفراش حشوُه صوف، فدخل عليَّ رسولُ الله ﷺ فقال: ما هذا؟ ... الحديث. وفيه أنه أمرها بردِّه ثلاث مرات، فردَّته. وفيه مجالد ابن

---

(١) حلية الأولياء ١/ ٣٣٩.

(٢) المغني ٢/ ١١١٨، قلتُ: هو في صحيح مسلم ٣/ ١٦٦٦ من حديثها ﵂.

(٣) سنن الترمذي ٤/ ٢٥٣.

(٤) السنن الكبرىٰ ٨/ ٤٥٦ - ٤٥٨. وليس في الحديث أنه قال: أرسلي به إلىٰ آل فلان.

(٥) المغني ٢/ ١١١٨.

(٦) أخلاق النبي وآدابه ٢/ ٥٠٠.

سعيد، مختلَف فيه، والمعروف حديث حفصة المتقدم ذِكره من الشمائل.

(**وكذلك أتته دنانير ستة أو خمسة ليلاً، فبيَّتها، فسهر ليلته حتىٰ أخرجها من آخر الليل، قالت عائشة** ﵂: **فنام حينئذٍ حتىٰ سمعت غطيطه، ثم قال: ما ظنُّ محمد بربِّه لو لقي اللهَ وهذه عنده**)؟ كذا في القوت، قال: وروىٰ الحسن أن النبي ﷺ لم يكن يبيِّت عنده مالاً ولا يقيِّله [يعني] إن جاءه ليلاً أو عِشاءً لم يبيِّته، وإن جاءه غدوةً لم ينتظر به القائلةَ.

قال العراقي[1]: رواه أحمد[2] من حديث عائشة بإسناد حسن أنه قال في مرضه الذي مات فيه: «يا عائشة، ما فعلتِ بالذهب»؟ فجاءت ما بين الخمسة إلىٰ الثمانية إلىٰ التسعة، فجعل يقلِّبها بيده ويقول: «ما ظنُّ محمد ...» الحديث [وزاد: أنفقيها] وفي رواية: سبعة أو تسعة دنانير. وله[3] من حديث أم سلمة بإسناد صحيح: دخل عليَّ رسولُ الله ﷺ وهو ساهم الوجه. قالت: فحسبت ذلك من وجع، فقلت: يا نبيَّ الله، ما لك ساهم الوجه؟ فقال: «من أجل الدنانير السبعة التي أتتنا أمس، أمسينا وهي في خُصْم الفراش». وفي رواية: «أمسينا ولم ننفقها».

(**وقال الحسن**) البصري رحمه الله تعالىٰ: (**أدركت سبعين**) رجلاً (**من الأخيار، ما لأحدهم إلا ثوبه، وما وضع أحدهم بينه وبين الأرض ثوبًا قط، كان إذا أراد النوم باشر الأرضَ بجسده وجعل ثوبه فوقه**) نقله صاحب القوت.

(**المهم الخامس: المَنكح. وقد قال قائلون**) من الصوفية: (**لا معنىٰ للزهد في أصل النكاح ولا في كثرته، وإليه ذهب**) أبو محمد (**سهل بن عبد الله**) التستري رحمه الله تعالىٰ (**وقال: قد حُبِّب إلىٰ سيد الزاهدين**) ﷺ (**النساء، فكيف نزهد**

---

(١) المغني ٢/١١١٨ - ١١١٩.

(٢) مسند أحمد ٤٠/ ٢٧٠، ٤١/١٠٩ - ١١٠، ٢٥٤، ٤٢/ ٣١٤ - ٣١٥.

(٣) السابق ٤٤/ ١٣١، ٢٧٢.

فيهن)؟ ولا معنىٰ لمحبَّتهن إلا النكاح. كأنَّه يشير إلىٰ الخبر المشهور: «حُبِّب إليَّ من دنياكم الطِّيب والنساء، وجُعلت قرَّة عيني في الصلاة». ولفظ سهل: لا يصحُّ الزهد في النساء؛ لأنه قد حُبِّب إلىٰ سيد الزاهدين **(ووافقه في ذلك القول)** الإمام أبو محمد سفيان **(ابن عيينة)** الهلالي مولاهم المكي رحمه الله تعالىٰ **(وقال)**: ليس في كثرة النساء دنيا **(كان أزهد الصحابة)** وأعلاهم شأنًا فيه **(علي بن أبي طالب** رضي الله عنه**، وكان له أربع نسوة)** بالصداق **(وبضع عشرة سُرِّية)** مات عنهن **(والصحيح)** في ذلك **(ما قاله أبو سليمان الداراني رحمه الله تعالىٰ؛ إذ قال: كل ما شغلك عن الله من أهل ومال وولد فهو عليك مشؤوم)** هكذا نقله القشيري، ويُروىٰ أيضًا من قول داود الطائي، كما تقدم قريبًا. ونقل القشيري أيضًا عن الداراني قال: الزهد: تركُ ما يشغل عن الله تعالىٰ. وقال أحمد بن حنبل: زهد العارفين تركُ ما يشغل العبدَ عن الله تعالىٰ **(والمرأة قد تكون شاغلة عن الله تعالىٰ)** فيكون الزهد تركُها **(وكشفُ الحق فيه: أنه قد تكون العزوبة أفضل)** للسالك **(في بعض الأحوال، كما سبق)** بيانه **(في كتاب النكاح، فيكون تركُ النكاح من الزهد، وحيث يكون النكاح أفضل لدفع الشهوة الغالبة)** عن شبق كشبق الحمار لا يرعوي ولا ينتهي إلا بالسُّفاد **(فهو واجب)** حينئذٍ **(فكيف يكون تركُه من الزهد، وإن لم تكن عليه آفة في فعله ولا تركه ولكن ترك النكاح احترازًا من ميل القلب إليهن والأنس بهن بحيث يشتغل عن ذِكر الله فتركُ ذلك من الزهد)** إذ الأنس بغير الله من الدنيا **(فإن علم أن المرأة لا تشغله عن ذِكر الله تعالىٰ ولكن ترك ذلك احترازًا من لذَّة النظر)** إليها **(والمضاجعة)** لها **(والمواقَعة)** بها **(فليس هذا من الزهد أصلاً، فإن الولد مقصود لبقاء نسله، وتكثيرُ)** سواد **(أمَّة محمد** ﷺ **من القربات)** لِما في الخبر: «تزوَّجوا، تناسلوا، فإني أباهي بكم الأمم»، وتقدم **(واللذة التي تلحق الإنسانَ فيما هو من ضرورة الوجود لا تضرُّه؛ إذ لم تكن)** تلك اللذة **(هي المقصد والمطلب، وهذا كمَن ترك أكل الخبز وشرب الماء احترازًا من لذة الأكل والشرب، وليس ذلك من الزهد في شيء؛ لأن في ترك ذلك فوات بدنه)** لِما يعتريه من الضعف ووهنِ القُوَىٰ

(فكذلك في ترك النكاح انقطاعُ نسله، فلا يجوز أن يترك النكاح زهدًا في لذَّته من غير خوف آفة أخرىٰ) تعرض عليه **(وهذا ما عناه)** أي قصدَه **(سهل)** التستري رحمه الله تعالىٰ من قوله: لا يصح الزهد في النساء **(لا محالة، ولأجله نكح رسولُ الله ﷺ. وإذا ثبت هذا فمَن)** كان **(حاله حال رسول الله ﷺ في أنه لا تشغله كثرةُ النسوة ولا اشتغال القلب بإصلاحهن والإنفاق عليهن)** كما تقدم ذلك في النكاح **(فلا معنىٰ لزهده فيهن حذرًا من مجرَّد لذَّة الوقاع والنظر، ولكن أنَّىٰ يُتصوَّر ذلك لغير الأنبياء)** عليهم السلام **(والأولياء)** الذين علىٰ قدمهم **(فأكثر الناس تشغلهم كثرةُ النسوان، فينبغي أن يترك الأصل إن كان يشغله)** عن الله تعالىٰ **(وإن لم يشغله وكان يخاف من أن تشغله الكثرةُ منهن أو جمال المرأة فلينكح واحدة)** وليقتصر عليها، أو لينكح **(غير جميلة)** أي مشهورة بالجمال بحيث يُشار إليها **(وليراعِ قلبَه في ذلك. قال أبو سليمان)** الداراني رحمه الله تعالىٰ: **(الزهد في النساء أن يختار المرأة الدون أو اليتيمة علىٰ المرأة الجميلة والشريفة)** نقله صاحب القوت. ويُروَىٰ عنه أيضًا: الزهد في النساء أن تختار المرأة الدميمة والقريبة الأمر من كِبَر وغير منظر علىٰ الشابة الحسناء. وذهب إلىٰ ذلك مالك بن دينار، فكان يقول: يترك الرجل [أن يتزوج] اليتيمة أو الضعيفة لله، فإن أطعمها أو كساها أو فرَّحها أُجِرَ في ذلك، وكان له في ثواب الآخرة، ويتزوج ابنة فلان وفلان.

وبالجملة، الاقتصاد في شأن النساء والتقلُّل وأخذُ الحاجة والكفاية منهن كالقول في شأن الدنيا، من ذلك أن لا ينكح المرأة لِما ينكح أبناء الدنيا من المعاني الثلاث، لا لحُسنها ولا لحَسَبها ولا لمالها، فلم يبقَ إلا الدين والصلاح، فهذه زوجة أخروية ليست من الدنيا، وقد جعل رسول الله ﷺ في وصف الفقراء أنهم: «لا تُفتح لهم الأبواب، ولا ينكحون المتمتِّعات أو المتنعِّمات»، فدلَّ أنهم ينكحون المتبذِّلات، وذلك في خبر أبي سلام الحبشي رفعه: «يدخل فقراء أمَّتي الجنة قبل أغنيائهم». قيل: مَن هم؟ قال: «الشُّعْث رؤوسًا، الدُّنْس ثيابًا، الذين لا تُفتح لهم

السُّدَد، ولا ينكحون المتنعِّمات». فلمَّا سمع ذلك عمر بن عبد العزيز منه بكىٰ حتىٰ اخضلَّت لحيته وقال: لستُ منهم، قد فُتحت لي السُّدَد - يعني الأبواب - ونكحت المتنعِّمات - يعني أم البنين بنت عبد الملك - ولكن لا جَرَمَ واللهِ لا أدهن رأسي حتىٰ يشعث، ولا أغسل ثوبي حتىٰ يدنس.

وكان يحيىٰ بن معاذ الرازي يتكلم في تزويج الزاهد فيقول: الكيِّس من الزهَّاد مَن إذا أراد التزويج لله، وعلىٰ الزاهد أن يلقَىٰ المرأةَ بهذه الخصال، فإن هي أجابته وإلا ترك، أولها: في شأن الكفاية والمعاش، فيقول لها: لا أسعىٰ في طلب دنيا ولو كسب دانقين. والثانية: أن يُعْلِمها أنه ليس عنده مال، وأن يده في مالها إن كان عندها كيده في ماله في إخراجه. والثالثة: يقول: إن أردتُ الخروج إلىٰ حج أو زيارة أو غزو لزمتِ الرضا وكنتِ عونا لي في إنفاذه. والرابعة: إن تزوجت عليكِ ثلاثًا لم تُعرِضي بوجهك ولم تتغيَّري. والخامسة: خفَّة الصداق. والسادسة: تركُ «خذ وهات». والسابعة: سرعة البناء. فإن وافق منها هذه الخصالَ فليتقدَّم، وإلا توقَّف.

وكانت امرأته زاهدة، وكان يحكي عنها زهد النساء، قال: قالت لي أهلي: ما زهد النساء؟ قلت: تركُ الزينة والرياء. قالت: أعلىٰ من هذا. قلت: ما هو؟ قالت: تطيب نفسها لزوجها بأن يتزوج عليها مَن شاء من النساء، فإن الزوج من الدنيا، وهو يشتدُّ علىٰ النساء، وتعلُّقُ قلبها به من الدنيا. قال: فقلت لها: هي بضاعتكم، أنتم بها أعرف. قال: وقلت لها [مرةً]: قد أذن اللهُ في تزويج أربعة من النساء. فقالت: ليس بفرض عليك أن تتزوج بأربعة، وفرضٌ عليك أن تعدل بين اثنتين.

(**وقال الجنيد رحمه الله تعالىٰ: أحب للمريد المبتدئ**) في إرادته وسلوكه (**أن لا يشغل قلبَه بثلاث**) خصال (**وإلا تغيَّر حالُه**) ونقص مزيدُه من سلوكه (**التكسُّب، وطلب الحديث، والتزويج**) نقله صاحب القوت. أي فإنَّ في هذه الخصال ركونًا إلىٰ الدنيا، وهو مثل قول أبي سليمان الذي تقدم قريبًا: مَن تزوج أو سافر أو كتب

الحديث فقد ركن إلىٰ الدنيا.

(وقال) الجنيد أيضًا: **(أحب للصوفي أن لا يكتب ولا يقرأ؛ لأنه أجمَعُ لهمِّه)** نقله صاحب القوت. أي فإنَّ الاشتغال بالقراءة والكتابة يشتِّت همَّه ويغيِّر حاله.

(فإذًا ظهر أن لذة النكاح كلذة الأكل، فما يشغل عن الله فهو محذور فيهما جميعًا.

المهم السادس: ما يكون وسيلة إلىٰ هذه الخمسة) من المهمَّات المذكورة **(وهو المال والجاه، أما الجاه فمعناه مَلْك القلوب بطلب محلٍّ فيها ليتوصَّل به إلىٰ الاستعانة في الأغراض والأعمال، وكل مَن لا يقدر علىٰ القيام بنفسه في جميع حاجاته وافتقر إلىٰ مَن يخدمه افتقر إلىٰ جاه لا محالة في قلب خادمه)** ليتوصل به إلىٰ قضاء حاجاته **(لأنه إن لم يكن له عنده محل وقدْر لم يقُمْ بخدمته)** بل لم يعتنِ به أصلاً **(وقيام القدر والمحل في القلوب هو الجاه)** كما سبق بيان ذلك في كتاب ذم الجاه **(وهذا له أول قريب، ولكن يتمادَىٰ)** أي ينجرُّ **(إلىٰ هاوية لا عمق لها)** أي لا آخر **(ومَن حامَ حول الحِمَىٰ يوشك أن يقع فيه)** كما في الخبر **(و)** هذا إن طلبه بالعبادات حرُمَ قليله وكثيره وكان كطالب المال بسبب محرَّم، والقدر المباح منه **(إنما يحتاج إلىٰ المحل في القلوب)** لإحدىٰ ثلاث: **(إما لجلب نفعٍ، أو لدفع ضرر، أو لخلاص من ظلم. أما النفع فيغني عنه المالُ، فإن مَن يخدم بأجرة يخدم وإن لم يكن عنده للمستأجِر قدرٌ، وإنما يحتاج إلىٰ الجاه في قلب مَن يخدم بغير أجرة. وأما دفعُ الضرر فيحتاج لأجله إلىٰ الجاه في بلد لا يكمُل فيه العدلُ، أو يكون بين جيران يظلمونه فلا يقدر علىٰ دفع شرهم إلا بمحل له في قلوبهم أو بمحل له عند السلطان)** فهو كالحُش من البيت يُراد لغيره لا لذاته، بل يُراد لدفع الأذىٰ، لا لأنه صفة الكمال **(وقدر الحاجة فيه لا ينضبط لا سيَّما إذا انضمَّ إليه الخوفُ وسوء الظن بالعواقب، والخائض في طلب الجاه سالك طريق الهلاك، بل حق الزاهد أن**

لا يسعىٰ لطلب المحل في القلوب أصلاً، فإن اشتغاله بالدين والعبادة) من ذِكر ومراقبة وعزلة (يمهِّد له من المحل في القلوب ما يدفع عنه به الأذىٰ ولو كان بين) أظهُر (الكفار، فكيف بين المسلمين، وأما التوهُّمات والتقديرات التي تحوج إلىٰ زيادة في الجاه علىٰ الحاصل بغير كسب فهي أوهام كاذبة) وتقديرات باطلة (إذ مَن طلب الجاه أيضًا لم يخْلُ عن أذىٰ في بعض الأحوال، فعلاج ذلك بالاحتمال والصبر أَولىٰ من علاجه بطلب الجاه. فإذًا طلبُ المحل في القلوب لا رخصة فيه أصلاً، واليسير منه داعٍ إلىٰ الكثير، وضراوته أشد من ضراوة الخمر) في عسر الانفكاك منه (فليحترزْ من قليله وكثيره. وأما المال فهو ضروري في المعيشة، أعني القليل منه، فإن كان كسوبًا فإذا اكتسب حاجة يومه) ممَّا يكتفي به (فينبغي أن يترك الكسب) في ذلك اليوم (كان بعضهم) أي من المتكسِّبين الزاهدين (إذا اكتسب حبَّتين رفع سَفَطه وقام) والسَّفَط، محرَّك: وعاء المتاع (هذا شرط الزاهد[1]).

(فإن جاوز ذلك إلىٰ ما يكفيه أكثر من سنة فقد خرج عن حدِّ ضعفاء الزهَّاد وأقويائهم جميعًا. وإن كانت له ضيعة) مثل أرض يستغلُّها (ولم تكن له قوة يقين في التوكل فأمسك منها مقدار ما يكفي ريعه) وهو ما يفيض من غِلال الضيعة (لسنة واحدة فلا يخرج بهذا المقدار عن الزهد بشرط أن يتصدَّق بكل ما يفضل عن كفاية سنة، ولكن يكون من ضعفاء الزهَّاد) لا من أقويائهم (فإنَّ شرط التوكل في الزهد) بأن لا يكمُل إلا به (كما شرطه أويسٌ القَرَني) رحمه الله تعالىٰ فيما فُهم من كلامه السابق ذِكره (فلا يكون هذا من الزهَّاد) لفقد وصفِ التوكل فيه (وقولنا: إنه خرج عن حدِّ الزهاد، نعني به أن ما وُعد للزاهدين في الدار الآخرة من المقامات المحمودة لا يناله، وإلا فاسم «الزهد» قد لا يفارقه بالإضافة إلىٰ ما زهدَ فيه من الفضول والكثرة) فإطلاق الزهد عليه بهذا الاعتبار فقط. وعلىٰ الجملة، فللزهد ثواب مخصوص موعود عند الله، فمتىٰ ما نال شيئًا أخذ من ذلك الثواب بقسطه

(١) في الجميع: الزهد. وهو الصواب.

(وأمرُ) الأعزب (المنفرد في جميع ذلك أخفُّ من أمر المعيل) أي ذي العيال، كما قيل:

ما للمعالي والمَعيل وإنما يسعىٰ إليهن الفريدُ القادر[(١)]

(وقد قال أبو سليمان) الداراني رحمه الله تعالىٰ: (لا ينبغي أن يرهق الرجل أهله) أي يكلِّفهم (إلىٰ الزهد، بل يدعوهم إليه، فإن أجابوا وإلا تركهم وفعل بنفسه ما شاء. معناه أن التضييق المشروط علىٰ الزاهد يخصُّه، ولا يلزمه كلُّ ذلك في عياله) هذا ما فُهم من كلامه (نعم، لا ينبغي أن يجيبهم أيضًا فيما يخرج عن حدِّ الاعتدال، وليتعلَّم من رسول الله ﷺ؛ إذ انصرف من بيت فاطمة ﵂ بسبب ستر) كانت علَّقته في ناحية البيت (وقُلبين) في يدها أو يد الحسن أو الحسين، كما تقدم الكلام عليه قريبًا (لأن ذلك من الزينة، لا من الحاجة) وكذلك لمَّا تزيَّنت أم سلمة بخرص من ذهب جعلته في أذنها، قالت: فلمَّا دخل رسول الله ﷺ رفعتُ قناعي عن أذني رجاءَ أن ينظر إلىٰ زينتي. قالت: فأعرض ولم يلتفت، فقلت: يا رسول الله، إنما تزيَّنتُ لك. فقال: «عن زينتكِ أُعرِضُ، ما ضرَّكِ لو جعلتيه من فضة ثم لطَّختيه بالزعفران فكان كأنَّه ذهبٌ»[(٢)]. فأمرها بفعل مَن لا يحب الدنيا لعينها، وإنما يدخل فيها لظاهر مَرافِقها؛ لأن الفضة والزعفران وإن أشبهت الذهبَ في اللون فإنما

(١) قاله أبو الفرج علي بن الحسين بن هندو، كما في تتمة يتيمة الدهر للثعالبي ٥/ ١٦٤ (ط دار الكتب العلمية).

(٢) رواه أحمد في مسنده ٤٤/ ٢٨٠ عن أم سلمة قالت: جعلت شعائر من ذهب في رقبتي، فدخل النبي ﷺ فأعرض عني، فقلت: ألا تنظر إلىٰ زينتي؟ فقال: «عن زينتك أعرض». قال: زعموا أنه قال: «ما ضر إحداكن لو جعلت خرصا من ورِق ثم جعلته بزعفران». أما قوله في آخره (فكان كأنه ذهب) فرواه أحمد في مسنده ٤٠/ ٥١ من حديث عائشة قالت: لما نهىٰ رسول الله ﷺ عن لبس الذهب قلنا: يا رسول الله، ألا نربط المسك بشيء من ذهب؟ قال: «أفلا تربطونه بالفضة ثم تلطخونه بزعفران فيكون مثل الذهب». ثم قال: حدثنا محمد بن سلمة عن خصيف، وحدثنا مروان قال: حدثنا خصيف عن عطاء عن أم سلمة مثل ذلك.

هو متاع في الوقت، لا أن لها قيمة الذهب وقدره ولا وجود حلاوته [بالرغبة] في قِنيته، فكذلك حال الزاهد في حلاوة الدنيا لعينها، فيستعمل الدنيا فيما قرُب ودنا، ويبدل دقيقًا منها ذا قيمة بيسير دونه (**فإذًا ما يضطرُّ الإنسان إليه من جاه ومال ليس بمحذور، بل الزائد على الحاجة سم قاتل، والمقتصر على الضرورة دواء نافع، وما بينهما درجات متشابهة، فما يقرُب من الزيادة وإن لم يكن سمًّا قاتلاً فهو مضرٌّ، وما يقرُب من الضرورة فهو وإن لم يكن دواء نافعًا ولكنه قليل الضرر وسمٌّ محظور شربه، والدواء فرضٌ تناوُله، وما بينهما مشتبه أمره، فمَن احتاط فإنما يحتاط لنفسه، ومَن تساهل فإنما يتساهل على نفسه، ومَن استبرأ لدينه وترك ما يريبه إلى ما لا يريبه وردَّ نفسه إلى مَضيق الضرورة فهو الآخذ بالحزم، وهو من الفرقة الناجية لا محالة**) وهم الذين قال فيهم رسول الله ﷺ حين سُئل عنهم: «ما أنا عليه وأصحابي» (**والمقتصِر على قدر الضرورة و**) على (**المهمِّ لا يجوز أن يُنسَب إلى الدنيا، بل ذلك القدر من الدنيا هو عين الدين؛ لأنه شرطُ الدين، والشرط من جملة المشروط، ويدل عليه ما رُوي أن إبراهيم الخليل عليه السلام أصابته حاجةٌ، فذهب إلى صديق له يستقرضه شيئًا، فلم يقرضه**) ولفظ القوت: فتوارَى عنه (**فرجع مهمومًا، فأوحى الله إليه: لو سألتَ خليلك لأعطاك**) ولفظ القوت: لو بخليلك أنزلتَ حاجتك لقضاها لك. يعني نفسه تعالى (**فقال: يا رب، عرفتُ مقتك للدنيا، فخفتُ أن أسألك منها شيئًا**) فتمقتني (**فأوحى الله إليه**): أما علمتَ أنه (**ليست الحاجة من الدنيا**) وفي لفظ القوت: ليس هو من الدنيا. نقله صاحب القوت. وقد رُوي مرفوعًا نحوه: «مَن نظر إلى زهرة الدنيا أصبح ممقوتًا في ملكوت السماء، ومَن صبر على القوت نزل الفردوس حيث أحبَّ». فدلَّ ذلك على أن القوت ليس هو من الدنيا؛ لأنه استثناه منها بمدحه على الصبر عليه بعد ذمِّها، وفي خبر آخر: «لا يعذِّب الله مؤمنًا جعل رزقه في الدنيا قوتًا» (**فإذًا قدرُ الحاجة من الدين، وما وراء ذلك وبالٌ في الآخرة، وهو في الدنيا أيضًا كذلك، يعرفه مَن يختبر أحوال الأغنياء وما عليهم من المحنة**) والتعب (**في كسب المال وجمعه وحفظه واحتمال الذل فيه**) في معاملاته (**وغاية**

سعادته به أن يسلِّم لورثته) إذا مات **(فيأكلونه، وهم أعداؤه)** إذ كانوا يتمنَّون موته وينتظرونه **(وربما يستعينون به علىٰ المعصية، فيكون هو معينًا لهم عليها)** إذ ورَّثهم ما أطغاهم، فهو جمع مالاً لذرِّيته يغنيهم في الدنيا بفقره في الآخرة، وينجيهم به من الذل الذي بذل نفسه وهلكته في عاقبته، فصار نعيمه لهم وشقاؤه عليه، ترفَّهوا فيه بعده وهلك هو به **(ولذلك يشبَّه جامع الدنيا ومتَّبع الشهوات بدود القَز؛ إذ لا يزال ينسج علىٰ نفسه)** لجهله وعدم معرفته بنفسه **(حتىٰ يفتلها، ثم يروم الخروجَ فلا يجد مَخلصًا فيموت ويَهلك بسبب عمله الذي عمله بنفسه)** فصار عمله وكدحه لغيره متنعِّمًا به ومات هو فيه **(فكذلك كل مَن اتَّبع شهوات الدنيا فإنما يحكم علىٰ قلبه بسلاسل تقيِّده بما يشتهيه حتىٰ تتظاهر عليه السلاسل)** أي تتفاوت **(فيقيِّده المالُ والجاه والأهل والولد وشماتة الأعداء ومراءاة الأصدقاء وسائر حظوظ الدنيا، فلو خطر**[1] **له أنه قد أخطأ فيه فقصد الخروجَ من الدنيا لم يقدر عليه، ورأىٰ قلبه مقيَّدًا بسلاسل وأغلال لا يقدر علىٰ قطعها)** عنه **(ولو ترك محبوبًا من مَحابِّه باختياره كاد أن يكون قاتلاً لنفسه وساعيًا في هلاكه إلىٰ أن يفرِّق مَلَكُ الموت بينه وبين جميعها دفعة واحدة)** فمَن حرص علىٰ الدنيا بالباطل فقد قتل نفسه، وقد قيل: بعدًا وسحقًا لقتيل الدنيا، لا يُقاد له منها، فإن قويَ حرصُه عليها واشتدَّ عشقه لها قتل غيره؛ لغلبة هواه وقلة مبالاته بمَن صحبه ووالاه واطِّراحه لأحكام مولاه **(فتبقىٰ السلاسل في قلبه معلَّقة بالدنيا التي فاتته وخلَّفها)** وراء ظهره **(فهي)** أي تلك السلاسل **(تجاذبه إلىٰ الدنيا، ومخالب ملك الموت قد علقت بعروق قلبه تجذبه إلىٰ الآخرة، فيكون أهون أحواله عند الموت أن يكون كشخص يُنشَر بالمنشار ويُفصَل أحد جانبيه من الآخَر بالمجاذبة من الجانبين، والذي يُنشَر بالمنشار إنما ينزل المؤلمُ ببدنه، ويألم قلبُه بذلك بطريق السراية من حيث أثره، فما ظنُّك بألم يتمكَّن أولاً من صميم القلب مخصوصًا به لا بطريق السراية إليه من غيره، فهذا أول عذاب يلقاه قبل ما يراه من حسرة فوت النزول في أعلىٰ عِلِّيِّين وجوار رب**

---

(١) في المطبوعة: فطن. والمثبت من الجميع.

العالمين، فبالنزوع إلىٰ الدنيا يُحجَب عن لقاء الله تعالىٰ، وعند الحجاب تتسلَّط عليه نار جهنم؛ إذ النار غير مسلَّطة إلا علىٰ محجوب) ولذا قالوا: أشد العذاب الحجاب **(قال الله تعالىٰ:** ﴿كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ ١٥﴾**)** أي عن رؤيته ولقائه **(**﴿ثُمَّ إِنَّهُمۡ لَصَالُواْ ٱلۡجَحِيمِ ١٦﴾ [المطففين: ١٥ - ١٦] **فرتَّب العذاب بالنار علىٰ ألم الحجاب، وألم الحجاب كافٍ من غير علاوة النار، فكيف إذا أضيفت العلاوة إليه)** فيكون أشد فأشد **(فنسأل الله أن يقذف)** وفي نسخة: يقرِّر **(في أسماعنا ما نفث في رُوع رسول الله ﷺ حيث قال له: أحبِبْ ما أحببتَ فإنك مفارقه)** رواه الطيالسي[1] والشيرازي والبيهقي[2] من حديث جابر: «قال لي جبريل: يا محمد، عِشْ ما شئتَ فإنك ميت، وأحبِبْ مَن أحببتَ فإنك مُفارِقه، واعملْ ما شئتَ فإنك ملاقيه». وقد تقدم.

(وفي معنىٰ ما ذكرناه من المثال قول الشاعر[3]):

ألـم تـرَ أن المـرء طـول حياتـه	معنًّـىٰ بأمـر لا يـزال يعالجـه
(كـدودٌ كـدودِ القَـز ينسـج دائمًـا	**ويَهلـك غمًّا وسـط ما هو ناسـجه)**

والكَدود فَعول من الكَدِّ وهو التعب.

(ولمَّا انكشف لأولياء الله تعالىٰ أن العبد مهلك نفسه بأعماله واتِّباعه هوىٰ نفسه إهلاكَ دود القَز نفسه) بنسجه علىٰ نفسه **(رفضوا الدنيا بالكلِّية)** حلالها وحرامها، ولم يتعلَّقوا بأعراضها **(حتىٰ قال الحسن)** البصري رحمه الله تعالىٰ: **(رأيت سبعين بدريًّا)** أي ممَّن شهد بدرًا مع رسول الله ﷺ **(كانوا)** واللهِ **(فيما أحلَّ الله لهم أزهد منكم فيما حرَّم الله عليكم)** كذا في القوت. مع أنهم ممَّن قد

---

(١) مسند الطيالسي ٣/ ٣١٣.

(٢) شعب الإيمان ١٣/ ١٢٥.

(٣) هو أبو الفتح البستي، والبيتان في ديوانه ص ٢٣٣.

اطَّلع الله عليهم فغفر لهم (**وفي لفظ آخر: كانوا بالبلاء**) والشدة تصيبهم (**أشد فرحًا منكم بالخصب والرخاء، لو رأيتموهم قلتم مجانين**)

مجانيـن إلا إن سـر جنونهـم عزيز لـدىٰ أبوابه يسـجد العقـلُ[(١)]

(**ولو رأوا خياركم لقالوا: ما لهؤلاء من خَلاق**) أي من نصيب (**ولو رأوا شِراركم قالوا: ما يؤمن هؤلاء بيوم الحساب**) كذا في القوت، وتقدَّم ذِكره أيضًا في كتاب عجائب القلب. قال: (**وكان أحدهم يَعرِض له المال الحلال فلا يأخذه ويقول**): لا حاجة لي به (**أخاف أن يُفسِد عليَّ قلبي**[(٢)]).

فمَن كان له قلب فهو لا محالة يخاف من فساده) ومن تغيُّره وإبعاده، ويعمل في أسباب صلاحه ورشاده (**والذين أمات حبُّ الدنيا قلوبَهم**) فهم يتقلَّبون في ظلمات الهوىٰ، فربما انقلبوا علىٰ وجوههم، فهم ممَّن خسر الدنيا والآخرة، أو يكونون من أهل الرضا بالدنيا وأهل الغفلة عن آيات الله، فهم ممَّن رضي بلا شيء (**فقد أخبر الله تعالىٰ عنهم**) في كتابه العزيز (**إذ قال تعالىٰ**: ﴿وَرَضُواْ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّواْ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ۝٧﴾ [يونس: ٧] **وقال تعالىٰ**: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ۝٢٨﴾) [الكهف: ٢٨] أي مجاوزًا لِما نُهي عنه، مقصِّرًا عمَّا أُمِر به (و) قيل: مقدمًا إلىٰ الهلاك، فهؤلاء يستحقُّون الإعراض من الحبيب، ويستوجبون المقتَ من القريب، كمثل مَن أمر اللهُ تعالىٰ بالإعراض عنهم وتركِ القبول منهم؛ إذ (**قال تعالىٰ**: ﴿فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا

---

(١) تقدم هذا البيت في كتاب الأذكار والدعوات، وفي كتاب التوبة.

(٢) رواه أحمد في الزهد ص ٢١١ بلفظ: «والله، لقد أدركت أقواما إن كان أحدهم ليرث المال العظيم - قال: وإنه والله لمجهود شديد الجهد - فيقول لأخيه: يا أخي، إنك قد علمت أني ذا ميراث، = = وهو حلال، ولكني أخاف أن يفسد عليَّ قلبي وعملي، فهو لك، لا حاجة لي فيه. فلا يرزأ منه شيئا أبدا، وهو والله مجهود شديد الجهد، والله لقد أدركت أقواما كانوا فيما أحل الله لهم أزهد منكم فيما حرم عليكم، ولقد كانوا أشفق من حسناتهم أن لا تقبل منهم منكم أن تؤاخذوا بسيئاتكم».

ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ۝٢٩ ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ﴾ [النجم: ٢٩ - ٣٠] **فأحال ذلك كلَّه على الغفلة وعدم العلم، ولذلك قال رجل لعيسىٰ عليه السلام: احملني معك في سياحتك. فقال: أخرِجْ مالك والحقني. فقال: لا أستطيع. فقال عليه السلام: بعُجْب يدخل الغنيُّ الجنة. أو قال: بشدة)** نقله صاحب القوت، وتقدم قوله «بعُجب يدخل الغني الجنة» قريبًا.

(**وقال بعضهم: ما من يوم ذرَّ شارقُه**) أي طلعت شمسه (**إلا وأربعة أملاك ينادون في الآفاق بأربعة أصوات، ملكان بالمشرق وملكان بالمغرب، يقول أحدهما بالمشرق: يا باغي الخير**) أي طالبه (**هلمَّ**) أي أقبِلْ (**ويا باغي الشر**) أي طالبه (**أقصِرْ. ويقول الآخر: اللهم أعطِ منفقًا خلفًا**) أي عوضًا (**وأعطِ ممسكًا**) أي بخيلاً (**تلفًا**) أي هلاكًا (**ويقول اللذان بالمغرب أحدهما: لِدوا للموت وابنوا للخراب، ويقول الآخر: كلوا وتمتَّعوا لطول الحساب**) هكذا عزاه المصنف لبعضهم تبعًا لصاحب القوت، وقد رُوي ذلك مرسلاً من حديث عثمان بن محمد بن المغيرة بن الأخنس، رواه البيهقي في الشعب[1]، ولفظه: «ما من يوم طلعت شمسه إلا يقول: مَن استطاع أن يعمل فيَّ خيرًا فليعمله، فإني غير مكرٍّ عليكم أبدًا. وما من يوم إلا ينادي مناديان من السماء، يقول أحدهما: يا طالب الخير أبشِرْ، يا طالب الشر أقصِرْ. ويقول أحدهما: اللهم أعطِ منفقًا خلفًا. ويقول الآخر: اللهم أعطِ ممسكًا تلفًا». ورواه الديلمي[2] عن عثمان بن محمد المذكور عن سعيد بن المسيب عن ابن عباس مرفوعًا، وزاد بعد قوله «أبدًا»: «وكذلك يقول الليل».

وروىٰ الحاكم في المستدرك[3] من حديث أبي سعيد: «ما من صباح إلا وملكان يناديان، يقول أحدهما: اللهم أعطِ منفقًا خلفًا، ويقول الآخَر: اللهم أعطِ ممسكًا تلفًا. وملكان موكَّلان بالصور ينتظران متىٰ يؤمَران فينفخان، وملكان

(١) شعب الإيمان ٥/ ٣٦٦.

(٢) الفردوس بمأثور الخطاب ٤/ ٥١.

(٣) المستدرك علىٰ الصحيحين ٥/ ٢٢.

ينادیان [يقول أحدهما]: يا باغي الخير هلمَّ، ويقول الآخر: يا باغي الشر أقصِرْ. وملكان ينادیان، يقول أحدهما: ويل للرجال من النساء، ويقول الآخر: ويل للنساء من الرجال». وقد صحَّحه الحاكم[١]، وتُعُقِّب.

وروىٰ البيهقي[٢] من حديث الزبير: «ما من صباح يصبحه العِباد إلا وصارخ يصرخ: يا أيها الناس، لِدوا للتراب، واجمعوا للفَناء، وابنوا للخراب».

وروىٰ الديلمي[٣] من حديث أبي هريرة: «إن لله تعالىٰ ملكًا بباب من أبواب السماء يقول: مَن يقرض اليوم يجازَ غدًا. وملكًا آخر بباب آخر ينادي: اللهم أعطِ منفقًا خلفًا، وعجِّلْ لممسك تلفًا»[٤].

---

(١) لم يصححه الحاكم، وإنما قال عقبه: «تفرد به خارجة بن مصعب عن زيد بن أسلم». قال الذهبي في التلخيص: خارجة ضعيف.

(٢) شعب الإيمان ١٣/ ٢٣٣.

(٣) وكذلك النسائي في السنن الكبرىٰ ١٠/ ٤٢٥، وأحمد في مسنده ١٣/ ٤١٩، وابن حبان في صحيحه ٨/ ١٢٤.

(٤) أخرج البخاري ١/ ٤٤٥، ومسلم ٢/ ٧٠٠ من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: « ما من يوم يصبح العباد فيه، إلا ملكان ينزلان، فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقًا خلفًا، ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكًا تلفا».

بيـان علامـات الزهـــد

(اعلمْ) وفَّقك الله تعالىٰ [أنه] لولا الامتحان لكثر الصادقون، ولا بد لكل مؤثِّر من أثر يدل عليه، فكذلك لا بد لكل مقام من علامة تدل علىٰ صحَّته. وإليه أشار المصنِّف بقوله: (أنه قد يُظَن أن تارك المال زاهد، وليس كذلك، فإنَّ ترك المال وإظهار الخشونة) في العيش (سهل علىٰ مَن أحب المدح بالزهد، فكم في الرهابين) جمع رهبان جمع راهب[1] (مَن ردُّوا أنفسهم كل يوم إلىٰ قدر يسير من الطعام، ولازَموا ديرًا لا باب له) ولا مَنفذ للهواء فيه (وإنما مَسَرَّة أحدهم[2]) وفي نسخة: مَشرب أحدهم (معرفة الناس حاله ونظرُهم إليه ومدحهم له) بترك الدنيا والزهد فيها (فذلك لا يدل علىٰ الزهد دلالة قاطعة، بل لا بدَّ من الزهد في المال والجاه جميعًا حتىٰ يكمُل الزهدُ في جميع حظوظ النفس من الدنيا، بل قد يدَّعي جماعةٌ الزهدَ مع لبس الأصواف الفاخرة والثياب الرفيعة، كما قال) أبو[3] إسحاق إبراهيم بن أحمد (الخَوَّاص) رحمه الله تعالىٰ، هو من أقران الجنيد والنوري، مات بالري سنة ٢٩١ (في وصف المدَّعين) في الزهد (إذ قال: وقوم ادَّعوا الزهدَ ولبسوا الفاخر من اللباس، يموهُّون بذلك علىٰ الناس ليُهدَىٰ إليهم مثل لباسهم لئلاَّ يُنظَر إليهم بالعين التي يُنظَر بها إلىٰ الفقراء فيُحتقَروا فيعطَوا كما يعطَىٰ المساكين، ويحتجُّون لنفوسهم باتِّباع العلم[4]، وأنهم علىٰ السنَّة، وأن الأشياء داخلة عليهم، وهم خارجون منها، وإنما يأخذون بعلَّة غيرهم. هذا إذا طولِبوا بالحقائق وأُلجئوا

---

(١) الرهبان يكون واحدًا وجمعًا، لذا جمع الواحد منها علىٰ رهابين. وانظر: تاج العروس ٢/ ٥٤٠.

(٢) في أ: مشربهم.

(٣) الرسالة القشيرية ص ٩٧.

(٤) في قوت القلوب ١/ ٤٣٢: اتساع العلم.

إلىٰ المضايق) قال: (**وكل هؤلاء أَكَلَة الدنيا بالدين، لم يُعنَوا بتصفية أسرارهم ولا بتهذيب أخلاق نفوسهم، فظهرت عليهم صفاتُهم فغلبتهم فادَّعوها حالاً لهم، مائلون إلىٰ الدنيا، متَّبِعون للهوىٰ.**

فهذا كله كلام الخَوَّاص) أورده في كتاب «شرف الفقراء»، ونقله صاحب القوت. وتقدم أن الخوَّاص كان لا يلبس أكثر من قطعتين مئزرين أو قميص ومِئزر تحته، وربما يعطف ذيل قميصه علىٰ رأسه، أو يحلُّه من وسطه فيغطي به رأسه.

وقد كان يحيىٰ بن معاذ الرازي يصف الزاهدين من العارفين والمتحقِّقين بالحال والمستحقِّين لاسم الزهد ومعناه في نُتَف من كلامه هي من أحوال أهل المعرفة زادوا بها علىٰ مقام الزاهدين من المؤمنين، وكان يقول في وصفهم: الزهد مع الغِنىٰ أفضل من الزهد مع الفقر، يزهد الرجل وفي قصره أمثال التصاوير من النساء، لو نظر الزاهد الفقير إلىٰ وصيفة منهن غُشي عليه. وقال: إذا زهدَ في الدنيا حُجب عن العامَّة، وإذا عرف حُجب عن الزهَّاد. وقال: إذا حُجب العارف لعزَّته اصطيدَ بالطعمة، يُدعَىٰ إلىٰ طعام فيجيب فيظفرون به بذلك، وكذلك اصطيدَ أبوه آدم بالطعمة من الشجرة. وكان يقول: لا يمكن للعابد والزاهد أن يستترا عن الخَلق، والعارف مستور كأنَّه رجل من الناس وهو أفضلُ مَن تحمله الأرض، لا يعرفه إلا مثله، ولا يصبر علىٰ معاشرته إلا شكله.

هذا كله كلام يحيىٰ بن معاذ، وسيأتي باقي كلامه بعدُ.

(**فإذًا معرفة الزهد أمر مشكل، بل حال الزهد علىٰ الزاهد مشكل، وينبغي أن يعوِّل في باطنه علىٰ ثلاث علامات:**

العلامة الأولىٰ: أن لا يفرح بموجود، ولا يحزن علىٰ مفقود، كما قال تعالىٰ: ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْا﴾) أي تحزنوا ﴿عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا﴾) علىٰ النعمة (﴿بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾) [الحديد: ٢٣] فرح بطرٍ (**بل ينبغي أن يكون**) الزاهد بإعراضه عن

الدنيا وقلة رغبته فيها (**بالضد من ذلك وهو أن يحزن بوجود المال، ويفرح بفقده**) لاكتفائه بما ينفعه، وقد جعل بعضهم هذا المعنىٰ حدًّا للزهد، كما تقدَّم في أول السياق، وهو في الحقيقة من ثمراته أو من علاماته.

(**العلامة الثانية: أن يستوي عنده ذامُّه ومادحه**) فلا يفرح إذا سمع بمدحه، ولا يحزن إذا سمع بذمِّه، وكان يونس بن ميسرة يذهب إلىٰ هذا ويقول: ليست الزهادة في الدنيا تحريم الحلال ولا إضاعة المال، ولكن أن يكون ذامُّك ومادحك سواء[1].

(**فالأولىٰ**[2] **علامة الزهد في المال، والثانية علامة الزهد في الجاه**) لأن معنىٰ الجاه: مَلْك القلوب، فإذا استوىٰ عنده الذم والمدح لم يفتقر إلىٰ مَلْك القلوب.

(**العلامة الثالثة: أن يكون أنسه بالله تعالىٰ**) لا بشيء من الأشياء (**والغالب علىٰ قلبه حلاوة الطاعة**) فإنَّ الأنس بالله والدنيا لا يجتمعان (**إذ لا يخلو القلب عن حلاوة المحبة، إما محبة الدنيا وإما محبة الله، وهما في القلب كالماء والهواء في القَدَح، فالماء إذا دخل خرج الهواء، ولا يجتمعان**) وقد كان عمر رضي الله عنه يقول إذا ذكر الدنيا والآخرة: إن هما إلا بمنزلة قدحين لك مُلئ أحدهما، فما هو إلا أن يُفرَغ أحدهما في الآخَر. يعني أنك إذا امتلأت بالدنيا تفرَّغت من الآخرة، وإن امتلأت من الآخرة تفرَّغت من الدنيا، وإن كان لك ثلث قدح الآخرة أدركت ثلثي قدح الدنيا، وإن كان لك ثلثا قدح الآخرة يكون لك ثلثه من الدنيا. قال صاحب القوت: وهذا تمثيل حسن وتعديل صحيح[3] (**وكل مَن أنسَ بالله تعالىٰ اشتغل**

---

(١) رواه البيهقي في شعب الإيمان ١٢/ ٣٨٥ وابن الأعرابي في الزهد وصفة الزاهدين ص ٥٥ - ٥٦ وابن أبي الدنيا في الزهد ص ٦٣ بلفظ: «ليست الزهادة في الدنيا بتحريم الحلال ولا إضاعة المال، ولكن الزهادة في الدنيا أن تكون بما في يد الله أوثق منك مما في يديك، وأن يكون حالك في المصيبة وحالك إذا لم تصب بها سواء، وأن يكون ذامك ومادحك في الحق سواء».

(٢) في أ، وب، وط المنهاج ٨/ ١٨٤: فالأول. أي فالكلام الأول، والأمر كما ترىٰ قريب.

(٣) نص القوت: «وهذا تمثيل حسن، إلا أن فيه شدة وتدقيقا».

به ولم يشتغل بغيره، ولذلك قيل لبعضهم: إلىٰ ماذا أفضىٰ بهم الزهدُ؟ فقال: إلىٰ الأنس بالله) والمراد بالبعض: أبو محمد سباع الموصلي، ففي القوت: قال مُضاء بن عيسىٰ: قلت لسباع الموصلي: يا أبا محمد، إلىٰ أي شيء أفضَىٰ بهم الزهدُ؟ قال: إلىٰ الأنس بالله[1]. أي لزوال وحشة الدنيا وخروج ظلمة النفس بالهوىٰ وقع الأنسُ بالنور، ولا يجد الأنس بالحبيب والوجد بالقريب غيرُ زاهد **(فأما الأنس بالله وبالدنيا فلا يجتمعان)** وقال صاحب القوت: قوت الزهد الذي لا بدَّ منه وبه تظهر صفة الزاهد ويفضل به علىٰ الراغب هو أن لا يفرح بعاجل موجود من حظ النفس، ولا يحزن علىٰ مفقود من ذلك، وأن يأخذ الحاجة من كل شيء [عند الحاجة إلىٰ الشيء] ولا يتناول عند الحاجة إلا سد الفاقة، ولا يطلب الشيء قبل الحاجة، وأول الزهد دخول غمِّ الآخرة في القلب، ثم وجود حلاوة المعاملة للرب، ولا يدخل غمُّ الآخرة في قلبه حتىٰ يخرج همُّ الدنيا، ولا تدخل حلاوة المعاملة حتىٰ تخرج حلاوة الهوىٰ، وكل مَن ترك المعصية ولم يجد حلاوة الطاعة رجع إليها، وكل مَن ترك الدنيا ولم يجد حلاوة الزهد رجع فيها، وكل مَن وجد حلاوة الطاعة ولم يجد حلاوة المعرفة لم يدُمْ عليها، وكل مَن وجد حلاوة الزهد ولم يذُقْ حلاوة اليقين لم يؤمَن عليه دخول التفتين ورغب في الدنيا ولو بعد حين **(وقد قال أهل المعرفة)** في تنويع الإيمان في القلب فجعلوه علىٰ مقامين وجعلوا لهما زهدين، حيث قالوا: **(إذا تعلَّق الإيمان بظاهر القلب أحب الدنيا والآخرة جميعًا وعمل لهما)** وكلٌّ منهما يتجاذبان **(وإذا بطنَ الإيمانُ في سويداء القلب)** أي باطنه **(وباشرَه)** أحب الآخرة وحدها وعمل لها و**(أبغض الدنيا فلم ينظر إليها ولم يعمل لها)** نقله صاحب القوت.

(ولهذا ورد في دعاء آدم[2] عليه السلام: اللهم إني أسألك إيمانًا يباشر قلبي) أي

---

(١) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء ٨/ ٢٩٢، ١٠/ ١٣٦، وابن الأعرابي في الزهد وصفة الزاهدين ص ٨٠، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٢٠/ ١٢٤ - ١٢٥.

(٢) تقدم هذا الدعاء بتمامه في كتاب الحج، وفي كتاب الأذكار والدعوات.

يخالطه.

(**وقال أبو سليمان**) الداراني رحمه الله تعالىٰ: (**مَن شُغِل بنفسه شُغِل عن الناس وهذا مقام العاملين، ومَن شُغل بربِّه شُغِل عن نفسه وهذا مقام العارفين**)[1] ولهذين المقامين دليل من السنَّة، وهو ما رُوي عن النبي ﷺ أنه سُئل: أيُّ الناس خير؟ فقال: «مَن يشنأ الدنيا ويحب الآخرة». قيل: فإن لم يكن؟ قال: «مؤمن في خُلُق حسن». والشاهد الآخَر من الخبر الثاني أن النبي ﷺ سأل أصحابه: «أتدرون مَن خير الناس»؟ قالوا: مؤمن موسر من المال يعطي حق الله في نفسه وماله. فقال: «نِعم الرجل هذا وليس به، خير الناس فقير يعطي جهده». وقد تقدم هذا.

(**والزاهد لا بد وأن يكون في أحد هذين المقامين، ومقامه الأول أن يشغل نفسه بنفسه، وعند ذلك يستوي عنده المدح والذمُّ، والوجود والعدم**) وهذا مقام المشاهدة للآخرة، ويكون بعد الزهد الذي يكون عن حقيقة الإيمان، ثم تستوي الأشياء عنده، ويستوي عدمُها ووجودها، وعنده يكون استواء المدح والذم؛ لاستواء قلبه في المشاهدة، وقد رُوي من حديث الحسن أن النبي ﷺ قال لرجل: «هل استويتَ»؟ قال: وكيف أستوي؟ قال: «يستوي عندك المدح والذم». فهذا يكون لسقوط قدْر النفس وذهاب رؤية الخَلق، فعندها يسقط الرياءُ والرغبة، فيثبُت الإخلاصُ والزهادة (**ولا يستدلُّ بإمساكه قليلاً من المال علىٰ فقد زهده أصلاً**) وقد رُوي عن السفيانين أنهما سُئلا: أيكون الرجل زاهدًا وله مال؟ قالا: نعم، إذا كان ممَّن ابتُلي فصبر، وإذا أُنعِم عليه شكر. قال ابن أبي الحواري: فقلت لابن عيينة: يا أبا محمد، قد أُنعِم عليه فشكر وابتُلِي فصبر وحبس النعمة، كيف يكون زاهدًا؟ فضربني بيده وقال: اسكتْ، مَن لم تمنعه النعماء من الشكر ولا البلوىٰ من الصبر

---

(١) رواه البيهقي في شعب الإيمان ٩/ ١١٤ وابن عساكر في تاريخ دمشق ٣٤/ ١٤٢ عن الجنيد قال: شيء يروىٰ عن أبي سليمان الداراني أنا أستحسنه كثيرا، قوله: من اشتغل بنفسه شغل عن الناس، ومن اشتغل بربه شغل عن نفسه وعن الناس.

فذلك الزاهد[١].

ووافقهما الزهري كذلك.

وقد فصَّل أبو سليمان ذلك **(قال)** أبو[٢] الحسن أحمد **(ابن أبي الحواري)** الدمشقي، صحبَ أبا سليمان الداراني وغيره، وكان يسمِّيه الجنيد: ريحانة الشام، مات سنة ٢٣٠ **(قلت لأبي سليمان)** الداراني رحمه الله تعالىٰ: **(أكان داود)** بن نصير **(الطائي)** أبو سليمان **(زاهدًا؟ قال: نعم. قلت: قد بلغني أنه ورث عن أبيه عشرين دينارًا فأنفقها في عشرين سنة، فكيف كان زاهدًا وهو يمسك الدنانير)**؟ رواه كذلك عثمان بن زُفَر عن ابن عم لداود، وقد تقدم. وروىٰ أبو نعيم في الحلية[٣] عن أبي محمد ابن حيَّان، حدثنا إسحاق بن أبي حسان، حدثنا أحمد بن أبي الحواري قال: قال أبو سليمان الداراني: ورث داود الطائيُّ من أبيه دنانير، فكان ينفق منها حتىٰ كُفن بآخرها **(فقال: أردتَ منه أن يبلغ حقيقةَ الزهد.**

وأراد بالحقيقة: الغاية، فإن الزهد ليس له غاية) ينتهي السالك إليها **(لكثرة صفات النفس، ولا يتم الزهدُ إلا بالزهد في جميعها)** والحب للجليل والأنس باللطيف هما غاية الطالبين، فمَن لم يتحقَّق بالزهد لم يبلغ مقامَ الحب، ولم يدرك حال الأنس وسرائر الغيب الملكوتية في مقام الحب والخلَّة اليقينية وغيابات السر العزِّية الجبروتية في حال الأنس **(فكل مَن ترك من الدنيا شيئًا مع القدرة عليه خوفًا علىٰ قلبه وعلىٰ دينه فله مَدخل في الزهد بقدر ما تركه)** وهذا أوله، وله درجات **(وآخره أن يترك كل ما سوىٰ الله تعالىٰ حتىٰ لا يتوسَّد حجرًا)** أي لا يضع رأسه علىٰ شيء مرتفع ولو حجرًا، فإنه من جملة نعيم الدنيا؛ لحصول الراحة للنفس

(١) رواه ابن أبي الدنيا في الزهد ص ٦٩، وأبو نعيم في حلية الأولياء ٧/ ٢٧٣، وابن الأعرابي في الزهد وصفة الزاهدين ص ٥٩.
(٢) الرسالة القشيرية ص ٧٢.
(٣) حلية الأولياء ٧/ ٣٤٧.

بسببه (**كما فعله المسيح**) عيسىٰ (عليه السلام) وتقدم ذِكره قريبًا، وبين هذين مقامات، ولتلك المقامات درجات، وقد عيَّن بعضُهم للزهد أربعة وعشرين مقامًا ونوَّعه، ومنهم مَن أوصلها إلىٰ ثلاثة وسبعين مقامًا (**فنسأل الله تعالىٰ أن يرزقنا من مباديه**) أي الزهد (**نصيبًا وإن قلَّ، فإن أمثالنا لا يستجرئ علىٰ الطمع في غاياته، وإن كان قطعُ الرجاء عن فضل الله تعالىٰ غير مأذون فيه، وإذا لاحظنا عجائب نعم الله تعالىٰ علينا**) ظاهرة وباطنة (**علمنا أن الله تعالىٰ لا يتعاظمه شيء، فلا بُعد في أن نعظم السؤال اعتمادًا علىٰ الجود**) الإلهي (**المجاوز لكل كمال**) فما لا يُدرَك كله لا يُترَك كله، ومَن فاته من الكمال وبله لا يفوته طلُّه.

(**فإذًا علامة الزهد استواء الفقر والغنىٰ، والعز والذل، والمدح والذم، وذلك لغلبة الأنس بالله**) المتوحِّد بالأفعال. وقال يحيىٰ بن معاذ: لا يكمُل للزاهد زهدُه إلا باستواء الحال في هذه الخصال: الموجود والمفقود، والسفر والحضر، والعز والذل، والمدح والذم، والغنىٰ والفقر (**وتتفرَّع عن هذه العلامات علامات أُخَر لا محالة، مثل أن يترك الدنيا ولا يبالي مَن أخذها**) أي لا يكترث. نقله القشيري عن أبي عثمان المغربي، وجعله حدًّا للزهد، وهو من علاماته (**وقيل: علامته أن يترك الدنيا كما هي**) وليس من علاماته خلوُّ اليد من المال؛ لأنه قد يمسكه لغرض دينيٍّ، وقيل: لا يُستحَب ذلك (**فلا يقول: أبني**) بها (**رباطًا أو أعمِّر**) بها (**مسجدًا**) أو نحوه ممَّا ترتاح النفس إليه من حب الثناء عليها به. نقله القشيري قال: سمعت أبا علي الدَّقَّاق يقول ذلك. وقد جعله حدًّا للزهد، وهو من علاماته. وبالجملة، فشرط الزهد أن لا يكون في قلبه التفات للدنيا إذا أعرض عنها.

وقال محمد بن إسحاق الصوفي: والصحيح عندي إذا وجد في نفسه هذه العلامات فليُخرِج الدنيا إلىٰ الأحوج والأَولىٰ، فإن لم يوجَد ذلك وعلم وجودَ الأفضل والمحتاج في ثاني الحال فلا يضرُّه إبقاءُ المال في يده حتىٰ يجد موضعه، وإياك أن تغترَّ بهذا قبل وجدان العلامات فيهلكك سمُّ المال قبل أن تنتفع بدرياقه.

نعم، إلا أن يكون متبوعًا يخاف من اقتداء الغير به فيتركها في الوقت تأسِّيًا بالأنبياء عليهم السلام، فافهمْ ذلك.

(**وقال**) أبو زكريا (**يحيىٰ بن معاذ**) الرازي رحمه الله تعالىٰ: (**علامة الزهدِ السخاءُ بالموجود**) وقال مرةً: الزهد يورث السخاءَ بالمُلك، والحب يورث السخاء بالروح. نقله القشيري. فالزاهد لا كلفة عليه في بذل الموجود وإن جلَّ، والمحب يسهُل عليه بذلُ روحه لله، وشتَّان بين المقامين.

(**وقال**) أبو عبد الله محمد (**ابن خفيف**) الشيرازي، المعروف بالشيخ الكبير، وهو رئيس الطريقة البكرية (**علامة الزهد وجود الراحة في الخروج من المُلك**)[1] نقله القشيري. لعلمه بما يلحق القلبَ عند وجوده من التشويش في حفظه ومن خوفه علىٰ قلبه من تعلُّقه به وكيف يصرفه.

(**وقال أيضًا: الزهد هو عزوف النفس**) أي انصرافها (**عن الدنيا بلا تكلُّف**) فيه؛ لأن قلبه امتلأ بصغر قدْرها وما يترتَّب عليه من ضررها، بخلاف المتزهِّد فإنه يتكلَّف الإعراض عنها، فقوله «بلا تكلُّف» إشارة إلىٰ الفرق بين الزاهد والمتزهِّد. ثم إن هذا القول الذي عزاه المصنف لابن خفيف قد عزاه القشيري لغيره، وهذا لفظه بعد أن ذكر قوله الأول: وقال أيضًا: الزهد: سلوُّ القلب عن الأسباب، ونفضُ الأيدي من الأملاك. وقيل: الزهد: عزوف النفس عن الدنيا بلا تكلُّف[2]. ولعل في سياق المصنف سقطًا، فتأملْ.

(**وقال أبو سليمان**) الداراني رحمه الله تعالىٰ: (**الصوف**) أي لبسُه (**عَلَمٌ من**

---

(١) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء ١٠/ ٣٨٦ بلفظ: «حقيقة الزهد التبرم بالدنيا ووجود الراحة في الخروج منها».

(٢) في كتاب الزهد الكبير للبيهقي ص ٧٩: «وقال قوم: الزهد هو عزوف النفس عن الدنيا بلا تكلف، كما قال حارثة». يشير بذلك إلىٰ حديث حارثة بن مالك، وفيه قول النبي ﷺ له: «إن لكل شيء حقيقة، فما حقيقة إيمانك»؟ فقال: عزفت نفسي عن الدنيا وأسهرت ليلي ... الحديث.

أعلام الزهد، فلا ينبغي) للزاهد **(أن يلبس صوفًا بثلاثة دراهم وفي قلبه رغبة خمسة دراهم)**(١) نقله القشيري. أي رغبة لبس صوف بخمسة دراهم، أشار بذلك إلىٰ أن الزهد في القلب ليس بلبس الغليظ ولا بأكل الخشن، وإن كان ذلك علامة له؛ لأن الزهد ضد الرغبة، وهو من أعمال القلوب.

وفي القوت: قال أحمد بن أبي الحواري: لبستُ عباءة، فنظر إليَّ وقال: هذا يكون آخر الزهد، جعلتموه أوله(٢)، أما يستحي أحدهم أن يلبس عباءة بدرهمين وفي قلبه شهوة بخمسة دراهم. وقال: لو ستر زهده بثوبين أبيضين كان أحب إليَّ.

(وقال أحمد بن حنبل وسفيان) الثوري وعيسىٰ بن يونس وغيرهم: **(علامة الزهد)** إنما هو **(قِصَر الأمل)** قال القشيري: وهذا الذي قالوه يُحمَل علىٰ أنه من أمارات الزهد والأسباب الباعثة عليه والمعاني الموجِبة له. انتهىٰ. أي عرفًا، فإن العبد متىٰ قصُر أملُه واستشعر سرعة موته وفراقه للدنيا قلَّت رغبته فيها، وفترت همَّتُه عن تحصيلها، وقد جاء في الخبر: «كفىٰ بذكر الموت مزهِّدًا». وتقدم في أول الباب أن هذا حدٌّ للزهد، والصحيح أنه من العلامات.

(وقال السري) السقطي رحمه الله تعالىٰ: **(لا يطيب عيشُ الزاهد إذا اشتغل**

---

(١) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء ٩/ ٢٦٠ بلفظ: «يلبس أحدهم عباءة قيمتها ثلاثة دراهم ونصف وشهوته في قلبه خمسة دراهم، أما يستحي أن تجاوز شهوته لباسه؟ وإذا لم يبق في قلبه من الشهوات شيء جاز له أن يتدرع عباءة ويلزم الطريق؛ لأن العباءة علم من أعلام الزهد، ولو أنه ستر زهده بثوبين أبيضين بخلطة الناس كان أسلم له». ورواه البيهقي في شعب الإيمان ٩/ ٢٢٢ - ٢٢٣، وابن الأعرابي في الزهد وصفة الزاهدين ص ٥٩، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٣٤/ ١٤٨ بلفظ: «لا يجوز لأحد أن يظهر للناس الزهد والشهوات في قلبه، فإذا لم يبق في قلبه من شهوات الدنيا شيء جاز أن يظهر للناس الزهد؛ لأن العباء علم من أعلام الزهد، فإذا زهد بقلبه وأظهر العباء كان مستوجبا لها، وإن ستر زهده بثوبين أبيضين ليدفع بهما أبصار الناس عنه كان أسلم لزهده». وروىٰ البيهقي في الزهد الكبير ص ١٥٩ نحوه عن حاتم الأصم.

(٢) بعده في القوت: «إنما إذا لم تبق في قلبه شهوة تدرع عباءة ولزم الطريق».

عن نفسه) أي بغيرها من الشهوات؛ لأن شغله بنفسه إنما هو بإعراضها عن محبوباتها الدنيوية، فإذا عدل عنها إلىٰ غيرها فقد اشتغل عنها وعن إعراضها عن ذلك، فلا يكون زاهدًا، ومتىٰ زهدَ في شيء من الدنيا وبقي عليه شيء لم يزهد فيه لم يكمُل زهدُه، ولذلك لمَّا سُئل الجنيد عمَّن لم يبقَ عليه من الدنيا إلا التنعُّم بمص النواة قال: المكاتب عبدٌ ما بقي عليه درهمٌ. أشار به إلىٰ أن مَن بقي عليه ما ذُكر لم تكمُل حريتُه من رقِّ الشهوات **(ولا يطيب عيش العارف إذا اشتغل بنفسه)** عن مولاه؛ لأن شغله إنما هو بمولاه [فلا تطيب نفسُه باشتغاله لها، بل باشتغاله بمولاه] عمَّا سواه. نقله القشيري.

(وقال) القشيري: سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي يقول: سمعت **(النَّصرآباذي يقول)** وهو[1] أبو القاسم إبراهيم بن محمد، شيخ خراسان في وقته، صحب الشبليَّ وأبا علي الروذباري والمرتعش، وكان إمامًا محدِّثًا صوفيًّا، مات بمكة سنة ٣٦٧ **(الزاهد غريب في الدنيا، والعارف)** بالله **(غريب في الآخرة)** أي لأن أكثر العمال لها إنما يعملون خوفًا من العقاب أو رجاء للثواب، بخلاف العارف فإنه لمعرفة جلال الله وعظمته وتحقُّق وجوب عبوديَّته لحق أمره ونهيه لا يترك العمل أصلاً، وهذا غريب قليل في أبناء الآخرة.

(وقال يحيىٰ بن معاذ) الرازي رحمه الله تعالىٰ: **(علامة الزهد ثلاث)** إحداها: **(عمل بلا علاقة)** أي خالصًا لله تعالىٰ لا لعلَّة من علل الدنيا، ولا لخوف العقاب ورجاء الثواب في الآخرة، فكمال زهده في الحظوظ العاجلة والآجلة أن يكون عملُه لوجه ربِّه خاصةً دون غيره **(و)** الثانية: **(قول بلا طمع)** أي [خالص، لا لطمع] عاجل ولا آجل، فيخلص في أقواله كما يخلص في أعماله **(و)** الثالثة: **(عز بلا رياسة)** بأن يكون عزيزًا عن أن يذل نفسه في طلب الدنيا فيتعاطَىٰ الأمورَ الخسيسة التي تزري بقدْره، فلا يكون عزُّه إلا بمولاه، وربما أغناه به بفضله عمَّن

---

(١) الرسالة القشيرية ص ١٢٤.

سواه. وهذا القول نقله القشيري، ولفظه: وقال يحيىٰ بن معاذ: لا يبلغ أحدٌ حقيقةَ الزهد حتىٰ تكون فيه ثلاث خصال ... فذكرها. ولا يخفَىٰ أن المراد بحقيقته هي غلبة أحواله علىٰ القلب، فلا يكون حدًّا جامعًا للزهد، ولذلك عبَّر المصنف عنها بالعلامة.

(**وقال أيضًا: الزاهد لله**) لكون قلبه امتلأ بهوان الدنيا عند الله وكثرة آفاتها بحيث إنك تجد أكثر كلامه في بيان نقائصها كأنَّه (**يسعطك**) يا طالبها (**الخلَّ والخردل**) من حيث إنه يؤلمك بكلامه وينكر عليك ما أنت فيه ويصغِّر قدرك (**والعارف**) بالله لكون قلبه قد امتلأ بمعرفته وبجماله وبجلاله وتَوالِي إنعامه وإفضاله علىٰ خلقه بحيث إنك تجد أكثر كلامه في بيان ذلك كأنَّه (**يشمُّك المسكَ والعنبر**) من حيث إنه يرغِّبك في نيل المقامات، ويشرح صدرك بذكر فضل الله ونعمه علىٰ خلقه، فكلٌّ من الزاهد والعارف تكلم بما غلب عليه من أحواله. وهذا القول نقله القشيري هكذا، ولفظ القوت: ينثر عليك المسك والعنبر.

(**وقال له**) أي ليحيىٰ بن معاذ (**رجل: متىٰ أدخل حانوت التوكل وألبس رِداء الزهد وأقعد مع الزاهدين**)؟ وفي بعض نسخ الرسالة: وسُئل أيضًا: متىٰ أبلغ حقيقة الزهد وأقعد مع الزاهدين؟ (**فقال: إذا صرتَ**) أي وصلتَ (**من رياضتك لنفسك في السر إلىٰ حدٍّ لو قطع الله عنك الرزق ثلاثة أيام لم تضعُف في نفسك، فأما ما لم تبلغ هذه الدرجةَ فجلوسك علىٰ بساط الزاهدين جهلٌ، ثم لا آمَنُ عليك أن تُفتضح**) بينهم. نقله القشيري في الرسالة. وهو تنبيه علىٰ أنه لا ينبغي للعبد أن يقطع الأسباب ويتجرَّد عنها حتىٰ يجد من نفسه قوة علىٰ الصبر علىٰ ألم الجوع نحو ثلاثة أيام ولا يجد منها الضعف عن عبادته، وإلا كان مغرورًا ومعرِّضًا نفسه إلىٰ سؤال الخلق. ولا يخفَىٰ أن هذا من علامات الزهد، لا أنه من حقيقته.

(**وقال أيضًا: الدنيا كالعروس**) المجلوَّة، تراها الأبصار، وتحبها القلوب، وتمدحها الألسن، من حيث إن الله تعالىٰ خلقها وجمَّلها بالمال والبنين وغيرهما

(ومَن يطلبها) ويعمرها **(ماشطتُها)** من حيث إنه يزيدها حسنًا للمغرورين **(والزاهد فيها يسخِّم)** أي يسوِّد **(وجهَها وينتف شعرها)** الذي هو من جملة الزينة **(ويخرق ثوبها)** من حيث إنه لمَّا عرف نقصها وفَناءها وقطعها للعبد عن عبادته اشتغل بتزهيد الخلق فيها وتقبيح محاسنها [الظاهرة] **(والعارف)** بالله **(يشتغل بالله تعالىٰ ولا يلتفت إليها)**[١] لكمال شغله بالله وبمعرفته وجماله وجلاله ومناجاته عن ذمِّها فضلاً عن مدحها. وهذا القول نقله القشيري أيضًا.

وليحيىٰ بن معاذ نُتَف كلام في مقام الزهد والمحبة غير ما ذكره المصنف، وقد تقدم بعضه، وسيأتي بعضه في خاتمة الكتاب.

(وقال السري) السقطي رحمه الله تعالىٰ: **(مارستُ كل شيء من أمر الزهد فنلتُ منه ما أريده)** كالزهد في المطعم والملبس والمنام وفضول الكلام **(إلا الزهد في الناس)** أي في لقائهم والتبسُّط معهم [في المقال] والاستئناس بمحادثتهم **(فإني لم أبلغه ولم أُطِقْه)** أي لعزَّته. نقله القشيري. وهذا أيضًا من علامات الزهد، وقد جعله بعضٌ حدًّا له، كما تقدم.

(وقال الفضيل) بن عياض رحمه الله تعالىٰ: **(جعل الله الشر كلَّه في بيت، وجعل مفتاحه حب الدنيا)** ولذلك جُعل أساس كل خطيئة، وقال بعضهم[٢]: أصول الشر ثلاثة: الحرص والحسد وحب الدنيا، وفروعه ستة: طلبُ الرياسة والفخر والثناء وحب الراحة والطعام والنوم **(وجعل الخير كلَّه في بيت، وجعل مفتاحه الزهد في الدنيا)**[٣] فإذا أعرض العبد عنها تيسَّرت له الخيرات كلُّها. وهذا

---

(١) ذكره الطوسي في اللمع ص٥١.

(٢) هو الحسن البصري، كما نسبه إليه قوام السنة في سير السلف الصالحين ص ٧٣٥ (ط - دار الراية بالرياض)، وابن عبد ربه في العقد الفريد ٢/ ١٧٣.

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في الزهد ص ١٣٦، وابن الأعرابي في الزهد وصفة الزاهدين ص ٨٠، والبيهقي في الزهد الكبير ص ١٣٣، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٤٨/ ٤١٤.

القول نقله القشيري في الرسالة بسنده قال: سمعت محمد بن عبد الله يقول: حدثنا [علي بن الحسين الموصلي، حدثنا أحمد بن الحسين، حدثنا] محمد ابن الحسين، حدثنا محمد بن جعفر قال: سمعت الفضيل بن عياض يقول ... فذكره. وعزاه صاحب القوت إلىٰ سفيان الثوري والفضيل، أي إن هذا القول قد رُوي عن كلٍّ منهما.

(**فهذا ما أردنا أن نذكره من حقيقة الزهد وأحكامه**) وثمراته (**وإذا كان الزهد لا يتم إلا بالتوكل**) لكونه شرطًا فيه (**فلنشرع في بيانه إن شاء الله تعالىٰ**).

ولنختم هذا الباب بفصول فيها بيان لِما أبهمه المصنف، وتفصيل لِما أجمله، ومزيد لما أشار إليه تارةً وتركه أخرىٰ، فنقول:

فصل: الورع لا يوصَل إليه إلا بعد الزهد في الدنيا؛ لأنه إذا لم يزهد في شيء لم يمكنه أن يَرِعَ عنه، فإذا أعطيَ الزهد فيه وعُوِّض من الرغبة بدلاً منه سهُلَ عليه الورعُ عنه فتركه زهدًا في الدنيا، ورغبةً فيما وعد اللهُ، وخيفةً من المطالبة به، وحبًّا لموافقة محبة الله بتركه، ألم تسمع إلىٰ حسَّان بن أبي سنان - وكان من خيار التابعين - إذ يقول: ما زاولتُ شيئًا أيسر من الورع عليَّ. قيل: وكيف ونحن نظن أنه أشد الأعمال؟ فقال: إذا رابني أمرٌ تركتُه[1]. فلمَّا وُهب له الزهد فيه وعُوِّض عنه محبَّة الله به هانَ عليه الورعُ.

فصل: قال ابن مسعود رضي الله عنه: لا يبلغ عبدٌ حقيقة الإيمان حتىٰ يحلَّ بذروته، ولا يحل بذروته حتىٰ يكون الفقر أحب إليه من الغنىٰ، والتواضع أحب إليه من الشرف، والذل أحب إليه من العز، وحتىٰ يكون مادحه وذامُّه عنده سواء[2]. فهذا

---

(١) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء ٣/ ٢٣، ١١٦، والبيهقي في الزهد الكبير ص ٣١٥، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٥٣/ ٢١٦. وعلقه البخاري في صحيحه ٢/ ٧٤.

(٢) تقدم هذا الأثر وأثر وهب بن منبه بعده في بيان أحوال السائلين.

هو تفسير حقيقة الزهد في النفس، وهو يستوعب كلِّية الزهد في الدنيا، والثلاث الأُخَر التي قرنها بالفقر هنَّ من إخبات الفقير، إذا كان صادقًا زاهدًا كان ذليلاً في نفسه، متواضعًا بنفسه، لا يكترث بمدح ولا ذمٍّ؛ لسقوط نفسه عنده واطِّراح الخَلق عنده، فهذا علم وجود اليقين الذي ضده علامة النفاق أن يكره الذم ويحب المدح.

وأما وهب بن منبه فقد جعل الزهد من استكمال العقل فقال: لا يستكمل العبدُ العقلَ حتىٰ تكون فيه هذه الخصال: يكون الفقر أحب إليه من الغنىٰ، والذل أحب إليه من العز، والتواضع أحب إليه من الشرف. فهذا عقل العالِمين بالله، وهم عقلاء الموقنين، وهو عقل هداية الآخرة المنوط بمعرفة الآخرة، لا عقل الواله علىٰ الدنيا، المرتبط بالعكوف علىٰ الخَلق؛ لقوة مشاهدة الحق بعين اليقين، ولضعف شاهد المعقول باستجلاب حظوظ النفس من الفضول، فلذلك جعل ابن مسعود هذه الثلاث من حقيقة الإيمان وذروته، ولعَمْري إن كمال الإيمان وأعلاه هو بكمال العقل ونُهاه، فالعقل مكان الإيمان مثله كالفتيلة مكان المصباح، فإذا حُقِّق الإيمان وكمُل زِيدَ في تحقيق العقل وتكميله، وكان معه الزهد بحقيقته.

فصل: قال سعيد بن جبير رحمه الله تعالىٰ: إنما فضَّل الله الأنبياء بما أعطاهم من العلم به، وما زهدوا في الدنيا مع القيام به والصبر عليه. فجعل العلم بالله معيارًا علىٰ النبوَّة، به تفاضل الأنبياءُ، وهو علم اليقين الكاشف لعين اليقين، المتجلِّي به وصفُ الوحدانية، وجعل سببَ ذلك الزهدَ، فالزهد مقتضَىٰ اليقين؛ لأنه موجِب الزهد، فهو عنه، ولذلك فسَّروا الزهد باليقين[1].

فصل: قال رسول الله ﷺ: «الزهادة في الدنيا ليست بتحريم الحلال ولا

---

(١) في القوت: «وكذلك أقام علي رضي الله عنه الزهد مقام اليقين الذي ما نزل من السماء أعز منه، ذلك لأن الزهد مقتضاه، ولأن اليقين موجبه، فهو عنده - في قوله وقد ذكر شعب الإيمان فقال: علىٰ أربع - علىٰ اليقين، وقد روينا أنه فسر بالزهد اليقين فقال: اليقين علىٰ أربع شعب. فقال فيه: ومن زهد في الدنيا هانت عليه المصائب. وتهوين المصائب موجب اليقين، كما الزهد مقتضىٰ اليقين».

بإضاعة المال، ولكن الزهادة في الدنيا أن لا تكون بما في يديك أوثق ممَّا في يد الله، وأن تكون في ثواب المصيبة إذا أنت أُصِبتَ بها أرغبُ فيها لو أنها أُبقيتْ لك». رواه الترمذي[١] - وقال: غريب ضعيف - من حديث أبي ذر، ورواه البيهقي في الزهد كذلك، ورواه أبو نعيم في الحلية[٢] من حديث أبي الدرداء. وروىٰ الديلمي من حديث ابن عباس: «الزهد في زماني هذا في الدنانير والدراهم، وليأتينَّ علىٰ الناس زمانٌ الزهد في الناس أنفع لهم من الزهد في الدنانير والدراهم». وروىٰ أيضًا من حديث أبي هريرة: «الزهد أن تحب ما يحب خالقك، وأن تبغض ما يبغض خالقُك، وأن تتحرَّج من حلال الدنيا كما تتحرَّج من حرامها، فإن حلالها حساب وحرامها عذاب، وأن ترحم جميع المسلمين كما ترحم نفسك، وأن تتحرَّج عن الكلام فيما لا يعنيك كما تتحرَّج من الحرام، وأن تتحرَّج من كثرة الأكل كما تتحرَّج من الميتة التي قد اشتدَّ نتنها، وأن تتحرَّج من حُطام الدنيا وزينتها كما تتحرَّج من النار، وأن تقصر أملك من الدنيا، فهذا هو الزهد في الدنيا»[٣]. فهذه الأخبار الثلاثة جامعة لحقائق الزهد.

فصل: قال سهل التستري رحمه الله تعالىٰ: الصدِّيقون في بدايتهم طلبوا الدنيا من الله فمنعهم، فلمَّا تمكَّنوا من أحوالهم عرضها عليهم فامتنعوا منها. فالحال الأول موضع العصمة أن منعهم منها لضعفهم لئلاَّ يهلكوا بقبولها، فلما تمكَّن منهم ومكَّنهم عنده ردَّها عليهم؛ لأنهم قد صلحوا للأخذ ﴿ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَبۡلَ ذَٰلِكَ مُحۡسِنِينَ ١٦﴾ [الذاريات: ١٦] فلمَّا ذاقوا حلاوة الزهد ووجدوا نعيم الحب لم يكن عندهم للدنيا وزن، ولا في قلوبهم قدر، فأعرضوا عنها لمَّا عرضها عليهم بحُسن إقبالهم عليه.

---

(١) سنن الترمذي ٤/ ١٦٣ - ١٦٤.

(٢) حلية الأولياء ٩/ ٣٠٣.

(٣) هكذا أورده المتقي الهندي في كنز العمال ٣/ ٢٠٨، وهو في الفردوس بمأثور الخطاب للديلمي ٢/ ٣٠٠ حتىٰ قوله (كما تتحرج من حرامها).

فصل: كان عون بن عبد الله المسعودي يحكي عن طريقة السلف، فقال: إنَّ مَن كان قبلكم كانوا إنما يجعلون لدنياهم ما فضل عن آخرتهم، وإنكم تجعلون لآخرتكم ما فضل عن دنياكم[1]. أي لرجحان كفَّة الآخرة في قلوبهم وغلبة أمرها عليهم ولقوة يقينهم يقدِّمون شأنها فيبتدرون بأن يُنقَلوا من دار عنها يرتحلون إلىٰ دار فيها يقيمون أحسن ما يدَّخرون، ويقدِّمون لدار الحياة والبقاء المؤبَّد من محل الموت والفَناء المؤقَّت المحدود أجود ما يقتنون؛ إذ دارهم أمامهم، وحياتهم بعد موتهم؛ لأنهم خُلِقوا للآخرة لا للدنيا، وللبقاء لا للفناء، ثم يجعلون ما فضل من عيشهم لدنياهم؛ لأنه متاع في الحال، وبلاغ إلىٰ وقت وحين، وهذا علامة حُسن اليقين، وهو يقين الزهد الذي صار الزهَّاد به زاهدين، لا يقين الإيمان الذي صار به المسلمون مؤمنين بنفي الشرك بالصاحبة والولد.

فصل: أصل الرغبة في الدنيا من ضعف اليقين؛ لأن العبد لو قويَ يقينُه نظر بنوره إلىٰ الآجل، فغاب في نظره العاجلُ، فزهد فيما غاب، وأحب الحاضرَ، فآثر ما هو أعود عليه وأبقىٰ وأنفع له، ولمولاه أرضىٰ، وقدَّم ما يفنىٰ وينقطع إلىٰ ما يدوم ويتصل، وهذا هو صورة الزهد وشهادة الموقن؛ لأن الحاضر لا يحب ما غاب وانتقل، ألم تسمع إلىٰ وصفه تعالىٰ إبراهيم عليه السلام في قوله: ﴿لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ ٧٦﴾ بعد قوله: ﴿وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ٧٥﴾ [الأنعام: ٧٥ - ٧٦] فالموقن مأمور باتِّباع ملَّة إبراهيم، وليس يُشهَد الوعد والوعيد [الآجل] بنور العقل، إنما يُشهَد بنور اليقين.

فصل: الزهد يكون بمعنيين: إن كان الشيء موجودًا فالزهد فيه إخراجه وخروج القلب منه، ولا يصح الزهد مع تبقيته للنفس؛ لأن ذلك دليل الرغبة فيه، وهذا زهد الأغنياء. وإن لم يكن الشيء موجودًا وكان العدم هو الحال فالزهد هو

---

(١) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء ٤/ ٢٤٢، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٤٧/ ٧٤، والبلاذري في أنساب الأشراف ١١/ ٢٣٤.

الرضا بالحال والغبطة بالفقد، وهذا زهد الفقراء. وكذلك [القول في الزهد] في القدرة علىٰ ترك الهوىٰ لا يصح إلا مع وجود الابتلاء به، فمتىٰ قدر عليه فصبر عنه بمجاهدة نفس أو مدافعة وقت أو قطع سبب فذلك زهده فيه، فأما أن يريد أن يزهد فيه أو يهمَّ بتركه أو يعزم علىٰ قطعه فليس ذلك زهدًا فيه، بل نيَّات وإرادات من غير حقيقة، فمَن أخرج من يده الشيءَ طوعًا ونفسُه تتبعه فله مقام في الزهد بالمجاهدة، ومَن أمسك الشيء وأظهرت نفسُه الزهدَ فيه بالإرادة والهمَّة فذلك تأميل وتَمَنٍّ يدخل في باب نيَّات الخير لا في المسارعة إلىٰ الخيرات ولا المسابقة في القُربات بالسعي لها والمنافسة فيها، ولا مقام في المنافسة لمَن لم يتبع الإرادةَ بالسعي والمعاملة، ولا مقام في الزهد لمَن لم يردف الإرادةَ بإخراج المزهود فيه؛ لأن الإمساك علامة الرغبة، والرغبة ضد الزهادة، فكيف يوصَف بالشيء وضده في حالة قائمة؟ فالممسك للشيء المتوهِّمُ للزهد فيه بإظهاره نفسه ذلك بأحد وصفينِ: إما أن لا يعرف الزهد، أو لا يعرف خفيَّ شهوة النفس ولطيف تمنِّيها من معدن حُسن ظنها بوصفها، هذا إن لم يموِّه علىٰ الراغبين ولم يكذب علىٰ وجده لأجل خفيِّ الرغبة فيهم، والمُخرِج للشيء عن يده والمخرج لقلبه منه هو المتحقِّق بالزهد فيه، والممسكُ للشيء المغتبطُ بإمساكه الذي همُّه فيه وقلبه عاكف عليه هو المتحقِّق بالرغبة فيه، وكذلك كل مَن أمَّلَ شيئًا وادَّخره لنفسه لا يكون زاهدًا فيه حتىٰ يخرجه من يده وقلبه استصغارًا له وتعوُّضًا منه.

فصل: قد يصح الزهدُ للعارف في الشيء مع وجوده عنده إذا لم يقتنِه لمتعة النفس ولم يتملَّكه ويسكن إليه بل كان موقوفًا في خزانة الله تعالىٰ التي هي يده، منتظرًا لحكم الله فيه، وصحة ذلك استواء وجوده وعدمه، والمسارعة إذا رأىٰ حكمًا لله أن ينفِّذه، ويكون كأنَّه لغيره من إخوانه أو سبيل من سُبُل الله. وقد يصح الزهد مع الوجود لمَن دون العارف من المريدين إذا أمسك الشيء لأوقات حاجته، واستعان به علىٰ آخرته، أو يكف به نفسه عن الرغبة والطمع، ويقمع به طبعه عن

الشره والضَّرع، ويكون سببًا لقطع التشرُّف وحسم النفس عن التصنُّع والتكلُّف. وقد يكون هذا المقام للخصوص من العلماء بهذه النيَّات زائدًا علىٰ مقامات من الزهد للمريدين، قال عبد الرحمن بن مهدي: خرج محمد بن يوسف الأصبهاني إلىٰ مكة ومعه مائة دينار، وليس معه إلا كساء أو بَتٌّ، وما رأيتُ مثله. وكذلك قال يحيىٰ بن سعيد القَطَّان: ما رأيت مثله. وقدَّمه علىٰ الثوري[1]. ولمَّا قَدِمَ عبدُ الجليل الزاهد إلىٰ واسط اجتمع إليه أهل العراق يسألونه عن الزهد، فقال: اصبروا حتىٰ أبيع دِقاق تمر حملتُه من البصرة وأتفرَّغ لكم للمسائل. وكان يتَّجر فيجعل ثلثًا لأهله وعياله، وثلثًا لإخوانه الفقراء، وثلثًا يردُّه في تجارته. وكذلك كان حال جماعة من زاهدي السلف، فلم يكن ذلك ينقصهم عند العلماء، وكان مزيدًا في حالهم، وطريقًا لهم إلىٰ مقامهم من الزهد، وهو وصف الأقوياء من الزهَّاد.

فصل: خالص الزهد إخراج الموجود من [الدنيا من] القلب، ثم إخراج ما خرج من القلب عن اليد - وهو عدم الوجود - علىٰ الاستصغار له والاحتقار والتقالُل، فبهذا يتم الزهدُ، ثم ينسىٰ زهده في زهده، فيكون حينئذٍ زاهدًا في زهده؛ لرغبته في مزهِّده، وبهذا يكمُل الزهدُ، وهذا لبُّه وحقيقته، وهو أعزُّ الأحوال في مقامات اليقين، وهو الزهد في النفس، لا الزهد لأجل النفس، ولا للرغبة في الزهد للزهد، وهذه مشاهدة الصدِّيقين وزهد المقرَّبين عند وجد عين اليقين. ودون هذا مقامات إخراج المرغوب فيه عن اليد مع نظره إليه وعلىٰ مجاهدة النفس فيه، وهو زهد المؤمنين. والورع من الزهد، كما أن الزهد من الإيمان، والقناعة باب من الزهد، والرضا باليسير من الأشياء حالٌ من الزهد، والتقلُّل في الأشياء مفتاح الزهد.

فصل: قال بعض السلف: أبىٰ أهلُ العلم بالله أن يسمعوا الحكمة والوعظ إلا من الزاهدين في الدنيا، وقالوا: ليس أهل الدنيا لذلك أهل، ولا يليق بهم. وفعله رجاء بن حَيْوة عالِم الشام، بلغنا أنه كان يجلس إلىٰ رجل زاهد ببيت المقدس

---

(١) رواه عنهما أبو نعيم في حلية الأولياء ٨/ ٢٢٥ - ٢٢٦ من عدة طرق.

فيستمع إليه، فجاء يومًا إلىٰ مجلسه وقد اجتمع الناس، فجلس وراءهم وهو يحسب أنه فيهم، فلمَّا أبطأ تكلم شيخ في المجلس، وهو مؤذِّن [مسجد] بيت المقدس لا بأس به، فأنكر رجاء صوته فقال: مَن هذا المتكلم؟ فقال الشيخ: أنا رحمك الله. فقال: اسكت عافاك الله، فإنَّا نُهينا أن نسمع الزهد إلا من أهله. وقال نحوه سلمان لعمر بن الخطاب، وذلك أنه حُمل إليه أبراد، فكسا الصحابةَ بُرْدًا بردًا، فلمَّا كان في يوم الجمعة خرج في بُردين فخطب، فلما قال في وعظه: ألا اسمعوا، فقام سلمان فقال: واللهِ لا نسمع. قال: ولِمَ؟ قال: لأنك كسوتنا بردًا بردًا، وخرجتَ علينا في حُلَّة. فقال: رحمك الله، إني غسلت ثوبي، ولم يكن لي غيره، فاستعرتُ هذا، وهو برد عبد الله بن عمر. فقال: قُل الآن حتىٰ نسمع. وهذا أبو عبد الله أحمد بن حنبل - وهو من أئمَّة الدين - لمَّا سُئل عن الصدق ما هو؟ قال: هو الإخلاص. قيل: فما الإخلاص؟ قال: هو الزهد. فقيل: يا أبا عبد الله، وأيُّ شيء الزهد؟ فسكت، فقال: سلو الزهَّاد، سلوا بِشرًا. وقال أبو طالب الورَّاق: دخلت عليه في جماعة من أصحاب الحديث، كنت قد نسختُ لهم كتاب «الزهد» الذي جمعه لأقرأه لهم عليه، ففُرش لنا في الدار حصير جديد، ونزل إلينا من غرفة له، فلما قعد وأخذ الأصل بيده أطبقه ثم قال: يا أبا طالب، الزهد لا يُقرأ إلا علىٰ الزهد. وكشط الحصير الجديد من تحتنا، وقعدنا علىٰ التراب.

فصل: يُروَىٰ أن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ خطب الناس فقال: أنشدُ اللهَ رجلاً علم فيَّ عيبًا إلا أخبرني به. فقام شاب في المجلس فقال: يا أمير المؤمنين، فيك عيبان اثنان. قال: ما هما رحمك الله؟ قال: تذيِّل بين البُردين، وتجمع بين الأُدْمين. قال: فما أذال بين البُردين ولا جمع بين الأُدْمين حتىٰ لقي الله عَزَّوَجَلَّ(١). هكذا يُروَىٰ «تذيِّل» بالذال المعجمة، وله معنيان، أشهرهما: أي تجمع بين ذيلَي ثوبك فيتفق ذيل البرد الأعلىٰ مع ذيل البرد

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في إصلاح المال ص ١١٤ وابن عساكر في تاريخ دمشق ٣١/٣٤ عن عبد الجبار بن عبد الواحد التنوخي.

الأسفل لطوله. وأغرب الوجهين: أن معنىٰ «تذيل»: تضع ثوبين معًا، أي تتركهما موضوعينِ لك. ولا يبعُد أن يكون بالدال المهملة، والمعنىٰ: تبدل بردًا ببرد، دُولة هذا ودولة هذا، وأراد أن يكون له واحد لا يديله بآخَر.

فصل: تقدم قول الأحنف بن قيس: ما كذبتُ كذبة إلا مرة. وله قصة، وهي أنه وفدَ مع قومه من البصرة علىٰ عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. قال: فلمَّا قاربوا دخولَ المدينة نزعوا ثياب سفرهم ومهنتهم، ولبس كل واحد ثوبين جديدين - أو غسيلين، أو قال: أبيضين - قال: وفعلتُ مثل ذلك، فلما دخلنا أطراف[1] المدينة نريد الدخول إلىٰ عمر جعل أهل المدينة يرمقوننا بأبصارهم ويُعرِضون، وجعلوا يلحظوننا وتنبو أبصارُهم عنا، فسمعتُهم يقولون: أبناء دنيا. قال: فعلمتُ أن القوم ليسوا أمثالنا[2]، وأنهم أهل الآخرة، فعطفت رأس راحلتي، ونزعت ثوبيَّ ورددتهما إلىٰ العيبة، ثم أخرجت ما كنت خلعته من ثياب سفري وبذلتي فلبسته، ثم دخلنا علىٰ عمر. قال: فجعل الناس تنبو أعينهم عن أصحابي وينظرون إليَّ من بينهم كأنَّهم يغبطونني. قال: فلمَّا نظر إليهم عمر - وكان أول يوم رأيته - فإذا رجل عليه خَلَقٌ مرقوع، وعلىٰ كتفه دِرَّة، فلما قفلنا من بعيد أخذ كفًّا من حصىً فحصبنا به. قال: ثم لحظني بعينه فقال: هذا نعم. فأدناني وقرَّبني من بينهم وقال: مَن أنت لله درُّك؟ - أو قال: أبوك - فقلت: أنا الأحنف بن قيس التميمي. فقال: أنت سيد قومك. قال: وأعجبته هيئتي، فقام واتَّكأ علىٰ يدي، فجعل يسألني عن الطريق وعن الركَّاب وكيف كنا نسير بها، إلىٰ أن وافَىٰ رحلَنا وموضع مناخنا، فرمق عيبتي فرأىٰ طرف الثوب خارجًا فلمسه ... وذكر أول الخبر الذي تقدم ذِكره.

فصل: روينا في الإسرائيليات أن موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ وصف الزهد لبني إسرائيل، فقام إليه رجل منهم فقال: يا نبي الله، أنا منهم؟ قال: أنت إذا تغدَّيت تجد ما

---

(١) في القوت: آطام.

(٢) في القوت: ليسوا بأهل دنيا.

تتعشَّىٰ؟ قال: نعم. قال: اجلسْ فلستَ منهم. ثم قام إليه آخر فقال: يا نبي الله، أنا منهم؟ قال: أنت إذا تغدَّيت تجد ما تتعشَّىٰ؟ قال: لا. قال: فلك ما تبيع؟ قال: نعم. قال: اجلس فلست منهم. فقام إليه آخر فقال: يا نبي الله، أنا منهم؟ قال: أنت إذا تغدَّيت تجد ما تتعشَّىٰ. قال: لا. قال: فلك ما تبيع؟ قال: لا. قال: فلك مَن يقرضك؟ قال: نعم. قال: اجلس فلست منهم. ثم قام آخر فقال: أنا منهم؟ فقال له مثل ذلك، إلىٰ أن قال: فلك مَن يقرضك؟ قال: لا، ولا أملك من الدنيا إلا هذه الشملة من الصوف، ولقد آذاني فيه الدوابُّ، وأنا أستحي من ربِّي عَزَّوَجَلَّ أن أنزعها فأفليها وأتعرَّىٰ بين يديه. قال: اجلس، أنت منهم. فهذا الذي أراده موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ من الزهد هو حقيقته وهو زهد أولي العزم من الزهَّاد، وهذه الحال من عزائم الأمور، وتفصيل مقاماته: أن للزهد في حال الفقر مقامات، فالمقام الأول هو أن لا يجد الفقير معلومًا غير ما حمل في جوفه وعلىٰ ظهره، وهذا هو حال الفقير الأول الذي قال له موسىٰ: لستَ منهم. يعني من أولي العزم من الزهَّاد؛ إذ لم يكن حاله حال عزيمة الزهد لأجل وجدِ العوض المعتاض به وهو فضل ما يبيعه من العوض، فقام له مقام المعلوم من النقد. والمقام الثاني من الفقر في الزهد هو فقدُ العوض الذي هو عوض عن الناضِّ، وهذا حال الثاني. والمقام الثالث هو أن يعدم الأعراضَ والأعواض، وليس هو حقيقة الفقر لأجل بقاء الأسباب التي تقوم مقام الأعواض وهو الجاه الذي يستقرض به فيُقرَض، وهو أيضًا سبب به يُعرَف، ولأجل معرفته أُقرِض، فهذا يحجبه عن حقيقة الفقر، ويُنقِصه عن عزيمة الزهد، فحسبَ موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ وجودَ الجاه له رغبة منه هي دون الله تعالىٰ حتىٰ يكون بالوصف الذي وصف اللهُ به أولياءه في الغاية من قوله تعالىٰ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ﴾ فهذا مَثَلُ فقدِ المعلوم الذي تقوم به الأشياء، وهو بمعنىٰ حال الأول، ثم قال: ﴿وَضَاقَتۡ عَلَيۡهِمۡ أَنفُسُهُمۡ﴾ فلم يبقَ له عوض يقوم مقام المعلوم الذي له قيمةُ شيء يبيعه، وهذا بمعنىٰ حال الثاني، ثم قال: ﴿وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ﴾ فهذا سقوط الأعواض بعد فقد الأعراض، وعدم الجاه

الذي هو سبب الاستقراض، فلم يبقَ له جاهٌ يعوِّل عليه، ولا معرفة من الخَلق، ولا سبب بينه وبينهم ينظر به إليهم، ولم يبقَ بينه وبين الله إلىٰ الله مأوىٰ يسكن فيه، ولا ظل يستظل به، ولا ملجأ يستند إليه، حينئذٍ قال الله تعالىٰ بعد بلوغ الغاية: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓاْ﴾ [التوبة: ١١٨] أي عطف عليهم لينعطفوا عليه، ونظر إليهم لينظروا إليه، وهذا وصف الثالث الذي قال له موسىٰ عليه السلام: أنت منهم؛ إذ قد تحقَّق بالفقر، وبلغ عزيمةَ الأمر، فلم يجد دون الله سببًا منفصلاً من مال، ولا معنًىٰ متصلاً من حال وهو الجاه والمنزلة الذي يقوم مقام الأعراض ويتسبَّب به إلىٰ الأسباب، فهذا وصف فقير ونعت غريب [فهذا العبد] غريب الدار في وطنه، غريب الوجد في مسكنه، غريب العلم من دِمَنه، غريب الحال من أمَّته، غريب في غربته، غريب في تغرُّبه، غريب بمغربه، لا يعرفه أبناء جنسه، متوحِّد بأنيسه عن أنسه، قد طُمست نفسه في رَمْسه، وشُغل بيومه عن غده وأمسه، فهذا من وحش الملك في داره وأُنسه لزوَّاره، قد قرَّت عينُه بقراره، وفرَّ من إيلافه وفرارة، وصَفَتْ روحُه من أقذاره، فهو موضع نظره، ومعقل خبره، وغيث بلاده، ورَوح عباده، ومن خالص وداده، قد زهد في زهده، وعدمَ وجودَه بوجده، وفنيت نفسُه عن جهده، وبقيت روحه بموجِده، وكذلك روينا أن داود عليه السلام سأل ربَّه عن المعرفة، وكأنَّه تشوَّق إليها، فأوحىٰ الله إليه: أنت لا بد لك من سَبَد ولَبَد، ومَن عرفني لم يسكن إلىٰ سبد ولبد. والله الموفِّق.

فصل: قال صاحب القوت: حدثني عبد الكريم بن أحمد، حدثني جعفر بن محمد، حدثنا الخَوَّاص عبد الله بن الحسن، حدثني سعدون بن سهل بن عبد الرحمن المكي، عن المغيرة بن قيس، عن شهر بن حوشب، عن أبي أُمامة قال: أتينا علىٰ أهل ماء في سفر لنا مع رسول الله ﷺ، وأسود مولىٰ لهم ميت بالأمس، ليس له ثوب يكفِّنونه فيه، وما عندهم غاسل يُحسِن غسله، قد قُطع به، لا يدرون كيف يأتون، فهجمنا عليهم من الغد ظهرًا وقد أروح وترك القوم خِباءهم

وخرجوا كراهيةً لجواره، فكان أول مَن نزل منا رسول الله ﷺ، ثم مشىٰ حتىٰ دخل عليه، فجاءه القوم يعتذرون إليه من تركِهم إياه، فانطلق النبي ﷺ حتىٰ قام علىٰ بئر لهم عاديَّة فتفل فيها، فاستحالت عذبًا، فاستقينا، وأمر عليًّا وأسامة فغسَّلاه، وكفَّنه رسول الله ﷺ في بُردة له، ما زاده عليها، ثم صلىٰ عليه، ووليَ إدخالَه في قبره علي وأسامة، فلما فرغ النبي ﷺ قال لأصحابه: «إنه يُبعَث يوم القيامة ووجهُه كالقمر ليلة البدر، ولولا خصلة كانت فيه لبُعث ووجهه كالشمس الضاحية». فقلنا: ما هي يا رسول الله؟ قال: «إنه كان إذا جاءه الشتاء ادَّخر حُلَّة الصيف لصيفه، وإذا جاءه الصيف ادَّخر حُلَّة الشتاء لشتائه من قابِل». ثم قال: «من أقل ما أوتيتم اليقينُ وعزيمة الصبر، ومَن أُعطيَ حظه منهما لم يبالِ ما فاته من قيام الليل وصيام النهار ...» الحديث، وقد تقدم مرارًا مقتصرًا علىٰ قوله: من أقل ما أوتيتم اليقين ... الخ، وسبق قولُ العراقي: إنه لم يجده، فتنبَّهْ لذلك.

فصل: الزاهد في الدنيا مسجون مضيَّق عليه، وليس كل مَن أراد وصل إلىٰ المسجون، وكلَّما كان السجن أضيق عليه وأشد كان الوصول إلىٰ الزاهد أبعد وأشق، ولذلك صار أولياء الله محجوبين عن الناس، لا يصل إليهم كل إنسان إلا مَن توصَّل أو توسَّل علىٰ قدْر تضايُق السجون.

فصل: في سياق كلام يحيىٰ بن معاذ الرازي في الزهد والمعرفة، وقد تقدم بعضه، ونذكر الآن ما وعدنا به، قال: حبك للدنيا حب بلاء، وحبك للآخرة حب بلوىٰ، ومَن رضي باختيار الله دام فرحُه؛ لأن العارف مَن أخذ الآخرة بيمينه، والدنيا بشِماله، وأقبل علىٰ الله بقلبه، لا يلهيه عنه شيءٌ، وما دام يخاف من وقوع الدنيا عليه فإنه لم يصل بعدُ. وقعد إليه مرةً رجل من الزهاد، فجعل يحدِّثه الزاهد بأحاديث في فضل القلة والفقر، ويحيىٰ ينظر إلىٰ وجهه كالمتعجِّب، فلمَّا قام قال: لو لم يعلِّلوا المساكين بمثل هذه الأحاديث لتفقَّأت مرارتُهم من الغم، وكانوا لا يصبرون علىٰ الفقر، هيهات! لم يتقدَّم القومُ عند الله بفقر ولا غنىٰ، ولكن بالعلم

والمعرفة. قيل له: وما عبادة العارف؟ قال[١]: الدنيا دار سير إلىٰ الله تعالىٰ، فإن لم يَسِرْ بأعمال جوارحه فهو سائر بقلبه، خطو القدم ذراع، وخطو القلب ألف فرسخ. وقال أيضًا: التماسك العطر في حوانيت الصيادلة جهلٌ، إنما هو الشغل بالله عن الدنيا والآخرة معًا. وقال: طلبوا العبوديَّة في الزهد فلم يروها، الزاهد ألج مَن يُرَي، يثبُت علىٰ ترك الشيء أربعين سنة، ولكنه كلَّما كان ألج كان أصدق بما لم يوافق نفسه هواه في الأخذ، فلا سبيل له إليه إلا بالترك حتىٰ يترك أخلاق العبيد ويتخلَّق معه بأخلاق الأحرار، ولا يوجد صِدق العبودية إلا في منازل المحبة والمعرفة. وقال في تفسير قول عيسىٰ عليه السلام «يا عبيد الدنيا، لا أنتم عبيد أتقياء» يعني الزهاد «ولا أحرار أقوياء» يعني العارفين. وقال: خُضْ بحارَ المعرفة إليه لتستهين جهد الزهد والعبادة في جنب ما تُدفَع إليه ممَّا لا قوام للعقل عليه، فإن البهاء مع العبادة، والكفاية مع الزهد، والبصيرة مع العلم، والجوائز السَّنية مع المعرفة. وحكىٰ مرةً فقال: التقَىٰ أحمد بن حرب وابن خضرويه وأبو حامد، فقالوا لأحمد بن حرب: إن جُعلت لك الدنيا فما أنت صانع بها؟ قال: كنت أُرضِي بها خُصَمائي لئلاَّ تلحقني تبعةٌ يوم القيامة. قالوا لابن خضرويه: فما كنت صانعًا بها أنت؟ قال: كنت أجعلها كلها لقمة وأضعها في فم مؤمن فأستريح منها. قالوا لأبي حامد: فما كنت تصنع بها أنت؟ قال: كنت أجعلها لطلاَّب الآخرة[٢] فأحوز ثوابَ ذلك. قال يحيىٰ: أما ابن حرب فأنطقه لسانُ العصاة، ودرجته درجة التوَّابين، وأما ابن خضرويه فأنطقه لسانُ المحبَّة، ودرجته درجة المشتاقين، وأما أبو حامد فأنطقه لسان الشفقة، ودرجته درجة الزاهدين. قيل ليحيىٰ بعد ذلك: ما كنت أنت صانعًا بها؟ قال: وما حكم العبد في مال سيده؟ أنتظر قضاءه فيها فأصرفها فيه، فهو أعرف بالتدبير. وكان يقول: الزاهد عيشه إلىٰ يوم واحد، والعارف أسقط الأمل أصلاً؛ لأن حياته بيد غيره. وقال: مَن صدق في الترك عُذر في الأخذ. يعني الدنيا. وقال: الصوف لباس

---

(١) بعده في القوت: أمرهم مع الله إلىٰ القلوب.

(٢) بعده في القوت: لئلا يحتاجون إلىٰ طلاب الدار.

العجم [من المتزهِّدين] ما رأيتُه علىٰ أحد استبرع عقله. وقال: نفور العارفين من الزاهدين أكثر من نفور الزاهدين من الراغبين. وكان يقول: الدنيا كلها لا تعدل عند ربِّها جناحَ بعوضة، فكم مقدار ما تركتَ منها؟ ينبغي لك أن تضعها علىٰ طبق وتقول: ما صنعتُ شيئًا؛ لأنه لو عرف قدر المزهود من المعرفة لم يذكر الزهد. وقال: ترىٰ الزاهد إذا دخل في الزهد جوَّع نفسَه وباع شيأه كلَّه من الخوف من الدنيا، لا يشك، حتىٰ إذا قويَ يقينُه ورأىٰ الأمر كائنًا وجوده بغير الأسباب عرف من بعد، وندم علىٰ كثير ممَّا كان باع من كتب ومتاع. وقال: الزهد كله غصن من أغصان شجرة المعرفة. وقال: إنما يتركون ويحزنون ليفرح، ويأخذون ويفرحون ليفرح، فما عليهم تركوا أو أخذوا، أو حزنوا أو فرحوا؛ إذ كان فرحه موجودًا لهم في الحالتين. فقيل له: هو يفرح؟ قال: نعم، أليس في الخبر: «للهُ أفرح بتوبة عبده من رجل أضلَّ بعيرَه ...» الحديث. وقال: يا زاهد، إن كنت تعجب ممَّن ترك الجنة في جنب دنياه فالعارف أشد تعجُّبًا حين شغلتك الجنةُ عن خالقها، وكل حالة تفخر بها في سيرك إليه إلا كسرها عليك الوصول؛ ليكون فخرُك به لا بغيره. قال صاحب القوت: وجملة الأمر أن يحيىٰ بن معاذ لم يكن يتكلم بلسان الزهد، ولم يكن عملُه يصلُح للمريدين ولا للسالكين؛ لأنه لم يكن من علماء الطريق، وقد هلك بمثل هذا فريقٌ توهَّموا مقامَ المعرفة وتظنَّنوا حالَ العارف، حتىٰ فاتهم بذلك مقامُ الزهد، ولم يدركوا حال العارفين، وأَولىٰ الأشياء بالعاقل مراعاته لِما هو حاصل، ومعرفته بقدْر حاله، وإعماله نفسه في سدِّ اختلاله. وقال في موضع آخر: وأما طريق يحيىٰ بن معاذ وبعض العارفين في شأن الدنيا فإنَّ مَن لم يتملَّك المُلك لم يضرَّه ما مُلِكَ بعد أن لا ينظر إلىٰ نفسه فيه كما لا يشهده له، بل يجده في خزانة الله التي هي يده وتمليكه، ويكون موقوفًا فيها إلىٰ تنفيذ حكم الله فيه من وضعه في مواضعه وإخراجه في أوقاته إلىٰ أهله، فهذا مستودَع يؤدِّي الأمانة فيه، ووكيل مستخلَف يطيع الموكِّل به، فمقام هذا من التوحيد وشهادته بعين اليقين يزيد علىٰ مقامات الزاهدين، وهذا وصف الصحابة الأعلين. وكان يقول: لا تأمن مكره ولا تغترَّنَّ،

انظر أن لا تكون قد تركت الزهد والعبادة ظنًّا منك بأنك قد وصلتَ إلىٰ درجة الحب والمعرفة، فتصير في القيامة عاريًا منها كلها، لا في منازل العارفين ظهرتَ، ولا فضل الزهد والعبادة أدركتَ. هذا مع قوله: إذا صح الزهد خرجت شهوة النساء من قلبه فلم يُرِدْهنَّ، فإذا أُقيمَ مقام المعرفة ردُّوها عليه. وقال مرةً: إذا زهد ترك الشهوات، فإذا عرف عاودها، ويكون وجدُه أفضل من تركه. وقال: إذا صح زهدُه لم يلحظ من الدنيا شيئًا مشتهيًا له، فإذا لحظَه قالوا: خذْه، فيخلعونه عليه؛ لأن قلبه قد وقع عليه. قال: وكذلك إذا عرف لم يلحظْ من الآخرة شيئًا بقلبه، فإن وقع قلبه علىٰ شيء منها جُعل له. كأنَّه يقول: إذا صح تركُه للدنيا والآخرة لأجل الله فإنه يردُّهما عليه؛ إذ الله تعالىٰ لا يعبأ بهما شيئًا. وكان يقول: الزهد يورث السخاءَ بالنفس عن الآخرة، وحب الله يشغل عن الدارين جميعًا. وقال: تركُ الدنيا مهر الآخرة، ونفسك خيرُ من الدنيا، فلا تَبِعْها بها، ومن علامة المعرفة بهذا بيعُ الدنيا كلها في جنبها. وقيل له: ما غاية الزهد؟ فقال: أن لا يصحب من الدنيا ما يلزمه حفظه.

فصل: الزهد لا يُنقِص من الرزق، ولكنه يزيد في الصبر، ويديم الجوعَ والفقر، فيكون هذا رزقًا للزاهد من الآخرة علىٰ هذه الصفة من حرمان نصيبه من الدنيا وحمايته عن التوسُّع فيها، ويكون الزهد سببه، فيكون ما صرفه عنه ومنعه من الدنيا من الغِنىٰ والتوسُّع رزقه من الآخرة والدرجات العلىٰ بحُسن اختيار من الله تعالىٰ وحيطة نظرٍ. ولعلَّ بطَّالاً لاعبًا يحتجُّ لتوسُّعه بهواه فيقول: إن الزهد في الدنيا لمَّا لم يُنقِص من رزقي شيئًا قد صحَّ لي مقامًا مع التوسُّع والاستكثار؛ لأني إنما آكل رزقي وآخذ قسمي، فلي من الزهد مقام، ومن الرضا والتوكل حال. يزخرف [بقوله] علىٰ مَن لا يعرف الزهد، ويغرُّ بمقالته مَن لا يعرف طرائق الزاهدين، ولعلَّه ممَّن يأكل الدنيا بالدين، فسمَّىٰ الاحتجاجَ لنفسه بهواه والاعتذار عند الجاهلين زهدًا خيفةَ لومهم إيَّاه، فكان ذلك معه احتجازًا عن الزهد؛ لزهده في الزهد، وقوة

رغبته في الرغبة، ولا يعلم المغرور بداء الغرور أنه وإن كان يأكل رزقه من الدنيا ويأخذ قسمه من العطاء فبحكم البعد والنقص وبوصف الرغبة والحرص؛ لأن السارق والغاصب أيضًا يأكل رزقه ويأخذ قسمه ولكن بحكم المقت وسوء الاختيار؛ إذ كان الله سبحانه يرزق الحرام للظالمين كما يرزق الحلال للمتَّقين، وإنما بينهما سوء القضاء [ودرك الشقاء] للأعداء، وحُسن التوفيق والاختيار [بالسعادة] للأولياء، فقد حُرِم المدَّعِي لذلك رزقه من الزهد، وبُخِس نصيبه الأوفر من حب الفقر، ونقص حظه الأفضل من الآخرة؛ إذ كانت الدنيا ضدها، وجُعل ما صُرف فيه وما صُرف إليه سببًا لنقصان مرتبته من طريق الزاهدين، وأنه قد اختُبِر بالدنيا وبما فُتح عليه من السَّرَّاء ليظهر صِدقُه من كذبه، فوقع في الفتنة، ولم يفطن للابتلاء، وصارت مشاهدته هذه فيها] علىٰ وجده حجابًا له عن علوم العارفين [المعصومين] فاستُدرِج بعلمه هذا، وعُدل به إليه عن علوم الخائفين ومشاهدة الورعين الزاهدين. هذا إذا كان صادقًا في مشاهدته تلك، وإن كان كاذبًا في دَعْواه فهو من أولياء الشيطان ومن المحرومين الغافلين، قد مُكِر به وعُدِل عن علوم الموقنين، وقد قال بعض العارفين: مَن كتم ما يجده من آفات نفسه عوقِب بادِّعاء منزلة لم يبلغها. نعوذ بالله من الاغترار بعلم الإظهار، ونسأله التوفيق لمشاهدة علم التحقيق.

فصل: [الناس في باب] الزهد في الدنيا علىٰ ثلاثة أحوال: رجل قد غلبها موجودةً ومفقودة، ورجل قد غلبته موجودة ومفقودة، ورجل قد غلبها مفقودة وغلبته موجودة. تفسيره: أن من الناس مَن قهر هواه وملك نفسَه وشهوته وهو قادر عليها وهي موجودة له، فذلك أحرَىٰ أن يغلب نفسه فيما فقد من الدنيا وغاب عنه، وهذا مقام الصدِّيقين. والثاني قد غلبته نفسُه، وأهواه الهوىٰ، وأمالته الشهوات، موجودة إذا قدر عليها، ومفقودة له بالاهتمام بها والفكر والخواطر فيها والإرادة لها، فهذا ساقط لاقط، لا مقام له ولا وصف، وهذا حال الجاهلين ونعت

الغافلين. والثالث قد غلبته نفسُه في الموجود من الهوىٰ والحاضر من الشهوة، فإذا غاب ذلك عنه غلبها في العدم وملكها عند الفقد، وهذا حال المجاهدين وطريق السائرين ونعت المريدين، وقد قيل ليحيىٰ بن معاذ: أيصل العبد إلىٰ درجة يَسلم فيها من الذنب ومن الزهد إلىٰ درجة يستغني فيها عن الدنيا؟ فقال: هذا لا يكون، لا يستغني عن الدنيا أحدٌ، وإنما وقع التفاضُل بين الناس علىٰ القليل والكثير، فأزهدُهم فيها أقلُّهم حظًّا منها، كما لا يَسلم من الذنب أحدٌ، ولكن أفضلهم أقلهم ذنبًا. وكان رحمه الله يقول في العدل قولاً فصلاً، قال: إن زهَّادكم يأمرونكم بأن يكون الدرهم أول شيء تتركونه من الدنيا، وأنا آمركم أن يكون الدرهم آخر شيء تتركونه منها. قيل له: لِمَ ذلك؟ قال: لأن الدرهم معلَّق علىٰ شهوة النفس، والشهوة معلَّقة علىٰ النفس، فتركُ الدرهم من قبل إزالة الشهوة عن النفس بالسياسة خطأ ودخولٌ في الطمع لمَن عنده الدرهم ووقوع في البلاء، حتىٰ إذا زالت بحُسن السياسة هذه الشهوة عن نفسك ذهب عنك حب الدرهم شئتَ أم أبيت ضرورةً؛ إذ كانت علَّة حبك له الشهوة، والشهوة قد ذهبت، وبالدرهم يتم أمر هذه السياسة، فلهذا قلتُ: اجعل الدرهم آخر شيء تتركه بعد الفراغ من النفس، واعلمْ أن إمساك الدرهم علىٰ هذا التدبير لا يكون علاقة ولكنه يكون سياسة يصلُح به. وكان يقول: راحة الأبدان في زهد القلوب، ومشقَّة الأبدان في حرص القلوب. وقال: طلبتُ الدنيا فلم أسترح، وطلبت العلوَّ فلم أسترح، وطلبت العبادة والعلم فلم أسترح، ودخلت في الزهد واستوطنت الثقة بالله فاسترحت. وكان يقول: ما دامت شهوة النفس فيك فأنت مطيَّة الدنيا، وتُساق المطيَّة حيث يريد صاحبها لا حيث تريد هي، وإذا ذهبت الشهوة فالدنيا مطيته يسوقها حيث يريد. وقال بعض أهل المعرفة: إن الله لا يرضىٰ ممَّن عرفه أن يعلق بشيء دونه، فإن فعل ذلك غمَّه الله ولوَّعه من ذلك حتىٰ يرجع إليه. ويقال: إن مَن صح زهدُه في الدنيا حتىٰ يستوي عنده ذهبها وحجرها مشىٰ علىٰ الماء. وفيه قال الشاعر[1]:

---

(١) هو أبو نواس، والبيت في ديوانه ٤/ ١١.

لـو كان زهـدكِ في الدنيا كزهدك في   وَصْلي مشيتِ بلا شكٍّ علىٰ الماء

وقال يحيىٰ بن معاذ: أولياء الآخرة ثلاثة: قانع وزاهد وصدِّيق، فالقانع المحترف، الطالب للحلال، المنفق علىٰ السبيل والسنَّة، النازل عن جناح الرغبة في طلب الفضول من حُطام الدنيا، والزاهد: التارك للطلب ومعه شهوته، فإن أصاب نعيمَ الدنيا من غير كُلْفة أكل ونكح، وإن مُنع صبر ورضي، والصدِّيق هو واجد النعيم، لا يريده لمزايلة الشهوة إياه. وقال أيضًا: ليس بزاهد مَن استخدم غيره بما يصل هو إلىٰ فعله. وقد قاله أبو سليمان لأحمد بن أبي الحواري؛ إذ قال: قلت لبعض أصحابنا: اسقني ماء، فناولني شربة. فقال لي أبو سليمان: رأيتَ مَن زهد في الدنيا يستخدم ويقول: اسقني ماء؟ وكان يحيىٰ بن معاذ يُدخِل العلمَ والعبادة في الزهد، ويجعل الثلاثة كالشيء الواحد، لا يتم بعضُه إلا ببعض، فقال: الزهد والعبادة والعلم مثل الثوب، سُداه الزهد، ولُحمته العبادة، ونساجه العلم، لا يلتحم الثوب بغير هذه الثلاث، كذا لا يلتحم أمر الآخرة إلا بثلاثها. وكان يحيىٰ بن معاذ يقول: إذا وصل فرح، فإذا اتَّصل استأنس. فقيل له: نراك تفرِّق بين الوصول والاتصال، فتجعل الاتصال أعلىٰ وأقرب؟ فقال: أضرب لكم مثلاً: رجل سار طريقًا وقصد ملكًا كريمًا، ثم وصل إليه، حتىٰ إذا قدم عليه فقد وصل، ثم يتصل بمنادمة الملك شيئًا بعد شيء يتقرَّب بها إليه ويقرُب منه حتىٰ يدنيه الملك ويؤنسه، فالسير والتعب لقطع المنازل، والفرح في الوصول، والأنس في الاتصال. والاتصال كان مقام أبي يزيد، والوصول كان مقام يحيىٰ بن معاذ رحمة الله عليهما.

فصل: قال أبو يزيد البسطامي: حقيقة الزهد لا يكون إلا عند ظهور القدرة، والعاجز لا يصح زهدُه وهو أن يعطيه «كن»، ويُطلِعه علىٰ الاسم، ويُقدِره علىٰ الأشياء بإظهار الكون، فيزهد في ذلك حبًّا لله تعالىٰ أن يعمل عمله، ويتركه حبًّا لله تعالىٰ أن يقوم مقام القدرة. وكشفُ هذا المقام يُخرِج إلىٰ علم غريب لا يُعرَف وسر عجيب لا يوصف.

وفَّقنا الله وإياكم لِما يحب، وبلَّغنا ما نؤمِّل منه بفضله ورحمته. وهذا آخر شرح كتاب الفقر والزهد، ولا حول ولا قوة إلا بالله العليِّ العظيم، والحمد لله رب العالمين، وصلىٰ الله علىٰ سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

نجز ذلك علىٰ يد مسوِّده أبي الفيض محمد مرتضىٰ الحسيني، تاب الله عليه بمَنِّه، في ضحوة نهار الأربعاء لتسع بقين من شوال سنة ١٢٠٠، حامدًا لله، مصلِّيًا، مسلِّمًا، مستغفرًا.

فهرس موضوعات كتاب الزهد والفقر

٣٤ - كتاب الزهد والفقر